المجلد الثامن من تفسير الكبير للرازي

عدد ۲۹

بو كتاب

۲٤۷ ورقه

آيا صوفيه

۲۲۸

جلد ثامن سوره‌
نبادن آخرينه دكن

آيا صوفيه

۲۲۸

## عدد سورة

سورة النبا سورة النازعات سورة عبس سورة كورت
سورة انفطرت سورة المطففين سورة الانشقاق سورة البروج
سورة الطارق سورة سبح سورة الغاشية سورة والفجر
سورة البلد سورة الشمس سورة الليل سورة والضحى
سورة الانشراح سورة والتين سورة العلق سورة القدر
سورة البينة سورة الزلزلة سورة والعاديات سورة القارعة
سورة التكاثر سورة والعصر سورة الحطمة سورة الفيل
سورة قريش سورة الدين سورة الكوثر سورة الكافرون
سورة النصر سورة تبت سورة الاخلاص سورة الفلق
سورة الناس



كبير

عم والنازعات عبس اذا الشمس كورت اذا السماء انفطرت
ويل للمطففين اذا السماء انشقت والسماء ذات البروج
والسماء والطارق سبح اسم ربك الاعلى هل اتاك حديث الغاشية
والفجر لا اقسم والشمس والليل والضحى
الم نشرح والتين اقرا باسم ربك انا انزلناه لم يكن
اذا زلزلت والعاديات القارعة الهاكم والعصر
ويل لكل همزة الم تر كيف لايلاف ارايت انا اعطيناك قل يا ايها الكافرون
اذا جاء تبت قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس



قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
... لعالي ...
مصححاً ... احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
عفي لهما

بسم الله الرحمن الرحيم          سورة عم يتسالون

عم يتسالون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون فيه مسايل المسلة
الاولى عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهاميه قال
حسان على ما قام يشتمني لييم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على
الحذف والاصل قليل ذكروا في سبب الحذف وجوها احدها قال
الزجاج لان الميم تشرك الغنة في الالف فصارا كالحرفين المتماثلين
وثانيها قال الجرجاني انهم اذا وضعوا ما في الاستفهام حذفوا الفها
تفرقة بينها وبين ان يكون اسما كقولهم فيم وبم ولم وعلام وحتام وثالثها
قالوا حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كجزء منه
لتنبئ عن شدة الاتصال ورابعها السبب في هذا الحذف التخفيف
في الكلام فانه لفظ كثير التداول على اللسان المسلة الثانية قوله عم
يتسالون انه سوال وقوله عن النبا العظيم جواب والسايل والمجيب
هو الله تعالى وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات فان
قيل ما الفايدة في ان ذكر سوالا ثم انه ذكر الجواب معه قلنا لان
ايراد الكلام في معرض السوال والجواب اقرب الى التفهيم والايضاح
ونظيره لمن الملك اليوم لله الواحد القهار المسلة الثالثة قرا عكرمة
وعيسى بن عمر عما وهو الاصل وعن ابن كثير انه قرا عمه بها
السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف
ويبتدي يتسالون عن النبا العظيم على ان يضمر يتسالون لان ما بعده
يفسره كشي يبهم ثم يفسر المسلة الرابعة ما لفظة وضعت لطلب ماهيات
الاشيا وحقايقها تقول ما الملك وما الروح وما الجن والمراد طلب
ماهياتها وشرح حقايقها وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولا
ثم ان الشي العظيم الذي يكون لعظمه وتفاقم مرتبته يعجز العقل عن ان
يحيط بكنهه يبقى مجهولا فحصل بين الشي المطلوب بلفظ ما وبين الشي
العظيم مشابهة من هذا الوجه والمشابهة احدى اسباب المجاز

فبهذا الطريق جعل لفظ ما دليلا على عظمة حال ذلك المطلوب وعلو رتبته
ومنه قوله وما ادريك ما سجين وما ادريك ما العقبة وتقول زيد ما زيد
المسلة الخامسة التساول هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل
ايضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سوال قال تعالى واقبل
بعضهم على بعض يتسالون قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول
اينك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم
يتحدثون وهذا قول الفرا المسلة السادسة اوليك الذين كانوا يتسالون
من هم فيه احتمالات احدها انهم هم الكفار والدليل عليه قوله كلا
سيعلمون الضمير في يتسالون وهم فيه مختلفون سيعلمون راجع الى
شي واحد وقوله كلا سيعلمون تهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار
فثبت ان الضمير في قوله يتسالون عايد الى الكفار فان قيل فما تصنع
بقوله هم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر
قلنا لا نسلم انهم كانوا متفقين في انكار الحشر وذلك لان منهم من كان
يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسماني
فمنهم من كان شاكا فيه كقوله وما اظن الساعة قايمة ولين رددت
الى ربي ان لي عنده للحسنى ومنهم من اصر على الانكار ويقول ان هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من كان مقرا
به لكنه كان منكرا النبوة محمد عليه السلم فقد حصل اختلافهم فيه وايضا
هب انهم كانوا منكرين له لكن لعلهم اختلفوا في كيفية انكاره فمنهم
من كان ينكره لانه كان ينكر الصانع المختار ومنهم من كان ينكره
لاعتقاده ان اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار
انما يكون قادرا على ما يكون ممكنا في نفسه وهذا هو المراد بقوله
هم فيه مختلفون والاحتمال الثاني ان الذين كانوا يتسالونه هم الكفار
والمومنون وكانوا جميعا يتسالون عنه اما المسلم فليزداد بصيرة
ويقينا في دينه واما الكافر فعلى سبيل السخرية او على سبيل ايراد

ثم كلا سيعلمون

لقوله

الشكوك والشبهات والاحتمال الثالث انهم كانوا يسالون الرسول ويقولون
ما هذا الذي تعدنا به من امر الاخره اما قوله تعالى عن النبا العظيم
ففيه مسايل المسله الاولى ذكر المفسرون في تفسير النبا العظيم ثلثه
اوجه احدها انه هو القيامه وهذا هو الاقرب ويدل عليه وجوه
احدها قوله كلا سيعلمون والظاهر ان المراد منه انهم سيعلمون
هذا الذي يتسالون عنه حين لا ينفعهم تلك المعرفه ومعلوم ان
ذلك هو القيامه وثانيها انه تعالى بين كونه قادرا على جميع الممكنات
بقوله الم نجعل الارض مهادا الى قوله يوم ينفخ في الصور وذلك
يقتضي انه تعالى انما قدم هذه المقدمه لبيان كونه تعالى قادرا على
اقامة القيامه ولما كان الذي اثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه
السوره هو هذه المسله ثبت ان النبا العظيم الذي كانوا يتسالون
عنه هو يوم القيامه وثالثها ان العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله
الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين
وقوله قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ولان هذا اليوم اعظم الاشيا
لان ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه فتخصيص اسم العظيم به لايقا
والقول الثاني انه القران واحتج القايلون بهذا الوجه بامرين
الاول ان النبا العظيم هو الذي كانوا يختلفون فيه وذلك هو القران
لان بعضهم جعله سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم قال انه اساطير الاولين
فاما البعث ونبوه محمد عليه السلم فقد كانوا متفقين على انكارهما
وهذا ضعيف لانا بينا ان الاختلاف كان حاصلا في البعث الثاني
ان النبا اسم الخبر لا اسم المخبر عنه فتفسير النبا بالقران اولى من
تفسيره بالبعث والنبوه لان ذلك في نفسه ليس نبا بل منبا عنه ويقوي
ذلك ان القران سمي ذكرا وتذكره وذكرى وهدايه وحديثا فكان
اسم النبا به اليق منه بالبعث والنبوه والجواب عنه انه ان
كان اسم النبا اليق بهذه الالفاظ فاسم العظيم اليق بالقيامه وبالنبوه



لانه لا عظمه في الالفاظ انما العظمه في المعاني وللاولين ان يقولوا انها
عظيمه ايضا في الفصاحه والاحتوا على العلوم الكثيره ويمكن ان
ان يجاب بان العظم حقيقه في الاجسام مجاز في غيرها واذا ثبت
التعارض بقي ما ذكرنا من الدلايل سليما القول الثالث ان النبا العظيم
هو نبوه محمد عليه السلم قالوا وذلك لانه لما بعث الرسول عليه السلم
جعلوا يتسالون بينهم ماذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتسالون
وذلك لانهم عجبوا من ارسال الله محمدا عليه السلم اليهم كما قال وعجبوا
ان جاهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب وعجبوا ايضا
ان جاهم بالتوحيد كما قال اجعل الالهه الها واحدا ان هذا لشي عجاب
فحكى الله عز وجل مسايله بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتسالون
المسله الثانيه في كيفيه اتصال هذه الايه بما قبلها وجوه احدها
وهو قول البصريين ان قوله عم يتسالون كلام تام ثم قال عن النبا العظيم
والتقدير يتسالون عن النبا العظيم الا انه حذف يتسالون في الايه الثانيه
لان حصوله في الاولى يدل عليه وثانيها ان يكون قوله عن النبا العظيم
استفهاما متصلا بما قبله والتقدير عم يتسالون اعن النبا العظيم الذي
هم فيه مختلفون الا انه اقتصر على ما قبله من الاستفهام اذ هو
متصل به وكالترجمه والبيان له كما قرى في قوله اذا متنا وكنا
ترابا وعظاما انا لمبعوثون بكسر الالف من غير استفهام وهو موضع
الاستفهام لان انكارهم انما كان للبعث ولكنه لما ظهر الاستفهام في
اول الكلام اقتصر عليه قلنا هاهنا وثالثها وهو اختيار الكوفيين ان
الايه الثانيه متصله بالاولى على تقدير لاي شي يتسالون عن النبا العظيم
وعم كانها في المعنى لاي شي وهذا قول الفرا قوله تعالى كلا سيعلمون
ثم كلا سيعلمون قال القفال رحمه الله كلا لفظه وضعت لرد شي قد
تقدم هذا هو الاظهر منها في الكلام والمعنى ليس الامر كما يقوله
هولا في النبا العظيم انه باطل او انه لا يكون وقال قايلون كلا معناه

حقايق الله تعالى فررد لك الردع والتهديد فقال كلا سيعلمون وهو وعيد
لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتسالون عنه ويضحكون منه حق لا دافع
له واقع لا ريب فيه واما تكرير الردع ففيه وجهان الاول ان الغرض من
التكرير التاكيد والتشديد ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ
من الوعيد الاول واشد والثاني ان ذلك ليس بتكرير ثم ذكروا وجوها
احدها قال الضحاك الاية الاولى للكفار والثانيه للمومنين اي سيعلم
الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المومنون عاقبة تصديقهم وثانيها
قال القاضي ويحتمل ان يريد بالاول سيعلمون نفس الحشر والمحاسبه
ويريد بالثاني سيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه وثالثها كلا سيعلمون
ما الله فاعل بهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ان الامر ليس كما كانوا
يتوهمون من ان الله غير باعث لهم ورابعها كلا سيعلمون ما يصل اليهم
من العذاب في الدنيا كما جرى على كفار قريش يوم بدر ثم كلا سيعلمون
بما ينالهم في الاخرة المسالة الثالثة جمهور القرا قروا بالياء المنقطه
من تحت في سيعلمون وروي بالتا المنقطه من فوق عن ابن عامر قال
الواحدي رحمه الله والاول اولى لان ما تقدم من قوله هم فيه مختلفون
على لفظ الغيبه والتا على قل لهم ستعلمون واقول على ان يكون ذلك
على سبيل الالتفات وهو هاهنا محتمل حسن لمن يقول ان عبدي
يقول كذا وكذا ثم تقول لعبده انك تشعر وبال هذا الكلام
قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انكارهم
البعث والحشر واراد اقامة الدلالة على صحة الحشر قدم لذلك
مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع
المعلومات وذلك لانه مهما ثبت هذان الاصلان ثبت القول بصحة
البعث وانما اثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته الواقعة
على وجه الاحكام والاتقان فان تلك الاشيا من جهة حدوثها
تدل على القدرة ومن جهة احكامها واتقانها تدل على العلم ومتى ثبت



هذان الاصلان وثبت ان الاجسام متساويه في قبول الصفات والاعراض
ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا سمواتها وكواكبها
وارضها وعلى ايجاد عالم الاخره فهذا هو الاشاره الى كيفية النظم
واعلم انه تعالى ذكرها هنا من عجايب مخلوقاته امورا فاولها قوله
الم نجعل الارض مهادا المهاد مصدر ثم هاهنا احتمالات احدها
المراد منه هاهنا الممهود اي الم نجعل الارض ممهودا وهذا من باب
تسمية المفعول بالمصدر كقولك هذا ضرب الامير وثانيها ان يكون
الارض وصفت بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم وفضل كانه
لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة وثالثها ان يكون بمعنى ذات
مهاد وقرى مهدا ومعناه ان الارض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي
مهد له فينوم عليه واعلم انا ذكرنا في سورة البقرة في تفسير قوله
جعل لكم الارض فراشا كل ما يتعلق من الحقايق بهذه الاية وثانيها
قوله تعالى والجبال اوتادا اي للارض حتى لا تميد باهلها فيكمل
كون الارض مهادا بسبب ذلك وتحقيق ذلك قد تقدم ايضا وثالثها
قوله وخلقناكم ازواجا وفيه قولان الاول المراد الذكر والانثى
كما قال وانه خلق الزوجين الذكر والانثى والثاني ان المراد منه
كل زوجين ومتقابلين من القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع
المتقابلات والاضداد كما قال ومن كل شي خلقنا زوجين وهذا
دليل ظاهر على كمال القدره ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان
فيتعبد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر ويعرف حقيقة كل شي
بضده فالانسان انما يعرف قدر الشباب عند الشيب وانما يعرف
قدر الامن عند الخوف فيكون ذلك ابلغ في تعريف النعم ورابعها
قوله وجعلنا نومكم سباتا وطعن بعض الملحده في هذه الاية فقالوا
السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما واعلم ان العلما
ذكروا في التاويل وجوها اولها قال الزجاج سباتا موتا والمسبوت

الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركه ودليله امران احدهما
قوله وهو الذي يتوفيكم بالليل الى قوله ثم يبعثكم والثاني انه لما جعل
النوم موتا جعل اليقظه معاشا اي حيوه في قوله وجعلنا النهار
معاشا وهذا القول عندي ضعيف لان الاشيا المذكوره في هذه
الايه جلايل النعم فلا يليق الموت بهذا المكان وايضا ليس المراد بكونه
موتا ان الروح انقطع عن البدن بل المراد منه انقطاع اثر الحواس
الظاهره وهذا هو النوم ويصير حاصل الكلام الى انا جعلنا نومكم
نوما وثانيها قال الليث السبات النوم شبه الغشي يقال سبت المريض
فهو مسبوت وقال ابو عبيده السبات الغشيه التي تغشى الانسان
شبه الموت وهذا القول ايضا ضعيف لان الغشي هاهنا ان كان
النوم فيعود الاشكال وان كان المراد بالسبات شده ذلك الغشي
فهو باطل لانه ليس كل نوم كذلك ولانه مرض فلا يمكن ذكره في اثنا تعديد
النعم وثالثها ان السبت في اصل اللغه هو القطع يقال سبت الرجل
راسه يسبته سبتا اذا احلق شعره وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا
اي قطعا ثم عند هذا يحتمل وجوها الاول ان يكون المعنى وجعلنا
نومكم نوما منقطعا لا دايما فان النوم بمقدار الحاجه من انفع الاشيا
ايادوامه من اضر الاشيا فلما كان انقطاعه نعمه عظيمه لا جرم
ذكره الله في معرض الانعام الثاني ان الانسان اذا انعب ثم نام فذلك
النوم يزيل عنه ذلك التعب فسميت تلك الازاله سبتا وقطعا وهذا
هو المراد من قول ابن قتيبه وجعلنا نومكم سباتا اي راحه وليس
غرضه منه ان السبات اسم للراحه بل المقصود ان النوم يقطع
التعب ويزيله فحينيذ تحصل الراحه الثالث قال المبرد وجعلنا
نومكم سباتا اي جعلناه نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه يقول
العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يدافعه كانه
قيل وجعلنا نومكم نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه غشيا



مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض الشديده وهذه الوجوه كلها
صحيحه وخامسها قوله وجعلنا الليل لباسا قال القفال رحمه الله
اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان ويتغطى به فيكون ذلك
مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباسا لهم
ولهذا السبب سمي الليل لباسا على وجه المجاز والمراد كون الليل
ساترا لهم واما وجه النعمه في ذلك فهو ان ظلمه الليل تستر الانسان
عن العيون اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اخفا ما لا يحب الانسان
اطلاع غيره عليه وقال المتنبي وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر
ان المانويه تكذب وايضا فكما ان الانسان بسبب اللباس
يزداد جماله وتتكامل قوته ويندفع عنه اذى الحر والبرد فكذا لباس
الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الانسان
وفي طراوة اعضايه وفي تكامل قواه الحسيه والحركيه ويندفع
عنه اذى التعب الجسماني واذى الافكار الموحشه النفسانيه
ولذلك فان المريض اذا نام بالليل وجد الخفه العظيمه وسادسها
قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا في المعاش وجهان احدهما
انه مصدر يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشه وعيشه وعلى
هذا التقدير فلا بد فيه من اضمار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش
والثاني ان يكون معاش مفعلا وظرفا للتعيش وعلى هذا لا حاجه
الى الاضمار ومعنى كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في
حوايجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل وسابعها قوله وبنينا
فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات شدادا جمع شديده يعني محكمه
قويه الخلق لا يوثر فيها مرور الازمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره
قوله وجعلنا السما سقفا محفوظا فان قيل لفظ البنا يستعمل في اسافل
البيت والسقف في اعلاه فكيف قال وبنينا سقفا قلنا البنا يكون ابعد
عن الافه والانحلال من السقف فذكر قوله وبنينا اشاره الى انه وان

والاضمار خلاف الاصل

هذا السوال انما يرد اذا كان البناء بمعنى الاساس و

كان سقفا الكنه في البعد عن الاختلال كالبناء فالغرض من اختيار هذا اللفظ
هذه الدقيقة وثانيها قوله وجعلنا سراجا وهاجا كلام اهل اللغة مضطرب
في تفسير الوهاج فمنهم من قال الوهج يجمع النور والحرارة فبين الله تعالى
ان الشمس بالغة الى اقصى الغايات في هذين الوصفين وهو المراد بكونها
وهاجا وروى الكلبي عن ابن عباس ان الوهاج مبالغة في النور فقط
يقال للجوهر اذا تلالا توهج وهذا يدل على ان الوهاج يفيد الكمال في
النور ومنه قول الشاعر يصف النور نوارها متباهج يتوهج وفي كتاب
الخليل الوهج حر النار او الشمس وهذا يقتضي ان الوهاج هو البالغ في الحر
واعلم ان اي هذه الوجوه ثبت فالمقصود حاصل وتاسعها وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا اما المعصرات ففيها قولان الاول وهو احدى
الروايتين عن ابن عباس وقول مجاهد ومقاتل والكلبي وقتادة انها
الرياح التي تثير السحاب ودليله قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير
سحابا فان قيل على هذا التاويل كان ينبغي ان يقال وانزلنا بالمعصرات
قلنا الجواب من وجهين الاول ان المطر انما ينزل من السحاب والسحاب
انما تثيره الرياح صح ان يقال هذا المطر انما حصل من تلك الرياح كما يقال
هذا من فلان اي من جهته وبسببه الثاني ان من هاهنا بمعنى الباء
والتقدير وانزلنا بالمعصرات اي الرياح المثيرة للسحاب ويروى عن
عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعكرمة انهم قرؤوا وانزلنا بالمعصرات
وطعن الازهري في هذا القول وقال الاعاصير من الرياح ليست
من رياح المطر وقد وصف الله المعصرات بالماء الثجاج وجوابه ان
الاعصار ليست من رياح المطر فلم لا يجوز ان تكون المعصرات من
رياح المطر القول الثاني وهو الرواية الثانية عن ابن عباس واختيار
ابي العالية والربيع والضحاك انها السحاب وذكروا في سبب تسمية
السحاب بالمعصرات وجوها احدها قال المؤرج المعصرات السحاب
بلغة قريش وثانيها قال المازني يجوز ان تكون المعصرات هي السحاب ذوات

الاعاصير فان السحاب اذا اعصرتها الاعاصير لا بد وان ينزل المطر منها وثالثها
ان المعصرات هي السحاب التي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كقولك
اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض
واما الثجاج فاعلم ان الثج شدة الانصباب يقال مطر ثجاج اي شديد
الانصباب واعلم ان الثج قد يكون لازما وهو بمعنى الانصباب كما ذكرنا
وقد يكون متعديا بمعنى الصب وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي
رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يعني
يثج الكلام ثجا في خطبته وقد فسروا الثجاج في هذه الاية على الوجهين
قال الكلبي ومقاتل وقتادة الثجاج هاهنا المتدفق المنصب وقال
الزجاج معناه الصباب كانه يثج نفسه اي يصب وبالجملة فالمراد
تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به قوله تعالى لنخرج به حبا
ونباتا وجنات الفافا في الاية مسائل المسالة الاولى كل شيء ينبت من
الارض فاما ان لا يكون له ساق واما ان يكون فان لم يكن له ساق فاما ان
يكون له كمام وهو الحب واما ان لا يكون له كمام وهو الحشيش وهو المراد
هاهنا بقوله ونباتا والى هذين القسمين الاشارة بقوله تعالى كلوا وارعوا
انعامكم واما الذي له ساق فهو الشجر فاذا اجتمع منها شيء كثير سميت
جنة فثبت بالدليل العقلي انحصار ما ينبت من الارض في هذه الاقسام
الثلاثة وانما قدم الله الحب لانه هو الاصل في الغذاء وانما ثنى بالنبات
لاحتياج سائر الحيوانات اليه وانما اخر الجنات في الذكر لان الحاجة
الى الفواكه ليست ضرورية المسالة الثانية اختلفوا في الالفاف
فذكر صاحب الكشاف انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف والاوزاع
الجماعات المتفرقة والاخياف الجماعات المختلطة وكثير من
اللغويين اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا فيه فقال الاخفش والكسائي
واحدها لف بالكسر وزاد الكسائي لف بالضم وانكر المبرد الضم وقال
بل واحدها لفا وجمعها لف ثم الفاف وقيل يحتمل ان يكون جمع لفيف

وجمع لفيف

كتشريف واشرام نقله القفال رحمه الله اذا عرفت هذا فنقول قوله وجنات
الفافا اي ملتفه والمعنى ان كل جنه فان ما فيها من الشجر تكون مجتمعه متقاربه
الاثر اهم يقولون امراه لفا اذا كانت غليظه الساق مجتمعه اللحم يبلغ
من تقاربه ان تتلاصق المسلة الثالثه كان الكعبي من القايلين بالطبايع
فاحتج بقوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا وقال انه يدل على بطلان
قول من قال ان الله تعالى لا يفعل شيا بواسطه شي اخر قوله تعالى
ان يوم الفصل كان ميقاتا اعلم ان هذه الاشيا التسعه التي عددها
الله تعالى نظرا الى حدوثها في ذواتها وصفاتها ونظرا الى امكانها في
ذواتها وصفاتها يدل على القادر المختار ونظرا الى ما فيها من الاحكام
والاتقان يدل على كون فاعلها عالما ثم ان ذلك الفاعل القديم يجب
ان يكون علمه وقدرته واجبا اذ لو كان جايز الافتقر الى فاعل اخر
ويلزم التسلسل وهو محال واذا كان العلم والقدره واجبين وجب
تعلقهما بكل ما صح ان يكون مقدورا او معلوما والا لافتقر الى المخصص
وهو محال واذا كان كذلك وجب ان يكون قادرا على جميع الممكنات
عالما بجميع المعلومات وقد ثبت ان الاجسام متساويه في الجسميه
فكل ما صح على واحد منها صح على الاخر فكما يصح على الاجسام السفليه
الانشقاق والانفطار والظلمه وجب ان يصح ذلك على كل الاجسام
واذا ثبت الامكان وثبت عموم القدره والعلم ثبت انه تعالى قادر
على تخريب الدنيا وقادر على ايجاد عالم اخر وعند ذلك ثبت ان
القول بقيام القيامه ممكن عقلا والى ها هنا يمكن اثباته بالعقل
فاما ما وراء ذلك من وقت حدوثها وكيفيه حدوثها فلا سبيل اليه الا
بالسمع ثم انه تعالى تكلم في هذه الاشيا فقوله ان يوم الفصل كان ميقاتا
ثم انه تعالى ذكر بعض احوال القيمه فاولها قوله ان يوم الفصل كان
ميقاتا والمعنى ان هذا اليوم كان في تقدير الله وحكمه حدا يوقت به
الدنيا وحدا للخلايق ينتهون اليه او كان ميقاتا لما وعد الله من الثواب

مطلب عادته فلا يبطل قول القايل

والعقاب او كان ميقاتا لاجتماع كل الخلايق في فصل الحكومات وقطع الخصومات
وثانيها قوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا اعلم ان يوم ينفخ بدل من
يوم الفصل او عطف بيان وهذا النفخ هو النفخه الاخيره التي عندها يكون
الحشر والنفخ في الصور فيه قولان احدهما ان الصور جمع الصور فالنفخ عباره
عن نفخ الارواح في الاجساد والثاني ان الصور عباره عن قرن ينفخ فيه
وتمام الكلام في الصور وما قيل فيه قد تقدم في سوره الزمر وقوله
فتاتون افواجا معناه انهم ياتون ذلك المقام فوجا فوجا حتى يتكامل
اجتماعهم قال عطا كل نبي ياتي مع امته ونظيره قوله تعالى يوم ندعو
كل اناس بامامهم وقيل جماعات مختلفه روي صاحب الكشاف عن معاذ
انه سال رسول الله عنه فقال عليه السلم يا معاذ سالت عن امر عظيم من
الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشره اصناف من امتي بعضهم على
صوره القرده وبعضهم على صوره الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم
يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعه ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا
سابغه من قطران لازقه بجلودهم فاما الذي على صوره القرده
فالقتات من الناس واما الذي على صوره الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون على وجوههم فاكله الربوا واما العمي فالذين يجورون
في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون
السنتهم فالعلما والقصاص الذي يخالف قولهم اعمالهم واما الذين
قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون الجيران واما المصلبون
على جذوع من نار فالسعاه بالناس الى السلطان واما الذين اشد
نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله
في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلا

في الصور م

ما يحفظ

٥

٥

وثالثها قوله وفتحت السما فكانت ابوابا قرا عاصم وحمزه والكسائي
فتحت خفيفه والباقون بالتثقيل والمعنى كثرت ابوابها المفتحه لنزول
الملائكه قال القاضي وهذا الفتح هو معنى قوله اذا السما انشقت واذا
السما انفطرت اذ الفتح والتشقق والتفطر تتقارب واقول هذا ليس بقوي
لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر فربما كانت
للسما ابواب ثم تفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم السما تشقق
ولا تفطر بل الدلائل السمعيه دلت على ان عند حصول فتح هذه الابواب
يحصل التشقق والتفطر والفنا بالكليه فان قيل قوله وفتحت السما فكانت
ابوابا يفيد ان السما بكليتها تصير ابوابا فكيف يعقل ذلك قلنا فيه وجوه
احدها ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت كانها ليست الا ابوابا
مفتحه كقوله وفجرنا الارض عيونا اي كان كلها صارت عيونا تتفجر
وثانيها قال الواحدي هذا من باب تقدير حذف المضاف والتقدير
فكانت ذات ابواب وثالثها ان الضمير في قوله فكانت ابوابا عايد
الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع ابوابا لنزول الملايكه كما قال
تعالى وجا ربك والملك صفا صفا ورابعها قوله وسيرت الجبال فكانت
سرابا اعلم ان الله ذكر في مواضع من كتابه احوال هذه الجبال على وجوه
مختلفه ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله وهو ان اول احوالها
الاندكاك وهو قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكه واحده والحاله
الثانيه لها ان تصير كالعهن المنفوش وذكر الله تعالى في قوله يوم يكون النا
الناس السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن والحاله الثالثه ان تصير
كالهبا وذلك ان تتقطع وتتبدد بعد ان كانت كالعهن وهو قوله
اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا والحاله
الرابعه ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمه قاره في مواضعها والا
رض تحتها غير بارزه فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد
من قوله ينسفها ربي نسفا والحاله الخامسه ان الرياح ترفعها عن

[margin: للفتوحه]

[margin: في كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ... ثم]

٨

وجه الارض فتطيرها شعاعا في الهوا كانها غبار فمن نظر اليها من بعد
حسبها لتكاثفها اجسادا جامده وهي بالحقيقه مارة الا ان مرورها
بسبب مرور الرياح بها صيرها مندكه متفتتة وهي قوله وهي تمر مر
السحاب ثم تكون تلك الحركه حصلت بقهره وتسخيره فقال ويوم نسير
الجبال وترى الارض بارزه والحاله السادسه ان تصير سرابا بمعنى لاشي
فمن نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيئا كما ان من يرى السراب من بعد
اذا جا الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيا والله اعلم واعلم ان
الاحوال المذكوره الى هاهنا هي احوال عامه للقيامه ومن هاهنا
يصف اهوال جهنم واحوالها فاولها قوله ان جهنم كانت مرصادا
وفيه مسايل المسله الاولى قرا ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزه على تعليل
قيام الساعه بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل ذلك لاقامه
الجزا المسله الثانيه كانت مرصادا اي في علم الله وقيل صارت
وهذان القولان نقلهما القفال رحمه الله وفيه وجه ثالث ذكره القاضي
فانا اذا فسرنا المرصاد بالمرتقب افاد ذلك ان جهنم كانت كالمنتظره
لقدومهم من قدم الزمان وكالمستدعيه والطالبه لهم المسله الثالثه
في المرصاد قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه
كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي
ينهج فيه وعلى هذا الوجه فيه احتمالان احدهما ان خزنه جهنم يرصد
الكفار والثاني ان مجاز المومنين وممرهم كان على جهنم لقوله وان منكم
الا واردها فخزنه الجنه يستقبلون المومنين عند جهنم ويرصدونهم
عندها القول الثاني ان المرصاد مفعال من الرصد وهو الترقب
بمعنى ان ذلك يكثر منه والمفعال من ابنيه المبالغه كالمعطار والمعمار
والمعطان قيل انها ترصد اعدا الله وتشق عليهم كما قال تعالى تكاد
تميز من الغيظ وقيل ترصد كل كافر ومنافق والقايلون بالقول
الاول استدلوا على صحه قولهم بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد

[margin: كانه]

[margin: ون]

ولو كان المرصاد بمعنى الوجه لقال ان ربك لبالمرصاد المسئلة الرابعة دلت
الآية على ان جهنم كانت مخلوقة لقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا واذا كان
كذلك كانت الجنة كذلك لانه لا قائل بالفرق وثانيها قوله للطاغين
مآبا وفيه وجهان ان قلنا انه مرصاد للكفار فقط كان قوله للطاغين
من تمام ما قبله والتقدير ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ثم قوله
مآبا بدل من قوله مرصادا وان قلنا بانه مرصاد مطلقا للكفار والمؤمنين
كان قوله ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله للطاغين مآبا كلام
مبتدأ كانه قيل ان جهنم مرصاد للكل ومآب للطاغين خاصة ومن
ذهب الى القول الاول لم يقف على قوله مرصادا ومن ذهب الى
القول الثاني وقف عليه ثم يقول المراد بالطاغين من تكبر على ربه
وطغى في مخالفته ومعاصيه وقوله مآبا اي مصيرا ومقرا وثالثها
قوله لابثين فيها احقابا اعلم ان قوله تعالى لما بين ان جهنم مآب
للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها احقابا وههنا
مسائل المسئلة الاولى قرئ لابثين وقرا حمزة لبثين وفيه وجهان قال
الفراء هما بمعنى واحد يقال لابث ولبث مثل طامع وطمع وفاره وفره
وهو كثير وقال صاحب الكشاف اللابث اقوى لان اللابث من وجد
منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث وهو ان يستقر في المكان
ولا يكاد ينفك منه المسئلة الثانية قال الفراء اصل الحقب من الترادف
والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا
فقد احتقب فيجوز على هذا المعنى لابثين فيها احقابا اي دهورا متتابعة
يتبع بعضها بعضا ويدل عليه قوله تعالى لا ابرح حتى ابلغ مجمع
البحرين او امضي حقبا يحتمل سنين متتابعة الى ان ابلغ او ايئس واعلم
ان الاحقاب واحدها حقب وهو ثمانون سنة عند اهل اللغة والحقب
السنون واحدها حقبة وهي زمان من الدهر لا وقت له ثم نقل
عن المفسرين فيه وجوه احدها قال عطاء والكلبي ومقاتل عن

ابن عباس في قوله احقابا الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة
وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا ونحو هذا روى ابن عمر
مرفوعا وثانيها سال هلال الهجري عليا رضي الله عنه فقال الحقب مائة
سنة السنة اثنا عشر شهرا الشهر ثلثون يوما اليوم الف سنة وثالثها
قال الحسن الاحقاب لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون
الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون فان قيل قوله احقابا وان
طالت الا انها متناهية وعذاب اهل النار غير متناهي بل لو قال لابثين
فيها الاحقاب لم يكن هذا السوال واردا ونظير هذا السوال قوله في
اهل القبلة الا ما شاء ربك قلنا الجواب من وجهين الاول ان لفظ الاحقاب
لا يدل على نهاية وانما الحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون فيها
احقابا كلما مضى حقب تبعه حقب اخر وهكذا الى الابد والثاني قال
الزجاج المعنى انهم يلبثون احقابا لا يذوقون في الاحقاب بردا ولا شرابا
فهذه الاحقاب توقيت لنوع من العذاب وهو ان لا يذوقوا بردا ولا شرابا
الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب عن الحميم والغساق من
جنس اخر من العذاب ورابعها هب ان قوله احقابا يفيد التناهي
لكن دلالة هذا على الخروج دلالة المفهوم والمنطوق دل على انهم
لا يخرجون قال تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم ولا شك ان المنطوق راجح وذكر صاحب الكشاف
في الآية وجها اخر وهو ان يكون احقابا من حقب عامنا اذا قل مطره
وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب
فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا تفسير له ورابعها قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
الا حميما وغساقا جزاء وفاقا وفيه مسائل المسئلة الاولى ان اخترنا قول
الزجاج كان قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا متصلا بما قبله
والضمير في قوله فيها عائد الى الاحقاب وان لم نقل به كان هذا

كلاما مستأنفا مبتدأ والضمير في قوله فيها عائد إلى جهنم المسألة الثانية
في قوله بردا وجهان الأول أنه البرد المعروف والمراد أنهم لا يذوقون
مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة أو ظل يمنع من نار ولا
يجدون شرابا يسكن عطشهم ويزيل الحرقة عن بواطنهم والحاصل أنهم لا
يجدون هواء باردا والثاني البرد هاهنا النوم وهو قول الأخفش
والكسائي والفراء وقطرب والعتبي قال الفراء وإنما سمي النوم بردا لأنه
يبرد صاحبه فإن العطشان لينام فيبرد بالنوم وأنشد أبو عبيدة والمبرد
بيانا أن المراد من البرد النوم قول الشاعر بردت مراشفها علي فصدني
عنها وعن رشفاتها البرد يعني النوم قال المبرد ومن أمثال العرب منع
البرد البرد أي أصابني من البرد ما منعني من النوم واعلم أن القول الأول
أولى لأنه إذا أمكن حمل اللفظ على الحقيقة المشهورة فلا معنى لحمله على
المجاز النادر الغريب والقائلون بالقول الثاني تمسكوا في إثباته بوجهين
الأول أنه لا يقال ذقت البرد ويقال ذقت النوم الثاني أنهم يذوقون
برد الزمهرير فلا يصح أن يقال إنهم ما ذاقوا بردا وهب أن ذلك البرد برد
نافع أو لا ولكن كيف كان فقد ذاقوا البرد فالجواب عن الأول كما
أن ذوق البرد مجاز فكذا ذوق النوم أيضا مجاز ولأن المراد من قوله
لا يذوقون فيها بردا أي لا يستنشقون فيها نفسا باردا وهواء باردا
والهواء المستنشق بمرة الفم والأنف فجاز إطلاق لفظ الذوق عليه والجواب
عن الثاني أنه لم يقل لا يذوقون فيها البرد بل قال لا يذوقون فيها بردا واحدا
وهو البرد الذي ينتفعون به ويستروحون إليه المسألة الثالثة ذكروا
في الحميم أنه الصفر المذاب وهو باطل بل الحميم الماء الحار المغلي جدا
المسألة الرابعة ذكروا في الغساق وجوها أحدها قال أبو معاذ
كنت أسمع مشايخنا يقولون الغساق فارسية معربة يقولون للشيء
الذي يتقذرونه خاشاك وثانيها أن الغساق هو الشيء البارد الذي
لا يطاق فيه هو الذي يسمى بالزمهرير وثالثها أن الغساق ما يسيل من

ولا شرابا





أعين أهل النار وجلودهم من الصديد والقيح والعرق وسائر الرطوبات
المستقذرة وفي كتاب الخليل غسقت عينه تغسق غسقا وغسقانا ورابعها
الغساق هو المنتن ويدل عليه ما روي أنه عليه السلام قال لو أن دلوا من الغساق
يهراق على الدنيا لأنتن أهل الدنيا وخامسها أن الغاسق هو المظلم قال
تعالى ومن شر غاسق إذا وقب فيكون الغساق شرابا أسود مكروها
يستوحش كما يستوحش الشيء المظلم إذا عرفت هذا فنقول إن فسرنا
الغساق بالبارد كان التقدير لا يذوقون فيها بردا إلا غساقا ولا شرابا
إلا حميما إلا أنهما جمعا لأجل انتظام الآي ومثله من الشعر قول امرئ القيس
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
والمعنى كأن قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف البالي أما إن فسرنا
الغساق بالصديد أو بالمنتن احتمل أن يكون الاستثناء بالحميم وهو الغساق
راجعا إلى البرد والشراب معا وأن يكون مختصا بالشراب فقط أما الا
حتمال الأول فهو أن يكون التقدير لا يذوقون فيها بردا إلا الماء ولا شرابا غير الماء
إلا الحميم والصديد المنتن وأما الاحتمال الثاني فهو أن يكون التقدير لا يذوقون
فيها شرابا إلا الحميم البالغ في السخونة أو الصديد المنتن والله أعلم بمراده
فإن قيل الصديد لا يشرب فكيف استثنى عن الشراب قلنا إنه مائع فأمكن أن
يشرب في الجملة فإن ثبت أنه غير ممكن كان ذلك استثناء من غير الجنس
ووجهه معلوم المسألة الخامسة قرأ حمزة والكسائي وعاصم من رواية
حفص عنه غساقا بالتشديد فكأنه فعال بمعنى سيال وقرأ الباقون
بالتخفيف مثل شراب والأول نعت والثاني اسم واعلم أنه تعالى
لما شرح أنواع عقوبة الكفار بين فيما فعله أنه جزاء وفاقا وفي المعنى
وجهان الأول أنه تعالى أنزل بهم عقوبة شديدة بسبب أنهم أتوا
بمعصية شديدة فيكون العقاب وفاقا للذنب ونظيره قوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها والثاني أنه وفاق من حيث لم يزد على
قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه وذكر النحويون فيه وجوها أحدها

[illegible]

ان يكون الوفاق والموافق واحدا في اللغة والتقدير جزاء موافقا وثانيها
ان يكون نصبا على المصدر والتقدير جزوا وفق اعمالهم وفاقا وثالثها ان
يكون وصفا بالمصدر كما يقال فلان فضل وكرم لكونه كاملا في ذلك المعنى
كذا لما كان ذلك الجزاء كاملا في كونه على وفق الاستحقاق وصف الجزاء
بكونه وفاقا ورابعها ان يكون بحذف المضاف والتقدير جزاء ذا وفاق
وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من الوفق فان قيل كيف لمن يكون هذا العذاب
البالغ في الشدة الغير المتناهي بحسب المدة وفاقا للاتيان بالكفر لحظة
واحدة وايضا فعلى قول اهل السنة اذا كان الكفر واقعا بخلق الله وايجا
ده فكيف يكون هذا وفاقا واما على مذهب المعتزلة فكان علم
الله بعدم ايمانهم حاصلا ووجود ايمانهم منافي بالذات لذلك العلم
فمع قيام احد المتنافيين كان التكليف بادخال المنافي الثاني في الوجود
ممتنعا لذاته وعينه ويكون تكليفا بالجمع بين المتنافيين فكيف يكون
مثل هذا العذاب الشديد الدايم وفاقا لمثل هذا الجرم قلنا يفعل الله
ما يشا ويحكم ما يريد واعلم انه تعالى لما بين على الاجمال ان ذلك الجزا
كان على وفق جرمهم شرح انواع جرايمهم بعد ذلك وهي نوعان
اولهما قوله انهم كانوا لا يرجون حسابا وفيه سوالات السوال الاول
وهو ان الحساب شي شاق على الانسان والشي الشاق لا يقال فيه انه
يرجى بل يجب ان يقال انهم كانوا لا يخشون حسابا والجواب
من وجوه احدها قال مقاتل وكثير من المفسرين قوله لا يرجون
معناه لا يخافون ونظيره قولهم في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا وثانيها ان المومن لا بد وان يرجو رحمة الله لانه قاطع
بان ثواب ايمانه زايد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر فقوله
انهم كانوا لا يرجون حسابا اشارة الى انهم ما كانوا مومنين وثالثها
ان الرجا هاهنا بمعنى التوقع لان الراجي للشي متوقع له الا ان اشرف
اقسام التوقع هو الرجا فسمي الجنس باسم اشرف انواعه ورابعها

هاهنا ع



ان في هذه الاية تنبيها على ان الحساب مع الله جانب الرجا فيه اغلب من جانب
الخوف وذلك لان للعبد حقا على الله بحكم الوعد في جانب الثواب ولله حق
على العبد في جانب العقاب والكريم قد يسقط حق نفسه اما لا يسقط
ما كان حقا لغيره عليه فلا جرم كان جانب الرجا اقوى في الحساب فلهذا
السبب ذكر الرجا ولم يذكر الخوف السوال الثاني ان الكفار كانوا قد اتوا
بانواع من القبايح والكباير فما السبب في ان خص الله تعالى هذا النوع بالكفر
بالذكر في اول الامر الجواب لان رغبة الانسان في فعل الخيرات وفي
ترك المحظورات انما تكون بسبب ان ينتفع به في الاخرة فمن انكر الاخرة
لم يقدم على شي من المستحسنات ولم يحجم عن شي من المنكرات فقوله انهم
كانوا لا يرجون حسابا تنبيه على انهم كل شر وتركوا كل خير والنوع الثاني
من قبايح افعالهم قوله وكذبوا باياتنا كذابا اعلم ان للنفس الانسانية
قوتين نظرية وعملية وكمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير
لاجل العمل به ولذلك فان ابرهيم قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
فهب لي حكما اشارة الى كمال القوة النظرية والحقني بالصالحين
اشارة الى كمال القوة العملية فهاهنا بين الله تعالى رداة حالهم
في الامرين اما في القوة العملية فنبه على فسادها بقوله انهم كانوا
لا يرجون حسابا اي كانوا مقدمين على جميع القبايح والمنكرات
وغير راغبين في شي من الطاعات والخيرات واما في القوة النظرية
فنبه على فسادها بقوله وكذبوا باياتنا كذابا اي كانوا منكرين بقلوبهم
للحق ومصرين على الباطل واذا عرفت ما ذكرناه من التفسير ظهر
ان الله تعالى بين انهم كانوا قد بلغوا في الرداة والفساد الى حيث يستحيل
عقلا وجود ما هو ازيد منه فلما كانت افعالهم كذلك كان اللايق بها هو
العقوبة العظيمة فثبت بهذا صحة ما قدمه في قوله جزاء وفاقا
فما اعظم لطايف القران مع ان الادوار العظيمة قد استمرت ولم يتنبه
لها فالحمد لله حمدا يليق بعلو شانه وبرهانه على ما خص هذا الضعيف

له
اما ما كان حقا لغيره عليه لا يسقط

فعلوا

بمعرفة هذه الاسرار واعلم ان قوله وكذبوا باياتنا يدل على انهم كذبوا بجميع
دلايل الله في التوحيد والنبوه والمعاد والشرايع والقران وذلك يدل
على كمال حال القوه النظريه في الرداة والفساد والبعد عن سوا السبيل
وقوله كذابا اي تكذيبا وفعال من مصادر التفعيل انشد الزجاج ٥
لقد طال ما ريثني عن صحابتي وعن حوج قضاها من شفايا من قضت
قضا قال الفرا وهي لغة فصيحة عانية ونظيره خرقت القميص خراقا
وقال لي اعرابي منهم على المروه يستفتني الحلق احب اليك ام القصار
وقال صاحب الكشاف كنت افسر اية فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا
ما سمع به وقري بالتخفيف وفيه وجوه احدها انه مصدر كذب بدليل
قوله فصدقتها وكذبتها والمر ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم
من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا وثانيها ان نصبه بكذبوا
لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وثالثها ان يجعل
الكذاب بمعنى المكاذبه فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبه او كذبوا
بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون
عندهم كاذبين فبينهم مكاذبه وقري ايضا كذابا وهو جمع كاذب اي
كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفه لمصدر كذبوا
اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه واعلم انه تعالى لما بين ان فساد حالهم
في القوه العمليه وفي القوه النظريه بلغ الى اقصى الغايات واعظم النهايات
بين ان تفاصيل تلك الاحوال في كميتها وكيفيتها معلومه له وقدر ما
يستحق عليه من العقاب معلوم له فقال وكل شي احصيناه كتابا وفيه
مسايل المسله الاولى قال الزجاج كل منصوب بفعل مضمر يفسره
احصيناه المعنى واحصينا كل شي وقرا ابو السمال وكل بالرفع على
الابتدا المسله الثانيه قوله وكل شي احصيناه اي علمنا كل شي كما هو
علما لا يزول ولا يتبدل ونظيره قوله تعالى احصاه الله ونسوه واعلم

ان هذه الايه تدل على كونه تعالى عالما بالجزئيات واعلم ان مثل هذه الايه
لا تقبل التاويل وذلك لانه تعالى ذكر هذا تقريرا لما ادعاه من قوله جزا
وفاقا كانه تعالى يقول انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال
واحوالها واعتباراتها التي لاجلها يحصل استحقاق الثواب والعقاب
فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون وفاقا لاعمالهم ومعلوم
ان هذا القدر انما يتم لو ثبت كونه تعالى عالما بالجزئيات واذا ثبت هذا
ظهر ان كل من انكره كان كافرا قطعا المسله الثالثه قوله احصيناه كتابا
فيه وجهان احدهما تقديره احصيناه احصا وانما عدل عن تلك اللفظه
الى هذه اللفظه لان الكتابه هي النهايه في قوه العلم ولهذا قال عليه السلم
قيدوا العلم بالكتابه فكانه تعالى وكل شي احصيناه احصا مساويا في
القوه والثبات والتاكيد للمكتوب فالمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك
الاحصا والعلم واعلم ان هذا التاكيد انما ورد على حسب ما يليق بافهام
اهل الظاهر فان المكتوب يقبل الزوال وعلم الله بالاشيا لا يقبل الزوال
لانه واجب لذاته القول الثاني ان يكون قوله كتابا حالا في معنى مكتوبا
والمعنى وكل شي احصيناه حال كونه مكتوبا في اللوح كقوله وكل
شي احصيناه في امام مبين او في صحف الحفظه ثم قال فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا واعلم انه تعالى لما شرح احوال العقاب ثم ادعى كونه
جزا وفاقا ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحه ظهر صحه ما ادعاه اولا من
ان ذلك العقاب كان جزا وفاقا لا جرم اعاد ذكر العقاب وقال
فذوقوا والفا للجزا فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه
من قبايح افعالهم فهذه الفا افادت هذه الفايده قوله جزا وفاقا المسله الرابعه
الثالثه هذه الايه داله على المبالغه في التعذيب من وجوه احدها قوله
لن نزيدكم وكلمه لن للتابيد وثانيها انه في قوله كانوا لا يرجون حسابا
ذكرهم بالمغايبه وفي قوله فذوقوا ذكرهم على سبيل المشافهه وهذا
يدل على كمال الغضب وثالثها انه تعالى عدد وجوه العقاب ثم حكم

قال م

المحفوظ م

اولا مي

بلغ في العرض

بانه جزاء موافق لاعمالهم ثم عدد قبايحهم ثم قال فذوقوا فكانه تعالى افتى
واقام الدلالة ثم اعاد تلك الفتوى بعينها وذلك يدل على المبالغة في التقرير
قال عليه السلام هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار كلما استغاثوا من
نوع من العذاب اغيثوا باشد منه ثم في الاية سوالان السوال الاول
اليس انه تعالى قال في صفة الكفار ولا ينظر اليهم ولا يكلمهم فههنا لما قال
لهم فذوقوا فقد كلمهم الجواب قال اكثر المفسرين تقدير الاية يقال لهم
فذوقوا ولقايل ان يقول على هذا الوجه لا يليق بذلك القايل ان يقول
فلن نزيدكم الا عذابا لان هذا الكلام لا يليق الا بالله والاقرب في الجواب
ان يقال قوله ولا يكلمهم اي ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص
العموم غير بعيد لا سيما عند حصول القرينة فان قوله ولا يكلمهم انما
ذكره لبيان ان الله تعالى لا يسمعهم ولا يقيم لهم وزنا وذلك لا يحصل الا من
الكلام الطيب السوال الثاني دلت هذه الاية على انه تعالى يزيد في عذاب
الكافر ابدا فتلك الزيادة اما ان يقال انها كانت مستحقة لهم او غير مستحقة
لهم فان كانت مستحقة لهم كان تركها في اول الامر احسانا والكريم اذا
اسقط حق نفسه فانه لا يليق به ان يسترجعه بعد ذلك واما ان كانت
تلك الزيادة غير مستحقة كان ايصالها اليهم ظلما وانه لا يجوز على الله
الجواب كما ان الشي يوثر بحسب خاصية ذاته فكذا اذا دام ازداد
تاثيره بحسب ذلك الدوام فلا جرم كلما كان الدوام اكثر كان الايلام
اكثر وايضا فتلك الزيادة مستحقة وتركها في بعض الاوقات لا يوجب
الابرا والاسقاط والله اعلم بما اراد واعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار
اتبعه بوعد الاخيار وهو امور اولها قوله ان للمتقين مفازا اما المتقي
فقد تقدم تفسيره في مواضع كثيرة ومفازا يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا
وظفرا بالنعمة بالبغية ويحتمل ان يكون موضع فوز والفوز يحتمل ان
يكون المراد منه فوزا بالمطلوب وان يكون المراد منه فوزا بالنجاة من
العذاب وان يكون المراد مجموع الامرين وعندي ان تفسيره بالفوز

٥

بالمطلوب اولى من تفسيره بالفوز بالنجاة من العذاب ومن تفسيره بالفوز
بمجموع الامرين اعني النجاة من الهلاك والوصول الى المطلوب وذلك لانه
تعالى فسر المفاز بما بعده وهو قوله حدايق واعنابا فوجب ان يكون المراد
من المفاز هذا القدر فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من حصول اللذة فلم
اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص عن الهلاك لا يستلزم الفوز
باللذة والخير اما الفوز باللذة والخير يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكر
هذا اولى وثانيها قوله حدايق واعنابا والحدايق جمع حديقة وهي
كل بستان محوط عليه من قولهم احدقوا به اي احاطوا به والتنكير في
قوله واعنابا يدل على تعظيم حال تلك الاعناب وثالثها قوله وكواعب
اترابا كواعب جمع كاعب وهي الناهد التي تكعبت ثدييهن وتفلكت اي
يكون الثدي في النتو كالكعب والفلكة ورابعها قوله وكاسا دهاقا
وفي الدهاق اقوال الاول وهو قول اكثر اهل اللغة كابي عبيدة والزجاج
والكسائي والمبرد دهاقا اي ممتلية دعا ابن عباس غلاما له فقال
اسقنا دهاقا فجا الغلام بها ملاى فقال ابن عباس هذا هو الدهاق
قال عكرمة وربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا القول
الثاني دهاقا اي متتابعة وهو قول ابي هريرة وسعيد بن جبير
ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من قول العرب
ادهقت الحجارة ادهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض
ذكره الليث والمتتابع كالمتداخل القول الثالث يروى عن عكرمة
انه قال دهاقا اي صافية والدهاق على هذا القول يجوز ان يكون
جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر قال الضحاك
كل كاس في القران فهو خمر والتقدير وخمرا ذات دهاق اي
عصرت وصفيت بالدهاق وخامسها قوله لا يسمعون فيها لغوا
ولا كذابا في الاية سوالان السوال الاول الضمير في قوله فيها الى ما
ذا يعود الجواب فيه قولان الاول انها ترجع الى الكاس اي لا يجري

سمعهم لغو في الكاس التي يشربونها وذلك لان اهل الشرب في الدنيا يتكلمون بالباطل
واهل الجنة اذا شربوا لم يتغير عقلهم ولم يتكلموا بلغو الثاني ان الكناية ترجع
الى الجنة اي لا يسمعون في الجنة شيا يكرهونه السوال الثاني الكذاب بالتشديد
يفيد المبالغة فوروده في قوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا مناسب لانه يفيد
المبالغة في وصفهم بالكذب اما وروده هاهنا غير لايق لان قوله لا يسمعون
فيها كذابا يفيد انهم لا يسمعون الكذب العظيم وهذا لا ينفي انهم يسمعون
الكذب القليل وليس مقصود الاية ذلك بل المقصود المبالغة في انهم لا يسمعون
الكذب البتة والحاصل ان هذا اللفظ يفيد نفي المبالغة واللايق بالاية المبا
لغة في النفي والجواب ان الكسائي قرا الاول بالتشديد والثاني بالتخفيف
ولعل غرضه ما قررناه في هذا السوال لان قراة التخفيف هاهنا تفيد
هاهنا انهم لا يسمعون الكذب اصلا لان الكذاب بالتخفيف والكذب واحد
لان ابا علي الفارسي قال كذاب مصدر كذب ككتاب مصدر كتب واذا كان
كذلك كانت هذه القراة تفيد المبالغة في النفي وقراة التشديد في الاول
تفيد المبالغة في الثبوت فيحصل المقصود من هذه القراة في الموضعين
على اكمل الوجوه فان اخذنا بقراة الكسائي فقد زال السوال وان اخذنا
بقراة التشديد في الموضعين وهي قراة الباقين فالعذر عنه ان قوله
لا يسمعون فيها كذابا اشارة الى ما تقدم من قوله وكذبوا باياتنا كذابا
والمعنى ان هولاء السعداء لا يسمعون كلامهم المشوش الباطل الفاسد
والحاصل ان النعم الواصلة اليهم تكون خالية عن زحمة اعدايهم وعن سماع
كلامهم الفاسد واقوالهم الكاذبة الباطلة ثم انه تعالى لما عدد اقسام
نعم اهل الجنة قال جزاء من ربك عطاء حسابا وفيه مسايل المسلة
الاولى قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك عطاء لان معنى جازاهم
واعطاهم واحد المسلة الثانية في الاية سوال وهو انه تعالى جعل الشي
الواحد جزاء وعطاء وذلك محال لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق
وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق والجمع بينهما متنافي والجواب عنه



لا يصح الا على قولنا وهو ان ذلك الاستحقاق انما ثبت بحكم الوعد لا من حيث
ان الفعل يوجب الثواب على الله فذلك الثواب يكون نظرا الى الوعد المرتب
على ذلك الفعل يكون جزاء ونظرا الى انه لا يجب على الله لاحد شي يكون عطا
المسلة الثالثة قوله حسابا فيه وجوه الاول ان يكون بمعنى كافيا ماخوذا
من قولهم اعطاني ما احسبني اي ما كفاني ومنه قوله حسبي من سوالي
علمه بحالي اي كفاني من سوالي ومنه قوله فلما حللت به ضمني فاولى جميلا
واعطا حسابا اي اعطى ما كفا والوجه الثاني ان يكون قوله حسابا
ماخوذ من حسبت الشي اذا عددته وقدرته فقوله عطا حسابا اي بقدر
ما وجب له فيما وعده من الاضعاف لانه تعالى قدر الجزا على ثلثة اوجه وجه
منها على عشرة اضعاف ووجه على سبعماية ضعف ووجه على ما لا نهاية له
كما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والوجه الثالث
وهو قول ابن قتيبة عطا حسابا اي كثيرا واحسبت فلانا اي اكثرت
له قال الشاعر ونقفي وليد الحي ان كان جايعا ونحسبه ان كان ليس بجايع
الوجه الرابع انه سبحانه يوصل الثواب الذي هو الجزا اليهم ويوصل
الفضل الذي يكون زايدا على الجزا اليهم ثم قال حسابا ثم يميز الجزا عن
العطا حال الحساب الوجه الخامس انه تعالى لما ذكر في وعيد اهل
النار جزاء وفاقا ذكر في وعد اهل الجنة جزاء عطاء حسابا اي راعيت
في ثواب اعمالكم الحساب ليلا يقع في ثوابكم بخس ونقصان وتقصير
والله اعلم بمراده المسلة الرابعة قرا ابن قطيب حسابا بالتشديد على
ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك هكذا ذكره صاحب
الكشاف واعلم انه تعالى لما بالغ في وصف وعيد الكفار ووعد
المتقين ختم الكلام في ذلك بقوله رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا وفيه مسايل المسلة الاولى رب السموات
الرحمن فيه ثلثة اوجه من القراة الرفع فيهما وهو قراة ابن كثير ونافع
وابي عمرو والجر فيهما وهو قراة عاصم وعبد الله بن عامر والجر

في الاول مع الرفع في الثاني وهو قراه حمزه والكسائي وفي الرفع وجوه
احدها ان يكون رب السموات مبتدا والرحمن خبره ثم استونف لا يملكون
منه خطابا وثانيها رب السموات مبتدا والرحمن صفه ولا يملكون خبر
وثالثها ان يضمر المبتدا والتقدير هو رب السموات هو الرحمن ثم استونف
لا يملكون ورابعها ان يكون الرحمن ولا يملكون خبرين واما وجه
الجر فعلى البدل من ربك واما وجه جر الاول ورفع الثاني فجر الاول
بالبدل من ربك ~~واما وجه جر الاول ورفع~~ والثاني مرفوع بكونه مبتدا
وخبره لا يملكون المسله الثانيه الضمير في قوله لا يملكون الى من يرجع
فيه ثلثة اقوال الاول نقل عطا عن ابن عباس انه راجع الى المشركين
يريد لا يخاطب المشركين الله اما المومنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم
والثاني قال القاضي انه راجع الى المومنين والمعنى ان المومنين لا يملكون
ان يخاطبوا الله في امر من الامور لانه لما ثبت انه عدل لا يجور ثبت
ان العقاب الذي اوصله الى الكفار عدل وان الثواب الذي اوصله
الى المومنين عدل وانه ما بخس حقهم فباي سبب يخاطبوه وهذا القول
اقرب من الاول لان الذي جرى قبل هذه الايه ذكر المومنين لا ذكر الكفار
والثالث انه ضمير لاهل السموات والارض وهذا هو الصواب فان
احدا من المخلوقين لا يملك مخاطبه الله ومكالمته واما الشفاعات
الواقعه باذنه فغير وارده على هذا الكلام لانه نفى الملك والذي يحصل
بفضله واحسانه فهو غير مملوك ثبت ان هذا السوال غير لازم
والذي يدل من جهه العقل على ان احدا من المخلوقين لا يملك خطاب
الله وجوه الاول وهو ان كل من سواه فهو مملوكه والمملوك لا يستحق
على مالكه شيا وثانيها ان معنى الاستحقاق عليه هو انه لو لم يفعل لاستحق
الذم ولو فعله لا يستحق المدح وكل من كان كذلك كان ناقصا في
ذاته مستكملا بغيره وتعالى الله عنه وثالثها انه عالم بقبح القبيح عالم
بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح وكان ممتنع كونه



فاعلا للقبيح فليس لاحد ان يطالبه بشي وان يقول له لم فعلت والوجهان
الاولان مفرعان على قول اهل السنه والوجه الثالث مفرع على قول
المعتزله فثبت ان احدا من المخلوقات لا يملك ان يخاطب ربه ويطالب
الهه واعلم انه تعالى لما ذكر ان احدا من الخلق لا يمكنه ان يخاطب الله في
شي او يطالبه بشي قرر هذا المعنى واكده فقال يقوم الروح والملايكه صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وذلك لان الملايكه اعظم
المخلوقات قدرا ورتبه واكثرهم قدره ومكانه فبين انهم لا يتكلمون في موقف
القيامه اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم
وفي الايه مسايل المسله الاولى لمن يقول بفضل الملك على البشر ان يتمسك
بهذه الايه وذلك لان المقصود من الايه ان الملايكه لما بقوا خايفين
خاضعين وجلين متحيرين في موقف جلال الله وظهور عزته وكبريايه
فكيف يكون حال غيرهم ومعلوم ان هذا الاستدلال لا يتم الا اذا
كانوا اشرف المخلوقات المسله الثانيه اختلفوا في الروح في هذه
الايه فعن ابن مسعود انه ملك اعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس
هو ملك من اعظم الملايكه خلقا وعن مجاهد خلق على صوره بني ادم
ياكلون ويشربون وليسوا اناسا وعن الحسن وقتاده هم بنو ادم
وعلى هذا معناه ذوو الروح وعن ابن عباس ارواح الناس وعن
الضحاك والشعبي هو جبريل عليه السلم وهذا القول هو المختار عند
القاضي قال لان القران دل على ان هذا الاسم اسم جبريل وثبت ان
القيام صحيح من جبريل عليه السلم والكلام صحيح منه ويصح ان يوذن له
فكيف يصرف هذا الاسم عنه الى خلق لا نعرفه او الى القران الذي
لا يصح وصفه بالقيام وعن ابن عباس ارواح الناس اما قوله صفا
فيحتمل ان يكون المعنى ان الروح على الاختلاف الذي ذكرناه وجميع
الملايكه يقومون صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين
ويجوز صفوفا والصف في الاصل مصدر فينبي عن الواحد والجمع

وظاهر قول المفسرين انهم يقومون صفين يقوم الروح وحده صفا
وتقوم الملايكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم وقال
بعضهم بل يقومون صفوفا لقوله وجاء ربك والملك صفا صفا المسالة الثالثة
الاستثنا الى من يعود فيه قولان احدهما الى الروح والملايكة وعلى
هذا التقدير الاية دلت على ان الروح والملايكة لا يتكلمون الا عند حصول
شرطين احدهما حصول الاذن من الله تعالى ونظيره قوله تعالى من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والمعنى انهم لا يتكلمون الا باذن الله والشرط
الثاني ان يقول صوابا فان قيل لما اذن له الرحمن في ذلك القول علم ان
ذلك القول صواب لا محالة فما الفايدة في قوله وقال صوابا والجواب
من وجهين الاول ان الرحمن اذن له في مطلق القول ثم انهم عند
حصول ذلك الاذن لا يتكلمون الا بالصواب فكانه قيل انهم لا ينطقون
الا بعد ورود الاذن في الكلام ثم بعد ورود ذلك الاذن يجتهدون
ولا يتكلمون الا بالكلام الذي يعلمون انه صدق وصواب فهذا
مبالغة في وصفهم بالطاعة والعبودية الوجه الثاني ان تقدير لا يتكلمون
الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا والمعنى لا يشفعون الا في
حق شخص اذن الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال
صوابا واحتج صاحب هذا التاويل بهذه الاية على انهم يشفعون
للمذنبين لانهم قالوا صوابا وهو شهادة لا اله الا الله لان قوله وقال
صوابا يكفي في صدقه ان يكون قد قال صوابا واحدا فكيف الشخص
الذي قال القول الذي هو اصوب الاقوال وتكلم بالكلام الذي هو
اشرف الكلمات الوجه الثاني ان الاستثنا غير عايد الى الملايكة فقط
بل الى جميع اهل السموات والارض والقول الاول اولى لان عود
الضمير الى الاقرب اولى واعلم انه تعالى لما قرر احوال المكلفين في درجات
الثواب والعقاب وقرر عظمة يوم القيامة قال بعده ذلك اليوم
الحق ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره وفي وصف اليوم بانه حق وجوه



احدها انه يحصل فيه كل حق ويندفع كل باطل فلما كان كاملا في هذا المعنى
قيل انه حق كما يقال فلان خير كله اذا وصف بان فيه خيرا كثيرا وقوله ذلك
اليوم الحق يفيد انه هو اليوم الحق وما عداه باطل لان ايام الدنيا باطلها اكثر
من حقها وثانيها ان الحق هو الثابت الكاين وبهذا المعنى يقال الله حق اي هو
ثابت لا يجوز عليه الفنا ويوم القيمة كذلك فيكون حقا وثالثها ان ذلك اليوم
هو اليوم الذي يستحق ان يقال له يوم لان فيه تبلى السراير وتنكشف الضماير
واما ايام الدنيا فاحوال الخلق فيها مكتومة والاحوال فيها غير معلومة
قوله فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا والمعتزلة احتجوا به على
على الاختيار والمشية واصحابنا ردوا عن ابن عباس انه قال المراد فمن شا
الله به خيرا هداه حتى يتخذ الى ربه مابا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار
فقال انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الاخرة وكل ما هو ات
قريب وهو كقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وانما
سماه انذارا لانه تعالى بهذا الوصف قد خوف منه نهاية التخويف وهو معنى
الانذار ثم قال يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وفيه مسايل المسلة الاولى
ما في قوله ما قدمت يداه فيه وجهان الاول انها استفهامية منصوبة
بقدمت اي ينظر اي شي قدمت يداه الثاني ان تكون بمعنى الذي وتكون
منصوبة بينظر والتقدير ينظر الى الذي قدمته يداه الا ان على هذا التقدير
حصل فيه حذفان احدهما انه لم يقل قدمته بل قال قدمت فحذف الراجع
والثاني انه لم يقل ينظر الى ما قدمت بل قال ينظر ما قدمت يقال
نظرته بمعنى نظرت اليه المسلة الثانية في الاية ثلثة اقوال الاول وهو
الاظهر ان المرء عام في كل احد لان المكلف ان كان قدم عمل المتقين
فليس له الا الثواب العظيم وان كان قدم عمل الكافرين فليس له الا العقاب
الذي وصفه الله تعالى فلا رجا لمن ورد القيامة من المكلفين في امر سوى
هذين فهذا هو المراد بقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فطوبى له ان
قدم عمل الابرار وويل له ان قدم عمل الفجار والقول الثاني وهو قول عطا

ان المرء هاهنا هو الكافر لان المومن كما ينظر الى ما قدمت يداه فكذلك ينظر
الى عفو الله ورحمته اما الكافر الذي لا يرى الا العذاب فهو لا يرى الا ما
قدمت يداه لان ما وصل اليه من العقاب ليس الا من شوم معاملته
والقول الثالث وهو قول الحسن وقتاده ان المرء هاهنا هو المومن
واحتجوا عليه بوجهين الاول انه تعالى قال بعد هذه الايه ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا فلما كان هذا بيانا لحال الكافر وجب ان يكون الاول
بيانا لحال المومن والثاني وهو ان المومن لما قدم الخير والشر فهو من
الله على خوف ورجا فينتظر كيف يحدث الحال اما الكافر فانه قاطع بالعقاب
فلا يكون له انتظار انه كيف يحدث الامر فانه مع القطع لا يحصل الانتظار
المسله الثالثه القايلون بان الخير يوجب الثواب والشر يوجب العقاب
تمسكوا بهذه الايه فقالوا لولا ان الامر كذلك والا لم يكن نظر الرجل في الثواب
والعقاب على عمله بل على شي اخر والجواب عنه ان العمل يوجب الثواب
والعقاب لكن بحكم الوعد والجعل لا بحكم الذات اما قوله تعالى ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا ففيه وجوه احدها ان يوم القيمه ينظر المرء اي
شي قدمت يداه اما المومن فانه يجد الايمان والعفو عن ساير المعاصي
على ما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واما الكافر فلا يتوقع العفو على
ما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به وعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
اي لم اكن حيا مكلفا وثانيها انه كان قبل البعث ترابا فالمعنى على هذا يا
ليتني لم ابعث للحساب وبقيت كما كنت ترابا كقوله تعالى يا ليتها كانت
القاضيه وقوله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض وثالثها ان البهايم تحشر فيقتص للجما من القرنا ثم يقال لها بعد
المحاسبه كوني ترابا فيتمنى الكافر عند ذلك ان يكون هو مثل تلك البهايم
في ان يصير ترابا ويتخلص من عذاب الله وانكر بعض المعتزله ذلك وقال
انه تعالى اذا اعادها فهي بين معوض وبين متفضل عليه واذا كان كذلك
لم يجز ان يقطعها عن المنافع لان ذلك كالاضرار بها ولا يجوز ذلك في الاخره



ثم ان هولا قالوا ان هذه الحيوانات اذا انتهت مده اعواضها جعل الله كل
ما كان منها حسن الصوره ثوابا لاهل الجنه وما كان قبيح الصوره عقابا
لاهل النار قال القاضي ولا يمتنع ايضا اذا وفاها الله اعواضها وهي غير كامله العقل ان
يزيل الله حيوتها على وجه لا يحصل لها شعور بالالم فلا يكون ذلك ضررا ورابعها
ما ذكره بعض الصوفيه فقال قوله يا ليتني كنت ترابا معناه يا ليتني كنت متواضعا
في طاعه الله ولم اكن متمردا متكبرا وخامسها الكافر ابليس يرى ادم وولده
وثوابهم فيتمنى ان يكون الشي الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته
من طين والله اعلم

## سوره والنازعات بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا فيه مسلتان المسله الاولى اعلم ان هذه الكلمات الخمسه
يحتمل ان يكون صفات لشي واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما على الاحتمال
الاول فقد ذكروا في الايه وجوها احدها انها باسرها صفات الملايكه
فقوله والنازعات غرقا هي الملايكه الذين ينزعون نفوس بني ادم فاذا
نزعوا نفوس الكفار نزعوها بشده وهو ماخوذ من قولهم نزع في القوس فاغرق
يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غايه المد حتى ينتهي الى النصل فتقدير
الايه والنازعات اغراقا والغرق والاغراق في اللغه بمعنى واحد وقوله
والناشطات نشطا النشط هو الجذب يقال نشطت الدلو انشطها
وانشطتها نشطا نزعتها برفق والمراد هي الملايكه تنشط روح المومن فتقبضها
وانما خصصنا هذا بالمومن والاول بالكافر لما بين النزع والنشط من الفرق
فالنزع جذب بشده والنشط جذب برفق ولين فالملايكه تنشط ارواح
المومنين كما تنشط الدلو من البير فالحاصل ان قوله والنازعات غرقا والناشطات
نشطا قسم بملك الموت واعوانه الا ان الاول اشاره الى كيفيه قبض
ارواح الكفار والثاني الى كيفيه قبض ارواح المومنين اما قوله والسابحات
سبحا فمنهم من خصه ايضا بملايكه قبض الارواح ومنهم من حمله على ساير
طوايف الملايكه اما الوجه الاول فنقل عن علي وابن عباس ومسروق ان

اذا وقرحم

الملائكة يسلون ارواح المومنين سلا رفيقا فهذا هو المراد من قوله والناشطات
نشطا ثم يتركها حتى تستريح رويدا ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق ولطافة
كالذي يسبح في الماء فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق فكذا هاهنا يرفقون
في ذلك الاستخراج لئلا يصل اليه الم وشده فذلك هو المراد من قوله وا
لسابحات سبحا واما الذين حملوه على سائر طوائف الملائكة قالوا ان الملائكة ينزلون
من السما مسرعين فجعل نزولهم من السما كالسباحة والعرب تقول للفرس
الجواد انه لسابح واما قوله فالسابقات سبقا فمنهم من فسرها بملائكة قبض
الارواح يسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة ومنهم
من فسرها بسائر طوائف الملائكة ثم ذكروا في هذا السبق وجوها احدها
قال مجاهد وابو روق ان الملائكة سبقت ابن ادم بالايمان والطاعة ولا شك
ان المسابقة في الخيرات درجة عظيمة قال تعالى والسابقون السابقون
اولئك المقربون وثانيها قال الفرا والزجاج ان الملائكة تسبق الشياطين
بالوحي الى الانبيا لان الشياطين كانت تسترق السمع وثالثها يحتمل
ان يكون المراد انه تعالى وصفهم فقال لا يسبقونه بالقول يعني قبل
الاذن لا يتحركون ولا ينطقون تعظيما لجلال الله وخوفا من هيبته وهاهنا
وصفهم بالسبق يعني اذا جاهم الامر فانهم يتسارعون الى امتثاله ويتبادرون
الى اظهار طاعته فهذا هو المراد من قوله فالسابقات سبقا واما قوله
فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال مقاتل يعني جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام يدبرون امر الله في اهل الارض وهم المقسمات
امرا اما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر
والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو يتنزل
بالامر عليهم وقوم منهم موكلون بحفظ بني ادم وقوم اخرون بكتبة اعمالهم
وقوم اخرون بالخسف والمسخ والرياح والسحاب والامطار بقي على
الاية سوالان السوال الاول لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا
فانهم يدبرون امورا كثيرة لا امرا واحدا والجواب المراد به الجنس



واذا كان كذلك تام مقام الجمع السوال الثاني قال تعالى ان الامر كله لله فكيف
اثبت لهم هاهنا تدبير امر والجواب لما كان ذلك الاثبات به كان الامر كله له فهذا
تلخيص ما قاله المفسرون في هذا الباب وعندي فيه وجه اخر وهو ان الملائكة
لها صفات سلبية وصفات اضافية اما الصفات السلبية فهي انها مبراة عن الشهوة
والغضب والاخلاق الذميمة والموت والهرم والسقم والتركيب من
الاعضا والاخلاط والاركان بل هي جواهر روحانية مبراة من هذه الاحوال
فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كونها منزوعة من هذه الاحوال
نزعا كليا من جميع الوجوه وعلى هذا التفسير النازعات هي ذوات النزع
كاللابن والتامر واما قوله والناشطات نشطا اشارة الى ان خروجها
عن هذه الاحوال ليس على سبيل التكليف والمشقة كما في حق البشر
بل هم بمقتضى ماهياتهم خرجوا عن هذه الاحوال وتنزهوا عن هذه الاحوال
الصفات فهاتان الكلمتان اشارتان الى تعريف احوالهم السلبية واما
صفاتهم الاضافية فهي قسمان احدهما شرح قوتهم العاقلة اي كيف حالهم
في معرفة ملك الله وملكوته والاطلاع على نور جلاله فوصفهم في هذا المقام
بوصفين احدهما قوله والسابحات سبحا فهم يسبحون من اول فطرتهم في بحار
جلال الله ثم لا منتهى لسباحتهم لانه لا منتهى لعظمة الله وعلو صمديته ونور
جلاله وكبريائه فهم ابدا في تلك السباحة وثانيهما قوله فالسابقات
سبقا وهو اشارة الى مراتب الملائكة في تلك السباحة فانه كما ان مراتب
معارف البهائم بالنسبة الى مراتب معارف البشر ناقصة ومراتب معارف
البشر بالنسبة الى مراتب معارف الملائكة ناقصة فلذلك معارف بعض تلك
الملائكة بالنسبة الى مراتب معارف الباقين متفاوتة وكما ان المخالفة بين
نوع الفرس ونوع الانسان بالماهية لا بالعوارض فكذا المخالفة بين شخص
كل واحد من الملائكة وبين شخص الاخر بالماهية فان كانت اشخاصها
متفاوتة بالماهية لا بالعوارض كانت لا محالة متفاوتة في درجات المعرفة
وفي مراتب التجلي فهذا هو المراد من قوله والسابقات سبقا فهاتان

قوله جواهر روحانية
غير صحيح بل الصحيح انهم
اجسام نورانية ٥

الكلمتان المراد منهما شرح احوال قوتهم العاقلة واما قوله فالمدبرات امرا
اشارة الى شرح حال قوتهم العاملة وذلك لان كل حال من احوال العالم
السفلي مفوض الى تدبير واحد من الملائكة الذين هم عمار العالم العلوي وسكان
بقاع السموات ولما كان التدبير لا يتم الا بعد العلم لا جرم قدم شرح القوة
العاقلة التي لهم على شرح القوة العاملة التي لهم فهذا الذي ذكرناه احتمال ظاهر
والله اعلم بمراده من كلامه واعلم ان ابا مسلم بن بحر الاصفهاني طعن في حمل هذه
الكلمات على الملائكة وقال واحد النازعات نازعة وهو من لفظ الاناث
وقد نزه الله الملائكة عن التانيث وعاب قول الكفار حين قال وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا واعلم ان هذا الطعن لا يتوجه على
تفسيرنا لان المراد ذوات النزع وهذا القدر لا يقتضي ما ذكره من
التانيث الوجه الثاني في تاويل هذه الكلمات الخمسة انها هي النجوم وهو
قول الحسن البصري ووصف النجوم بالنازعات يحتمل وجوها احدها
انها كانها تنزع من تحت الارض فتجذب الى ما فوق الارض فاذا كانت
متزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس اللابن
والتامر وثانيها ان النازعات من قولهم نزع البداي ذهب نزوعا هكذا
قاله الواحدي رحمه الله فكانها تطلع وتغرب بالنزوع والسوق والثالث
ان يكون ذلك من قولهم نزعت الخيل اذا جرت فمعنى والنازعات
اي والجاريات على السير المقدر والحد المعين وقوله غرقا يحتمل
وجهين احدهما ان يكون حالا من النازعات اي هذه الكواكب كالغرق
في ذلك النزوع والارادة وهو اشارة الى كمال حالها في تلك الارادة
فان قيل اذا لم تكن الافلاك والكواكب احياء ناطقة فما معنى وصفها بذلك
قلنا هذا يكون على سبيل التشبيه كقوله تعالى وكل في فلك يسبحون
فان الجمع بالواو والنون يكون للعقلاء ثم انه ذكره في الكواكب على سبيل
التشبيه والثاني ان يكون معنى غرقها غيبوبتها في افق الغرب فالنازعات
اشارة الى طلوعها وغرقا اشارة الى غروبها اي تنزع ثم تغرق اغراقا



وهذا الوجه ذكره قوم من المفسرين اما قوله والناشطات نشطا فقال
صاحب الكشاف معناه انها تخرج من برج الى برج من قولك ثور ناشط
اذا خرج من بلد الى بلد واقول رجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله
والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية والناشطات نشطا اشارة
الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها في افلاكها
الخاصة والعجب ان حركاتها اليومية قسرية وحركاتها من برج الى برج ليست
قسرية بل ملائمة لذواتها فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثاني
بالنشط فتامل ايها المسكين في هذه الاسرار واما قوله فالسابحات
سبحا فقال الحسن وابو عبيدة هي النجوم تسبح في الفلك لان مرورها
في الجو كالسبح ولهذا قال كل في فلك يسبحون واما قوله فالسابقات
سبقا فقال الحسن وابو عبيدة هي النجوم يسبق بعضها بعضا في
السير بسبب كون بعضها اسرع حركة من البعض او بسبب رجوعها
او استقامتها واما قوله فالمدبرات امرا ففيه وجهان احدهما
ان بسبب سيرها وحركاتها تتميز بعضها عن بعض الاوقات عن بعض
فتظهر اوقات العبادات على ما قال تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقال ويسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج وقال لتعلموا عدد السنين والحساب ولان بسبب حركة الشمس
تختلف الفصول الاربعة وتختلف بسبب اختلافها احوال
الناس في المعاش فلا جرم اضيفت اليها هذه التدبيرات الثاني
انه لما ثبت بالدليل ان كل جسم محدث ثبت ان الكواكب محدثة مفتقرة
الى موجد يوجدها والى مانع يخلقها في بعدها فلو قدرنا ان
صانعها اودع فيها قوى موثرة في احوال هذا العالم فهذا لا
يطعن في الدين البتة او ان لم نقل بثبوت هذه القوى ايضا لكنا
نقول ان الله تعالى اجرى عادته بان جعل كل واحد من احوالها
المخصوصة سببا لحدوث حادث مخصوص في هذا العالم كما جعل

الاكل سببا للشبع والشرب سببا للري ومماسة النار سببا للاحتراق
فالقول بهذا المذهب لا يضر الاسلام البتة بوجه من الوجوه والله اعلم
بحقيقة الحال الوجه الثالث في تفسير هذه الكلمات الخمسة انها هي
الارواح وذلك لان نفس الميت تنزع يقال فلان في النزع وفلان ينزع
اذا كان في سياق الموت والانفس نازعات عند السياق ومعنى غرقا
اي نزعا شديدا ابلغ ما يكون واشده من اغراق النازع في القوس وكذلك
تنشط لان النشط معناه الخروج ثم ان الارواح البشرية الخالية
عن العلايق الجسمانية المشتاقة الى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها
من ظلمة الاجساد تذهب الى عالم الملايكة ومنازل القدس على اسرع
الوجوه في روح وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة
ثم لا شك ان مراتب الارواح في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بالعالم
الاعلى مختلفة فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ما
هنالك اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها الى ما هنالك اثقل
ولا شك ان الارواح السابقة الى هذه الاحوال اشرف فلا جرم وقع
القسم بها ثم ان هذه الارواح الشريفة العالية لا يبعد ان يكون فيها ما
يكون لقوتها وشرفها تظهر منها اثار في احوال هذا العالم فهي المدبرات
امرا اليس ان الانسان قد يرى استاده في المنام ويسله عن مشكلة فيرشده
اليها اليس ان الابن قد يرى اباه في المنام فيهديه الى كنز مدفون اليس
ان جالينوس قال كنت مريضا فعجزت عن علاج نفسي فرايت في المنام
واحدا فارشدني الى كيفية العلاج اليس ان الغزالي رحمه الله قال ان
الارواح الشريفة اذا فارقت ابدانها ثم اتفق انسان مشابه للانسان
الاول في الروح والبدن فانه لا يبعد ان يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا
البدن حتى يصير كالمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على اعمال الخير
فتسمى تلك المعاونة الهاما ونظيره في جانب النفوس الشديدة وسوسة
وهذه المعاني وان لم تكن منقولة عن المفسرين الا ان اللفظ محتمل لها جدا





الوجه الرابع في تفسير هذه الكلمات الخمسة انها صفات خيل الغزاة فهي
نازعات لانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها
لانها عراب وهي ناشطات لانها تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من
قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد وهي سابحات لانها تسبح في
جريها وهي سابقات لانها تسبق الى الغاية وهي مدبرات لامر الغلبة والظفر
واسناد التدبير اليها مجاز لانها من اسبابه الوجه الخامس وهو اختيار
ابي مسلم ان هذه صفات الغزاة النازعات ايدي الغزاة يقال للرامي
نزع في قوسه ويقال اغرق في النزع اذا استوفى مد القوس والناشطات
السهام وهي خروجها عن ايدي الرماة ونفوذها وكل شي حللته فقد انشطته
ومنه نشاط الرجل وهو انبساطه وخفته والسابحات في هذا الموضع
الخيل وسبحها العدو ويجوز ان يعني به الابل ايضا والمدبرات مثل المعقبات
والمراد انه ياتي في ادبار هذا الفعل الذي هو نزع السهام وسبح الخيل
وسبقها الامر الذي هو النصر ولفظ التانيث انما كان لان هولاء جماعة كما قيل
المدبرات ويحتمل ان يكون المراد بالكل الايمن القوس والادهاق على معنى
المنزوع فيها والمنشوط بها الوجه السادس انه يمكن تفسير هذه الكلمات
بالمراتب الواقعة في رجوع القلب من غير الله الى الله فالنازعات غرقا
هي الارواح التي تنزع الى اعتلاق العروة الوثقى او المنزوعة عن محبة
غير الله والناشطات نشطا هي انها بعد الرجوع عن الجسمانيات
تاخذ في المجاهدة والتخلق باخلاق الله بنشاط تام وقوة قوية
فالسابحات سبحا ثم انها بعد المجاهدة ينشرح لها امر الملكوت فيقع
في تلك البحار وتسبح فيها فالسابقات سبقا اشارة الى تفاوت الارواح
في درجات سيرها الى الله فالمدبرات امرا اشارة الى ان اخر مراتب
البشرية متصل باول درجات الملكية فلما انتهت الارواح البشرية
الى اقصى غاياتها وهي مرتبة السبق اتصلت بعالم الملايكة وهو المراد
من قوله والمدبرات امرا فالاربعة الاول هي المراد من قوله يكاد

يعني اتباعها

زينها يضيئ والخامسة هي النار في قوله ولو لم تمسسه نار واعلم ان الوجوه
المنقوله عن المفسرين غير منقوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصا حتى لا يمكن الزياده عليها بل انما ذكروها لكون اللفظ محتملا لها
فاذا كان احتمال اللفظ لما ذكرناه ليس دون احتماله للوجوه التي
ذكروها لم يكن ما ذكروه اولى مما ذكرناه الا انه لابد هاهنا من
دقيقه وهو ان اللفظ محتمل للكل فان وجدنا بين هذه المعاني مفهوما
واحدا مشتركا حملنا اللفظ على ذلك المشترك وحينئذ يندرج تحته جميع
هذه الاحوال الوجوه اما اذا لم يكن بين هذه المفهومات قدر مشترك
تعذر حمل اللفظ على الكل لان اللفظ المشترك لا يجوز استعماله لافاده
مفهوميه معا وحينئذ لا نقول مراد الله هذا بل نقول يحتمل ان يكون
هذا هو المراد اما الجزم فلا سبيل اليه هاهنا الاحتمال الثاني
وهو ان لا يكون الالفاظ الخمسه صفات لشي واحد بل لاشيا مختلفه
وفيه ايضا وجوه الاول النازعات غرقا هي القسي والناشطات
الاوهاق والسابحات السفن والسابقات الخيل والمدبرات
الملائكه رواه واصل بن السايب عن عطا الثاني نقل عن مجاهد في النازعات
والناشطات والسابحات انها الموت وفي السابقات والمدبرات
انها الملائكه واضاف النزع والنشاط السبح الى الموت مجازا بمعنى انها
حصلت عند حصوله الثالث قال قتادة الجميع هي النجوم الا المدبرات
فانها هي الملائكه المسئله الثانيه ذكر فالسابحات بالفا والتي قبلها بالواو
وفي علته وجهان الاول قال صاحب النظم ان هذه مسببه من التي قبلها
كانه قيل واللاتي سبحن فسبقن كما تقول قام فذهب اوجب الفا ان
القيام كان سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يجعل القيام سببا
للذهاب قال الواحدي قول صاحب النظم غير مطرد في قوله
فالمدبرات امرا لانه يبعد ان يجعل السبق سببا للتدبير واقول يمكن
الجواب عن اعتراض الواحدي من وجهين الاول لا يبعد ان يقال



انها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت تدبيرها واصلاحها فتكون هذه
افعالا يتصل بعضها ببعض كقولك قام زيد فذهب فضرب عمرا الثاني لا يبعد
ان يقال انهم لما كانوا سابقين في اداء الطاعات متسارعين اليها ظهرت
امانتهم فلهذا السبب فوض الله اليهم تدبير بعض العالم الوجه الثاني ان
الملائكه قسمان الرؤسا والتلامذه والدليل عليه انه تعالى قال قل يتوفاكم
ملك الموت ثم قال حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا فقلنا في التوفي
بين الاثنين ان ملك الموت هو الراس والرئيس وساير الملائكه هم التلامذه اذا عرفت
هذا فنقول النازعات والناشطات والسابحات محموله على التلامذه
الذين هم يباشرون العمل بانفسهم ثم قوله فالسابقات فالمدبرات اشاره
الى الرؤسا الذين هم السابقون في الدرجه والشرف وهم المدبرون لتلك
الاحوال والاعمال قوله تعالى يوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه
قلوب يومئذ واجفه ابصارها خاشعه فيه مسايل المسئله الاولى
جواب القسم المتقدم محذوف او مذكور فيه وجهان الاول انه محذوف
ثم على هذا الوجه في الايه احتمالات الاول قال الفرا التقدير لتبعثن
والدليل عليه ما حكى الله عنهم انهم قالوا ايذا كنا عظاما نخره اي انبعث
اذا صرنا عظاما ناخره الثاني قال الاخفش والزجاج لينفخن في الصور
نفختين ودل على هذا المحذوف ذكر الراجفه والرادفه وهما النفختان
الثالث قال الكسائي الجواب المضمر هو ان القيامه واقعه ودل عليه
تعالى قال والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقال
والمرسلات عرفا الى قوله انما توعدون لواقع فكذا هاهنا فان القران كالسوره
الواحده القول الثاني ان الجواب مذكور وعلى هذا القول احتمالات
الاول المقسم عليه هو قوله قلوب يومئذ واجفه ابصارها خاشعه
والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفه تحصل قلوب
واجفه وابصار خاشعه الثاني جواب القسم هو قوله هل اتاك
حديث موسى نازل هاهنا بمعنى قد كما في قوله هل اتاك

حديث الغاشية اي قد اتاك حديث الغاشية الثالث جواب القسم
هو قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى المسألة الثانية ذكروا في ناصب
يوم وجهان احدهما انه منصوب بالجواب المضمر والتقدير لتبعثن
يوم ترجف الراجفة فان قيل كيف يصح هذا مع انهم لا يبعثون عند النفخة
الاولى والراجفة هي النفخة الاولى قلنا المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي
يحصل فيه النفختان ولا شك انهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو
وقت النفخة الاخرى ويدل على ما قلناه ان قوله تتبعها الرادفة جعل
حالا عن الراجفة والثاني ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب
يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب المسألة الثالثة الرجف
في اللغة يحتمل وجهين احدهما الحركة كقوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال والثاني الهدة المنكرة والصوت الهايل من قولهم رجف الرعد
يرجف رجفا ورجيفا وذلك تردد اصوات المنكرة وهدهدته في السحاب
ومنه قوله تعالى فاخذتهم الراجفة فعلى هذا الوجه الراجفة صيحة
عظيمة فيها هول وشدة كالرعد واما الرادفة فكل شي جا بعد شي اخر
يقال ردفه اي جا بعده واما القلوب الواجفة فهي المضطربة الخافقة
يقال وجف قلبه يجف وجيفا اذا اضطرب ومنه ايجاف الدابة وهو
حملها على السير الشديد وللمفسرين عبارات كثيرة في تفسير الواجفة
ومعناها واحد قالوا خايفة وجلة زايلة عن اماكنها قلقة مستوفزة
مرتكضة شديدة الاضطراب غير ساكنة ابصارها خاشعة اي ابصار
اهلها خاشعة وهو كقوله خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي اذا
عرفت هذا فنقول اتفق جمهور المفسرين على ان هذه الامور احوال
يوم القيمة وزعم ابو مسلم الاصفهاني انه لا كذلك ونحن نذكر تفاسير المفسرين
ثم نشرح قول ابي مسلم اما القول الاول وهو المشهور بين الجمهور
ان هذه الامور احوال يوم القيامة فهولا ذكروا وجوها احدها
ان الراجفة هي النفخة الاولى وسميت به لان الدنيا تتزلزل وتضطرب

ليس مع



عندها واما لان صوت تلك النفخة هي الراجفة كما بينا القول فيه والرادفة
رجفة اخرى تتبع الاولى فتضطرب الارض لاحيا الموتى كما اضطربت في الاولى
لموت الاحيا على ما ذكره تعالى في سورة الزمر ثم يروى عن الرسول
عليه السلم ان بين النفختين اربعون عاما ويروى ان في هذه الاربعين
يمطر الله الارض ويصير ذلك الما عليها كالنطف وان ذلك كالسبب للاحيا
وهذا مما لا حاجة اليه في الاعادة ولله ان يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
وثانيها الراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي قيام الساعة من قوله
عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها
الكفرة استبعادا لها فهي رادفة لهم لاقترابها وثالثها الراجفة الارض
والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السما
والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك ورابعها الراجفة
هي الارض تتحرك وتتزلزل والرادفة زلزلة ثانية تتبع الاولى حتى تنقطع
الارض وتفنى القول الثاني وهو قول ابي مسلم ان هذه الاحوال
ليست احوال يوم القيامة وذلك لانا نقلنا عنه انه فسر النازعات بنزع
القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسا
بقات بسبقها والمدبرات بالامور التي تحصل ادبار ذلك الرمي والعدو ثم بنى
على ذلك فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة ويراد بذلك
طايفتان من المشركين غزوا رسول الله فسبقت احداهما الاخرى
والقلوب الواجفة هي القلقة والابصار الخاشعة هي ابصار المنافقين
كقوله الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
كانه قيل لما جاء خيل العدو ترجف وردفتها اختها اضطربت قلوب
المنافقين خوفا وخشعت ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا ائنا لمردودون
في الحافرة اي نرجع الى الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها وقالوا
ايضا اذا كرة خاسرة فاول هذا الكلام حكاية لحال من غزا رسول الله من
المشركين واوسطه حكاية لحال المنافقين واخره حكاية لكلام المنافقين

نفات

تلك ؟

في انكار الحشر ثم انه تعالى اجاب عن كلامهم بقوله فانما هي زجره واحده
فاذا هم بالساهره وهذا كلام ابي مسلم رحمه الله واللفظ محتمل له وان كان
على خلاف قول الجمهور قوله تعالى قلوب يومئذ واجفه ابصارها
خاشعه اعلم انه تعالى لم يقل القلوب يومئذ واجفه فانه ثبت بالدليل
ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد منه قلوب الكفار ومما يوكد ذلك
انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون انا لمردودون في الحافره وهذا كلام
الكفار لا كلام المومنين وقوله ابصارها خاشعه لان المعلوم
من حال المضطرب الخايف ان يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع يترقب
ما ينزل به من الامر العظيم وفي الايه سوالان السوال الاول كيف جاز
الابتدا بالنكره الجواب قلوب مرفوعه بالابتدا وواجفه صفتها
وابصارها خاشعه خبرها فهو كقوله ولعبد مومن خير من مشرك
السوال الثاني كيف صحت اضافه الابصار الى القلوب الجواب
معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون ثم اعلم انه تعالى حكى هاهنا
عن منكري البعث اقوالا اولها قوله تعالى انا لمردودون في
الحافره يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جا فيها فحفرها
اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا فهو في الحقيقه محفوره
الا انه سميت حافره كما قيل عيشه راضيه وماء دافق اي منسوبه
الى الحفر والرضا والدفق او كقولهم نهارك صايم ثم قيل لمن كان في
امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وفي الحديث
ان هذا الامر لا يترك على حاله حتى يرد على حافرته اي على اول تاسيسه
وحالته الاولى وقرا ابو حيوه في الحفره والحفره بمعنى المحفوره يقال
حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفره وهذه القراه دليل على ان الحافره
في اصل الكلمه بمعنى المحفوره اذا عرفت هذا ظهر ان معنى الايه
انرد الى اول حالنا وابتدا امرنا فنصير احيا كما كنا وثانيها قوله تعالى
ايذا كنا عظاما نخره وفيه مسايل المسله الاولى قرا حمزه وعاصم

فهو صوابه



ناخره بالالف وقرا الباقون نخره بغير الف واختلفت الروايه عن الكسائي
فقيل انه كان لا يبالي كيف قراها وقيل انه كان يقراها بغير الف ثم رجع
الى الالف واعلم ان ابا عبيده اختار نخره وقال نظرنا في الاثار التي
فيها ذكر العظام التي قد نخرت فوجدناها كلها العظام النخره ولم نسمع
في شي منها الناخره واما من سواه فقد اتفقوا على ان الناخره لغه
صحيحه ثم اختلف هولا على قولين الاول ان الناخره والنخره بمعنى واحد
قال الاخفش هما جميعا لغتان ايهما قرات فحسن وقال الفرا الناخره
والنخره سواء في المعنى بمنزله الطامع والطمع والباخل والبخل
وفي كتاب الخليل نخرت الخشبه نخرا اذا بليت فاسترخت حتى تتفتت
اذا مست وكذلك العظم الناخر هولا الذين قالوا انهما لغتان والمعنى
واحد اختلفوا فقال الزجاج والفرا الناخره اشبه الوجهين بالايه
لانها تشبه اواخر ساير الاي نحو الحافره والساهره وقال اخرون
الناخر والنخر كالطمع والطامع واللبث واللابث وفعل ابلغ من فاعل
القول الثاني ان النخر غير والناخر غير اما النخر فهو من نخر
العظم ينخر فهو نخر مثل عفن يعفن فهو عفن وذلك اذا بلي وصار
بحيث لو لمسته لتفتت واما الناخره فهي العظام الفارغه التي يحصل
من هبوب الريح فيها صوت كالنخير وعلى هذا الناخره من النخر بمعنى
الصوت كنخير النايم والمخنوق لا من النخر الذي هو البلى المسله
الثانيه اذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث
المسله الثالثه اعلم ان حاصل هذه الشبهه ان الذي يشير اليه كل
احد الى نفسه بقوله انا هو هذا الجسم المبني بهذه البنيه المخصوصه
فاذا مات الانسان فقد بطل مزاجه وفسد تركيبه فيمتنع اعادته
لوجوه احدها انه لا يكون الانسان العايد هو الانسان الاول الا
اذا دخل التركيب الاول في الوجود مره اخرى وذلك قول
باعاده عين ما عدم اولا وهذا محال لان الذي عدم لم يبق له عين

ولا ذات ولا خصوصية فاذا دخل شي اخر في الوجود استحال ان يقال بان
هذا العايد هو عين ما فني اولا وثانيها ان تلك الاجزا تصير ترابا وتتفرق
وتختلط باجزا كل الارض وكل المياه وكل الهوا فتمييز تلك الاجزا باعيانها
عن كل هذه الاشيا محال وثالثها ان الاجزا الترابية بارده يابسة فتشفه
فتولد الانسان الذي لا بد وان يكون حارا رطبا في مزاجه عنها محال
هذا تمام تقرير كلام هولا الذين احتجوا على انكار البعث بقولهم ايذا
كنا عظاما نخره والجواب عن هذه الشبهه من وجوه اولها
وهو الاقوى لا نسلم ان المشار اليه لكل احد بقوله انا هو هذا
الهيكل فما الدليل عليه ثم الذي يدل على فساده وجهان الاول ان
اجزا هذا الهيكل في الذوبان والتبديل والذي يشير اليه كل احد الى
نفسه بقوله انا ليس في التبديل والمتبدل مغاير لما هو غير متبدل والثاني
ان الانسان قد يعرف انه هو حال كونه غافلا عن اعضايه الظاهرة
والباطنة والمشعور به غير ما هو غير مشعور به والا لاجتمع النفي والاثبات
على الشي الواحد وهو محال سلمنا ان المشار اليه لكل احد بقوله انا ليس
هو هذا الهيكل ثم ههنا ثلث احتمالات احدها ان يكون ذلك الشي
موجودا قايما بنفسه ليس بجسم ولا جسماني على ما هو مذهب طايفة
عظيمة من الفلاسفة ومن المتكلمين وثانيها ان يكون جسما مخالفا بالماهية
لهذه الاجسام القابلة للانحلال والفساد سارية فيها سريان النار في
الفحم وسريان الدهن في السمسم وسريان ما الورد في جرم الورد فاذا
فسد هذا الهيكل انفصل تلك الاجزا وبقيت حية مدركة عاقلة اما
في الشقاوة او السعادة وثالثها ان يقال انه جسم مساوي لهذه الاجسام
في الماهية الا ان الله تعالى خصها بالبقا والاستمرار من اول حال
تكون الشخص في الوجود الى اخر عمره واما ساير الاجزا المتبدلة تارة
بالزيادة واخرى بالنقصان فهي غير داخلة في المشار اليه بقوله
انا فعند الموت تنفصل تلك الاجزا وتبقى حية اما في السعادة او في



الشقاوة واذا ظهرت هذه الاحتمالات ثبت انه لا يلزم من فساد البدن
وتفرق اجزاه فساد ما هو الانسان حقيقة وهذا مقام حسن مبين
ينقطع به جميع شبهات منكري البعث وعلى هذا التقدير لا يكون
لصيرورة العظام نخرة بالية متفرقة تاثير في دفع الحشر والنشر البتة
سلمنا على سبيل المسامحة ان الانسان هو مجموع هذا الهيكل فلم قلتم
ان الاعادة ممتنعة قوله المعدوم لا يعاد قلنا اليس ان عندكم حال صحة
الحكم عليه بانه يمتنع عوده فلم لا يجوز ان لا يمتنع على قولنا انها صحة الحكم
عليه بالعود قوله ثانيا الاجزا القليلة مختلطة باجزا الارض العناصر
الاربعة قلنا لكن ثبت ان خالق العالم عالم بجميع الجزئيات وقادر على
كل الممكنات فيصح منه جمعها باعيانها واعادة الحيوة اليها قوله ثالثا
الاجسام الفنسقد اليابسة لا تقبل الحيوة قلنا نرى السمندل يعيش في النار
والنعامة تبتلع الحديدة المحماة والحيات الكبار والعظام متولدة في الثلوج
فبطل الاعتماد على الاستقرا والله الهادي الى الصدق والصواب
النوع الثالث من الكلمات التي حكاها الله تعالى عن منكري البعث قالوا
تلك اذا كرة خاسرة والمعنى كرة منسوبة الى الخسران كقولك تجارة رابحة
او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا
بها هذا منهم استهزا واعلم انه لما حكى عنهم هذه الكلمات قال فانما
هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فيه مسايل المسلة الاولى
الفا في قوله فاذا هم متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي
زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة
هينة في قدرته المسلة الثانية يقال زجر البعير اذا صاح عليها والمراد
من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل قال المفسرون
يحييهم الله في بطون الارض فيسمعونها فيقومون ونظيره هذه الاية
قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق المسلة الثالثة
الساهرة الارض البيضا سميت بذلك لوجهين الاول ان سالكها لا ينام

حوفا منها الثاني ان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية
الماء وعندي فيه وجه ثالث وهي ان الارض انما تسمى ساهرة لان من شدة
الخوف فيها يطير النوم عن الانسان فتلك الارض التي يجمع الكفار
فيها في موقف القيامة يكونون فيها في اشد الخوف فسميت تلك
الارض ساهرة لهذا السبب ثم اختلفوا من وجه اخر فقال بعضهم هي
ارض الدنيا وقال اخرون هي ارض الاخرة لانهم عند الزجرة
والصيحة ينتقلون افواجا الى ارض الاخرة ولعل هذا الوجه اقرب
قوله تعالى هل اتيك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس
طوى فيه مسايل المسئلة الاولى اعلم ان وجه المناسبة بين هذه
القصة وبين ما قبلها من وجهين الاول انه تعالى حكى عن الكفار
اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الانكار الى حد الاستهزا
في قولهم تلك اذن كرة خاسرة وكان ذلك يشق على محمد عليه السلام فذكر
قصة موسى عليه السلام وبين انه تحمل المشقة الكثيرة في دعوة فرعون
ليكون ذلك كالتسلية للرسول عليه السلام الثاني ان فرعون كان اقوى
من كفار قريش واكثر جمعا واشد شوكة فلما تمرد على موسى اخذه الله
نكال الاخرة والاولى فكذلك هؤلاء المشركون في تمردهم عليك ان اصروا
اخذهم الله وجعلهم نكالا المسئلة الثانية قوله هل اتيك يحتمل ان يكون
معناه اليس قد اتاك حديث موسى هذا ان كان قد اتاه ذلك قبل
هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتيك كذا
ام انا اخبرك به فان فيه عبرة لمن يخشى المسئلة الثالثة الوادي
المقدس المبارك المطهر وفي قوله طوى وجوه احدها انه اسم
واد بالشام وهو عند الطور الذي اقسم الله به في قوله والطور
وكتاب مسطور وقوله وناديناه من جانب الطور الايمن والثاني
انه بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه قال يا رجل اذهب الى فرعون
وهو قول ابن عباس والثالث ان يكون قوله طوى اي ناداه طوى

تبلغ العرض

المشاق

من الليل اذهب الى فرعون لانك تقول جئتك بعد طوى اي بعد ساعة
من الليل والرابع ان يكون المعنى بالوادي المقدس الذي طوي اي بورك
فيه مرتين المسئلة الرابعة قرا نافع وابن كثير وابو عمرو طوى بضم الطاء
غير منون وقرا الباقون بضم الطاء منونا وروي عن ابي عمرو طوى بكسر
الطاء قال وطوى مثل ثنى وهما اسمان للشيء المثنى والطي يعني اي ثني فيه
البركة والتقديس قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال هو ذكر
سميناه به ذكرا ومن لم يصرفه جعله معدولا عن جهته كعمر وزفر ثم قال
والصرف احب الي اذ لم اجد له في المعدول نظيرا اي لم اجد اسما من
الواو والياء عدل عن فاعل الى فعل غير طوى المسئلة الخامسة تقدير
الاية اذ ناداه ربه وقال اذهب الى فرعون وفي قراءة عبد الله ان اذهب
لان في النداء معنى القول واما ان ذلك النداء كان باسماع الكلام القديم او باسماع
الحرف والصوت وان كان على هذا الوجه فكيف عرف موسى انه كلام الله
فكل ذلك قد تقدم في سورة طه المسئلة السادسة ان سائر الايات
تدل على انه تعالى في اول ما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشياء كثيرة كقوله
في سورة طه نودي يا موسى اني انا ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى
اذهب الى فرعون انه طغى فدل ذلك على ان قوله ههنا اذهب الى
فرعون انه طغى من جملة ما ناداه به ربه لا انه كل ما ناداه به وايضا ليس
الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان
في ذلك الطرف الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى دعوة
كل ذلك القوم المسئلة السابعة الطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم
يبين انه تعدى في اي شيء فلهذا قال بعض المفسرين معناه تكبر على الله
وكفر به وقال اخرون انه طغى على بني اسرائيل والاولى عندي الجمع
بين الامرين فالمعنى انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان
تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية ليس الا صدق مع
الحق وخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان ليس الا الجمع بين

النبي

الرحم

سو المعامله مع الخالق ومع الخلق واعلم انه تعالى لما بعثه الى فرعون لقن
كلامين ليخاطبه بهما فالاول قوله فقل هل لك الى ان تزكى وفيه مسايل المسله
الاولى يقال لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب
اليه قال الواحدي المبتدا المحذوف في اللفظ مراد في المعنى والتقدير
هل لك الى ان تزكى حاجة او اربة قال فهل لكم فيها الى فانتي بصير عالم عيا
النطاسي جوبما وتحمل ان يكون التقدير هل لك سبيل الى ان تزكى المسله
الثانيه التزكي الطاهر من العيوب كلها قال افلح بهسار كثير وقال
قد افلح من زكاها وهذه الكلمه جامعه لكل ما يدعوه اليه لان المراد هل
لك الى ان تفعل ما تصير به زاكيا عن كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتصل
بالتوحيد والشرايع المسله الثالثه فيه قرانان التشديد على ادغام تا التفعل
في الزا التفاتهما والتخفيف المسله الرابعه المعتزله تمسكوا به في ابطال
كون الله تعالى خالقا لفعل العبد بهذه الايه فان هذا استفهام على سبيل
العرض اي لك سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله لانقلب الكلام
على موسى والجواب عن امثاله تقدم المسله الخامسه انه تعالى
لما قال لهما فقولا له قولا لينا فكانه تعالى رتب لهما ذلك الكلام
اللين الرقيق وهذا يدل على انه لا بد في الدعوه الى الله من اللين والرفق
وترك الغلظه ولهذا قال لمحمد ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك ويدل على ان الذين يخاشنون الناس ويبالغون في التعصب
كانهم على ضد ما امر الله به انبياه ورسله ثم قال له واهديك الى ربك
فتخشى وفيه مسايل المسله الاولى القايلون بان معرفة الله لا تستفاد
الا من الهادي تمسكوا بهذه الايه وقالوا انها صريحه في انه يهديه الى
معرفة الله ثم قالوا ومما يدل على ان هذا هو المقصود الاعظم من بعثه
الرسل امران الاول ان قوله هل لك الى ان تزكى شامل لجميع الامور
التي لا بد للمبعوث اليه منه فقد دخل فيه هذه الهدايه فلما اعاده بعد
ذلك علم انه هو المقصود الاعظم من البعثه والثاني ان موسى ختم



كلامه عليه وذلك يدل ايضا على ان اشرف المقاصد من البعثه والجواب انا
لا نمنع ان يكون للتنبيه والاشاره معونه في الكشف عن الحق انما النزاع في انكم تقولون
يستحيل حصوله الا من المعلم ونحن لا نجوز ذلك المسله الثانيه دلت الايه على ان
معرفة الله مقدمه على طاعته لانه ذكر الهدايه وجعل الخشيه موخره عنها
ومفرعه عليها ونظيره قوله في اول النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وفي طه انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني المسله الثالثه دلت الايه على ان
الخشيه لا تكون الا بالمعرفه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي
العلماء به ودلت الايه على ان الخشيه ملاك الخيرات لان من خشي الله اتى منه
كل خير ومن امن اجترا على كل شي ومنه قوله عليه السلم من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل قوله تعالى فاراه الايه الكبرى فيه مسلتان المسله
الاولى الفا في فاراه معطوف على محذوف معلوم يعني فذهب فاراه
كقوله فاضرب بعصاك البحر فانفجرت اي فضرب فانفجرت المسله الثانيه
اختلفوا في الايه الكبرى على ثلثه اقوال الاول قال مقاتل والكلبي هي
اليد لقوله في طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضا من غير سو ايه اخرى
لنريك من اياتنا الكبرى القول الثاني قال عطا هي العصا لانه ليس في
اليد الا انقلاب لونه الى لون اخر وهذا المعنى كان حاصلا في العصا
لانها لما انقلبت حيه فلا بد وان يكون قد تغير اللون الاول فاذا كل
ما في اليد فهو حاصل في العصا ثم حصل في العصا امور اخرى ازيد من
ذلك منها حصول الحيوه في الجرم الجمادي ومنها تزايد اجزايه واجسامه
ومنها حصول القدره الكثيره والقوه الشديده ومنها انها كانت
ابتلعت اشيا كثيره وكانها فنيت ومنها زوال الحيوه والقدره
عنها وفنا تلك الاجزا التي حصل عظمها وزوال ذلك اللون والشكل
اللذين بهما صارت العصا حيه وكل واحد من هذه الوجوه كان
معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان الايه الكبرى هي العصا والقول
الثالث في هذه المسله قول مجاهد وهو ان المراد من الايه الكبرى

مجموع اليد والعصا وذلك لان سائر الايات دلت على ان اول ما اظهر موسى عليه السلام
لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان يكون المراد من الاية الكبرى مجموعهما
ثم انه تعالى حكى معاملة فرعون مع موسى عليه السلام وهو مجموع امور ثلثة احدها
قوله فكذب وعصى وفيه مسائل المسئلة الاولى معنى قوله فكذب انه كذب
بدلالة ذلك المعجز على صدقه واعلم ان القدح في دلالة المعجز على الصدق
اما لاعتقاد انه يمكن معارضته او لانه وان امتنعت معارضته لكنه ليس
فعلا لله تعالى بل لغيره اما فعل جني او فعل ملك او ان كان فعلا لله
تعالى لكنه ما فعله لغرض التصديق او ان كان فعله لغرض التصديق
لكن لا يلزم صدق المدعي فانه لا يقبح من الله شيء البتة فهذه مجامع الطعن
في دلالة المعجز على الصدق وما بعد الاية يدل على ان فرعون انما منع
من دلالته على الصدق لاعتقاده انه يمكن معارضته بدليل قوله فحشر فنادى
وهو كقوله فارسل فرعون في المداين حاشرين المسئلة الثانية في الاية
في الاية سوال وهو ان كل احد يعلم ان كل من كذب الله فقد عصى فما
الفايدة في قوله فكذب وعصى والجواب كذب بالقلب واللسان
وعصى بان اظهر التمرد والتجبر المسئلة الثالثة هذا الذي وصفه الله
تعالى به من التكذيب والمعصية مغاير لما كان حاصلا قبل ذلك لان
تكذيبه لموسى عليه السلام وقد دعاه واظهر هذه المعجزة يوفي على ما
تقدم من التكذيب ومعصيته بترك القبول منه والحال هذه مخالفة
لمعصيته من قبل ذلك وثانيها قوله ثم ادبر يسعى وفيه وجوه
احدها انه لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيه
قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا وثانيها تولى عن موسى
يسعى ويجتهد في مكايدته وثالثها ان يكون المعنى ثم اقبل يسعى
كما يقول فلان اقبل يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر
موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال وثالثها قوله فحشر فنادى
فقال انا ربكم الاعلى فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون



في المداين حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر
مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك الكلمة
وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخيرة انا ربكم الاعلى
واعلم انا بينا في سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان في نفسه كونه خالقا
للسموات والارض والجبال والنبات والحيوان والانسان فان العلم بفساد
ذلك ضروري فمن يتشكك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة
الانبيا والرسل اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر
وكان يقول ليس عليكم لاحد امر ولا نهي الا لي فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن
اليكم وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث اليكم رسولا قال
القاضي وقد كان الاليق به عند ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ان لا يقول
هذا القول لان عند ظهور الذلة والعجز كيف يليق ان يقول انا ربكم
الاعلى فدلت هذه الاية على انه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا
يدري ما يقول واعلم انه تعالى لما حكى عنه افعاله واقواله اتبعه بما عامله
به وهو قوله فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فيه مسئلتان المسئلة
الاولى ذكروا في نصب نكال وجهين الاول قال الزجاج انه مصدر
موكد لان معنى اخذه الله نكل الله به نكال الاخرة لان اخذه ونكله
متقاربان وهو كما يقال ادعه تركا شديدا لان ادعه واتركه سوا
ونظيره قوله ان اخذه اليم شديد الثاني قال الفرا يريد اخذه الله
اخذا نكالا للاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
المسئلة الثانية ذكر المفسرون في هذه الاية وجوها احدها ان الاخرة
والاولى صفة لكلمتي فرعون احديهما قوله ما علمت لكم من اله غيري
والاخرى قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة وهذا
قول مجاهد والشعبي وسعيد بن جبير ومقاتل ورواية عطا والكلبي
عن ابن عباس والمقصود التنبيه على انه ما اخذه بكلمته الاولى في الحال
بل امهله اربعين سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا تنبيه على انه تعالى

بَعْدَهُ

يمهل ولا يهمل الثاني وهو قول الحسن وقتاده نكال الاخره والاولى اي عذبه
في الاخره واغرقه في الدنيا الثالث الاخره هي قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه
موسى حين اراه الايه قال القفال رحمه الله وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى
قال فاراه الايه الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم
الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله نكال الاخره والاولى فظهر ان
المراد انه عاقبه على هذين الامرين المسله الثالثه قال الليث النكال اسم لمن
جعل نكالا لغيره وهو الذي اذا راه او بلغه خاف ان يعمل عمله واصل
الكلمه من الامتناع ومنه النكول عن اليمين وقيل للقيد نكل لانه يمنع فالنكال
من العقوبه هو اعظم حتى يمتنع من سمع به عن ارتكاب مثل ذلك الذنب الذي
وقع التنكيل به وهو في العرف يقع على ما افتضح به صاحبه ويعتبر به غيره
والله اعلم ثم انه تعالى ختم هذه القصه بقوله ان في ذلك لعبره لمن يخشى
والمعنى ان فيما اقتصصناه من امر موسى وفرعون وما احله الله بفرعون
من الخزي ورزق موسى من العلو والنصر عبره لمن يخشى وذلك ان يدع التمرد
على الله تعالى والتكذيب لانبيايه خوفا من ان ينزل به ما نزل بفرعون
وعلما بان الله تعالى ينصر انبياه ورسله فاعتبروا معاشر المكذبين بمحمد
عليه السلام بما ذكرناه اي اعلموا انكم ان شاركتموهم في المعنى الجالب للعقاب
شاركتموهم في حلول العقاب بكم ثم اعلم انه تعالى لما ختم هذه القصه
رجع الى مخاطبه منكري البعث فقال اانتم اشد خلقا ام السما وفيه مسايل
المسله الاولى في المقصود من هذا الاستدلال وجهان الاول انه استدلال
على منكري البعث فقال اانتم اشد خلقا ام السما فنبههم على امر يعلم بالمشاهده
وذلك لان خلقه الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما
على عظمها وعظم احوالها يسير فبين تعالى ان خلق السما اعظم واذا كان
كذلك فخلقهم على وجه الاعاده اولى ان يكون مقدورا لله فكيف ينكرون
ذلك ونظيره قوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم وقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمعنى



اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما اي عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين
بالنسبه الى قدره الله واحد والثاني ان المقصود من هذا الاستدلال
بيان كونهم مخلوقين وهذا القول ضعيف لوجهين احدهما ان من انكر
كون الانسان مخلوقا فبان ينكر في السما كان اولى وثانيهما ان اول السوره
كان في بيان مسله الحشر والنشر فحمل هذا الكلام عليه اولى المسله الثانيه
قال الكسائي والفراء والزجاج هذا الكلام تم عند قوله اانتم اشد خلقا ام
السما ثم قوله بناها ابتدا كلام اخر وعند ابي حاتم الوقف على قوله
بناها قال لانه من صله السما والتقدير ام السما التي بناها فحذف التي
ومثل هذا الحذف جائز قال القفال رحمه الله يقال الرجل جاك عاقل
اي الرجل الذي جاك عاقل اذا ثبت ان هذا جائز في اللغه فنقول
الدليل على ان قوله بناها صله لما قبله انه لو لم يكن صله لكان صفه فقوله بناها
صفه ثم قوله رفع سمكها صفه فتتوالى صفتان لا تعلق لاحدهما بالاخرى
فكان يجب ادخال العاطف فيما بينهما كما في قوله واغطش ليلها فلما لم
يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صله للسما ثم قال رفع سمكها ابتدا بذكر صفته
وللفرا ان يحتج على قوله بانه لو كان قوله بناها صله للسما لكان التقدير ام
السما بناها وهذا يقتضي وجود سما ما بناها الله وذلك باطل المسله الثالثه
الذي يدل على انه تعالى هو الذي بنا السما وجوه احدها ان السما
جسم وكل جسم محدث لان الجسم لو كان ازليا لكان في الازل اما ان يكون
متحركا او ساكنا والقسمان باطلان فالقول بكون الجسم ازليا باطل
اما الحصر فلانه اما ان يكون مستقرا حيث هو فيكون ساكنا او لا يكون مستقرا
حيث هو فيكون متحركا وانما قلنا انه يستحيل ان يكون متحركا لان ماهيه
الحركه تقتضي المسبوقيه بالغير وماهيه الازل تنافي المسبوقيه بالغير
فالجمع بينهما محال وانما قلنا انه يستحيل ان يكون ساكنا لان السكون
وصف ثبوتي وهو ممكن الزوال وكل ممكن الزوال مفتقر الى الفاعل
المختار وكل ما كان كذلك فهو محدث فكان سكونه محدثا فيمتنع ان يكون

ان ليا انما قلنا ان السكون وصف ثبوتي لانه يتبدل كون الجسم متحركا بكونه
ساكنا مع نفاذ ايه واحدهما لا بد وان يكون امرا ثبوتيا فان كان الثبوتي
هو السكون فقد حصل المقصود وان كان الثبوتي هو الحركه وجب ايضا
ان يكون السكون ثبوتيا ايضا لان الحركه عباره عن الحصول في المكان بعد
ان كان في غيره والسكون عباره عن الحصول في المكان بعد ان كان فيه
بعينه فالتفاوت بين الحركه والسكون ليس في الماهيه بل في المسبوقيه بالغير
وعدم المسبوقيه بالغير وذلك وصف عارض خارجي عن الماهيه واذا كان
كذلك فاذا ثبت ان تلك الماهيه امر وجودي في احدى الصورتين
وجب ان يكون كذلك في الصوره الاخرى وانما قلنا ان سكون السما جايز
الزوال لانه لو كان واجبا لذاته لا ممتنع زواله فكان يجب ان لا يتحرك السما
لكنا نراها الان متحركه فعلمنا انها لو كانت ساكنه في الازل لكان ذلك
السكون جايز الزوال وانما قلنا ان ذلك السكون لما كان ممكنا لذاته
افتقر الى الفاعل المختار لانه لما كان ممكنا لذاته فلا بد له من موثر وذلك
الموثر لا يجوز ان يكون موجبا لان ذلك الموجب ان كان واجبا وكان غنيا
في ايجابه لذلك المعلول عن شرط لزم من دوامه دوام الاثر فكان يجب
ان لا يزول ذلك السكون وان كان واجبا ومفتقرا في ايجابه لذلك المعلول
الى شرط واجب لذاته لزم من دوام العله ودوام الشرط دوام المعلول
اما ان كان الموجب غير واجب لذاته او كان شرط ايجابه غير واجب لذاته
كان الكلام فيه كالكلام في الاول فيلزم التسلسل وهو محال او الانتها الى
موجب واجب لذاته والى شرط واجب لذاته وحينيذ يعود الالزام الاول
فثبت ان ذلك الموثر لا بد وان يكون فاعلا مختارا فاذن كل سكون فهو
فعل فاعل مختار وكل ما كان كذلك فهو محدث لان المختار انما يفعل
بواسطة القصد والقصد الى تكوين الكاين وتحصيل الحاصل محال
فثبت ان كل سكون فهو محدث فثبت انه يمتنع ان يكون الجسم في الازل
متحركا ولا ساكنا فهو اذن غير موجود في الازل فهو محدث واذا



كان محدثا افتقر في ذاته وفي تركيب اجزايه الى موجد وذلك هو الله فثبت
بالعقل ان باني السما هو الله الحجه الثانيه كل ما سوى الواحد ممكن وكل
ممكن محدث وكل محدث فله صانع انما قلنا ان كل ما سوى الواحد
ممكن لانا لو فرضنا موجودين واجبين لذاتيهما لاشتركا في الوجوب
ولتباينا بالتعين فيكون كل واحد منهما مركبا مما به المشاركه ومما به
المباينه وكل مركب مفتقر الى جزيه وجزه غيره فكل مركب فهو مفتقر
الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته فكل واحد من الواجبين بالذات
ممكن بالذات هذا خلف ثم ننقل الكلام الى ذينك الجزين فان كانا واجبين
كان كل واحد من تلك الاجزا مركبا ويلزم التسلسل وان لم يكونا واجبين
كان المفتقر اليهما اولى بعدم الوجود فثبت ان ما عدا الواحد ممكن
وكل ممكن فله موثر وكل ما افتقر الى الموثر محدث لان الافتقار الى الموثر
لا يمكن ان يتحقق حال البقا لاستحاله ايجاد الموجود فلا بد وان يكون
اما حال الحدوث او حال العدم وعلى التقديرين فالحدوث لازم فثبت
ان ما سوى الواحد محدث وكل محدث فلا بد له محدث فلا بد للسما من باني
الحجه الثالثه صريح العقل يشهد بان جرم السما لا يمتنع ان يكون اكبر مما هو
الان بمقدار خردله ولا يمتنع ان يكون اصغر بمقدار خردله فاختصاص
هذا المقدار بالوقوع دون الازيد والانقص لا بد وان يكون لمخصص
فثبت انه لا بد للسما من باني فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى خلق
شيا واعطاه قدره تمكن ذلك المخلوق بتلك القدره من خلق الاجسام
فيكون خالق السما وبانيها هو ذلك الشي الجواب من العلما من قال
المعلوم بالعقل انه لا بد للسما من محدث وانه لا بد من الانتها اخر الامر
الى قديم واجب الوجود لذاته واحد وهو الله سبحانه فاما نفي
الوسايط فانما نعلم بالسمع فقوله في هذه الايه بناها يدل على ان باني
السما هو الله لا غيره ومنهم من قال بل العقل يدل على بطلان الاشيه
لما ثبت ان كل ما عداه محدث ثبت انه قادر لا موجب والذي كان

مقدور الله انما صح كونه مقدور الله بكونه ممكنا فانك لو رفعت الامكان بقي
الوجوب او الامتناع وهما يخيلان المقدورية واذا كان ما لاجله صح
في البعض ان يكون مقدور الله هو الامكان والامكان عام في الممكنات
وجب ان يحصل في كل الممكنات صحة ان يكون مقدورة لله واذا ثبت ذلك
ونسبة قدرته الى الكل على السوية وجب ان يكون قادرا على الكل واذا
ثبت ان الله قادر على كل الممكنات فلو قدرنا قادرا اخر قادر على بعض
الممكنات لزم وقوع مقدور واحد من قادرين من جهة واحدة وذلك
محال لانه اما ان يقع باحدهما دون الاخر وهو محال لانهما لما كانا
مستقلين بالاقتضا فليس وقوعه بهذا اولى من وقوعه بذاك او
بهما ايضا محال لانه يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون
محتاجا اليهما معا وغنيا عنهما معا وهو محال فثبت بهذا انه لا يمكن
وقوع ممكن اخر بسبب اخر سوى قدرة الله وهذا الكلام جيد
لكن على قول من لا يثبت في الوجود موثرا سوى الواحد فهذا اجمله
ما في الباب واعلم انه تعالى لما بين في السما انه بناها بين بعد ذلك انه كيف
بناها وشرح تلك الكيفية من وجوه اولها ما يتعلق بالمكان فقال
رفع سمكها واعلم ان امتداد الشي اذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي
عمقا واذا اخذ من اسفل الشي الى اعلاه سمي سمكا فالمراد برفع سمكها شدة
علوها حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وبين
اصحاب الهيئة مقادير الاجرام الفلكية وابعاد ما بين كل واحد منها
وبين الارض وقال اخرون بل المراد رفع سمكها من غير عمد وذلك
مما لا يصلح الا من الله الصفة الثانية قوله فسواها وفيه وجهان
الاول المراد تسويتها تاليفها وقيل بل المراد نفي الشقوق عنها كقوله
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت والقايلون بالقول الاول
قالوا فسواها عام ولا يجوز تخصيصه بالتسوية في بعض الاشيا
ثم قالوا هذا يدل على كون السما كرة لانه لو لم يكن كرة لكان بعضه



جوانبه سطحا والبعض زاوية والبعض خطا ولكان بعض اجزايه اقرب الينا
والبعض ابعد فلا يكون التسوية حاصلة فوجب ان يكون كرة حتى يكون
التسوية الحقيقية حاصلة ثم قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل
مختار فاي جزء في الذين يتشاء من كونها كرة الصفة الثالثة قوله تعالى
واغطش ليلها واخرج ضحاها فيه مسايل المسلة الاولى اغطش
قد يجي لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما ويجي متعديا يقال
اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والاغطش شبه الاعمش
ثم ههنا سوال وهو ان الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب
غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم
مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان
انما حصلت بتدبير الله وتقديره وحينيذ لا يبقى الاشكال المسلة
الثانية قوله اخرج ضحاها اي اخرج نهارها وانما عبر عن النهار
بالضحى لان الضحى اكمل اجزا النهار في النور والضو المسلة الثالثة
انما اضاف الليل والنهار الى السما لان الليل والنهار انما يحدثان بسبب
غروب الشمس وطلوعها ثم غروبها وطلوعها انما يحصلان بسبب
حركة الفلك فلهذا السبب اضاف الليل والنهار الى السما ثم انه تعالى
لما وصف كيفية خلق السما اتبعه بكيفية خلق الارض وذلك من وجوه
الصفة الاولى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فيه مسايل
المسلة الاولى دحاها بسطها قال زيد بن عمرو بن نفيل دحاها
فلما راها استوت على الما ارسى عليها الجبالا وقال امية بن ابي
الصلت دحوت البلاد فسويتها وانت على طيها قادر
قال اهل اللغة في هذه اللفظة لغتان دحوت ادحوه ودحيت
ادحي ومثله صغوت وصغيت ولحوت العود ولحيته
وشاءوت الرجل وشاييته وباوت عليه وبايت وفي حديث علي
اللهم داحي المدحيات اي باسط الارضين السبع وهي المدحوات

ايضا وقيل اصل الدحو الازالة للشي من مكان الى مكان ومنه يقال
ان الصبي يدحو بالكرة اي يقذفها على وجه الارض وادحى النعامة
موضعه الذي يكون فيه اي بسطته وازالت ما فيه من حصى
حتى يتمهد له وهذا يدل على ان معنى الدحو يرجع الى الازالة والتمهيد
المسئلة الثالثة ظاهر هذه الاية يقتضي كون الارض بعد السما
وقوله في حم السجدة ثم استوى الى السما يقتضي كون السما بعد
الارض وقد ذكرنا هذه المسئلة في سورة البقرة في تفسير قوله
ثم استوى الى السما ولا باس بان نعيد بعض تلك الوجوه احدها
الله تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السما ثانيا ثم دحى الارض
اي بسطها ثالثا وذلك لانها كانت اولا كالكرة المجتمعة ثم ان الله
تعالى مدها وبسطها فان قيل الدلايل الاعتبارية دلت
على ان الارض الان كرة ايضا واشكال اخر وهو ان الجسم العظيم
يكون ظاهره كالسطح المستوي فيستحيل ان يكون هذا الجسم
العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا وثانيها ان لا
يكون معنى قوله دحاها مجرد البسط بل يكون المراد انه بسطها
بسطا مهيئا لنبات الاقوات وهذا هو الذي بينه بقوله اخرج
منها ماءها ومرعاها وذلك لان هذا الاستعداد لا يحصل للارض
الا بعد وجود السما فان الارض كالام والسما كالاب وما لم يحصلا
لم يتولد اولاد المعادن والنبات والحيوان وثالثها ان يكون قوله
والارض بعد ذلك اي مع ذلك كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك
وكقولك للرجل انت كذا وكذا ثم انت بعد هذا كذي لا تريد به الترتيب
وقال تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم
كان من الذين امنوا والمعنى وكان مع هذا من اهل الايمان بالله
وهذا تقرير ما نقل عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن جريج
انهم قالوا في قوله والارض بعد ذلك دحيها اي مع ذلك دحيها



المسئلة الثالثة لما ثبت ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السما ثانيا
ثم دحى الارض بعد ذلك ثالثا ذكر الواحدي في تقدير تلك الازمنة وجوها روي
عن عبد الله بن عمرو خلق الله البيت قبل الارض بالفي سنة ومنه دحيت
الارض واعلم ان الرجوع في امثال هذه الاشيا الى كتب الحديث اولى
الصفة الثانية قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها فيه مسئلتان
المسئلة الاولى ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها رعيها وهو في الاصل
موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة
التفسير وقراهما الحسن مرفوعين على الابتدا فان قيل هلا ادخل حرف
العطف على اخرج قلنا لوجهين الاول ان يكون معنى دحاها بسطها
ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه تأتي سكناها من تسوية امر
في تأتي سكناها
المشارب والماكل وامكان القرار عليها باخراج الماء والمرعى وارسا
الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون
اخرج حالا والتقدير والارض بعد ذلك دحاها حال ما اخرج
اخرج منها ماءها ومرعاها المسئلة الثانية اراد بمرعاها ما ياكل الناس
والانعام ونظيره قوله في النحل انزل من السما ماء لكم منه شراب ومنه شجر
فيه تسيمون وقال في سورة اخرى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض
شقا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم ولذلك قال في هذه الاية واستعير الرعي
للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ يرتع من الرعي ثم قال
ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الماء كل شي حي فانظر كيف دل بقوله ماءها
ومرعاها على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من
العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والدواء حتى
النار والملح اما النار فلا شك انه من العيدان قال تعالى افرايتم النار التي تورون
انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون واما الملح فلا شك انه متولد
من الماء وانت اذا تاملت علمت ان جميع ما يتنزه الناس في الدنيا ويتلذذون
به فاصله الماء والنبات ولهذا السبب تردد في وصف الجنة ذكرهما

وقال جنات تجري من تحتها الانهار ثم الذي يدل على انه تعالى اراد بالمرعى
كل ما ياكل الناس والانسان والانعام في قوله في اخر هذه الاية متاعا
لكم ولانعامكم الصفة الثالثة قوله تعالى والجبال ارساها والكلام في
شرح منافع الجبال قد تقدم ثم انه تعالى لما بين كيفية خلقه الارض
وكيفية منافعها قال متاعا لكم ولانعامكم والمعنى انا انما خلقنا هذه
الاشيا متعة ومنفعة لكم ولانعامكم واحتج به من قال ان افعال
الله واحكامه معللة بالاغراض والمصالح والكلام فيه قد مر غير مرة واعلم
انا بينا انه تعالى اعاد ذكر كيفية خلقة السما والارض ليستدل بها على كونه
قادرا على الحشر والنشر فلما قرر ذلك وبين امكان الحشر والنشر عقلا اخبر
بعد ذلك عن وقوعه وقال فاذا جات الطامة الكبرى وفيه مسئلتان
المسئلة الاولى الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وفي
اشتقاقها وجوه قال المبرد اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس
طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الما اذا ملا النهر كله وقال الليث
الطم طم البير بالتراب وهو الكبس وطم السيل الركية اذا دفنها حتى يسويها
ويقال للشي الذي يكثر حتى يعلو قد طم والطامة الحادثة التي تطم على
ما سواها ومن ثم قيل فوق كل طامة طامة قال القفال رحمه الله اصل الطم
الدفن والعلو وكل ما غلب شيا وقهره واخفاه فقد طمه ومنه الما الطامي
وهو الكثير الزايد والطاغي والعاتي والعادي سوا وهو الخارج عن
امر الله المتكبر فالطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها
المسئلة الثانية قد ظهر بما ذكرنا ان معنى الطامة الكبرى الداهية الكبرى
ثم اختلفوا في انها اي شي هي قال قوم انها يوم القيامة لانه يشاهد فيه
من النار ومن الموقف الهايل ومن الايات الباهرة الخارجة عن
العادة ما ينسى معه كل هايل وقال الحسن انها هي النفخة الثانية
التي عندها تحشر الخلايق الى موقف القيامة وقال اخرون انه
تعالى فسر الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم



لمن يرى فالطامة تكون اسما لذلك الوقت فيحتمل ان يكون ذلك الوقت وقت
قراة الكتاب على ما قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
ويحتمل ان يكون تلك الساعة هي الساعة التي يساق فيها الى النار اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بوصفين
الاول قوله تعالى يوم يتذكر الانسان ما سعى يعني اذا راى اعماله مدونة
في كتابه يتذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه الصفة الثانية
قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وفيه مسئلتان المسئلة الاولى قوله
تعالى لمن يرى اي انها تظهر اظهارا مكشوفا لكل ناظر ذي بصر ثم فيه
وجهان احدهما انه استعارة في كونه منكشفا ظاهرا كقولهم قد بين
الصبح لذي عينين وعلى هذا التاويل لا يجب ان يراه كل احد والثاني
ان يكون المراد انها برزت ليراها كل من له عين وبصر وهذا يفيد ان
كل الناس يرونها من المومنين والكفار الا انها مكان الكفار وماواهم
والمومنون يمرون عليها وهذا التاويل متاكد بقوله تعالى وان منكم الا
واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا فان قيل انه تعالى قال في سوره
الشعرا وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين فخص الغاوين
بتبريزها لهم قلنا انها برزت للغاوين والمومنون يرونها ايضا في الممر
ولا منافاة بين الامرين المسئلة الثانية قرا ابو نهيك وبرزت وقرا
ابن مسعود لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم
من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد من الكفار الذين يوذونك واعلم انه
تعالى لما وصف حال القيامة في الجملة قسم المكلفين قسمين الاشقيا
والسعدا فذكر حال الاشقيا فقال فاما من طغى واثر الحياة الدنيا
فان الجحيم هي الماوى فيه مسئلتان المسئلة الاولى في جواب قوله فاذا
جات الطامة الكبرى وجهان الاول قال الواحدي رحمه الله
انه محذوف على تقدير اذا جات الطامة دخل اهل النار النار واهل
الجنة الجنة ودل على هذا المحذوف ما ذكر في بيان ماوى الفريقين

ولهذا كان يقول مالك بن مغول في تفسير الطامة الكبرى قال انها اذا
سيق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار والثاني ان جوابه قوله
فان الجحيم هي المأوى وكانه جزاء مركب على شرطين نظيره اذا جاء الغد
فمن جاءني سائلا اعطيته كذا ههنا اي اذا جاءت الطامة الكبرى فمن
جاء طاغيا فان الجحيم مأواه المسئلة الثانية منهم من قال المراد بقوله
طغى وآثر الحيوة الدنيا النضر وابوه الحرث فان كان المراد ان هذه
الآية نزلت عند صدور بعض المنكرات منه فجيد وان كان المراد
تخصيصها به فبعيد لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
لا سيما اذا عرف بضرورة العقل ان الموجب لذلك الحكم هو الوصف
المذكور المسئلة الثالثة قوله طغى اشارة الى فساد حال
القوة النظرية لان كل من عرف الله عرف حقارة نفسه وعرف
استيلاء قدرة الله عليه فلا تكون له طغيان وتكبر وقوله وآثر
الحياة الدنيا اشارة الى فساد حال القوة العملية وانما ذكر ذلك
لما روي عنه عليه السلام انه قال حب الدنيا راس كل خطيئة ومتى
كان الانسان والعياذ بالله موصوفا بهذين الامرين كان بالغا في
الفساد الى اقصى الغايات وهو الكافر الذي تكون عقابه مخلدا وتخصيصه
بهذه الحالة يدل على ان الفاسق الذي لا يكون كذلك لا تكون الجحيم مأوى
له المسئلة الرابعة تقدير الآية فان الجحيم هي المأوى له ثم حذفت
الصلة لوضوح المعنى كقولك للرجل غض الطرف اي غض طرفك
وعندي فيه وجه آخر وهو ان تكون التقدير فان الجحيم هو
المأوى اللائق بمن كان موصوفا بهذه الصفات والاخلاق
ثم ذكر حال السعدا فقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى واعلم ان هذين الوصفين مضادان
للوصفين اللذين وصف الله اهل النار بهما فقوله من خاف مقام ربه
ضد قوله واما من طغى وقوله ونهى النفس عن الهوى ضد قوله



وآثر الحيوة الدنيا واعلم ان الخوف من الله لا بد وان يكون مسبوقا
بالعلم بالله على ما قال انما يخشى الله من عباده العلما ولما كان الخوف
من الله هو السبب المعين لدفع الهوى لا جرم قدم العلة على المعلول
وكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل في هذين الوصفين
جميع الطاعات والحسنات وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن
عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد
ووقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه واعلم
انه تعالى لما بين بالبرهان العقلي امكان القيامة ثم اخبر عن وقوعها
ثم ذكر احوالها العامة ثم ذكر احوال الاشقيا والسعدا فيها قال
يسألونك عن الساعة ايان مرسيها واعلم ان المشركين كانوا يسمعون
اثبات القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل انها طامة وصاخة
وقارعة فقالوا على سبيل الاستهزاء ايان مرسيها فيحتمل ان يكون
ذلك على سبيل الابهام لاتباعهم انه لا اصل لذلك ويحتمل انهم كانوا
يسألون الرسول عن وقت القيامة استعجالا كقوله يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها وفي قوله مرسيها قولان احدهما متى
ارساها اي اقامتها اراد متى يقيمها الله ويوجدها ويكونها
والثاني ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفن مستقرها
حيث تنتهي اليه ثم ان الله تعالى اجاب عنه بقوله فيم انت من ذكراها
وفيه وجهان الاول معناه في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتبين
ذلك الزمان المعين لهم ونظيره قول القائل اذا ساله رجل عن شيء
لا يليق به ما انت وهذا واي شيء لك في هذا وعن عائشة رضي الله عنها
لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى
نزلت هذه فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل
واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك
عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال

الابهام

ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤت احدا من خلقه الوجه الثاني قال
بعضهم فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها
اي ارسالك وانت خاتم الانبيا واخر الرسل ذكر من انواع علاماتها وواحد
من اقسام اشراطها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد
لها ولا فائدة في سؤالهم عنها ثم قال انما انت منذر من يخشاها فيه مسئلتان
المسئلة الاولى معنى الاية انك انما بعثت للانذار وهذا المعنى لا يتوقف
على علمك بوقت قيام القيمة بل لو اتفقنا العلما بان الانذار والتخويف
انما يتم اذا لم يكن العلم بوقت قيام القيامة حاصلا المسئلة الثانية انه
عليه السلم منذر للكل الا انه خص من يخشى لانه الذي ينتفع بذلك الانذار
المسئلة الثالثة قرئ منذر بالتنوين وهو الاصل قال الزجاج مفعل
وفاعل اذا كان كل واحد منهما لما يستقبل او للحال نونته لانه يكون
بدلا من الفعل والفعل لا يكون الا نكرة ويجوز حذف التنوين لاجل
التخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فلا يجوز
الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس ثم قال كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا الا عشية او ضحاها وتفسير هذه الاية ما ذكره في قوله كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار والمعنى ان ما انكروه
سيرونه حتى كانهم كانوا ابدا فيه وكانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة
من نهار ثم مضت فان قيل قوله او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا
غير معقول لانه ليس للعشية ضحى قلنا الجواب عنه من وجوه احدها
قال عطا عن ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية
او ضحى وثانيها قال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية
اضافتها الى يوم العشية كانه قيل الا عشية او ضحى يومها والعرب
تقول اتيتك العشية او غداتها على ما ذكرنا وثالثها ان النحويين
قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالضحى المتقدم على عشية يصح
ان يقال انه ضحى تلك العشية وزمان المحنة قد يعبر عنه بالعشية



وزمان الراحة قد يعبر عنه بالضحى فالذين يحشرون في موقف القيامة
يعبرون عن زمان محنتهم بالعشية وعن زمان راحتهم بضحى تلك العشية
فيقولون كان عمرنا في الدنيا ما كان الا هاتين الساعتين والله اعلم
بمراده ء

سورة عبس بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وفي الاية مسائل المسئلة الاولى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك
بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة
ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم
فقال عليه السلم اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية وكان رسول الله
يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من
حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وفي هذا الموضع سؤالات السؤال
الاول ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فلم عاتب الله
رسوله على ان ادب ابن ام مكتوم وزجره وانما قلنا انه كان يستحق
التاديب لوجوه احدها انه وان كان لفقد بصره لا يرى القوم لكن لصحة
سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول اولئك الكفار وكان يسمع اصواتهم
ايضا وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمام النبي
عليه السلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي والقاء غرض نفسه
في البين قبل تمام غرض النبي ايذاء للنبي عليه السلم وذلك معصية عظيمة
وثانيها ان الاهم مقدم على المهم وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج
اليه من امر الدين اما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم
سبب لاسلام جمع عظيم فالقا ابن ام مكتوم ذلك الكلام في البين
كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وثالثها
انه تعالى قال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون

بلغ العرض

للنبي

فنهاهم عن مجرد النداء الا في الوقت فههنا هذا النداء الذي صار كالصارف
للكفار عن قبول الايمان وكالقاطع على الرسول اعظم مهماته اولى ان يكون
ذنبا ومعصية فثبت بهذا ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية
وان الذي فعله الرسول كان هو الواجب وعند هذا يتوجه السؤال
في انه كيف عاتبه الله تعالى على ذلك الفعل السؤال الثاني انه تعالى لما
عاتبه على مجرد انه عبس في وجهه كان ذلك تعظيما عظيما من الله سبحانه
لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره
باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه جدا
السؤال الثالث الظاهر انه عليه السلم كان ماذونا في ان يعامل
اصحابه على حسب ما يراه مصلحة وانه عليه السلم كثيرا ما كان يودب اصحابه
ويزجرهم عن اشيا وكيف لا يكون كذلك وهو عليه السلم انما بعث ليودبهم
وليعلمهم محاسن الاداب واذا كان كذلك كان ذلك التعبيس داخلا في اذن
الله تعالى اياه في تاديب اصحابه واذا كان ذلك ماذونا فيه فكيف وقعت
المعاتبة عليه فهذا جملة ما يتعلق بهذا الموضع من الاشكالات والجواب
عن السؤال الاول من وجهين الاول ان الامر وان كان على ما ذكرتم
الا ان ظاهر الواقعة يوهم تقديم الاغنيا على الفقرا وانكسار قلوب
الفقرا فلهذا السبب حصلت المعاتبة ونظيره قوله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والوجه الثاني لعل هذا العتاب
لم يقع على ما صدر من الرسول من الفعل الظاهر بل على ما كان منه في
قلبه وهو ان قلبه عليه السلم كان قد مال اليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو
منصبهم وكان ينفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة
شرفه فلما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية وقعت المعاتبة لا على
التاديب بل على التاديب لاجل هذه الداعية والجواب عن السؤال
الثاني ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل كانه قيل انه بسبب عماه
استحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة

والجواب عن السؤال الثالث انه كان ماذونا في تاديب اصحابه لكن ههنا
لما اوهم تقديم الاغنيا على الفقرا وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين
فلهذا السبب جاءت هذه المعاتبة المسألة الثانية القائلون بصدور الذنب
عن الانبيا عليهم السلم تمسكوا بهذه الاية وقالوا لما عاتبه الله في ذلك الفعل
دل على ان ذلك الفعل كان معصية وهذا بعيد فانا قد بينا ان ذلك كان هو
الواجب المتعين لا بحسب هذا الاعتبار الواحد وهو انه يوهم تقديم
الاغنيا على الفقرا وذلك غير لايق بصلابة الرسول واذا كان كذلك
كان ذلك جاريا مجرى ترك الاحتياط وترك الافضل فلم يكن ذلك ذنبا
البتة المسألة الثالثة اجمع المفسرون على ان الذي عبس وتولى هو الرسول
عليه السلم واجمعوا على ان الاعمى هو ابن ام مكتوم وقرئ عبّس بالتشديد
للمبالغة ونحوه كلح في كلّح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على
اختلاف المذهبين في اعمال الاقرب او الابعد ومعناه عبس لان جاءه
الاعمى واعرض لذلك وقرئ ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما ووقف على
عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الان جاءه الاعمى والمراد منه الانكار
عليه واعلم ان في الاخبار عما فرط من رسول الله ثم الاقبال عليه
بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى
عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام
الحجة قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى
فيه قولان الاول اي شي يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يتطهر
بما يتلقن منك من الجهل او الاثم او يتعظ فتنفعه الذكرى ذكراك اي
موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات وبالجملة فلعل ذلك
العلم الذي يتلقفه عنك يطهره عن بعض ما لا ينبغي وهو الجهل او
المعصية او يشغله ببعض ما ينبغي وهو الطاعة الثاني ان الضمير في لعله
للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى الكافر بالاسلام او يذكر فتقربه
الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كاين وقرئ فتنفعه

بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى
وقد مر ثم قال اما من استغنى قال عطا يريد عن الايمان وقال الكلبي
استغنى عن الله وقال بعضهم استغنى اثرى وهو فاسد هاهنا لان اقبال
النبي عليه السلام لم يكن لثروتهم ومالهم حتى يقال له اما من اثرى فانت تقبل عليه
ولانه قال واما من جاءك يسعى وهو يخشى ولم يقل وهو فقير عديم ومن
قال اما من استغنى بماله فهو صحيح لان المعنى انه استغنى عن الايمان والقرآن
بما له من المال وقوله تعالى فانت له تصدى قال الزجاج اي انت تقبل
عليه وتتعرض له وتميل اليه يقال تصدى فلان لفلان يتصدى اذا تعرض
له والاصل فيه تصدد يتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك
وقد ذكرنا مثل هذا في قوله الا مكاء وتصدية وقرئ تصّدى بالتشديد
بادغام التاء في الصاد وقرا ابو جعفر تُصدّى بضم التاء اي تعرض
ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه
ثم قال وما عليك الا يزكى المعنى لا شيء عليك في ان لا يسلم من تدعوه الى
الاسلام فانه ليس عليك الا البلاغ اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم الى
ان تعرض عمن اسلم للاشتغال بدعوتهم قال واما من جاءك يسعى
اي يسرع في طلب الخير كقوله فاسعوا الى ذكر الله وهو يخشى فيه ثلاثة
اوجه يخشى الله ويخافه في ان لا يهتم باداء تكاليفه او يخشى الكفار
في اتيانك واذاهم او يخشى الكبوة فانه كان اعمى وما كان له قائد فانت
عنه تلهى اي تتشاغل من لهي عن الشيء والتهى وتلهى وقرا طلحة بن
مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر تُلهّى اي يلهيك شان الصناديد فان
قيل قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا
قلنا نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي
ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير ثم قال كلا وهو ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله قال الحسن لما تلا جبريل على النبي عليه السلام
هذه الآيات عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله

اي م
عنه



عليه فلما قال كلا سري عنه اي لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول
على ترك الاولى ثم قال انها تذكرة وفيه سؤالان السؤال الاول قوله انها
ضمير المؤنث وقوله فمن شاء ذكره ضمير المذكر والضميران عائدان الى شيء
واحد فكيف القول فيه الجواب فيه وجهان الاول ان قوله انها ضمير
المؤنث قال مقاتل يعني آيات القرآن وقال الكلبي يعني هذه السورة وهو
قول الاخفش والضمير في قوله فمن شاء ذكره عائد الى التذكرة ايضا لان التذكرة
في معنى الذكر والوعظ الثاني قال صاحب النظم انها تذكرة يعني به القرآن والقرآن
مذكر الا انه لما جعل القرآن تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره
لجاز كما قال في موضع آخر كلا انه تذكرة والدليل على ان قوله انها تذكرة
المراد به القرآن قوله فمن شاء ذكره السؤال الثاني كيف اتصال هذه
الآية بما قبلها الجواب من وجهين الاول كانه قيل هذا التاديب الذي
اوحيته اليك وعرفتك فيه اجلال الفقراء وعدم الالتفات الى اهل
الدنيا مثبت في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه اكابر الملائكة الثاني
كانه قيل هذا القرآن قد بلغ في العظمة الى هذا الحد العظيم فاي حاجة
به الى ان يقبله هؤلاء الكفار فسواء قبلوه او لم يقبلوه فلا تلتفت اليهم
ولا تشغل قلبك بهم واياك وان تعرض عمن امن به تطييبا لقلب ارباب الدنيا
قوله تعالى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة ۵ اعلم
انه تعالى وصف تلك التذكرة بامرين الاول قوله فمن شاء ذكره اي هي
تذكرة بينة ظاهرة بحيث لو ارادوا فهمها والاتعاظ بها والعمل بموجبها
لقدروا عليه والثاني قوله في صحف مكرمة اي تلك التذكرة مودعة
في هذه الصحف المكرمة والمراد من ذلك تعظيم حال القرآن والتنويه
بذكره والمعنى ان هذه التذكرة مثبتة في صحف وفي المراد من الصحف
قولان الاول انها صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة
في السماء السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة عن ايدي الشياطين او
المراد مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة ثم قال

صاحب
٢١

بايدي سفره كرام برره وفيه مسئلتان المسئله الاولى ان الله تعالى
وصف الملايكه بثلثه انواع من الصفات اولها انهم سفره وفيه قولان
الاول قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتاده هم الكتبه من الملايكه قال
الزجاج السفره الكتبه واحدها سافر مثل كتبه وكاتب وانما قيل للكتاب
سفر وللكاتب سافر لان معناه انه يبين الشي ويوضحه يقال سفرت
المراة اذا كشفت عن وجهها القول الثاني وهو اختيار الفرا ان السفره
هاهنا هم الملايكه الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله واحدها سافر
والعرب يقول سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملايكه اذا
نزلت بوحي الله وتاديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم وانشد
وما ادع السفاره بين قومي وما امشي بغش ان مشيت واعلم ان اصل السفاره
من الكشف والكاتب انما سمي سافر الانه يكشف والسفير انما سمي سفيرا
ايضا لانه يكشف وهولا الملايكه لما كانوا وسايط بين الله وبين البشر
في البيان والهدايه والعلم لاجرم سموا سفره الصفه الثانيه لهولا الملايكه
انهم كرام قال مقاتل كرام على ربهم وقال عطا يريد انهم يتكرمون ان
يكونوا مع ابن ادم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضا الحاجه
الصفه الثالثه لهم انهم برره قال مقاتل مطيعين وبرره جمع بار وقال
الفرا لا يقولون فعله للجمع الا والواحد منه فاعل مثل كافر وكفره وفاجر
وفجره القول الثاني في تفسير الصحف انها هي صحف الانبيا كقوله
ان هذا لفي الصحف الاولى يعني ان هذه التذكره مثبته في صحف الانبيا المتقدمين
والسفره الكرام البرره هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وقيل هم القرا
المسئله الثانيه قوله تعالى مطهره بايدي سفره يقتضي ان طهاره
تلك الصحف انما حصلت بايدي هولا السفره فقال القفال
رحمه الله في تقديره لما كان لا يمسها الا الملايكه المطهرون اضيف التطهير
اليها لطهاره من يمسها قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره فيه مسايل
المسئله الاولى اعلم انه تعالى لما ابتدا بذكر القصه المشتمله على ترفع



صناديد قريش على فقرا المسلمين عجب عباده المومنين من ذلك فكانه قيل
واي سبب في هذا العجب والترفع مع ان اوله نطفه قذره واخره جيفه
مذره وفيما بين الوقتين حمال عذره فلاجرم ذكر تعالى ما يصلح ان تكون
علاجا لعجبهم وما يصلح ان يكون علاجا لكفرهم فان خلقه الانسان
تصلح لان يستدل بها على وجود الصانع ولان يستدل بها على البعث
~~والنشور~~ والحشر المسئله الثانيه قال المفسرون نزلت الايه في عتبه بن
ابي لهب وقال اخرون المراد بالانسان الذين اقبل الرسول عليهم وترك
ابن ام مكتوم بسببهم وقال اخرون بل المراد ذم كل غني ترفع على فقير
بسبب الغنى والذي يدل على ذلك وجوه احدها انه تعالى انما ذمهم
لترفعهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العله وثانيها انه تعالى زيف
طريقتهم بسبب حقاره حال الانسان في الابتدا والانتها على ما قال
من نطفه خلقه ثم اماته فاقبره وعموم هذا الزاجر يقتضي عموم الحكم وثالثها
وهو ان حمل اللفظ على هذا الوجه اكثر فايده واللفظ محتمل له فوجب
حمله عليه المسئله الثالثه قوله تعالى قتل الانسان دعا عليه وهي من
اشنع دعواتهم لان القتل غايه شدايد الدنيا وما اكفره تعجب من
افراطه في كفران نعمه الله فقوله قتل الانسان تنبيه على انهم استحقوا اعظم
انواع العقاب وقوله ما اكفره تنبيه على انهم اتصفوا باعظم انواع
القبايح والمنكرات فان قيل الدعا على الانسان انما يليق بالعاجز
فالقادر على الكل كيف يليق ذلك به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل
لسبب الشي فالعالم بالكل كيف يليق به ذلك الجواب ان ذلك ورد
على اسلوب كلام العرب وتحقيقه ما ذكرنا انه تعالى بين انهم استحقوا
اعظم انواع العقاب لاجل انهم اتوا باعظم انواع القبايح واعلم
ان لكل محدث ثلث مراتب اوله ووسطه واخره وانه تعالى ذكر هذه
المراتب الثلثه للانسان اما المرتبه الاولى فهي قوله من اي شي خلقه وهو
استفهام وغرضه زياده التقرير في التحقير ثم اجاب عن ذلك الاستفهام

والنشر

والنفر

بقوله من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شي حقير مهين والغرض منه ان
من كان اصله مثل هذا الشي الحقير فالتكبر والتجبر لا يكون لايقا به ثم قال
فقدره وفيه وجوه احدها قال الفرا قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى
اخر خلقه وذكرا وانثى وشقيا وسعيدا وثانيها قال الزجاج المعنى قدره
على الاستوا كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك
رجلا وثالثها يحتمل ان يكون المراد وقدر كل عضو في الكمية والكيفية بالقدر
اللايق بمصلحته ونظيره وخلق كل شي فقدره تقديرا واما المرتبة الثانية
وهي المرتبة المتوسطة فهي قوله ثم السبيل يسره وفيه مسلتان المسلة الاولى
نصب السبيل باضمار يسره وفسره بيسره المسلة الثانية ذكروا في تفسيره
اقوالا احدها قال بعضهم المراد تسهيل خروجه من بطن امه قالوا
انه كان راس المولود في بطن امه من فوق ورجله من تحت فاذا جا
وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام الا الله وحمّابو لد
هذا التاويل ان خروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من اعجب العجايب
وثانيها قال ابو مسلم المراد من هذه الاية هو المراد من قوله وهديناه
النجدين فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا وبين كل
خير وشر يتعلق بالدين اي جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر
والتيسير يدخل فيه الاقدار والتعريف والعقل وبعثة الانبيا وانزال
الكتب وثالثها ان هذا مخصوص بامر الدين لان لفظ السبيل مشعر
بان المقصود من احوال الدنيا امور يحصل في الاخره واما
المرتبة الثالثة وهي المرتبة الاخيرة فهي قوله ثم اماته فاقبره ثم اذا
شا انشره واعلم ان هذه المرتبة الثالثة مشتملة ايضا على ثلث مراتب
الاماتة والاقبار والانشار اما الاماتة فقد ذكرنا منافعها في هذا
الكتاب ولا شك انها هي الواسطة بين حال التكليف والمجازاة واما
الاقبار فقال الفرا جعله الله مقبورا ولم يجعله ممن يلقى للطير
والسباع كان القبر مما اكرم به المسلم قال ولم يقل فقبره لان القابر



هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت اذا
امر غيره بان يجعله في القبر والعرب يقول بترت ذنب البعير والله
ابتره وعضبت قرن الثور والله اعضبه وطردت فلانا عني والله اطرده
صيره طريدا او قوله تعالى اذا شا انشره المراد منه الاحيا والبعث
وانما قال اذا شا اشعارا بان وقته غير معلوم فتقدمه وتاخيره
الى مشيه الله واما ساير الاحوال المذكوره قبل ذلك فانه يعلم اوقاتها
من بعض الوجوه اذ الموت وان لم يعلم الانسان وقته ففي الجملة يعلم انه
لا يتجاوز فيه الا حدا معلوما قوله تعالى كلا لما يقض ما امره واعلم ان
قوله كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه او عن كفره واصراره على انكار
التوحيد وعلى انكار البعث والحشر والنشر وفي قوله لما يقض ما امره
وجوه احدها قال مجاهد لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو
اشاره الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البته وهذا التفسير عندي فيه نظر
لان قوله لما يقض الضمير فيه عايد الى المذكور السابق وهو الانسان
في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان هاهنا جميع الناس
بل الانسان الكافر المترفع المتكبر لم يقض ما امر به من ترك التكبر والمعنى
ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من التامل في دلايل الله والتدبر
في عجايب خلقه وبينات حكمته وثالثها قال الاستاذ ابو بكر بن فورك
كلا لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان وترك التكبر بل امره
بما لم يقض له به واعلم ان عادة الله تعالى جارية في القران بانه كلما ذكر الدلايل
الموجوده في الانفس فانه يذكر عقيبها الدلايل الموجوده في الافاق فجرى
هاهنا على تلك العادة وذكر دلايل الافاق وبدا بما يحتاج الانسان
اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا
امره ولا شك انه موضع الاعتبار فان الطعام الذي يتناوله الانسان
له حالتان احداهما متقدمة وهي الامور التي لا بد منها في وجودها حتى
يدخل ذلك الطعام في الوجود والثانية متاخرة وهي الامور التي

انتهى

لابد منها في بدن الانسان حتى يحصل الانتفاع بذلك الطعام الماكول ولما
كان النوع الاول اظهر للحس وابعد عن الشبهه لا جرم اكتفى الله تعالى
بذكرها لان دلايل القران لابد وان تكون بحيث ينتفع بها كل الخلق فلا
بد وان تكون ابعد عن اللبس والشبهه واعلم ان النبت انما يحصل من
القطر النازل من السما الواقع في الارض فالسما كالذكر والارض كالانثى
وذكر في بيان نزول القطر قوله انا صببنا الما صبا وفيه مسئلتان المسئله
الاولى قوله انا صببنا المراد منه الغيث ثم انظر بعد انه كيف حدث الغيث
المشتمل على هذه المياه العظيمه وكيف بقي معلقا في جو السما مع غاية
ثقله وتامل في اسبابه القريبه والبعيده حتى يلوح لك شي من انوار نور
الله في عدله وحكمته وفي تدبير خلقة هذا العالم المسئله الثانيه قرى انا
بالكسر وهو على سبيل الاستيناف وانا بالفتح على البدل من الطعام والتقدير
فلينظر الانسان الى انا كيف صببنا الما قال ابو علي الفارسي من قرا بالكسر
كان ذلك تفسيرا للنظر الى طعامه كما ان قوله لهم مغفره تفسير للوعد
ومن فتح فعلى معنى البدل بدل الاشتمال لان هذه الاشيا تشتمل على كون
الطعام وحدوثه فهو كقوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه وقوله
قتل اصحاب الاخدود النار وقوله ثم شققنا الارض شقا والمراد شق
الارض بالنبات ثم ذكر تعالى ثمانيه انواع من النبات اولها الحب وهو كل ما
حصد من نحو الحنطه والشعير وغيرهما وانما قدم ذلك لانه كالاصل في
الاغذيه وثانيها العنب وانما ذكره بعد الحب لانه غذا من وجه وفاكهه
من وجه وثالثها القضب وفيه قولان الاول انها الرطبه وهي التي اذا
يبست سميت بالقت واهل مكه يسمونها القضب واصله من القطع وذلك
لانه يقضب مره بعد اخرى وكذلك القصيل لانه يقصل اي يقطع وهذا
قول ابن عباس والضحاك ومقاتل واختيار الفرا وابي عبيده والاصمعي
والثاني قال المبرد القضب هو العلف بعينه واصله من انه يقضب
اي يقطع وهو قول الحسن والرابع والخامس الزيتون والنخل

ومنافعهما قد تقدم في هذا الكتاب وسادسها قوله وحدايق غلبا
والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فالغلب الغلاظ الاعناق الواحد اغلب
يقال اسد اغلب ثم ها هنا قولان الاول ان يكون المراد وصف كل حديقه
بان اشجارها متكاثفه متقاربه وهذا قول مجاهد ومقاتل قال الغلب
الملتف الشجر بعضه في بعض يقال اغلولب العشب واغلولبت الارض
اذا التف عشبها والثاني ان يكون المراد وصف كل واحد من الاشجار
بالغلظ والعظم قال عطا عن ابن عباس يريد الشجر العظام وقال الفرا
الغلب ما غلظ من النخل وسابعها قوله وفاكهه وقد استدل بعضهم
بان الله تعالى لما ذكر الفاكهه معطوفه على العنب والزيتون والنخل
وجب ان لا يدخل هذه الاشيا في الفاكهه وهذا قريب من جهه
الظاهر لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه وثامنها الاب وهو المرعى
قال صاحب الكشاف لانه يوم وينتجع والاب والام اخوان قال
جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وقيل الاب الفاكهه اليابسه
لانها توب للشتا اي تعد ولما ذكر الله تعالى ما يغتذي به الناس
والحيوان قال متاعا لكم ولانعامكم قال الفرا خلقناه منفعه ومتعه
لكم ولانعامكم وقال الزجاج هو منصوب لانه مصدر موكد لقوله
فانبتنا لان انباته هذه الاشيا امتاع لجميع الحيوان واعلم انه تعالى
لما ذكر هذه الاشيا وكان المقصود منها امورا ثلثه اولها الدلايل
الداله على التوحيد وثانيها الدلايل الداله على القدره على المعاد وثالثها
ان هذا الاله الذي احسن الى عبيده بهذه الانواع العظيمه لا يليق
بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع هذه الجمله
بما يكون موكدا لهذه الاغراض وهو شرح اهوال القيامه فان
الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلايل
والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ذلك ايضا الى ترك التكبر
على الناس والى اظهار التواضع لكل احد فلا جرم ذكر القيامه فقال

فاذا جاءت الصاخة قال المفسرون يعني صيحة القيامة وهي النفخة
الاخيرة قال الزجاج اصل الصخ في اللغة الطعن والصك يقال صخ راسه
بحجر اي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير اي يطعن فمعنى
الصاخة الصاكة بشدة صوتها للاذن وذكر صاحب الكشاف
وجها اخر فقال يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة
مجازا لان الناس يصخون لها اي يستمعون ثم انه تعالى وصف هول
ذلك اليوم بقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وفيه مثلتان المثلة الاولى يحتمل ان يكون المراد من الفرار ما يشعر به
ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك الفرار الاحتراز عن
المطالبة بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان
قصرت في برنا والصاحبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت
والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه
هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ويحتمل
ان يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد بل المعنى انه يوم يفر المرء من
موالاة اخيه لاهتمامه بشانه وهو كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا واما الفرار من نصرته وهو كقوله يوم لا يغني مولى عن
مولى شيئا واما ترك السوال وهو كقوله ولا يسال حميم حميما المثلة
الثانية المراد ان الذين كان المرء في دار الدنيا يفر اليهم ويستجير بهم
فانه يفر منهم في دار الاخرة ذكروا في فايدة الترتيب كانه قيل يوم
يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخوين بل من الصاحبة
والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين ثم انه تعالى
لما ذكر هذا الفرار اتبعه بذكر سببه فقال لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه وفي قوله يغنيه وجهان الاول قال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه
ويصده عن قرابته وانشد سيغنيك حرب بني مالك عن الفحش
والجهل في المحفل اي سيشغلك ويقال اغن عني وجهك اي اصرفه



الثاني قال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي له بسبب خاص نفسه
قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شبيها بالغني في انه
حصل عنده من ذلك المملوك شي كبير واعلم انه تعالى لما ذكر حال يوم
القيامة في الهول بين ان المكلفين فيه على قسمين منهم السعداء ومنهم الاشقيا
فوصف السعداء بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام
الليل لما روي من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من
اثار الوضوء وقيل ومن طول ما اغبرت في سبيل الله وعندي انه بسبب
الخلاص من علايق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان
والرحمة ضاحكة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة فرحة
بما نال من كرامة الله ورضاه واعلم ان قوله مسفرة اشارة الى الخلاص
عن هذا العالم وتبعاته واما الضاحكة والمستبشرة فهما محمولتان
على القوة النظرية والعملية او على وجدان المنفعة ووجدان التعظيم
ووجوه يومئذ عليها غبرة قال المبرد الغبرة ما يصيب الانسان
من الغبار وقوله ترهقها اي يدركها عن قرب كقولك رهقت
الجبل اذا لحقته بسرعة والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان
ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى
وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله تعالى جمع في وجوههم بين
السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم واعلم ان المرجية
والخوارج تمسكوا بهذه الاية اما المرجية فقالوا هذه الاية دلت
على ان اهل القيامة قسمين اهل الثواب واهل العقاب ودلت
على ان اهل العقاب هم الكفرة وثبت بالدليل ان الفساق من اهل
الصلاة ليسوا بكفرة واذا لم يكونوا من الكفرة كانوا من اهل الثواب
وذلك يدل على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلاة ليس له عقاب
واما الخوارج فانهم قالوا دلت ساير الدلايل على ان صاحب الكبيرة

يعاقب ودلت هذه الآية على أن كل من يعاقب فإنه كافر فيلزم أن كل
مذنب فإنه كافر والجواب أكثر ما في الباب أن المذكور هاهنا هو
هذان الفريقان وذلك لا يقتضي نفي الفريق الثالث والله أعلم

سورة إذا الشمس كورت بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كورت اعلم أن الله تعالى ذكر اثني عشر شيئا وقال إذا وقعت
هذه الأشياء فهنالك علمت كل نفس ما أحضرت فالأول قوله تعالى
إذا الشمس كورت في التكوير وجهان أحدها التلفيف على جهة الاستدارة
كتكوير العمامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التشتت
بعد الألفة والطي واللف والتكوير واحد وسميت كارة القصار
كارة لأنه يجمع ثيابه في ثوب واحد ثم إن الشيء الذي يلف لا شك أنه
يصير مختفيا عن الأعين فعبر عن إزالة النور عن جرم الشمس
وتصييرها غائبة عن الأعين بالتكوير فلهذا قال بعضهم كورت أي
طمست وقال آخرون انكسفت وقال الحسن محي ضوؤها وقال المفضل
بن سلمة كورت أي ذهب ضوؤها كأنها استترت في كارة الوجه
الثاني في التكوير يقال كورت الحائط ودهورته إذا طرحته حتى يسقط
قال الأصمعي يقال طعنه فكوره إذا صرعه فقوله إذا الشمس كورت
أي ألقيت ورميت عن الفلك وفيه قول ثالث يروى عن عمر أنه لفظة
مأخوذة من الفارسية فإنه يقال للأعمى كور وهاهنا سؤالان السؤال
الأول ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية الجواب بل على
الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل
لما فيه من معنى الشرط السؤال الثاني روي أن الحسن جلس
بالبصرة إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن فحدث عن أبي هريرة أنه عليه السلام
قال إن الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة فقال
الحسن وما ذنبهما قال إني أحدثك عن رسول الله فسكت الحسن
والجواب أن سؤال الحسن ساقط لأن الشمس والقمر جمادان

والكور م

أي قطعتان في الحديث ولو ثورا انط اراد به القطعة منه



فإلقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد
الحر في جهنم فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل الثاني قوله وإذا
النجوم انكدرت أي تناثرت وتساقطت كما قال تعالى وإذا الكواكب
انتثرت والأصل في الانكدار الانصباب قال الخليل يقال انكدر عليهم
القوم إذا جاؤوا أرسالا فانصبوا عليهم قال الكلبي تمطر السماء يومئذ
نجوما فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على وجه الأرض قال عطاء وذلك
أنها في قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من النور وتلك السلاسل
في أيدي الملائكة فإذا مات من في السماء تساقطت تلك السلاسل
من أيدي الملائكة الثالث قوله تعالى وإذا الجبال سيرت أي عن وجه
الأرض كقوله وسيرت الجبال فكانت سرابا أو في الهواء كقوله تمر
مر السحاب الرابع قوله وإذا العشار عطلت فيه قولان القول
المشهور العشار جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى
على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس
ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت قال ابن عباس أهملها أهلها لما
جاءهم من أهوال يوم القيامة وليس شيء أحب إلى العرب من النوق الحوامل
وخوطب العرب بأمر العشار لأن أكثر مالها وعيشها من الإبل والغرض
من ذلك ذهاب الأموال وبطلان الأملاك واشتغال الناس بأنفسهم
كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
أول مرة والقول الثاني أن العشار كناية عن السحاب تعطلت عما فيها
من الماء وهذا وإن كان مجازا إلا أنه أشبه بسائر ما قبله وأيضا فالعرب
تشبه السحاب بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا الخامس قوله
تعالى وإذا الوحوش حشرت كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس
فهو وحش والجمع الوحوش حشرت جمعت من كل ناحية قال
قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقالت المعتزلة إن الله تعالى
يحشر الحيوانات كلها في ذلك اليوم ليعوضها على آلامها التي وصلت

سل

الهلاك في الدنيا بالموت والقتل وعند ذلك فاذا عوضت على تلك الآلام
فان شاء الله ان يبقي بعضها في الجنة اذا كان مستحسنا فعل وان شاء ان
يفنيه افناه على ما جاء به الخبر واما اصحابنا فعندهم انه لا يجب على الله شيء
بحكم الاستحقاق ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم
يقال لها موتي فتموت والغرض من ذكر هذه القصة هاهنا وجوه احدها
انه تعالى اذا كان يحشر كل الحيوانات اظهارا للعدل فكيف يجوز مع هذا
ان لا يحشر المكلفين من الانس والجن والثاني انها تجتمع في موقف القيامة مع
نسخة نفورها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحاري فدل هذا على ان اجتماعها
الى الناس ليس الا من هول ذلك اليوم والثالث ان هذه الحيوانات بعضها غذاء
للبعض ثم انها في ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك الا
لشدة هول ذلك اليوم وفي الآية قول آخر لابن عباس وهو ان حشر الو
حوش عبارة عن موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم
السنة وقرئ حشرت بالتشديد السادس قوله تعالى واذا البحار سجرت
قرئ بالتخفيف والتشديد وفيه وجوه احدها ان اصل الكلمة من سجرت
التنور اذا اوقدتها والشيء اذا اوقد نشف ما فيه من الرطوبة فحينئذ لا
يبقى في البحار شيء من المياه البتة ثم ان الجبال قد سيرت على ما قال وسيرت
الجبال وحينئذ تصير البحار والارض شيئا واحدا في غاية الحرارة والا
حراق ويحتمل ان تكون الارض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت
فاستوت برؤس الجبال ويحتمل ان الجبال لما اندكت وتفرقت اجزاؤها
وصارت كالتراب وقع ذلك التراب في اسفل الجبال فصار وجه الارض
مستويا مع البحار وتصير الكل بحرا مسجورا وثانيها ان تكون سجرت
بمعنى فجرت وذلك لان بين البحار حاجزا على ما قال مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض
وصارت البحار بحرا واحدا وهو قول الكلبي وثالثها سجرت اوقدت
قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها الاول ان تكون جهنم في قعور البحار



فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا فاذا انتهت مدة الدنيا اوصل الله تاثير
تلك النيران الى البحار فصارت بالكلية مسجورة والثاني ان الله تعالى يلقي
الشمس والقمر والكواكب في البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك والثالث
ان يخلق الله تحت البحار نيرانا عظيمة حتى تسخن تلك المياه واقول
هذه الوجوه متكلفة ولا حاجة الى شيء منها لان القادر على تخريب الدنيا
واقامة القيامة لا بد وان يكون قادرا على ان يفعل بالبحار ما شاء من
تسخين مياهها ومن قلب مياهها نيرانا من غير حاجة منه الى ان يلقي فيها
الشمس والقمر او يكون تحتها نار جهنم واعلم ان هذه العلامات الستة
يمكن وقوعها في اول زمان تخريب الدنيا ويمكن وقوعها ايضا بعد
اقامة القيامة وليس في اللفظ ما يدل على احد الاحتمالين اما الستة
الباقية فانها مختصة بالقيامة السابع قوله تعالى واذا النفوس زوجت
وفيه وجوه احدها قرنت الارواح بالاجساد وثانيها قال الحسن
يصيرون فيها ثلاثة ازواج كما قال وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما
اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون
وثالثها انه يضم الى كل صنف من كان في طبقته من الرجال والنساء فيضم
المبرز في الطاعات الى مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله
فالتزويج ان يقرن الشيء بمثله والمعنى ان يضم كل واحد الى طبقته في الخير
والشر ورابعها يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال
احشروا الذين ظلموا وازواجهم قيل قرناءهم من الشياطين وخامسها قال
ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين
بالشياطين وسادسها قرن كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي
والنصراني بالنصراني وقد ورد فيه خبر مرفوع وسابعها قال الزجاج
قرنت النفوس باعمالها واعلم انك اذا تاملت في الاقوال التي ذكرناها
امكنك ان تزيد عليها ما شئت الثامن قوله تعالى واذا الموءودة سئلت
باي ذنب قتلت فيه مسائل المسالة الاولى واد يئد مقلوب من آد يؤود

اذا اثقل قال تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا
ولدت له بنت فاراد ان يحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم
في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت قامتها ستة اشبار فيقول لامها
طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى اقاربها وقد حفر لها بيرا في الصحرا فيبلغ بها البير
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي
البير بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة
فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا امسكته وها هنا سوالان
السوال الاول ما الذي حملهم على واد البنات الجواب الخوف من لحوق
العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق وكانوا يقولون ان الملايكة بنات الله فالحقوا البنات بالملايكة وكان
صعصعة بن ناجية ممن منع الواد فافتخر الفرزدق به في قوله ومنا الذي
منع الوايدات فاحيى الوييد فلم توءد السوال الثاني ما معنى سوال الموءودة
من ذنبها الذي قتلت به وهلا سيل الوايد عن موجب قتله لها الجواب
سوالها وجوابها تبكيت لقاتلها وهو كتبكيت النصارى في قوله لعيسى
انت قلت للناس اتخذوني الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق المثل الثاني قرى سالت اي خاصمت عن نفسها وسالت الله
او قاتلها وقرى قتلت بالتشديد فان قيل اللفظ المطابق ان يقال سيلت
باي ذنب قتلت ومن قرا سالت فالمطابق ان يقرا باي ذنب قتلت
فما الوجه في القراة المشهورة قلنا الجواب من وجهين الاول تقدير الاية
واذا الموءودة سيلت الوايدين عن احوالها باي ذنب قتلت والثاني
ان الانسان قد يسال حاله عن نفسه بلفظ المغايبة كما اذا اردت ان
تسل زيدا عن حال من احواله فيقول ماذا فعل زيد في ذلك
المعنى ويكون زيد هو المسول وهو المسول عنه فكذا ها هنا التاسع
قوله واذا الصحف نشرت قرى بالتخفيف والتشديد يريد صحف
الاعمال يطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز



وقرى قشطت بالقاف [illegible]
كشطت [illegible]
والعطا عن الشي [illegible]
فينشط [illegible]

ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم العاشر قوله تعالى واذا السما
كشطت اي كشفت وازيلت عما فوقها وهو الجنة ويتعاقب القاف
والكاف كثيرا يقال لبكت الزبد ولبقته والكافور والقافور قال
الفرا نزعت فطويت الحادي عشر واذا الجحيم سعرت اوقدت
اتقادا شديدا وقرى سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب
الله وخطايا بني ادم واحتج بهذه الاية من قال النار غير مخلوقة الان
قالوا لانها تدل على ان تسعيرها معلق بيوم القيامة الثاني عشر
واذا الجنة ازلفت اي ادنيت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة
للمتقين ولما ذكر الله تعالى هذه الامور الاثني عشر ذكر الجزا المرتب على
الشرط الذي هو مجموع هذه الاشيا وقال علمت نفس ما احضرت ومن المعلوم
ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن ما احضرته في صحايفها او ما احضرته
عند المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال والمراد ما احضرت
من استحقاق الجنة او النار فان قيل كل نفس تعلم ما احضرت لقوله يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فما معنى قوله علمت نفس قلنا الجواب
من وجهين الاول ان هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط
وان كان اللفظ موضوعا للقليل ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا
كمن يسال فاضلا مسالة ظاهرة ويقول هل عندك شي فيقول ربما
حضرني وغرضه الاشارة الى ان عنده في تلك المسالة ما لا يقوم به
غيره فكذا ها هنا الثاني لعل الكفار كانوا يتعبون انفسهم في الاشيا
التي يعتقدونها طاعات ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد
من هذه الاية قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجواري الكنس الكلام
في قوله لا اقسم قد تقدم في قوله لا اقسم بيوم القيامة واما الخنس
الجواري الكنس ففيه قولان القول الاول وهو المشهور الظاهر
انها النجوم الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفا يقول
خنس من بين القوم وانخنس وفي الحديث الشيطان يوسوس الى العبد

فبهامه

فاذا ذكر الله خنس اي انقبض منه ولذلك سمي الخناس والكنس جمع كانس وكانسة
يقال كنس اذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست الظباء في كنسها وتكنست
المراة اذا دخلت هودجها تشبه بالظبي اذا دخل الكناس ثم اختلفوا
في خنوس النجوم وكنوسها على ثلثة اوجه فالقول الاظهر ان ذلك اشارة الي
رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس
وكنوسها ~~على ثلثة اوجه فالقول الاظهر ان ذلك اشارة الى رجوع الكواكب~~
اختفاها تحت ضو الشمس ولا شك ان هذه حالة عجيبة وفيها اسرار عظيمة
باهرة والقول الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه وعطا ومقاتل وقتادة
انها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها
عبارة عن ظهورها للبصر في الليل اي يظهر في اماكنها كالوحش في كنسها
والقول الثالث ان السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما
قال تعالى رب المشارق والمغارب ولا شك ان فيها مطلعا واحدا ومغربا
واحدا هما اقرب المطالع والمغارب الى سمت روسنا ثم انها تاخذ في
التباعد من ذلك المطلع الى ساير المطالع طول السنة ثم ترجع اليه فخنوسها
عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع وكنوسها عبارة عن عودها اليه
فهذا محتمل فعلى القول الاول يكون القسم واقعا بالخمسة المتحيرة
وعلى القول الثاني يكون القسم واقعا بجميع الكواكب وعلى هذا الاحتمال
الذي ذكرته يكون القسم واقعا بالسبعة السيارة والله اعلم بمراده ٥
والقول الثاني ان الخنس الجواري الكنس وهو قول ابن مسعود والنخعي
انها بقر الوحش وقال سعيد بن جبير هي الظبا وعلى هذا الخنس من
الخنس في الانف وهو تاخر في الانف فان البقرة والظبا انوفها على
هذه الصفة والكنس جمع كانس وهي التي تدخل الكناس والقول هو الاول
والدليل عليه امران الاول انه قال بعد ذلك والليل اذا عسعس
وهذا بالنجوم اليق منه ببقر الوحش الثاني ان محل قسم الله كلما كان
اعظم واعلى رتبة كان اولى ولا شك ان الكواكب اعلى رتبة من بقر الوحش



والثالث ان الخنس جمع خانس من الخنوس واما جمع خنسا واخنس
من الخنس خنس بالسكون والمصحف ولا يقال الخنس فيه بالتشديد
الا ان يجعل الخنس في الوحشية ايضا من الخنوس وهو اختفاها
في الكناس اذا غابت عن الاعين قوله تعالى والليل اذا عسعس ذكر
اهل اللغة ان عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا اقبل
وعسعس اذا ادبر وانشد في ورودها بمعنى ادبر قول العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وانشد ابو عبيدة
في معنى اقبل مدرعات الليل لما عسعسا ثم منهم من قال المراد هاهنا
اقبل الليل لان على هذا التقدير يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله
اذا عسعس وبادباره ايضا وهو قوله والصبح اذا تنفس ومنهم من قال
بل المراد ادبر وقوله والصبح اذا تنفس اي امتد ضوؤه وتكامل فقوله
والليل اذا عسعس اشارة الى اول طلوع الصبح وهو مثل قوله والليل
اذ ادبر والصبح اذا اسفر وقوله والصبح اذا تنفس اشارة الى تكامل طلوع
الصبح فلا يكون فيه تكرار واما قوله تعالى الصبح اذا تنفس اي اذا اسفر
كقوله والصبح اذا اسفر ثم في كيفية المجاز قولان احدهما انه اذا اقبل
الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس
الصبح والثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث
لا يتحرك واجتمع الحزن في قلبه فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما
طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو
استعارة لطيفة واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به اتبعه بذكر المقسم
عليه فقال انه لقول رسول كريم وفيه قولان القول الاول وهو
المشهور ان المراد ان القران نزل به جبريل فان قيل هاهنا اشكال
قوي وهو انه حلف انه قول جبريل فوجب علينا ان نصدقه
في ذلك فان لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من
الاحتمال واذا كان الامر كذلك ثبت ان هذا القران يحتمل ان يكون

كلام جبريل لا كلام الله وبتقدير ان يكون كلام جبريل يخرج عن كونه معجزا
لاحتمال ان جبريل القاه الى محمد على سبيل الاضلال ولا يمكن ان يجاب
عنه بان جبريل معصوم لا يفعل الاضلال لان العلم بعصمة جبريل مستفاد
من صدق النبي وصدق النبي متفرع على كون القران معجزا وكون القران
معجزا متفرع على عصمة جبريل فيلزم الدور وهو محال والجواب
الذين قالوا بان القران انما كان معجزا للصرفة انما ذهبوا الى ذلك المذهب
فرارا من هذا السوال لان الاعجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة بل
في سلب تلك العلوم والدواعي عن القلوب وذلك مما لا يقدر احد الا الله
والقول الثاني ان هذا الذي اخبركم به محمد من امر الساعة على ما ذكر
في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما قول جبريل اتاه
به وحيا من الله تعالى واعلم انه تعالى وصف جبريل هاهنا بصفات
ستة اولها انه رسول ولا شك انه رسول الله الى الانبيا فهو رسول
وجميع الانبيا امته وهو المراد من قوله ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك وثانيها انه كريم
ومن كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو المعرفة والهداية والارشاد وثالثها
قوله تعالى ذي قوة ثم منهم من حمله على الشدة روي انه عليه السلام قال
لجبريل ذكر الله قوتك فما ذا بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الاربع
على قوادم جناحي حتى اذا سمع اهل السما نباح الكلاب واصوات
الدجاج قلبتها وذكر مقاتل ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبيا قصد
ان يفتن النبي عليه السلام فدفعه جبريل عليه السلام دفعة رفيقة وقع بها من
مكة الى اقصى الهند ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله وترك الاخلال
بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف وعلى القوة في معرفة الله وفي
مطالعة جلال الله ورابعها قوله عند ذي العرش مكين وهذه العندية
ليست عندية المكان مثل قوله ومن عنده لا يستكبرون وليست عندية الجهة
بدليل قوله انا عند المنكسرة قلوبهم بل عندية الاكرام والتشريف والتعظيم

عليه ع



واما مكين فقال الكسائي يقال قد مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنا ومكانة
فعلى هذا المكين هو ذو الجاه الذي يعطى ما يسال وخامسها قوله مطاع ثم
امين اعلم ان قوله ثم اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش والمعنى
انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى
رايه وقرى ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وسادسها
قوله امين اي هو امين على وحي الله ورسالاته قد عصمه الله من الخيانة والزلل
ثم قال وما صاحبكم بمجنون واحتج بهذه الاية من فضل جبريل على محمد عليه السلام
انك اذا وازنت بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت العظيم
ولقد راه بالافق المبين يعني حيث تطلع الشمس في قول الجميع وهذا مفسر
في سورة النجم وما هو على الغيب بظنين والغيب هاهنا القران وما فيه من
الانبا والقصص والظنين المتهم يقال ظننت زيدا في معنى اتهمت وليس من الظن
الذي يتعدى الى مفعولين والمعنى ما محمد على القران بمتهم اي هو ثقة فيما يودي
عن الله ومن قرا بالضاد فهو من البخل يقال ضننت به اضن اي بخلت
والمعنى ليس ببخيل بما انزل الله قال الفرا ياتيه غيب السما وهو شي نفيس فلا يبخل
به عليكم وقال ابو علي الفارسي المعنى انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما
يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة
القراة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة
اولى من نفي البخل والاخر قوله على الغيب ولو كان المراد البخل لقال بالغيب
لانه يقال فلان ضنين بكذا وقل ما يقال على كذا ثم قال وما هو بقول شيطان رجيم
كان اهل مكة يقولون ان هذا القران يجي به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله
ذلك فان قيل القول بصحة النبوة موقوف على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن
نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قلنا بينا ان على القول بالصرفة لا يتوقف
صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال ~~بالدليل السمعي~~ فلا جرم يمكن نفي هذا الاحتمال
بالدليل السمعي ثم قال فاين تذهبون وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة

اي وما محمد على الغيب بظنين

اعتسافا ابن تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل
والمعنى اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم قال الفرا
العرب تقول الى اين تذهب واين تذهب وتقول ذهبت الشام وانطلقت
السوق واحتج اهل الاعتزال بهذه الاية ووجهه ظاهر ثم بين ان القران
ما هو فقال ان هو الا ذكر للعالمين اي هو بيان وهداية للخلق اجمعين
ثم قال لمن شا منكم ان يستقيم وهو بدل من العالمين والتقدير ان هو الا ذكر
لمن شا منكم ان يستقيم وفايدة هذا الابدال ان الذين شاوا الاستقامة
بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم والمعنى
ان القران انما ينتفع به من شا ان يستقيم ثم بين ان مشية الاستقامة موقوفة
على ان يشا الله ان يعطيه تلك المشية لان تلك المشية صفة محدثة فلا بد في
حدوثها من مشية اخرى فيظهر من مجموع هذه الايات ان فعل الاستقامة
موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان
يريد الله ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الشي الموقوف على الشي
موقوف على الشي فافعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفايها موقوفة
على مشية الله وهذا هو قول اصحابنا وقول بعض المعتزلة ان هذه
الاية مخصوصة بمشية القهر والالجا ضعيف لانا بينا ان المشية الاختيارية
شي حادث فلا بد له من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشا محدثها
ايجادها وحينيذ يعود الالزام والله اعلم

بلغ العرض

المجلد الاخير من كتاب مفاتيح الغيب
صنفه سيدنا ومولانا فخر الملة والدين
ناصر الحق حجة الاسلام محمد بن عمر
الرازي ختم الله تعالى له بالحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا
البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت اعلم ان



المراد انه اذا وقعت هذه الاشيا التي هي اشراط الساعة فهناك يحصل الحشر
والنشر وفي تفسير هذه الاية مقامات المقام الاول في تفسير كل واحد من هذه
الاشيا التي هي اشراط الساعة هاهنا وهي اربعة اشيا منها يتعلق بالعلويات
واشيا اخر ان يتعلق بالسفليات الاول قوله اذا السما انفطرت اي انشقت
وهو كقوله ويوم تشقق السما بالغمام اذا السما انشقت اذا انشقت السما
فكانت وردة وفتحت السما فكانت ابوابا والسما منفطر به قال الخليل ولم يات
هذا على الفعل بل هو كقولهم مرضع وحايض ولو كان على الفعل لكان منفطرة
كما قال اذا السما انفطرت اما الثاني وهو قوله واذا الكواكب انتثرت
فالمعنى ظاهر لان عند انتقاض تركيب السما لا بد من انتثار الكواكب على الارض
واعلم انا ذكرنا في بعض السور المتقدمة ان الفلاسفة ينكرون امكان الخرق
والالتيام على الافلاك ودليلنا على امكان ذلك ان الاجسام متماثلة في كونها
اجساما فوجب ان يصح على كل واحد منها ما يصح على الاخر انما قلنا انها متماثلة
لانه يصح تقسيمها الى السماوية والارضية ومورد التقسيم مشترك بين القسمين
فالعلويات والسفليات مشتركة في انها اجسام وانما قلنا انه متى كان كذلك
وجب ان يصح على العلويات ما يصح على السفليات لان المتماثلات حكمها
واحد فلما صح حكم على واحد منها وجب ان يصح على الباقي واما الاثنان السفليان
فاحدهما قوله واذا البحار فجرت وفيه وجوه احدها انه ينفذ بعض
البحار في البعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله برزخا وحينيذ يصير
الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها وثانيها
ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت ماوها
وثالثها قال الحسن فجرت اي يبست واعلم ان على الوجوه الثلثة فالمراد
تغير البحار عن صورتها الاصلية وصفتها وهو كما ذكر انه تغير الارض عن
صفتها في قوله يوم تبدل الارض غير الارض وتغير الجبال عن صفتها في
قوله فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا ورابعها قرا بعضهم
فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البنا للفاعل والتخفيف بمعنى

بعث لزوال البرزخ نظرا الى قوله لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان واما
الثاني فقوله واذا القبور بعثرت فاعلم ان بعثر وبحثر بمعنى واحد وهما
مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى اثيرت وقلب اسفلها
اعلاها وباطنها ظاهرها ثم ههنا وجهان احدهما ان القبور بعثرت بان يخرج
ما فيها من الموتى احياء كما قال تعالى واخرجت الارض اثقالها والثاني انها
بعثرت لاخراج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك لان من اشراط الساعة
ان تخرج الارض افلاذ كبدها من ذهبها وفضتها ثم يكون بعد ذلك الموتى
والاول اقرب لان دلالة القبور على الاول اتم المقام الثاني في فائدة هذا
الترتيب اعلم ان المراد من هذه بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف
والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدا اولا بتخريب
السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار
الكواكب وذلك هو قوله واذا الكواكب انتثرت ثم انه تعالى بعد تخريب السماء
والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض وهو قوله واذا البحار فجرت
ثم انه تعالى يخرب اخر الامر الارض التي هي البناء وذلك هو قوله واذا القبور
بعثرت فانه اشارة الى قلب الارض ظهرا لبطن وبطنا لظهر المقام الثالث
تفسير قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وفيه احتمالان الاول ان المراد
بهذه الامور ذكر يوم القيمة ثم فيه وجوه احدها وهو الاصح ان المقصود منه
الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة اي يعلم كل احد في هذا اليوم ما قدم
فلم يقصر فيه وما اخر فيه [illegible] قوله ما قدمت يقتضي فعلا وما اخرت
يقتضي تركا فهذا الكلام يفيد فعلا وتركا وتقصيرا او توفيرا فان كان قد
قدم الكبائر واخر العمل الصالح فماواه النار وان كان قد قدم العمل الصالح
واخر الكبائر فماواه الجنة وثانيها ما قدمت من عمل ادخله في الوجود
وما اخرت من سنة يستن بها من بعده من خير او شر وثالثها قال الضحاك
ما قدمت من الفرائض وما اخرت اي ما ضيعت ورابعها قال ابو مسلم
ما قدمت من الاعمال في اول عمرها وما اخرت في اخر عمرها فان قيل وفي اي

الآيات ثم

خروج

يقصر

موقف من مواقف القيامة يحصل هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالي فيحصل في
اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة
في اول الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة الاحتمال
الثاني ان يكون المراد قبل قيام القيامة بل عند ظهور اشراط الساعة وانقطاع
التكاليف وحين لا ينفع العمل بعد ذلك كما قال لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فيكون ما عمله الانسان الى تلك الغاية هو اول
اعماله واخرها لانه لا عمل له بعد ذلك وهذا القول ذكره القفال رحمه الله
قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك
في اي صورة ما شاء ركبك اعلم انه سبحانه لما اخبر في الاية الاولى وقوع الحشر
والنشر ذكر في هذه الاية ما يدل عقلا على امكانه او على وقوعه وذلك من
وجهين الاول ان الاله الكريم الذي لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد نعمه عن
المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم للمظلوم من الظالم الثاني ان القادر الذي
خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه خلقها
لا لحكمة او لحكمة فان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو غير جائز على
الحكيم وان خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان تكون عائدة الى الله او الى العبد
والاول باطل لانه سبحانه متعالي عن الاستكمال والانتفاع فتعين الثاني
وهو انه خلق الخلق لحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان تظهر في
الدنيا او في دار سوى الدنيا والاول باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان
لا دار الانتفاع والجزاء ولما بطل كل ذلك ثبت انه لا بد بعد هذه الدار
من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم يقدر على الخلق
والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه سبحانه يبعث الاموات
ويحشرهم وذلك يمنعهم من الاعتراف بعدم الحشر والنشر وهذا الاستدلال
هو الذي ذكره بعينه في سورة التين حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم الى ان قال فما يكذبك بعد بالدين وهذه المحاجة تصلح مع العرب
الذين كانوا مقرين بالصانع وينكرون الاعادة وتصلح ايضا مع من ينفي الابتداء

الذي

والاعادة معا لان الخلق المعدل يدل على الصانع وبواسطته يدل على القول
بصحة الحشر والنشر فان قيل بنا هذا الاستدلال على انه تعالى حليم ولذلك قال
في سورة التين بعد هذا الاستدلال اليس الله باحكم الحاكمين فكان يجب ان
يقول في هذه السورة ما غرك بربك الحليم الجواب ان الكريم يجب ان يكون
حليما لان ايصال النعمة الى الغير لو لم يكن مبنيا على داعية الحكمة لكان ذلك
تبذيرا لا كرما اما اذا كان مبنيا على داعية الحكمة فحينئذ يسمى كرما اذا ثبت
هذا فنقول كونه كريما يدل على وقوع الحشر من وجهين كما قررناه اما كونه
حكيما فانه يدل على وقوع الحشر من هذا الوجه الثاني فكان ذكر الكريم هاهنا
اولى من ذكر الحليم هذا هو تمام الكلام في كيفية النظم ولنرجع الى التفسير
اما قوله يا ايها الانسان ففيه قولان احدهما انه الكافر لقوله من بعد ذلك كلا
بل تكذبون بالدين وقال عطا عن ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة
وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابن الاشد بن كلدة بن اسيد وذلك انه
ضرب النبي عليه السلم فلم يعاقبه الله تعالى وانزل هذه الآية والقول الثاني
انه يتناول جميع العصاة وهو الاقرب لان خصوص السبب لا يقدح في عموم
اللفظ اما قوله ما غرك بربك الكريم فالمراد ما الذي خدعك وسول لك
الباطل حتى تركت الواجبات واتيت بالمحرمات والمعنى ما الذي امنك
من عقابه يقال غره بفلان اذا امنه المحذور من جهته مع انه غير مامون
وهو كقوله ولا يغرنكم بالله الغرور هذا اذا حملنا قوله يا ايها الانسان على
جميع العصاة اما اذا حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر
وجحد الرسل وانكار الحشر والنشر وهاهنا سؤالات السؤال الاول
ان كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه بدليل المعقول والمنقول
اما المعقول فهو ان الجود افادة ما ينبغي لا لعوض فلما كان الحق تعالى
جوادا مطلقا بل مستغنيا ومن كان كذلك استوى عنده طاعة
المطيعين وعصاة المذنبين وهذا يوجب الاغترار لانه من البعيد ان يقدم الغني



على ايلام الضعيف من غير فائدة اصلا واما المنقول فما روي عن علي عليه السلام انه
دعا غلاما مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك
وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء
ادب غلمانه ولما ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله هاهنا مانعا
من الاغترار به والجواب من وجوه احدها ان معنى الآية انك لما كنت
لانه
ترى حلم الله عن خلقه ظننت ان ذلك لا حساب ولا دار الا هذه الدار فما
الذي دعاك الى هذا الاغترار وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك كريم
فهو لكرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخيرا للجزاء الى ان يجمع
الناس في الدار التي جعلها لهم للجزاء فالحاصل ان ترك المعاجلة بالعقوبة
لاجل الكرم وذلك لا يقتضي الاغترار بانه لا دار بعد هذه الدار وثانيها ان
كرمه لما بلغ الى حيث لا يمنع من العاصي مواد لطفه فبان ينتقم للمظلوم من الظالم
كان اولى فاذن كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاغترار وترك الجراءة
والاغترار وثالثها ان كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحيا
من الاغترار والتواني ورابعها قال بعض الناس انما قال بربك الكريم ليكون
ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك ولولا كرمك لما
فعلت لانك رايت فسترت وقدرت فامهلت وهذا الجواب انما يصح
اذا كان المراد من قوله يا ايها الانسان ليس الكافر السؤال الثاني ما
الذي ذكره المفسرون في سبب هذا الاغترار قلنا وجوه احدها قال
قتادة سبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان وثانيها قال الحسن غره
حمقه وجهله وثالثها قال مقاتل غره عفو الله عنه حين لم يعاقبه في اول
امره وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك
بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة السؤال
الثالث ما معنى قراءة سعيد بن جبير ما اغرك قلنا هو اما على التعجب واما على
الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم
غارون واغره غيره جعله غارا اما قوله تعالى الذي خلقك فسواك

فعدلك فاعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلثة لتكون
كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فاولها الخلق وهو قوله الذي خلقك ولا شك
انه كرم وجود لان الوجود خير من العدم والحيوة خير من الموت وهو الذي
قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وثانيها قوله فسواك اي جعلك سويا
سالم الاعضا تسمع وتبصر نظيره قوله اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سواك رجلا قال ذو النون سواك اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك
مسخرا لشي منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة
وسرك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا وثالثها
قوله فعدلك وفيه بحثان البحث الاول قال مقاتل يريد عدل خلقك في
العينين والاذنين واليدين والرجلين فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا
احدى العينين اوسع وهو كقوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه وتقريره
ما عرف في علم التشريح انه سبحانه ركب جانبي هذه الجثة على التساوي
حتى لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في ثقبها ولا
في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها واستقصا
القول فيه لا يليق بهذا العلم وقال عطا عن ابن عباس جعلك معتدلا قائما
حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال ابو علي الفارسي عدل خلقك
فاخرجك في احسن تقويم وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعدا لقبول
العقل والقدرة والفكر وصرت بسبب ذلك مستوليا على جميع الحيوان
والنبات وواصلا بالكمال الذي لم يصل اليه شي من اجسام هذا العالم البحث
الثاني قرا الكوفيون فعدلك بالتخفيف وفيه وجوه احدها قال ابو علي
الفارسي ان يكون المعنى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني قال
الفرا فعدلك اي فصرفك الى اي صورة شا قال والتشديد احسن الوجهين
لانك تقول عدلتك الى كذا كما تقول صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك
فيه ولا صرفتك فيه ففي القراة الاولى جعل في من قوله في اي صورة للتركيب
وهو حسن وفي القراة الثانية جعل صلة لقوله فعدلك وهو ضعيف واعلم

ان اعتراض الفرا انما يتوجه على هذا الوجه الثاني فاما على الوجه الاول
الذي ذكره ابو علي الفارسي فغير متوجه والثالث نقل القفال عن بعضهم انهما
لغتان بمعنى واحد اما قوله في اي صورة ما شا ركبك ففيه مباحث البحث
الاول ما هل هي مزيدة ام لا فيه قولان الاول انها ليست مزيدة بل هي
بمعنى الشرط والجزا فيكون المعنى في اي صورة ما شا ان يركبك فيها ركبك
وبنا على هذا الوجه قال ابو صالح ومقاتل المعنى ان شا ركبك في غير صورة
الانسان من صورة كلب او صورة حمار او خنزير او قرد والقول الثاني انها
صلة مؤكدة والمعنى في اي صورة تقتضيها مشيته وحكمته من الصور
المختلفة فانه سبحانه يركبك عليها وعلى هذا القول تحتمل الاية وجوها الاول
ان المراد من الصور المختلفة شبه الاب او الام او اقارب الاب او اقارب
الام ويكون المعنى انه سبحانه يركبك على مثل صور هولا ويدل على صحة هذا
ما روي انه عليه السلام قال في هذه الاية اذا استقرت النطفة في الرحم
احضرها الله كل نسب بينها وبين ادم و الثاني وهو الذي ذكره الفرا
والزجاج ان المراد من الصور المختلفة الاختلاف بحسب الطول
والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة ودلالة هذه الحالة على الصانع
القادر في غاية الظهور لان النطفة جسم متشابه الاجزا وتاثير طبع
الابوين فيه على السوية فالفاعل المؤثر بالطبيعة في القابل المتشابه لا
يفعل الا فعلا واحدا فلما اختلفت الاثار والصفات دل ذلك الاختلاف
على ان المدبر هو القادر المختار قال القفال رحمه الله ان اختلاف الخلق
والالوان كاختلاف الاحوال في الغنى والفقر وطول العمر وقصره والصحة
والسقم فكما انا نقطع انه سبحانه انما ميز البعض عن البعض في الغنى
والفقر وطول العمر وقصره بحكمة بالغة لا يحيط بكنهها الا هو فكذلك
نعلم انه انما جعل البعض مخالفا للبعض في الخلق والالوان بحكمة بالغة
وذلك لان بسبب هذا الاختلاف يتميز المحسن عن المسي والقريب عن الاجنبي
ثم قال ونحن نشهد شهادة لا شك فيها انه سبحانه لم يفرق بين المناظر

وان كنا

والهيئات الا لما علم من صلاح عباده فيه وانهم جاهلين بعين الصلاح
القول الثالث قال الواسطي المراد صوره المطيعين والعصاه فليس
من ركبه على صوره الولايه كمن ركبه على صورة العداوه وقال اخرون انه
اشاره الى صفا الارواح وظلمتها وقال الجنيد منهم من صوره ليستخلصه
لنفسه ومنهم من صوره ليشغله بغيره مثال الاول انه خلق ادم ليخصه
بالطاف بره واعلا قدره واظهر روحه من بين جماله وجلاله وتوجه بتاج
الكرامه وزينه برد الجلال والهيبه قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين
اعلم انه سبحانه لما بين بالدلاله العقليه صحه القول بالبعث والنشور على
الجمله فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال المتعلقه بذلك وهي انواع
النوع الاول انه سبحانه زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله كلا وبل حرف
وضع في اللغه لنفي شي قد تقدم وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا في تفسير كلا
وجوها الاول قال القاضي معناه انكم لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم
وارشادي لكم بل تكذبون بيوم الدين الثاني كلا اي ارتدعوا عن الاغترار
بكرم الله ثم كانه قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك بل يكذبون بالدين اصلا
الثالث قال القفال كلا اي ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا
نشور لان ذلك يوجب ان الله خلق الخلق عبثا وسدي وحاشاه من
ذلك ثم كانه قال وانهم لا ينتفعون بهذا البيان بل يكذبون بالدين وفي قوله
يكذبون بالدين وجهان الاول ان يكون المراد من الدين الاسلام والمعنى
انكم تكذبون بالجزاء على الدين والاسلام والثاني ان يكون المراد من الدين
الحساب والمعنى انكم تكذبون بيوم الحساب النوع الثاني قوله تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين تعلمون ما تفعلون والمعنى التعجب من
حالهم سبحانه قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء وملائكة
الله موكلون بكم يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامه ونظيره
قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وقوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ثم هاهنا بحث

كانه



البحث الاول من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه احدها
ان هولاء الملائكه اما ان يكونوا مركبين من الاجسام اللطيفه كالهوا والنسيم
والنار او من الاجسام الغليظه فان كان الاول لزم ان يتفرق بنيتهم بادني
شي من هبوب الرياح الشديده وامرار اليد والكم والسوط في الهوا وان
كان الثاني وجب ان نراهم اذ لو جاز ان يكونوا حاضرين ولا نراهم لجاز
ان يكون بحضرتنا شموس واقمار وفيلات وبوقات وجبال لا نراها ولا
نسمعها وذلك دخول في التجاهل وكذا القول في انكار صحايفهم ودواتهم
وقلمهم وثانيها ان هذا الاستكتاب ان كان خاليا عن الفوايد فهو عبث
وذلك غير جايز على الله وان كان فيه فايده فتلك الفايده اما ان تكون
عايده الى الله او الى العبد والاول محال لانه متعالي عن النفع والضر وبهذا
يظهر بطلان قول من يقول انه تعالى انما استكتبها خوفا من النسيان
والغلط والثاني ايضا محال لان اقصى ما في الباب ان يقال فايده
هذا الاستكتاب ان يكونوا شهودا على الناس وحجه عليهم يوم القيمه الا
ان هذه الفايده ضعيفه لان الانسان الذي علم ان الله تعالى لا يجور ولا يظلم
لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجه والذي لا يعلم ذلك لا ينتفع بهذه
الحجه لاحتمال انه تعالى امرهم بان يكتبوا تلك الاشيا عليه ظلما وثالثها ان
افعال القلوب غير مرئيه ولا محسوسه فتكون هي من باب المغيبات والغيب
لا يعلمه الا الله على ما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو واذا لم تكن هذه
الافعال معلومه للملائكه استحال ان يكتبوها والايه تقتضي ان يكونوا كاتبين
علينا كل ما نفعله سوا كان من افعال القلوب ام لا والجواب
عن الاول ان هذه الشبهه لا تزول الا على مذهبنا بنا على اصلين احدهما
ان البنيه ليست شرطا للحيوه عندنا والثاني ان عند سلامه الحاسه وحضور
المرئي وحصول ساير الشرايط لا يجب الادراك فعلى الاصل الاول يجوز
ان يكون الملائكه اجراما لطيفه تتمزق وتتفرق ولكن يبقى حياتها مع ذلك
وعلى الاصل الثاني يجوز ان تكونوا اجساما كثيفه لكنا لا نراها والجواب

ذلك

عن الثاني ان الله تعالى انما اجرى اموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما
بينهم لان ذلك ابلغ في تقرير المعنى عندهم ولما كان الابلغ عندهم في المحاسبة
اخراج كتاب بشهود خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة فيخرج
لهم كتب منشورة ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم يشهد عدول السلطان
على من يعصيه ويخالف امره فيقولون له اعطاك الملك كذا وكذا وفعل بك
كذا وكذا ثم قد خالفته وفعلت كذا فكذا هاهنا والله اعلم بحقيقة ذلك
والجواب عن الثالث ان غاية ما في الباب تخصيص هذا العموم بافعال
الجوارح وذلك غير ممتنع البحث الثاني ان قوله تعالى وان عليكم وان
كان خطاب مشافهة الا ان الامة مجمعة على ان هذا الحكم عام في حق كل
المكلفين ثم هاهنا احتمالان احدهما ان يكون هناك جمع من الحافظين وذلك
الجمع يكونون حافظين لجميع بني ادم من غير ان يختص واحد من الملائكة
بواحد من بني ادم وثانيهما ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل
بالاخر ثم يحتمل ان يكون الموكل بكل واحد من بني ادم واحدا من الملائكة
لانه تقابل الجمع بالجمع وذلك يقتضي مقابلة الفرد بالفرد ويحتمل ان يكون
الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار
او كما قيل انهم خمسة البحث الثالث انه تعالى وصف هولاء الملائكة بصفات
اولها كونهم حافظين وثانيها كونهم كراما وثالثها كونهم كاتبين قوله يعلمون
ما تفعلون وفيه وجهان احدهما انهم يعلمون تلك الافعال حتى يمكنهم ان
يكتبوها وهذا تنبيه على ان الانسان لا يجوز له الشهادة الا بعد العلم والثاني
انهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند اداء الشهادة واعلم ان وصف الله
اياهم بهذه الصفات الحسنة يدل على انه تعالى اثنى عليهم وعظم شانهم
وفي تعظيمهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور ولولا
ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه هولاء العظماء الاكابر قال ابو عثمن
من لم يزجره من المعاصي مراقبة الله اياه كيف يرده عنها الكرام الكاتبين
النوع الثالث من تفاريع مسئلة الحشر قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم

كما

ورابعها
صوابه كونهم



وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله اعلم انه تعالى
لما بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار
لفي نعيم وهو نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم وهو النار وفيه مسئلتان المسئلة
الاولى ان القاطعين بوعيد اصحاب الكبائر تمسكوا بهذه الاية فقالوا صاحب
الكبيرة فاجر والفجار كلهم في الجحيم لان لفظ الجمع اذا دخل عليه الالف واللام
افاد الاستغراق والكلام في هذه المسئلة قد استقصيناها في سورة البقرة
وهاهنا نكت زائدة لا بد من ذكرها قالت الوعيدية حملت في هذه الاية وجوه
دالة على دوام الوعيد احدها قوله تعالى يصلونها يوم الدين ويوم الدين
يوم الجزاء ولا وقت الا ويدخل فيه كما تقول يوم الدنيا ويوم الاخرة الثاني
قال الجبائي لو خصصنا قوله وان الفجار لفي جحيم لكان بعض الفجار يصيرون
الى الجنة ولو صاروا اليها لكانوا من الابرار وهذا يقتضي ان لا يتميز الفجار
عن الابرار وذلك باطل لان الله تعالى ميز بين الامرين فاذن يجب ان لا يدخل
الفجار الجنة كما لا يدخل الابرار النار والثالث انه تعالى قال وما هم عنها
بغائبين وهو كقوله وما هم بخارجين منها واذا لم يكن هناك موت ولا غيبة
فليس بعدها الا الخلود في النار ابد الابدين ولما كان اسم الفاجر يتناول
الكافر والمسلم صاحب الكبيرة ثبت بقاء اصحاب الكبائر ابدا في النار وثبت
ان الشفاعة للمطيعين لا لاهل الكبائر والجواب عنه انا بينا ان دلالة
الفاظ العموم على الاستغراق دلالة ظنية ضعيفة والمسئلة قطعية والتمسك
بالدليل الظني في المطلوب القطعي غير جائز بل هاهنا ما يدل على قولنا لان
استعمال الجمع المعرف بالالف واللام في المعهود السابق شائع في
اللغة فيحتمل ان يكون اللفظ هاهنا عائدا الى الكافرين الذين تقدم ذكرهم
من المكذبين بيوم الدين والكلام في ذلك قد تقدم على سبيل الاستقصاء سلمنا
ان العموم يفيد القطع فلا نسلم ان صاحب الكبيرة فاجر والدليل عليه قوله
تعالى في حق الكفار اولئك هم الكفرة الفجرة فلا يخلوا اما ان يكون المراد

انجم

اولئك هم الكفره الذين يكونون من جنس الفجره او المراد اولئك هم الكفره وهم الفجره والاول باطل لان كل كافر فهو فاجر بالاجماع فتقييد الكافر بالكافر الذي يكون من جنس الفجره عبث واذا بطل هذا القسم بقي الثاني وذلك يفيد الحصر واذا دلت هذه الايه على الكفار هم الفجره لاغيرهم ثبت ان صاحب الكبيره ليس بفاجر على الاطلاق سلمنا ان الفجار يدخل تحته الكافر والمسلم لكن قوله وما هم عنها بغائبين معناه ان مجموع الفجار لا يكونون غائبين ونحن نقول بموجبه فان احد نوعي الفجار وهم الكفار لا يغيبون واذا كان كذلك ثبت ان صدق قولنا ان الفجار باسرهم لا يغيبون يكفي فيه ان لا يغيب الكفار فلا حاجه في صدقه الى ان لا يغيب المسلمون سلمنا ذلك لكن قوله وما هم عنها بغائبين يقتضي كونهم في الحال في الجحيم وذلك كذب فلا بد من صرفه عن الظاهر فهم يحملونه على انهم بعد الدخول في الجحيم يصدق عليهم قوله وما هم عنها بغائبين ونحن نحمل ذلك على انهم في الحال ليسوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم الا ان ثبوت الاستحقاق لا ينافي العفو سلمنا ذلك لكنه معارض بالدلائل الداله على العفو وعلى ثبوت الشفاعه لاهل الكبائر والترجيح لهذا الجانب لان دليلهم لا بد وان يتناول جميع الفجار في جميع الاوقات والا لم يحصل مقصودهم ودليلنا يكفي في صحته تناوله لبعض الفجار في بعض الاوقات فدليلهم لا بد وان يكون عاما ودليلنا لا بد وان يكون خاصا والخاص مقدم على العام والله اعلم المسئله الثانيه فيه تهديد عظيم للعصاه حكي ان سليمان بن عبد الملك مر بالمدينه وهو يريد مكه فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم على مولاه قال فبكى ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله قال في اي مكان قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال جعفر الصادق النعيم المعرفه والمشاهده والجحيم ظلمات الشهوات وقال بعضهم النعيم القناعه والجحيم الطمع وقيل النعيم



التوكل والجحيم الحرص وقيل النعيم الاشتغال بالله والجحيم الاشتغال بغير الله النوع الرابع من تفاريع اثبات الحشر تعظيم يوم القيامه وهو قوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وفيه مسائل المسئله الاولى اختلفوا في الخطاب في قوله وما ادراك فقال بعضهم هو خطاب للكافر على وجه الزجر له وقال الاكثرون انه خطاب للرسول وانما خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي المسئله الثانيه الجمهور على ان التكرير في قوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين لتعظيم ذلك اليوم وقال الجبائي بل هو لفائده مجدده اذ المراد بالاول اهل النار والمراد بالثاني اهل الجنه كانه قال وما ادراك ما يعامل به الفجار في يوم الدين ثم ما ادراك ما يعامل به الابرار وكرر يوم الدين تعظيما لما يفعله تعالى من الامرين بهذين الفريقين المسئله الثالثه في يوم لا تملك قراءتان الرفع والنصب اما الرفع ففيه وجهان احدهما على البدل من يوم الدين والثاني ان يكون باضمار هو فيكون المعنى هو يوم لا تملك واما النصب ففيه وجوه احدها باضمار يدانون لان الدين يدل عليه وثانيها باضمار اذكر وثالثها ما ذكره الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه يبنى على الفتح لاضافته الى قوله لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع او جر كما قال ٥ لم يمنع الشرب منهم غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال فبنى غير على الفتح لما اضاف الى قوله ان نطقت قال الواحدي والذي ذكره الزجاج من البناء على الفتح انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافه الى الفعل الماضي نحو قوله على حين عاتبت اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البناء عندهم ويجوز ذلك في قول الكوفيين وقد ذكرنا هذه المسئله عند قوله هذا يوم ينفع الصادقين ورابعها ما ذكره ابو علي وهو ان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على حالة الاكثر به والدليل عليه اجماع القراء والعرب في قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ولا يرفع ذلك احد ومما يقوي النصب قوله وما ادراك ما القارعه يوم يكون الناس وقوله يسئلون

ابان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا يملك مثل هذا المسئلة
الرابعة تمسكوا في نفي الشفاعة للعصاة بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
وهو كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا والجواب
عنه قد تقدم في سورة البقرة المسئلة الخامسة ان اهل الدنيا قد كانوا
يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في امور ويحمي بعضهم بعضا فاذا كان
يوم القيامة بطل ملك بني الدنيا وزالت رياساتهم فلا يحمي احد احدا ولا
يغني احد عن احد ولا يتغلب احد على ملك ونظيره قوله والملك والامر يومئذ
لله قوله ملك يوم الدين وهو وعيد عظيم من حيث انه عرفهم انه لا يغني
عنهم الا البر والطاعات يومئذ دون سائر ما كان قد يغني عنهم في الدنيا
من مال وولد واعوان وشفعا قال الواحدي والمعنى ان الله تعالى لم يملك
في ذلك اليوم احدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا قال الواسطي في قوله
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا انه اشارة الى فناء غير الله وهناك تذهب الرسالات
والكلمات والعادات فمن كان صفته في الدنيا كذلك كانت دنياه اخرته واما
قوله والامر يومئذ لله فهو اشارة الى ان البقاء والوجود لله والامر كذلك
في الازل وفي اليوم وفي الاخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت
عائد الى احوال الناظر لا الى احوال المنظور اليه فالكاملون لا تتفاوت
احوالهم بحسب تفاوت الاوقات كما قال لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا ولحارثة لما اخبر حضرة النبي عليه السلام يقول كاني انظر وكاني وكاني
والله اعلم

## سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون اعلم ان اتصال اول هذه السورة باخر السورة المتقدمة ظاهر
لانه تعالى بين في اخر تلك السورة ان يوم القيامة يوم من صفته انه لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر كله لله وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا
اتبعه بقوله ويل للمطففين والمراد الزجر عن التطفيف وهو
البخس في المكيال والميزان بالشي القليل على سبيل الخفية وذلك لان

الكثير يظهر فيمنع منه وذلك القليل ان ظهر ايضا منع منه فعلمنا ان التطفيف هو
البخس في المكيال والميزان بالشي القليل على سبيل الخفية وهاهنا مسائل المسئلة
الاولى الويل كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل لك وويل عليك المسئلة
الثانية في اشتقاق لفظ المطفف قولان الاول ان طف الشي هو جانبه
وحرفه يقال طف الوادي والاناء اذا بلغ الشي الذي فيه حرفه ولم يمتلئ
فهو طفافه وطفافه وطففه ويقال هذا طف المكيال وطفافه اذا قارب
ملأه لكنه بعد لم يمتلئ ولهذا قيل للذي يسئ الكيل ولا يوفيه مطفف يعني انه
انما يبلغ الطفاف والثاني وهو قول الزجاج انه انما قيل للذي ينقص
المكيال والميزان مطفف لانه لا يكون الذي يسرق في المكيال والميزان
الا الشي اليسير الطفيف وهاهنا سؤالان السؤال الاول وهو انه
الاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالوزن ثم ان اللغة المعتادة
ان يقال اكتلت من فلان ولا يقال اكتلت على فلان فما الوجه فيه هاهنا
الجواب من وجهين الاول لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا فيه اضرار بهم
وتحامل عليهم اقيم على مقام من للدلالة على ذلك الثاني قال الفرا المراد اكتالوا
من الناس وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك
فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فهو كقوله استوفيت
منك السؤال الثاني هو ان اللغة المعتادة ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم
ولا يقال كلته او وزنته فما وجه قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم والجواب
من وجوه الاول ان المراد من قولهم كالوهم او وزنوهم كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف
الجار واوصل الفعل قال الكسائي والفرا وهذا من كلام اهل الحجاز ومن
جاورهم يقولون زني كذا كلني كذا ويقولون صدتك وصدت لك ولسبتك وكسبت
لك فعلى هذا الكتابة في كالوهم ووزنوهم في موضع نصب الثاني ان يكون على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير واذا كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم
الثالث يروى عن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يجعلان الضميرين توكيدا لما في
كالوا ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا وزعم الفرا والزجاج انه

غير جايز لانه لو كان بمعنى كالوهم لكان في المصحف الف مثبتة قبل هم واعترض
صاحب الكشاف على هذا الوجه فقال ان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح
عليه في علم الخط والجواب ان اثبات هذه الالف لو لم يكن معتادا في زمان
الصحابة لمنع من اثباتها في سائر الاعصار لما انا نعلم مبالغتهم في ذلك فثبت ان
اثبات هذه الالف كان معتادا في زمان الصحابة فكان يجب اثباتها هاهنا
السوال الثالث ما السبب في انه قال اولا ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
ولم يقل اذا اتزنوا ثم قال واذا كالوهم او وزنوهم فجمع بينهما الجواب ان
الكيل والوزن بهما الشرا والبيع فاحدهما يدل على الاخر السوال الرابع
اللغة المعتادة ان يقال خسرته فما الوجه في اخسرته الجواب قال الزجاج
اخسرت الميزان وخسرته سوا اي نقصته وعن المورج يخسرون ينقصون بلغة
قريش المسلة الثالثة عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم نبي الله المدينة
كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى هذه الاية فاحسنوا الكيل بعد
ذلك وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملا
مسة والمخاطرة فنزلت هذه الاية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها
عليهم خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد
الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر
وما ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا
النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر المسلة
الرابعة الذم انما لحقهم بمجموع انهم ياخذون زايدا ويدفعون ناقصا ثم اختلف
العلما فقال بعضهم هذه الاية دالة على الوعيد فلا يتناول الا اذا بلغ التطفيف
حد الكثير وهو نصاب السرقة وقال اخرون بل ما يصغر هو الاصح ويكبر
دخل تحت الوعيد لكن بشرط ان لا يكون معه توبة ولا طاعة اعظم منها وهذا
هو الاصح المسلة الخامسة احتج اصحاب الوعيد بعموم هذه الاية
قالوا وهذه الاية واردة في اهل الصلاة لا في الكفار والذي يدل عليه
وجهان الاول انه لو كان كافرا لكان ذلك الكفر اولى باقتضا هذا الويل

ومال ح



من التطفيف الثاني انه تعالى قال للمخاطبين بهذه الاية الا يظن اولئك انهم
مبعوثون ليوم عظيم فكانه تعالى هدد المطففين بعذاب يوم القيامة والتهديد
بهذا لا يحصل الا مع المومن فثبت بهذين الوجهين ان هذا الوعيد مختص
باهل الصلاة والجواب عنه ما تقدم مرارا ومن لواحق هذه المسلة
ان هذا الوعيد يتناول من يفعل ذلك ومن يعزم عليه اذ العزم عليه ايضا من
الكبائر واعلم ان امر المكيال والميزان عظيم وذلك لان عامة الخلق يحتاجون
الى المعاملات وهي مبنية على امر المكيال والميزان فلهذا السبب عظم الله امره
فقال والسما رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان وقال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب
ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه
يوم القيمة وقال اعرابي لعبد الملك بن مروان قد سمعت ما قال الله في المطففين
اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل فما
ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن قوله تعالى
الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين
اعلم انه تعالى وبخ هولا المطففين فقال الا يظن اولئك الذين يطففون
انهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيامة وفي الظن هاهنا قولان الاول
ان المراد منه العلم وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب
من جملة المصدقين بالبعث ويحتمل ان لا يكونوا كذلك اما الاحتمال الاول
فهو ما روي ان المسلمين من اهل المدينة وهم الاوس والخزرج كانوا كذلك
وحين ورد النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك شايعا فيهم وكانوا مصدقين
بالبعث والنشور فلا جرم ذكروا به واما ان قلنا بان المخاطبين بهذه
الاية ما كانوا مومنين بالبعث الا انهم كانوا متمكنين من الاستدلال عليه
لما في العقول من ايصال الجزا الى المحسن والمسيء او امكان ذلك ان لم
تثبت وجوبه وهذا مما يجوز ان يخاطب به من ينكر البعث والمعاد الا يتفكرون

لك ح

حتى يعلموا انهم مبعوثون ولكنهم قد اعرضوا عن التفكر وازاحوا انفسهم
عن منازعته ومشاقته وانما يجعل العلم الاستدلالي ظنا لان الذي العلوم
الاستدلالية راجع الى الاغلب في الراي ولم يكن كالشك الذي يعتدل الوجهان
فيه لا جرم سمي ذلك ظنا القول الثاني المراد من الظن هاهنا هو الظن
نفسه لا العلم ويكون المعنى ان هولاء المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث
ولكن لا اقل من الظن فان الاليق بحكمة الله ورحمته ورعاية مصالح خلقه ان
لا يهمل امرهم بعد الموت بالكلية وان يكون لهم حشر ونشر وان هذا الظن كاف
في حصول الخوف كانه سبحانه وتعالى يقول هب ان هولاء لا يقطعون به افلا
يظنونه ايضا فاما قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيه مسايل
المسئلة الاولى قرئ يوم بالنصب والجر اما النصب فقال الزجاج يوم
منصوب بقوله مبعوثون المعنى الا يظنون انهم يبعثون يوم القيامة وقال
الفرا وقد يكون في موضع خفض الا انه اضيف الى يفعل فنصب وهذا كما ذكرنا
في قوله يوم لا تملك واما الجر فلكونه بدلا من يوم عظيم المسئلة الثانية هذا
القيام له صفات الصفة الاولى سببه وفيه وجوه احدها وهو الاصح
ان الناس يقومون لمحاسبة رب العالمين فيظهر هنالك هذا التطفيف الذي
يظن انه حقير فيعرف هناك كثرته واجتماعه ويقرب منه قوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه وثانيها ان الله سبحانه يرد الارواح الى اجسادها فيقوم تلك
الاجساد من مراقدها فذاك هو المراد من قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
وثالثها قال ابو مسلم معنى يقوم الناس هو كقوله وقوموا لله قانتين اي لعبادته
فقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لمحض امره وطاعته لا لشي اخر على ما قرره
في قوله والامر يومئذ لله الصفة الثانية كيفية ذلك القيام روى ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدكم في
رشحه الى انصاف اذنيه وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا حتى عجز عن قراءة ما بعده الصفة
الثالثة كمية ذلك القيام روي عنه عليه السلم انه قال يقوم الناس ثلثمائة سنة

من الدنيا لا يومر فيهم بامر وعن ابن مسعود يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون
قال ابن عباس وهو في حق المومنين كقدر انصرافهم من الصلوة واعلم
انه سبحانه جمع في هذه الاية انواعا من التهديد فقال اولا ويل للمطففين
وهذه الكلمة تذكر عند نزول البلاء ثم قال ثانيا الا يظن اولئك انهم
وهو استفهام بمعنى الانكار ثم قال ثالثا ليوم عظيم والشي الذي يستعظمه
الله فلا شك انه في غاية العظمة ثم قال رابعا يوم يقوم الناس لرب العالمين
وفيه نوعان من التهديد احدهما كونهم قايمين مع غاية الخشوع ونهاية
الذل والانكسار والثاني انه وصف نفسه بكونه ربا للعالمين ثم هاهنا
سوال وهو كانه قال قايل كيف يليق بك مع غاية عظمتك ان تهتم بهذا
المحفل العظيم الذي هو محفل القيامة لاجل الشي الحقير الطفيف
فكانه سبحانه يجيب فيقول عظمة الالهية لا تتم الا بالعظمة في القدرة
والعظمة في الحكمة فعظمة القدرة ظهرت بكوني ربا للعالمين لكن عظمة
الحكمة لا تظهر الا بان انتصف للمظلوم من الظالم بسبب ذلك القدر
الحقير الطفيف فان الشي كلما كان احقر واصغر كان العلم الواصل اليه
اعظم واتم فلاجل اظهار العظمة في الحكمة احضرت خلق الاولين
والاخرين في محفل القيامة وحاسبت المطفف لاجل ذلك القدر
الطفيف وقال الاستاذ ابو القسم القشيري رحمه الله لفظ المطفف
يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفاه وفي طلب
الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه
فليس بمنصف والمعاشرة والصحبة من هذه الجملة والذي يرى عيب الناس
ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس
ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه لنفسه فهو من هذه الجملة والفتى من
يقضي حقوق الناس ولا يطلب من احد لنفسه حقا قوله تعالى كلا
ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل
يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد

ذكر واحد

اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم
ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اعلم انه سبحانه لما بين عظم هذا الذنب
اتبعه بذكر لواحقه واحكامه فاولها قوله كلا والمفسرون فيه وجوها
الاول انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من التطفيف والغفلة
عن ذكر البعث والحساب فليرتدعوا وتمام الكلام هاهنا الثاني قال
ابو حاتم كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار لفي سجين
وهو قول الحسن النوع الثاني انه تعالى وصف كتاب الفجار بالخسة
والحقارة على سبيل الاستحقاق لهم وهاهنا سوالات السوال الاول
السجين اسم علم لشي معين او اسم مشتق عن معنى قلنا فيه قولان الاول وهو
قول جمهور المفسرين انه اسم علم لشي معين ثم اختلفوا فيه فالاكثرون على
انه الارض السابعة السفلى وهو قول ابن عباس في رواية عطا وقتادة
ومجاهد والضحاك وابن زيد وروى البرا انه عليه السلم قال سجين اسفل سبع
ارضين قال عطا الخراساني وفيها ابليس وذريته وروى ابو هريرة انه عليه
السلم قال سجين جب في جهنم وقال الكلبي ومجاهد سجين صخرة تحت الارض
السابعة القول الثاني انه مشتق وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو
الحبس والتضييق كما يقال فسيق من الفسق وهو قول ابي عبيدة والمبرد
والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف والدليل على ان سجين ليس
مما كانت العرب تعرفه لقوله وما ادريك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت
تعلمه انت ولا قومك واقول هذا ضعيف فلعله انما ذكر ذلك تعظيما لامر
سجين كما في قوله وما ادريك ما يوم الدين قال صاحب الكشاف والصحيح
ان السجين فعيل ماخوذ من السجن ثم انه هاهنا اسم علم منقول من
وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف
اذا عرفت هذا فنقول قد ذكرنا ان الله تعالى اجرى امور مع عباده
على ما نتعارفوه من التعامل فيما بينهم وبين عظمائهم فالجنة موصوفة بالعلو



والصفا والفسحة وحضور الملايكة المقربين والسجين موصوف بالتسفل والظلمة
والضيق وحضور الشياطين الملعونين ولا شك ان العلو والصفا والفسحة
وحضور الملايكة المقربين كل ذلك من صفات الكمال والعزة واضدادها من
صفات النقص والذلة فلما اريد وصف الكفرة وكتابهم بالذلة والحقارة
قيل انه في موضع التسفل والظلمة والضيق وحضور الشياطين ولما وصف كتاب
الابرار بالعزة قيل انه في عليين وتشهده الملايكة المقربون السوال الثاني
قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه في سجين ثم فسر سجينا بكتاب مرقوم
فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه اجاب القفال رحمه الله عنه
فقال قوله كتاب مرقوم ليس بتفسير السجين بل التقدير كلا ان كتاب الفجار
لفي سجين وان كتاب الفجار كتاب مرقوم فيكون هذا وصفا لكتاب الفجار
بوصفين احدهما انه في سجين والثاني انه مرقوم ووقع قوله وما ادريك ما
سجين فيما بين الوصفين معترضا والله اعلم والاولى ان يقال واي استبعاد في
كون احد الكتابين في الاخر اما بان يوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو
الاصل المرجوع اليه في تفصيل احوال الاشقيا او بان ينقل ما في كتاب
الفجار الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد
من الكتاب الكتابة فيكون المعنى كتابة الفجار لفي سجين اي كتابة اعمالهم في سجين
ثم وصف السجين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الفجار السوال الثالث
ما معنى قوله كتاب مرقوم قلنا فيه وجوه احدها مرقوم اي مكتوبة اعمالهم
فيه وثانيها قال قتادة رقم لهم بشر اي كتب لهم بايجاب النار وثالثها قال
القفال يحتمل ان يكون المراد انه جعل ذلك الكتاب مرقوما كما يرقم التاجر
ثوبه علامة لقيمته فكذلك كتاب الفاجر جعل مرقوما برقم دال على شقاوته
ورابعها المرقوم هاهنا المختوم قال الواحدي وهو صحيح لان الختم علامة
فيجوز ان يسمى المرقوم مختوما وخامسها ان المعنى كتاب مثبت عليهم كالرقم في
الثوب لا يمحى اما قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ففيه وجهان احدهما
انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين اي يوم يقوم الناس لرب

العالمين لمن كذب باخبار الله والثاني ان قوله مرقوم معناه مرقوم برقم يدل
على الشقاوة يوم القيامة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين في ذلك اليوم من ذلك
الكتاب ثم انه تعالى اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال وما يكذب
به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ومعناه انه
لا يكذب بيوم الدين الا من كان موصوفا بهذه الصفات الثلث فاولها كونه
معتديا والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وثانيها الاثيم وهو مبالغة
في ارتكاب الاثم والمعاصي واقول الانسان له قوتان قوة نظرية وكمالها
في ان يعرف الحق لذاته وقوة عملية وكمالها في ان يعرف الخير لاجل العمل
به وضد الاول ان يصف الله تعالى بما لا يجوز وصفه به فان كل من منع من
امكان البعث والقيامة انما منع اما لانه لم يعلم تعلق علم الله تعالى بجميع المعلو
مات من الكليات والجزويات او لانه لم يعلم تعلق قدرة الله بجميع الممكنات
فهذا هو الاعتداء وضد القوة العملية هو الاشتغال بالشهوة والغضب
وصاحبه هو الاثيم وذلك لان المشتغل بالشهوة والغضب لم يتفرغ
للعبادة والطاعة وربما صار ذلك مانعا له عن الايمان بالقيامة واما
الصفة الثالثة للمكذب بيوم الدين فهو قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين والمراد منه الذين ينكرون النبوة والمعنى اذا تلي عليه القران قال
اساطير الاولين وفيه وجهان احدهما اكاذيب الاولين والثاني اخبار
الاولين وانه عنهم اخذ اي يقدح في كون القران من عند الله بهذا الطريق
وهاهنا بحث اخر وهو ان هذه الصفات الثلث هل المراد منها شخص
معين ام لا فيه قولان الاول وهو قول الكلبي ان المراد منه الوليد بن
المغيرة وقال اخرون انه النضر بن الحارث والاصح من قال انه الوليد
لانه تعالى قال في سورة ن ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله معتد اثيم
الى قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين فقيل انه الوليد بن
المغيرة وعلى هذا التقدير يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين من قريش
او من قومك الا كل معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين والقول الثاني



انه عام في حق جميع الموصوفين بهذه الصفات اما قوله تعالى كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالمعنى ليس الامر كما يقوله من ان ذلك اساطير الاولين
بل افعالهم الماضية صارت سببا لحصول الرين في قلوبهم ولاهل اللغة في تفسير
لفظة الرين وجوه ولاهل التفسير وجوه اخرى اما اهل اللغة فقال
ابو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران والموت
يرين على الميت فيذهب به قال الليث ران النعاس والخمر في الراس اذا رسخ
فيه وهو يرين رينا وريونا ومن هذا حديث عمر في اسيفع جهينة لما ركبه
الدين اصبح قد رين به قال ابو زيد يقال رين بالرجل يران به رينا اذا وقع
فيما لا يستطيع الخروج منه قال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب
من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال
اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال الزجاج ران على قلوبهم
بمعنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا اي غشيه
والرين كالصدأ يغشى القلب ومثله الغين اما اهل التفسير فلهم وجوه
قال الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب
وتغشاه فيموت القلب وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما
ضخمة وعن مجاهد القلب كالكف فاذا اذنب الذنب انقبض واذا اذنب
ذنبا اخر انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين وقال اخرون كلما اذنب الانسان
حصلت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله وروي هذا مرفوعا
في حديث ابي هريرة قلت لا شك ان تكرر الافعال سبب لحصول ملكة
نفسانية فان من اراد تعلم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر كان اقتداره
على عمل الكتابة اتم الى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية ولا
فكر فهذه الهيئة النفسانية لما تولدت من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل
واحد من تلك الاعمال اثر في حصول تلك الهيئة النفسانية اذا عرفت
هذا فنقول الانسان اذا واظب على الاتيان ببعض انواع الذنوب

حصلت في قلبه ملكه نفسانيه على الاتيان بذلك الذنب ولا معنى للذنب
الا كل ما يشغلك بغير الله وكل ما يشغلك بغير الله فهو ظلمه فاذا الذنوب
كلها ظلمات وسواد ولكل واحد من الاعمال السالفه التي اورثت مجموعها
حصول تلك الملكه اثر في حصولها فذاك هو المراد من قولهم كلما اذنب
الانسان حصلت في قلبه نكته سودا حتى يسود القلب ولما كانت مراتب
الملكات في الشده والضعف مختلفه لا جرم كانت مراتب هذا السواد
والظلمه مختلفه فبعضها يكون رينا وبعضها طبع وبعضها اقفال قال القاضي
ليس المراد من الرين ان قلبهم قد تغير وحصل فيه منع بل المراد انهم صاروا
لايقاع الذنب حالا بعد حال متجوبين عليه وقويت دواعيهم الى ترك التوبه
وترك الاقلاع فاستمروا وصعب الامر عليهم ولذلك بين ان عله الرين كسبهم
ومعلوم ان اكثارهم من اكتساب الذنوب لا يمنع من الاقلاع والتوبه واقول
قد بينا ان صدور الفعل حال استوا الداعي الى الفعل والداعي الى الترك
محال لامتناع ترجيح الممكن من غير مرجح فبان يكون ممتنعا حال المرجوحيه
كان اولى ولما سلم القاضي انهم صاروا بسبب ايقاع الذنب حالا بعد حال بحيث
قويت دواعيهم الى ترك التوبه فقد صار في هذا الجانب بسبب الافعال السالفه
راجحا فوجب ان يكون الاقلاع في هذه الحاله ممتنعا وتمام الكلام قد تقدم
مرارا في هذا الكتاب اما قوله قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاعلم
انهم ذكروا في كلا وجوها احدها قال صاحب الكشاف ردع عن الكسب
الراين على قلوبهم وثانيها قال القفال رحمه الله ان الله تعالى حكى في ساير السور
عن هذا المعتدي الاثيم انه كان يقول ان كانت الاخره حقا فان الله تعالى
يعطيه مالا وولدا ثم انه تعالى كذبه في هذه المقاله فقال اطلع الغيب ام اتخذ عند
الرحمن عهدا وقال وما اظن الساعه قايمه ولين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى ولما كان هذا مما قد تردد ذكره في القران ترك الله ذكره هاهنا وقال
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر كما يقولون من ان لهم في الاخره
حسنى بل هم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وثالثها ان يكون ذلك تكريرا ويكون كلا هذه

تعالي

هي المذكوره في قوله كلا بل ران اما قوله انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فقد احتج الاصحاب به على ان المومنين يرونه سبحانه قالوا ولولا ذلك لم يكن
للتخصيص فايده وفيه تقرير اخر وهو انه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض
الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله
في حق المومن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المومن اجابت المعتزله
عن هذا من وجوه احدها قال الجبائي المراد انهم عن رحمه ربهم
محجوبون اي ممنوعون كما يقال في الفرايض الاخوه يحجبون الام عن الثلث
ومن ذلك يقال لمن يمنع عن الدخول هو حاجب لانه يمنع من رويته وثانيها
قال ابو مسلم لمحجوبون اي غير مقربين والحجاب الرد وهو ضد القبول
فالمعنى هولا المنكرون للبعث غير مقبولين عند الله وهو المراد من قوله تعالى
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وثالثها قال القاضي الحجاب ليس
عباره عن عدم الرويه فانه قد يقال حجب فلان عن الامير وان كان قد
راه من البعد واذا لم يكن الحجاب عباره عن عدم الرويه سقط الاستدلال
بل يجب ان يحمل على صيرورته ممنوعا عن وجدان رحمته تعالى ورابعها
قال صاحب الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه
لا يوذن على الملوك الا للمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون
عندهم والجواب لا شك ان من منع من رويه شي يقال انه حجب عنه وايضا
من منع من الدخول على الامير يقال انه حجب عنه وايضا يقال للام حجبت
عن الثلث بسبب الاخوه واذا وجدنا هذه الاستعمالات وجب جعل
اللفظ حقيقه في مفهوم مشترك بين هذه المواضع دفعا للاشتراك
في اللفظ وذلك هو المنع ففي الصوره الاولى حصل المنع من الرويه وفي
الثانيه حصل المنع من الوصول الى قربه وفي الثالثه حصل المنع من
استحقاق اخذ الثلث فيصير تقدير الايه كلا انهم عن ربهم يومئذ لممنوعون
والمنع انما يتحقق بالنسبه الى ما يثبت للعبد بالنسبه الى الله وهو اما
العلم واما الرويه ولا يمكن حمله على العلم لانه ثابت بالاتفاق للكفار فوجب

من ج

حمله على الرويه اما صرفه الى الرحمه فهو عدول عن الظاهر من غير دليل
ولذا ما قاله صاحب الكشاف ترك للظاهر من غير دليل ع الذي يؤكد ما
ذكرناه من الدليل اقوال المفسرين قال مقاتل معنى الايه انهم بعد العرض
والحساب لا يرون ربهم والمومنون يرون ربهم وقال الكلبي يقول انهم عن
النظر الى رويه ربهم لمحجوبون والمومن لا يحجب عن رويه ربه وسيل مالك بن انس
عن هذه الايه فقال لما حجب اعدا اه فلم يروه لا بدوان يتجلى لاوليايه
حتى يروه وعن الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا
اما قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم فالمعنى انهم لما صاروا محجوبين في
عرصه القيامه اما عن رويه الله على قولنا او عن رحمه الله وكرامته على قول
المعتزله فعند ذلك يومر بهم الى النار ثم اذا دخلوا النار وبخوا بتكذيبهم
بالبعث والجزا فقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا والان قد عاينتموه
فذوقوه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون
كتاب مرقوم يشهده المقربون اعلم انه تعالى لما ذكر حال الفجار المطففين
اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون فقال كلا اي ليس الامر كما
توهمه اوليك الفجار من انكار البعث ومن ان كتاب الله اساطير الاولين
واعلم ان لاهل اللغه في لفظه عليين اقوالا ولاهل التفسير ايضا اقوالا
اما اهل اللغه قال ابو الفتح الموصلي عليين جمع علي وهو فعيل من العلو
وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع
كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين واما المفسرون فروي عن ابن
عباس انها السما الرابعه وفي روايه اخرى انها السما السابعه وقال قتاده
ومقاتل هي قايمه العرش اليمنى فوق السما السابعه وقال الضحاك
هي سدره المنتهى وقال الفرا يعني ارتفاعا بعد ارتفاع لا غايه له وقال الزجاج
اعلى الامكنه وقال اخرون هي مراتب عاليه محفوفه بالجلاله قد عظمها
الله واعلى شانها وقال اخرون عند كتاب اعمال الملايكه وظاهر القران
يشهد بهذا القول الاخير لانه تعالى قال لرسوله وما ادريك ما عليون

بعد ارتفاع



تشهاله على انه معلوم له وانه سيعرفه ثم قال كتاب مرقوم يشهده المقربون فيتبين
ان كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملايكه فكانه تعالى
كما وكلهم باللوح المحفوظ فكذلك يوكلهم بحفظ كتب الابرار في جمله ذلك الكتاب
الذي هو ام الكتاب على وجه الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظه اذا صعدت
بكتب الابرار فانهم يسلمونها الى هولا المقربين فيحفظونه كما يحفظون كتب
انفسهم او ينقلون ما في تلك الصحايف الى ذلك الكتاب الذي وكلوا بحفظه
ويصير علمهم شهاده لهولا الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا لان هولا
المقربين يشهدون لهم بما حفظوه من اعمالهم واذا كان هذا الكتاب في السما صح
قول من ياول ذلك على انه في السما العاليه فتقارب الاقوال في ذلك وان كان
الذي ذكرناه اولى واعلم ان المعتمد في تفسير هذه الايه ما ان العلو
والفسحه والضيا والطهاره من علامات السعاده والسفل والضيق والظلمه
من علامات الشقاوه فلما كان المقصود من وضع كتاب الفجار في
اسفل السافلين وفي اضيق المواضع اذلال الفجار وتحقير شانهم كذا
المقصود من وضع كتاب الابرار في اعلى عليين وشهاده الملايكه لهم بذلك
وفي الايه وجه اخر وهو ان المراد من الكتاب الكتابه فيكون المعنى
ان كتابه اعمال الابرار في عليين ثم وصف عليين بانه كتاب مرقوم فيه
جميع اعمال الابرار وهو قول ابي مسلم اجلالا لهم وتعظيم شانهم اما قوله
تعالى كتاب مرقوم ففسرناه وبان احدهما ان المراد بالكتاب المرقوم كتاب
اعمالهم والثاني انه كتاب موضوع في عليين كتب فيه ما اعد الله لهم من
الكرامه والثواب واختلفوا في ذلك الكتاب فقال مقاتل ان تلك الاشيا
مكتوبه لهم في ساق العرش وعن ابن عباس انه مكتوب في لوح من زبرجد
معلق تحت العرش وقال اخرون هو كتاب مرقوم بما يوجب سرورهم
وذلك بالضد من رقم كتاب الفجار بما يسوهم ويدل على هذا المعنى قوله
يشهده المقربون يعني الملايكه الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك
المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به

في عليين المقربون من الملائكة كرامة للمؤمن قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق
مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم
عينا يشرب بها المقربون اعلم انه سبحانه لما عظم كتابهم في الاية المتقدمة
عظم بهذه الاية منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك النعيم
بامور ثلثة اولها قوله على الارائك ينظرون قال القفال الارائك الاسرة
في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا الا اذا كانت كذلك وعن الحسن كنا لا ندري
ما الاريكة حتى لقينا رجلا من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك اما
قوله ينظرون ففيه ثلثة اوجه احدها ينظرون الى انواع نعمهم في الجنة
من الحور العين والولدان وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب
وغيرها قال عليه السلم يلحظ المؤمن فيحيط بكل ما اتاه الله وان ادناهم
يتراءا له مثل سعة الدنيا والثاني قال مقاتل ينظرون الى عدوهم حين
يعذبون والثالث اذا اشتهوا شيئا نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشي في الحال
واعلم ان هذه الاوجه الثلثة من باب انواع جنس واحد وهو المنظور
اليه فوجب حمل اللفظ على الكل ويخطر ببالي تفسير رابع هو اشرف من الكل
وهو انهم ينظرون الى ربهم ويتاكد هذا التاويل بانه قال بعد هذه الاية
تعرف في وجوههم نضرة النعيم والنظر المقرون بالنضرة هو رؤية الله تعالى
على ما قال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومما يؤكد هذا التاويل انه
يجب الابتداء بذكر اعظم اللذات وما هو الا رؤية الله تعالى وثانيها قوله
تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
المعنى اذا رايتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما ترى في وجوههم
من القرائن الدالة على ذلك ثم في تلك القرائن قولان احدهما انها ما يشاهد
في وجوههم من الضحك والاستبشار على ما قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة والثاني قال عطاء ان الله تعالى يزيد في وجوههم
من النور والحسن والبياض ما لا يصفه واصف وتفسير النضرة قد



سبق عند قوله ناضرة المسئلة الثانية قرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة
النعيم بالرفع وثالثها قوله يسقون من رحيق وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
في بيان ان الرحيق ما هو قال الليث الرحيق الخمر وانشد لحسان ه
بردى يصفق بالرحيق السلسل وقال ابو عبيدة والزجاج الرحيق من
الخمر ما لا غش فيه ولا شي يفسده ولعله هو الخمر الذي وصفه الله تعالى بقوله
لا فيها غول المسئلة الثانية ذكر الله تعالى لهذا الرحيق صفات الصفة
الاولى قوله مختوم وفيه وجوه الاول قال القفال يحتمل ان هؤلاء
يسقون من شراب مختوم قد ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت
العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر اخر يجري منها انهار كما قال
وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري الثاني
قال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي له ختام اي عاقبة
الثالث روي عن عبد الله في مختوم انه ممزوج قال الواحدي وليس
بتفسير لان الختم لا يكون تفسيره المزج ولكن لما كانت له عاقبة هي ريح
المسك فسره بالممزوج لانه لو لم يمتزج بالمسك لما حصل فيه ريح المسك
الرابع قال مجاهد مختوم مطين قال الواحدي كان مراده من
الختم بالطين هو ان لا تمسه يد الى ان يفك ختمه للابرار والاقرب
من جميع هذه الوجوه الوجه الاول الذي ذكره القفال رحمه الله الصفة
الثانية لهذا الرحيق قوله ختامه مسك وفيه وجوه الاول قال
القفال معناه ان الذي يختم به راس قارورة ذلك الرحيق هو
المسك كالطين الذي يختم به رؤس القوارير فكان ذلك المسك رطب
ينطبع فيه الخاتم وهذا الوجه مطابق للوجه الاول الذي حكيناه
عن القفال في تفسير قوله مختوم الثاني المراد من قوله ختامه مسك
اي عاقبته المسك اي يختم له اخره بريح المسك وهذا الوجه مطابق
للوجه الذي حكيناه عن ابي عبيدة في تفسير قوله مختوم كانه تعالى
قال من رحيق له عاقبة ثم فسر تلك العاقبة فقال تلك العاقبة مسك

اي من شربه كان ختم شربه على ريح المسك وهذا قول علقمة والضحاك
وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة قالوا اذا رفع الشارب فاه من اخر
شرابه وجد ريحه كريح المسك والمعنى لذاذة المقطع وذكاء الرائحة
وارجها مع طيب الطعم والختام اخر كل شي ومنه يقال ختمت القران
والاعمال بخواتيمها ويؤكده قراءة علي رضي الله عنه واختيار الكسائي فانه
يقرا خاتمه مسك اي اخره كما يقال خاتم النبيين قال الفرا وهما متقا
ربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم الطباع
الثالث معناه خلطه مسك وذكروا ان فيه تطيبا لطعمه وقيل بل لريحه
والطابع
واقول لعل المراد ان الخمر الممزوج بهذه الافاويه الحارة مما يعين
على الهضم وتقوية الشهوة فلعل المراد منه الاشارة الى قوة شهوتهم ومحبة
ابدانهم وبهذا القول رواه سعيد بن جبير عن الاسود عن عائشة رضي
الله عنها تقول المراة لقد اخذت ختم طيبي اي لقد اخذت اخلاط طيبي
قال ابو الدرداء هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شربهم
لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد
ريح طيبه الصفة الثالثة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
قال الواحدي يقال نفست عليه الشي انفسه نفاسة اذا ضننت به ولم
تحب ان يصير اليه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد
ان يستاثر به والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة
الله واعلم ان مبالغة الله تعالى في الترغيب فيه يدل على علو شانه وفيه
اشارة الى ان التنافس يجب ان يكون في مثل ذلك النعيم العظيم الدائم لا في
النعيم الذي هو مكدر سريع الفناء الصفة الرابعة قوله ومزاجه من
تسنيم وفيه مسائل المسئلة الاولى تسنيم علم لعين بعينها في الجنة سميت بالتسنيم
الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها
تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم
واما لاجل انها لكثرة مائها وسرعته تعلو على كل شي تمر به وهو



تسنيمه له او لانه عند الجري يرى فيه ارتفاع وانخفاض فهو التسنيم ايضا وذلك
لان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع ومنه سنام البعير وتسنمت الحايط اذا
علوته واما اقوال المفسرين فروي ميمون بن مهران ان ابن عباس سئل
عن تسنيم فقال هذا مما يقول الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ونقرب
منه ما قال الحسن وهو انه امر اخفاه الله لاهل الجنة قال الواحدي وعلى هذا
لا يعرف له اشتقاق وهو اسم معرفة وعن عكرمة من تشريف المسئلة الثانية
تسنيم
انه تعالى ذكر ان تسنيم عينا يشرب بها المقربون قال ابن عباس اشرف شراب
اهل الجنة هو تسنيم لانه يشربه المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين واعلم
ان الله تعالى لما قسم المكلفين في سورة الواقعة الى ثلثة اقسام المقربون
واصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم انه تعالى بين كرامة المذكورين في هذه السورة
لما
بانه يمزج شرابهم من عين يشرب بها المقربون علمنا ان المذكورين في هذا الموضع
هم اصحاب اليمين واقول هذا يدل على ان الانهار متفاوتة في الفضيلة
فتسنيم افضل انهار الجنة والمقربون افضل اهل الجنة والتسنيم في الجنة
الروحانية هو معرفة الله ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج
بمطالعة عالم الموجودات فالمقربون لا يشربون الا من التسنيم اي لا يشتغلون
الا بمطالعة وجهه الكريم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون
نظرهم اليه وتارة الى مخلوقاته المسئلة الثالثة عينا نصب على المدح وقال
الزجاج نصب على الحال وقوله يشرب بها المقربون كقوله يشرب بها عباد
الله وقد مر قوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين امنوا من
الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون
اعلم انه سبحانه لما وصف كرامة الابرار في الاخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة
الكفار معهم في الدنيا في استهزائهم وضحكهم ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار
في الاخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وفيه مسائل المسئلة

الاولى ذكروا في سبب النزول وجهين الاول ان المراد من قوله ان الذين اجرموا
اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل السهمي كانوا يضحكون
من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم الثاني جا
علي عليه السلام في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا
الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الاية قبل ان
يصل الى رسول الله المسئلة الثانية انه تعالى حكى عنهم اربعة اشيا من
المعاملات القبيحة فاولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون اي يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون
اي يتفاعلون من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا
بمعنى العيب يقال غمزه اذا عابه وما في فلان غميزة اي ما يعاب به والمعنى
انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا الى
هولاء يتعبون انفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بانفسهم في طلب
ثواب لا يتيقنونه وثالثها قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين
معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا ويتفكهون بذكر
المسلمين بالسوء قرا عاصم في رواية حفص عنه فكهين بغير الف في هذا الموضع
وفي ساير القران فاكهين بالالف وقرا الباقون فاكهين فقيل هما لغتان
وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر والتنعم بالدنيا وفكهين
معجبين ورابعها قوله تعالى واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون اي هم على
ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود ام لا
وهذا اخر ما حكاه عن الكفار ثم قال تعالى وما ارسلوا عليهم حافظين
يعني ان الله تعالى لم يبعث هولاء الكفار رقبا على المومن يحفظون عليهم اعمالهم
ويتفقدون ما يصنعون من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا
بل انما امروا باصلاح انفسهم اما قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون ففيه مسئلتان المسئلة الاولى المعنى ان في هذا اليوم الذي هو يوم
تصحح الاعمال والمحاسبة يضحك المومنون من الكفار وفي سبب هذا الضحك وجوه

علي ح

وحدة

تصحيح نسخة



احدها ان الكفار كانوا يضحكون على المومنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبؤس
وفي الاخرة يضحك المومنون على الكفار بسبب ما هم فيه من انواع العذاب
والبلا ولانهم علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شي وانهم قد باعوا باقيا بفان
ويرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد
ودخلوا الجنة فاجلسوا على الارائك ينظرون اليهم كيف يعذبون في النار
وكيف يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا والثاني
قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم ابوابها فاذا
راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم على
الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذاك هو سبب الضحك
المسئلة الثانية قوله على الارائك حال من يضحكون اي يضحكون منهم
ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ثم
قال تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوب بمعنى اثيب قال
اوس سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي
قال المبرد وهو فعل من ~~الثواب~~ الثواب وهو ما يثوب اي يرجع على
فاعله جزاء ما عمله من خير او شر والثواب يستعمل في المكافاة بالشر
انشد ابو عبيدة الا ابلغ ابا حيش رسولا فما لك لا تجي الى الثواب
والاولى ان يحمل ذلك على سبيل التهكم كقوله ذق انك انت العزيز الكريم
والمعنى كانه تعالى يقول للمومنين هل جازينا هولاء الكفار على عملهم الذي
كان من جملته ضحكهم بكم واستهزاؤهم بطريقكم كما جازيناكم على اعمالكم
الصالحة فيكون هذا القول زايدا في سرورهم لانه يقتضي زيادة في تعظيمهم
والاستخفاف باعدائهم والله اعلم سورة انشقت والمقصود
منها شرح احوال القيامة بسم الله الرحمن الرحيم اذا السما
انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها
وتخلت واذنت لربها وحقت اما انشقاق السما فقد مر شرحه في
مواضع من القران وعن علي عليه السلام انها تنشق من المجرة اما قوله

اي السير الثواب بمعنى

بلغ العرض

واذنت لربها فالمعنى اذنت له استمعت له ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله لشي
كاذنه لنبي يتغنى بالقران وانشد ابو عبيده والمبرد والزجاج قول قعنب
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسو عندهم اذنوا والمعنى
انه لم يوجد في جرم السما ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق
اجزايها فكان في قبول ذلك التاثير كالعبد الطايع الذي اذا ورد عليه
الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع فقوله قالتا اتينا طايعين
يدل على نفوذ القدره في الايجاد والابداع من غير ممانعه اصلا وقوله هاهنا
واذنت لربها يدل على نفوذ القدره في التفريق والاعدام والافنا من غير
ممانعه اصلا واما قوله وحقت فهو من قولك هو محقوق بكذا وحقيق
به يعني وهي حقيقه بان تنقاد ولا تمتنع وذلك لانه جسم وكل جسم فهو ممكن
لذاته فان الوجود والعدم بالنسبه اليه على السويه وكل ما كان كذلك كان
ترجيح وجوده على عدمه او ترجيح عدمه على وجوده لا بد وان يكون بتاثير
واجب الوجود وترجيحه فيكون تاثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا
ساريا من غير ممانعه اصلا واما الممكن فليس له الا القبول والاستعداد
ومثل هذا الشي حقيق به ان يكون قابلا للوجود تارة وللعدم اخرى
من واجب الوجود اما قوله واذا الارض مدت ففيه وجهان الاول
انه ماخوذ من مد الشي فامتد وهو ان تزال جبالها بالنسف كما قال ويسلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا
ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم
اذا مد زال كل انثنا فيه واستوى والثاني انه ماخوذ من مده بمعنى
امده اي يزاد في سعتها يوم القيامه لوقوف الخلايق عليها للحساب
واعلم انه لا بد من الزياده في وجه الارض سوا كان ذلك بتمديدها او بامدادها
لان خلق الاولين والاخرين لما كانوا واقفين يوم القيامه على ظهرها فلا بد
من الزياده في طولها وعرضها اما قوله والقت ما فيها فالمعنى انها لما
مدت رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز وهو كقوله واخرجت الارض

لانها صوابه
وكل ممكن لذاته ح

اثقالها واذا القبور بعثرت وبعثر ما في القبور وكقوله الم نجعل الارض كفاتا
احيا وامواتا واما قوله وتخلت فالمعنى وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في
باطنها شي كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم وترحم الرحيم
اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمه وتكلفا فوق ما في طبعهما واعلم ان المحقق
ان الله تعالى هو الذي اخرج تلك الاشيا من بطن الارض الى ظهرها لكن الارض
وصفت بذلك على سبيل التوسع واما قوله واذنت لربها وحقت فقد
تقدم تفسيره الا ان الاول في السما وهذه في الارض واذا اختلف وجه الكلام
لم يكن تكرارا قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
اعلم ان قوله تعالى اذا السما انشقت الى قوله يا ايها الانسان شرط ولا بد له من
جزا واختلفوا فيه على وجوه احدها قال صاحب الكشاف حذف جواب
اذا ليذهب الوهم الى كل شي فيكون ادخل في التهويل وثانيها قال الفرا انما ترك
الجواب لان هذا المعنى معروف قد تردد في القران معناه فعرف نظيره كقوله
انا انزلناه في ليلة القدر ترك ذكر القران لان التصريح به قد تقدم في ساير
المواضع وثالثها قال بعض المحققين الجواب هو قوله فملاقيه وقوله يا ايها
الانسان انك كادح معترض وهو كقول القايل اذا كان كذا وكذا يا ايها
الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر فكذا هاهنا والتقدير اذا
كان يوم القيامه لقي الانسان عمله ورابعها ان المعنى محمول على التقديم والتاخير
فكانه قيل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السما
انشقت وقامت القيامه وخامسها قال الكسائي ان الجواب في قوله فاما
من اوتي كتابه واعترض في الكلام قوله يا ايها الانسان انك كادح والمعنى
اذا السما انشقت وكان كذا وكذا فمن اوتي كتابه بيمينه فهو كذا ومن اوتي
كتابه ورا ظهره فهو كذا ونظيره قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن
تبع هداي فلا خوف عليهم وسادسها قال القاضي ان الجواب ما دل
عليه قوله انك كادح كانه تعالى قال يا ايها الانسان ترون ما عملتم فاكدح
لذلك اليوم ايها الانسان لتفوز بالنعيم اما قوله يا ايها الانسان ففيه قولان

الكريم ح
خير
قال ح

الاول ان المراد جنس الناس كما يقال يا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل فكذا ههنا وكانه خطاب
خص به كل واحد من الناس قال القفال رحمه الله وهو ابلغ من العموم لانه قايم
مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام فانه
لا يكون كذلك والثاني ان المراد منه رجل بعينه وههنا فيه قولان الاول ان المراد
به محمد عليه السلام والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله وارشاد عباده وتحمل
الضر من الكفار فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضايع عنده الثاني
قال ابن عباس هو ابي بن خلف وكدحه جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا
الرسول والاصرار على الكفر والاقرب انه محمول على الجنس لانه اكثر فايده ولان
قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره كالنوعين له وذلك
لا يتم الا اذا كان جنسا اما قوله انك كادح فاعلم ان الكدح جهد النفس في العمل
والكد فيه حتى يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه اما قوله الى ربك ففيه
وجوه احدها انك كادح الى لقاء ربك وهو الموت اي هذا الكدح يستمر
ويبقى في هذا الزمان واقول في هذا التفسير نكتة لطيفة وذلك لانها
تقتضي ان الانسان لا ينفك في هذه الحيوة الدنيوية من اولها الى اخرها عن
الكدح والمشقة والتعب ولما كانت كلمة الى لانتهاء الغاية فهي تدل على وجوب
انتهاء الكدح والمشقة بانتهاء هذه الحيوة وان يكون الحاصل بعد هذه الدنيا
محض السعادة والرحمة وذلك معقول فان نسبة الاخرة الى الدنيا كنسبة
الدنيا الى رحم الام فكما صح ان يقال يا ايها الجنين انك كادح الى ان تنفصل من الرحم
فكان ما بعد الانفصال عن الرحم بالنسبة الى ما قبله خالصا عن الكدح والظلمة
فنرجو من فضل الله ان يكون الحال فيما بعد الموت كذلك وثانيها قال القفال
التقدير انك كادح في دنياك كدحا تصير به الى ربك فبهذا التاويل حسن استعمال
حرف الى ههنا وثالثها يحتمل ان يكون دخول الى على معنى ان الكدح هو السعي
فكانه قال ساع بعملك الى ربك اما قوله تعالى فملاقيه ففيه قولان قال
الزجاج فملاق ربك اي ملاق حكمه لا مفر لك منه وقال اخرون الضمير عايد
الى الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فوجب ان

كانه



يكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويتاكد هذا التاويل بقوله
تعالى بعد هذه الاية فاما من اوتي كتابه بيمينه اما قوله تعالى فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا فالمعنى فاما
من اعطي كتاب اعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وسوف من الله واجب
وهو كقول القايل اتبعني فسوف تجد خيرا فانه لا يريد به الشك وانما يريد
به ترفيق الكلام والحساب اليسير هو ان يعرض عليه اعماله ويعرف ان
الطاعة منها هذه والمعصية منها هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز
عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة
ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه وبالحجة عليه فانه متى طولب
بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ثم انه عند هذا الحساب اليسير يرجع الى اهله
مسرورا فايزا بالثواب امنا من العذاب والمراد من اهله اهله في الجنة
من الحور العين او من زوجاته وذرياته اذا كانوا مومنين فدلت هذه الاية
على انه سبحانه اعد له ولاهله في الجنة ما يليق به من الثواب عن عايشة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت وما الحساب
اليسير قال ينظر في كتابه ويتجاوز عن سياته فاما من نوقش في الحساب فقد
هلك وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب
فقد هلك قلت يا رسول الله ان الله يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب
وفي قوله يحاسب اشكال لان المحاسبة تكون بين اثنين وليس في القيامة لاحد
قبل ربه مطالبة فيحاسبه وجوابه ان العبد يقول الهي فعلت الطاعة
الفلانية والرب يقول فعلت المعصية الفلانية فكان ذلك بين الرب والعبد
محاسبة والدليل عليه انه تعالى خص الكفار بانه لا يكلمهم فدل ذلك على انه يكلم
المطيعين والعبد يكلمه فكانت المكالمة محاسبة قوله واما من اوتي كتابه
وراء ظهره فللمفسرين فيه وجوه احدها قال الكلبي السبب فيه لان يمينه
مغلولة الى عنقه ويده اليسرى خلف ظهره وثانيها قال مجاهد تخلع

يده فيجعل من وراء ظهره وثالثها قال قوم يتحول وجهه في قفاه فيقرا كتابه
كذلك ورابعها انه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لانه اذا حاول اخذه بيمينه
كالمؤمنين منع من ذلك واوتي من وراء ظهره بشماله فان قيل اليس انه قال في سوره
الحاقه فاما من اوتي كتابه بشماله ولم يذكر الظهر والجواب من وجهين احدها
يحتمل ان يؤتى بشماله وراء ظهره على ما حكيناه عن الكلبي وثانيها ان يكون بعضهم
يعطى بشماله وبعضهم من وراء ظهره اما قوله فسوف يدعوا ثبورا فاعلم ان
الثبور هو الهلاك في المعنى انه لما اوتي كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول
واثبوراه وقال الفرا العرب يقول فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه وفيه
وجه اخر ذكره القفال رحمه الله وقال الثبور مشتق من المثابره على الشي وهو المواظبه
عليه فسمي هلاك الاخره ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال ان عذابها كان غراما
واصل الغرام اللزوم والولوع اما قوله ويصلى سعيرا ففيه مسئلتان المسئله
الاولى يقال صلي الكافر النار قال الله تعالى ويصلون سعيرا وقال ونصله
جهنم وقال الا من هو صال الجحيم وقال لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى والمعنى انه اذا اعطي كتابه بشماله من وراء ظهره فانه يدعوا الثبور ثم يدخل
النار وهو في النار ايضا يدعو ثبورا كما قال دعوا هنالك ثبورا واحدهما لا
ينفي الاخر وانما هو على اجتماعهما قبل دخول النار وبعد دخولها نعوذ
بالله منها ومما قرب اليها من قول او عمل المسئله الثانيه قرا عاصم وحمزه وابو عمرو
يصلى بضم اليا والتخفيف كقوله نصله جهنم وهذه القراه مطابقه للقراه المشهوره
لانه يصلى فيصلى اي يدخله النار وقرا ابن عامر ونافع والكسائي بضم اليا مثقله
كقوله وتصليه جحيم وقوله ثم الجحيم صلوه اما قوله انه كان في اهله
مسرورا فقد ذكر القفال فيه وجهين احدهما انه كان في اهله مسرورا اي
منعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاه
والصوم والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب
لا يخاف الله ولا يرجوه فابدله الله بذلك السرور الفاني غما باقيا لا ينقطع وكان
المؤمن الذي اوتي كتابه بيمينه متقيا من المعاصي غير امن من العذاب ولم يكن في



دنياه مسرورا في اهله فجعله الله في الاخره مسرورا فابدله بالغم الفاني سرورا
دائما لا ينفد الثاني ان قوله انه كان في اهله مسرورا كقوله واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر فلذلك يحتمل ان يكون
المعنى انه كان في اهله مسرورا بما هو عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك
ممن امن به وصدق الحساب وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال الدنيا سجن المؤمن
وجنه الكافر اما قوله انه ظن ان لن يحور فاعلم ان الحور هو الرجوع والمحار
المرجع والمصير وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابيه
تقول لابنتها حوري اي ارجعي ونقل القفال عن بعضهم ان الحور هو الرجوع الى
خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله من الحور بعد الكور فعلى الوجه الاول
معنى الايه انه ظن ان لن يرجع الى الاخره اي لن يبعث وقال مقاتل وابن عباس
حسب ان لا يرجع الى الله وعلى الوجه الثاني انه ظن ان لن يرجع الى خلاف
ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى اي ليبعثن وعلى الوجه
الثاني يكون المعنى ان الله يبدل سروره بغم لا ينقطع وتنعمه ببلاء لا ينتهي
ولا يزول اما قوله ان ربه كان به بصيرا فقال الكلبي كان بصيرا به من يوم
خلقه الى ان بعثه وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من الشقاء وقال
مقاتل بصيرا متى يبعثه وقال الزجاج كان عالما بان مرجعه اليه ولا فائده
في هذه الاقوال انما الفائده فيه وجهين ذكرهما القفال رحمه الله الاول
ان ربه كان عالما بانه سيحور والثاني ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي
فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لكل المكلفين
عن جميع المعاصي قوله تعالى فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر
اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون اعلم ان قوله فلا اقسم بالشفق
فيه مسائل المسئله الاولى ان هذا قسم واما حرف لا فقد تكلمنا فيه في قوله
تعالى لا اقسم بيوم القيامه ومن جملة الوجوه المذكوره هناك ان لا نفي ورد
لكلام قبل القسم وتوجيه هذا الوجه هاهنا ظاهر لانه تعالى حكى هاهنا عن
المشرك انه ظن ان لن يحور فقوله لا رد لذلك القول وابطال لذلك الظن

ثم قال بعده اقسم بالشفق المسله الثانيه قد عرفت اختلاف العلما في ان
القسم واقع بهذه الاشيا او بخالقها وعرفت ان المتكلمين زعموا ان القسم
واقع برب الشفق وان كان محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورد الحظر
بان يقسم الانسان بغير الله المسله الثالثه تركيب لفظ الشفق في اصل
اللغه لرقه الشي ومنه يقال شي شفق لا تماسك له لرقته ويقال للردي
من الاشيا شفق واشفق عليه اذا رق قلبه عليه والشفقه رقة القلب
ثم اتفق العلما على انه اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها الا ما
يحكى عن مجاهد انه قال الشفق هو النهار ولعله انما ذهب الى هذا لانه تعالى
عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فالقسم على هذا الوجه
واقع بالليل والنهار الذين احدهما معاش والثاني سكن وبهما قوام امور العالم ثم
اختلفوا بعد ذلك فذهب عامه العلما الى انه هو الحمره وهو قول ابن عباس
والكلبي ومقاتل ومن اهل اللغه قول الليث والفرا والزجاج قال صاحب الكشاف
وهو قول عامه العلما الا ما روي عن ابي حنيفه في احدى الروايتين انه البياض
وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه واحتجوا عليه بوجوه احدها قال الفرا
سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان احمر قال
فدل ذلك على ان الشفق هو الحمره وثانيها انه جعل الشفق وقتا للعشا الاخره
فوجب ان يكون المعتبر هو الحمره لا البياض لان البياض يمتد وقته ويطول
لبثه والحمره لما كانت بقيه ضو الشمس ثم بعدت الشمس عن الافق ذهبت
الحمره وثالثها ان اشتقاق الشفق لما كان من الرقه ولا شك ان الضو ياخذ
في الرقه والضعف من عند غيبه الشمس فيكون الحمره شفقا اما قوله والليل
وما وسق فقال اهل اللغه وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع
الذي يكال ويوزن ثم صار اسما للحمل واستوسقت الابل اذا اجتمعت
وانضمت والراعي يسقها اي يجمعها قال صاحب الكشاف يقال وسقه
فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع
واستوسع واما المعنى فقال القفال مجموع اقاويل المفسرين يدل على انهم

فسروا قوله تعالى وما وسق على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان
عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام ثم هذا يحتمل ان يكون اشاره الى الاشيا
كلها لاشتمال الليل عليها فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما
تبصرون وما لا تبصرون وقال سعيد بن جبير ما عمل فيه قال القفال يحتمل ان يكون
ذلك هو تهجد العباد فقد مدح الله تعالى المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف
بهم وانما قلنا ان الليل جمع هذه الاشيا كلها لان ظلمته كانها تجلل الجبال والبحار
والشجر والحيوانات فلا جرم صح ان يقال وسق جميع هذه الاشيا اما قوله والقمر
اذا اتسق فاعلم ان اصل الكلمه من الاجتماع يقال وسقته فاتسق كما يقول
وصلته فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان متسقه اي مجتمعه على
الصلاح كما يقال منتظمه واما اهل المعاني فقال ابن عباس اذا اتسق اي استوى
واجتمع وتكامل وتم واستدار وذلك ليله ثلث عشر الى ست عشر ثم انه سبحانه
وتعالى بعد ما ذكر ما به اقسم اتبعه بذكر ما عليه اقسم فقال لتركبن طبقا عن طبق
وفيه مسايل المسله الاولى قرى لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان
ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك كادح
للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على المغايبه ليركبن الانسان
المسله الثانيه الطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه
ومنه قيل للغطا الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقه
لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحده
مطابقه لاختها في الشده والهول ويجوز ان يكون جمع طبقه وهي المرتبه
من قولهم هو على طبقات والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في
الشده بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من اهوال القيامه ولنذكر
الان وجوه المفسرين فنقول اما القراه برفع الباء وهو خطاب الجمع فيحتمل
وجوها احدها ان يكون المعنى لتركبن ايها الانسان امورا واحوالا امرا
بعد امر وحالا بعد حال ومنزلا بعد منزل الى ان يستقر الامر على ما يقضى
به على الانسان وله من جنه او نار فحينئذ يحصل الدوام والخلود وانما

في الثواب او في العقاب ويدخل في هذه الجملة احوال الناس من حين يكون نطفة
الى ان يصير شيخا ثم يموت فيكون في البرزخ ثم يحشر ثم ينقل اما الى جنة واما الى نار
وثانيها ان معنى الابيات ان الناس يلقون يوم القيامة احوالا وشدائد حالا بعد حال
وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كائن وان الناس
يلقون فيها الشدائد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما
اعد له من جنة او نار وهو نحو قوله بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله
يوم يكشف عن ساق وقوله يوم يجعل الولدان شيبا وثالثها ان يكون المعنى
ان الناس ينقل احوالهم يوم القيامة عما كانوا عليه في الدنيا فمن وضيع في
الدنيا يصير رفيعا في الاخرة ومن رفيع يتضع ومن متنعم يشقى ومن شقي يتنعم
وهو كقوله خافضة رافعة وهذا التاويل مناسب لما قبل هذه الاية لانه
تعالى لما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء ظهره انه كان في اهله مسرورا وكان
يظن ان لن يحور اخبر الله انه يحور ثم اقسم على الناس انهم يركبون في الاخرة
طبقا عن طبق اي حالا بعد حالهم في الدنيا ورابعها ان يكون المعنى لتركبن
سنة الاولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة واما القراءة بنصب
الباء ففيها قولان الاول قول من قال انه خطاب مع محمد عليه السلام وعلى هذا
التقدير ذكروا وجهين احدهما ان يكون ذلك بشارة للنبي عليه السلام بالظفر
والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه يقول اقسم يا محمد لتركبن حالا
بعد حال حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم
وفي هذا الوجه احتمال اخر يقرب مما ذكرنا وهو ان يكون المعنى انه يركب
حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة واحتمال ثالث وهو ان يكون المعنى
ان الله تعالى يبدله بالمشركين انصارا مسلمين ويكون مجازه لتركبن من قولهم
طبقات الناس وقد يصلح هذا التاويل على قراءة من قرا بضم الباء كانه خطاب
المسلمين بتعريف تنقل الاحوال بهم ومصيرهم الى الظفر بعدوهم بعد
الشدة التي يلقونها منهم كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم الاية وثانيها
ان يكون ذلك بشارة لمحمد عليه السلام بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها

واجلال الملائكة اياه فيها والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقا عن طبق وقد قال
تعالى سبع سموات طباقا وقد فعل الله تعالى ذلك ليلة الاسرا وهذا الوجه
مروي عن ابن عباس وابن مسعود وثالثها لتركبن يا محمد درجة بعد درجة
ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى القول الثاني في هذه القراءة ان هذه
الاية في السما وتغيرها من حال الى حال والمعنى لتركبن السما يوم القيامة
حالة بعد حالة وذلك لانها اولا تنشق كما قال اذا السما انشقت ثم تنفطر
كما قال اذا السما انفطرت ثم تصير وردة كالدهان وتارة كالمهل على ما ذكر الله
تعالى هذه الاشيا في ايات من القران فكانه تعالى لما ذكر في اول السورة
انها تنشق اقسم في اخر السورة انها تنتقل من احوال الى احوال وهذا الوجه
مروي عن ابن مسعود رحمه الله المسالة الثالثة قوله تعالى عن طبق اي بعد
طبق كقول الشاعر ما زلت اقطع منهلا عن منهل حتى انخت بباب عبد الواحد
ووجه هذا ان الانسان اذا صار الى شي من شي اخر فقد صار الى الثاني بعد
الاول فصلحت بعد وعن معاقبة وايضا فلفظة عن تفيد البعد والمجاوزة فكانت
مشابهة للفظة بعد اما قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون ففيه مسئلتان المسالة
الاولى الاقرب ان المراد فما لهم لا يؤمنون بصحة البعث والقيامة لانه تعالى
حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم اثنى سبحانه بانه يحور فلما قال بعد ذلك
فما لهم لا يؤمنون دل على ان المراد فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيامة ثم
اعلم ان قوله فما لهم لا يؤمنون استفهام بمعنى الانكار وهذا انما يحسن
عند ظهور الحجة وزوال الشبهات والامر ها هنا كذلك وذلك لانه سبحانه
اقسم بتغيرات واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة
لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما
وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال الحيوانات من
اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال
القمر بعد ان كان ناقصا ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة على تغير
احوال الخلق وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث لان القادر

على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال وصفة الى صفة بحسب
المصالح لا بد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات ومن
كان كذلك كان لا محالة قادرا على البعث والقيامة فلما كان ما قبل هذه الاية
كالدلالة العقلية القاطعة على صحة البعث والقيامة لا جرم قال على سبيل
الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون المسئلة الثانية قال القاضي لا يجوز ان يقول
الحكيم فيمن كان عاجزا عن الايمان فما لهم لا يؤمنون فلما قال ذلك دل على
كونهم قادرين وهذا يقتضي ان يكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا
موجدين لافعالهم وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم فهاتان الايتان من المحكمات
التي لا احتمال فيها البتة وجوابه قد مر غير مرة اما قوله تعالى واذا
قرئ عليهم القران لا يسجدون ففيه مسائل المسئلة الاولى انهم ارباب الفصاحة
والبلاغة فعند سماعهم القران لا بد ان يعلموا كونه معجزا واذا علموا ذلك
علموا صحة نبوة محمد عليه السلام ووجوب طاعته في الاوامر والنواهي فلا جرم
استبعد الله منهم عند سماع القران ترك السجود والطاعة المسئلة الثانية
قال ابن عباس والحسن وعطاء والكلبي ومقاتل المراد من السجود الصلاة
وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقال اخرون بل المراد نفس
السجود عند ايات مخصوصة هذه الاية منها المسئلة الثالثة روي عنه عليه السلام
انه قرأ اذا تليت يوما واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش
تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت هذه الاية واحتج ابو حنيفة على
وجوب السجدة بهذا من وجهين الاول ان فعل النبي عليه السلام يقتضي الوجوب
لقوله فاتبعوه والثاني ان الله تعالى ذم من سمعه فلا يسجد وحصول
الذم عند الترك يدل على الوجوب المسئلة الرابعة مذهب ابن عباس
انه ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد ههنا وقال والله ما
سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله يسجد فيها وعن انس صليت
خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة اما قوله
بل الذين كفروا يكذبون فالمعنى ان الدلائل الموجبة للايمان وان كانت

جلية ظاهرة لكن الكفار يكذبون بها اما للتقليد للاسلاف واما للحسد واما
للخوف من انهم لو اظهروا الايمان لفاتهم مناصب الدنيا ومنافعها اما قوله
والله اعلم بما يوعون فاصل الكلمة من الوعاء فقال اوعيت الشيء اي جعلته
في وعاء كما قال وجمع فاوعى والمعنى والله اعلم بما يجمعون في صدورهم من الشرك والتكذيب
فهو يجازيهم عليه في الدنيا والاخرة ثم قال فبشرهم بعذاب اليم استحقوه على
تكذيبهم وكفرهم اما قوله الا الذين امنوا ففيه قولان قال صاحب الكشاف الا
استثناء منقطع وقال الاكثرون معناه الا من تاب منهم فانهم وان كانوا في الحال
كفارا الا انهم متى تابوا وامنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر وهو الثواب
العظيم وفي معنى غير ممنون وجوه احدها ان ذلك الثواب يصل اليهم بلا منة
ولا اذى وثانيها من غير انقطاع وثالثها من غير تنغيص ورابعها من غير
نقصان والاولى ان يحمل اللفظ على الكل لان من شرط الثواب حصول الكل فكانه
تعالى وعدهم باجر خالص من الشوائب دائم لا انقطاع فيه ولا نقص ولا
بخس وهذا نهاية الوعد فصار ذلك ترغيبا في العبادات كما ان الذي تقدم
هو زجر عن المعاصي والله اعلم

## سورة البروج

اعلم ان المقصود من
هذه السورة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عن ايذاء الكفار وكيفية تلك التسلية
هي ان الله تعالى بين ان سائر الامم السالفة كانوا كذلك مثل اصحاب الاخدود ومثل
فرعون ومثل ثمود وختم ذلك بان بين ان كل الكفار كانوا في التكذيب ثم عقب
هذا الوجه بوجه اخر وهو قوله والله من ورائهم محيط ثم ذكر وجها
ثالثا وهو ان هذا شيء مثبت في اللوح المحفوظ ممتنع التغيير وهو قوله بل هو
قران مجيد فهذا ترتيب السورة بسم الله الرحمن الرحيم والسماء
ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اعلم ان في البروج
ثلثة اقوال احدها انها هي البروج الاثنا عشر وهي مشهورة وانما حسن
القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة وذلك لان سير الشمس فيها ولا شك ان مصالح
العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس فيدل ذلك على ان لها صانعا حكيما ثانيها
قال الجبائي وهذه اليمين واقعة على السماء الدنيا لان البروج فيها واعلم

انه هذا خطأ وتحقيقه ذكرناه في قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وثانيها
ان البروج هي منازل القمر وانما حسن القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة
وثالثها ان البروج هي عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها واما اليوم الموعود فهو
يوم القيامة رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القفال يحتمل ان يكون
المراد واليوم الموعود لانشقاق السماء وفنائها وبطلان بروجها واما الشاهد
والمشهود فقد اضطربت اقاويل المفسرين فيه والقفال رحمه الله احسن الناس
كلاما فيه قال ان الشاهد يقع على شيئين احدهما الشاهد الذي تثبت به الدعاوي
والحقوق والثاني الشاهد الذي هو بمعنى الحاضر كقوله عالم الغيب والشهادة
ويقال فلان شاهد وفلان غائب وحمل الآية على هذا الاحتمال الثاني اولى اذ لو كان
المراد هو الاول لما خلي لفظ المشهود عن حرف الصلة فيقال مشهود عليه
او مشهود به هذا هو الظاهر وقد يجوز ان يكون المشهود معناه المشهود عليه
محذوف الصلة كما في قوله ان العهد كان مسؤولا اي مسؤولا عنه اذا عرفت هذه
المقدمة فنقول ان حملنا المشهود على الحضور احتملت الآية وجوها من التأويل
احدها ان المشهود هو يوم القيامة والشاهد هو الجمع الذين يحضرون
فيه وهو مروي عن ابن عباس والضحاك ويدل على صحة هذا الاحتمال وجوه الاول
انه لا حضور اعظم من ذلك الحضور فان الله تعالى يجمع فيه خلق الاولين والآخرين
من الملائكة والانبياء والجن والانس وصرف اللفظ الى المسمى الاكمل اولى والثاني انه
تعالى ذكر اليوم الموعود وهو يوم القيامة ثم ذكر عقيبه وشاهد ومشهود
وهذا يناسب ان يكون المراد بالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق وبالمشهود
ما في ذلك اليوم من العجائب الثالث ان الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه
مشهودا في قوله فويل للذين ظلموا من مشهد يوم عظيم وقال ذلك يوم
مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال
ما ينظرون الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والطريق في تنكيرهما
اما ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كأنه قيل وما افرطت
كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود

لا يكتنه

لا يكتنه وصفهما وانما حسن القسم بيوم القيامة للتنبيه على القدرة اذ كان هو يوم الفصل
والجزاء ويوم تفرد الله بالملك والحكم وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والحسن بن علي وابن المسيب والضحاك والنخعي والثوري وثانيها ان تفسير المشهود
بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير وذلك لانه يوم يشهده المسلمون للصلاة
ولذكر الله ومما يدل على كون هذا اليوم مسمى بالمشهود خبران الاول ما روى ابو
الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي الصلاة يوم الجمعة فانه يوم
مشهود تشهده الملائكة والثاني ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تحضر الملائكة ابواب
المسجد فيكتبون الناس فاذا خرج الامام طويت الصحف وهذه الخاصية غير موجودة
الا في هذا اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا لهذا المعنى قال الله تعالى وقرآن الفجر
ان قرآن الفجر كان مشهودا روي ان ملائكة الليل والنهار يحضرون وقت صلاة الفجر
فسميت هذه الصلاة مشهودة لشهادة الملائكة فكذا يوم الجمعة وثالثها ان يفسر
المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر
الحج روي ان الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا اتوني
من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت لهم وان ابليس يصرخ ويضع التراب على رأسه
لما يرى من ذلك والدليل على ان يوم عرفة مسمى بانه مشهود قوله تعالى وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ورابعها ان يكون المشهود يوم النحر
وذلك لانه اعظم المشاهد في الدنيا فانه يجمع اهل الشرق والغرب ذلك اليوم
بمنى والمزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون الغرض من القسم به تعظيم امر الحج وخامسها
حمل الآية على يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعا لانها ايام عظام فاقسم الله
تعالى بها كما اقسم بالليالي العشر والشفع والوتر ولعل الآية عامة لكل يوم عظيم
من ايام الدنيا ولكل مقام جليل من مقاماتها وليوم القيامة ايضا لانه يوم عظيم
كما قال ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال فويل للذين ظلموا من مشهد
يوم عظيم ويدل على صحة هذا التأويل خروج اللفظ في الشاهد والمشهود على النكرة
فيحتمل ان يكون ذلك على معنى ان القصد لم يقع فيه الى يوم بعينه فيكون معرفا اما
الوجه الثاني وهو ان يحمل الشاهد على من تثبت الدعوى بقوله فقد ذكروا على

هذا التقدير وجوها كثيرة احدها ان الشاهد هو الله تعالى لقوله شهد الله انه لا
اله الا هو وقوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وقوله او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
والمشهود هو التوحيد لقوله شهد الله انه لا اله الا هو او النبوة قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم وثانيها ان الشاهد محمد عليه السلام والمشهود عليه سائر الانبياء لقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ولقوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا وثالثها ان يكون الشاهد هو الانبياء والمشهود عليه هو الامم لقوله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد ورابعها ان يكون الشاهد هو جميع الممكنات والمحدثات
والمشهود عليه واجب الوجود وهذا احتمال ذكرته انا واخذته من قول الاصوليين
هذا استدلال بالشاهد على الغائب وعلى هذا التقدير يكون القسم واقعا بالخلق
والخالق والصنع والصانع وخامسها ان يكون الشاهد هو الملك لقوله تعالى وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد والمشهود عليهم المكلفون وسادسها ان يكون
الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو الانسان الذي شهد عليه جوارحه يوم
القيامة قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا وهذا قول عطاء الخراساني واما الوجه الثالث وهو اقوال
مبنية على الروايات لا على الاشتقاق فاحدها ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود
يوم عرفة روى ابو موسى الاشعري انه عليه السلام قال الموعود يوم القيامة
والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخيرة الله لنا وعن
ابي هريرة مرفوعا قال المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت
الشمس ولا غربت افضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله تعالى
بخير الا استجاب له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه منه وعن سعيد بن المسيب
مرسلا عن النبي عليه السلام قال سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود
يوم عرفة وهذا قول اكثر اهل العلم كعلي بن ابي طالب وابي هريرة وابن
المسيب والحسن البصري والربيع بن انس قال قتادة شاهد ومشهود
يومان عظمهما الله من ايام الدنيا كما تحدث ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود
يوم عرفة وثانيها ان الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وذلك

لانهما يومان عظمهما الله وجعلهما من اركان ايام الحج فهذان اليومان يشهدان
لمن يحضر فيهما بالايمان واستحقاق الرحمة وروي ان عليا عليه السلام ذبح كبشين
وقال في احدهما هذا عمن يشهد لي بالبلاغ ويحتمل لهذا المعنى ان يكون يوم النحر
شاهدا لمن حضره عند ذلك اذا نحر وثالثها ان الشاهد عيسى لقوله تعالى حكاية
عنه وكنت عليهم شهيدا ورابعها الشاهد هو الله والمشهود هو القيامة قال تعالى
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم قال ثم
ينبئهم الله بما عملوا وخامسها ان الشاهد هو الانسان والمشهود هو التوحيد
لقوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وسادسها ان الشاهد
الانسان والمشهود هو القيامة اما ان الانسان شاهد فلقوله تعالى قالوا
بلى شهدنا واما المشهود فلقوله ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
فهذه هي الوجوه الملخصة والله اعلم بحقائق القران قوله تعالى قتل
اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون
بالمومنين شهود اعلم انه لا بد للقسم من جواب واختلفوا فيه على وجوه احدها
ما ذكره الاخفش وهو ان جواب القسم قوله قتل اصحاب الاخدود واللام مضمرة
فيه كما قال والشمس وضحيها قد افلح من زكاها يريد لقد افلح قال وان شئت على
التقديم كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وثانيها ما ذكره
الزجاج وهو ان جواب القسم ان بطش ربك لشديد وهو قول ابن مسعود
وقتادة وثالثها ان جواب القسم قوله ان الذين فتنوا الاية كما تقول والله
ان زيدا القائم الا انه اعترض بين القسم وجوابه قوله قتل اصحاب الاخدود الى
قوله ان الذين فتنوا ورابعها ما ذكره جماعة من المتقدمين ان جواب القسم
محذوف وهذا اختيار صاحب الكشاف الا ان المتقدمين قالوا ذلك المحذوف
هو ان الامر حق في الجزاء على الاعمال وقال صاحب الكشاف جواب القسم هو الذي
يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفار
قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في
تثبيت المومنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم

من العذاب على الايمان حتى تقتدوا بهم ويصبروا على اذى قومهم ويعلموا
ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك الذين كانوا في الامم السالفه يحرقون
اهل الايمان بالنار واحقّا بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب
الاخدود اما قوله قتل اصحاب الاخدود ففيه مسايل المسئله الاولى
ذكروا قصه اصحاب الاخدود على طرق متباينه ونحن نذكر منها ثلثه
احدها انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر
وكان في طريق الغلام راهب فمال قلب الغلام الى ذلك الراهب ثم راى
في طريقه ذات يوم حيه قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان
كان الراهب احب اليك من الساحر فقوني على قتلها بواسطه رمي
هذا الحجر اليها ثم قتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر
واشتغاله بطريقه الراهب ثم صار الى حيث يبري الاكمه والابرص
ويشفي من الادوا واتفق ان عمي جليس للملك فابراه فلما راه الملك قال
من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه
فدل على الراهب فاحضر الراهب وزجره عن دينه فلم يقبل الراهب قوله
فقدّ بالمنشار ثم اتوا بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فهلكوا ونجا فذهبوا به الى سفينه ولججوا بها ليغرقوه فدعا فانكفات بهم
السفينه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني
على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب العالمين ثم ترميني به فرماه
فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل
للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها
النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جات امراه معها صبي فتقاعست
ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق وصبرت على ذلك
الروايه الثانيه روي عن علي عليه السلام انهم حين اختلفوا في احكام
المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت
لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب



المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله احل نكاح الاخوات ثم
تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمهم فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له
ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته
بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله
قتل اصحاب الاخدود الروايه الثالثه انه وقع الى نجران رجل ممن كان على
دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير
فخيرهم بين النار واليهوديه فابوا فاحرق منهم اثنا عشر الفا في الاخاديد وقيل
سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود يعوذ بالله من
جهد البلا فان قيل تعارض هذه الروايات تدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل
ان هذا كان في ثلث طوايف ثلث كرات مره باليمن ومره بالعراق ومره بالشام
ولفظ الاخدود وان كان واحدا الا ان المراد هو الجمع وهو كثير في القران
قال القفال رحمه الله ذكروا في قصه اصحاب الاخدود روايات مختلفه
وليس في شي منها ما يصح الا انها متفقه في انهم قوم من المومنين خالفوا قومهم
او ملكا كافرا كان حاكما عليهم فالقاهم في اخدود حفره لهم ثم قال واظن ان
تلك الواقعه كانت مشهوره عند قريش فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسوله
تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه فقد كان مشركوا
قريش يوذون المومنين على حسب ما اشتهرت به الاخبار من مبالغتهم في ايذا
عمار وبلال المسئله الثانيه الاخدود الشق في الارض يحفر مستطيلا وجمعه
الاخاديد ومصدره الخد وهو الشق يقال خد في الارض خدا وتخدد لحمه
اذا صار فيه طرايق كالشقوق المسئله الثالثه يمكن ان يكون المراد باصحاب
الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والروايه المشهوره ان
المقتولين هم المومنون وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابره لانهم لما القوا المومنين
في النار عادت النار على الكفره فاحرقتهم ونجى الله المومنين منها سالمين والى
هذا القول ذهب الربيع بن انس والواقدي وتاولوا قوله فلهم عذاب جهنم

ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في الاخره ولهم عذاب الحريق في الدنيا اذا
عرفت هذه المقدمه فنقول ذكروا في تفسير قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود
وجوها ثلثه وذلك لانا ان فسرنا اصحاب الاخدود بالقاتلين او بالمقتولين اما على
اثام
الوجه الاول ففيه تفسيران احدهما ان يكون هذا دعا عليهم اي لعن اصحاب
الاخدود ونظيره قوله قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون والثاني ان يكون المراد
ان اولئك القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا ان الجبابره لما ارادوا قتل المومنين
بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم واما اذا فسرنا اصحاب الاخدود بالمقتولين
كان المعنى ان اولئك المومنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعا
المسله الرابعه قرئ قتل بالتشديد اما قوله تعالى النار ذات الوقود
ففيه مسايل المسله الاولى النار انما يكون عظمها اذا كان هناك شي يحترق بها
اما حطب او غيره فالوقود اسم لذلك الشي كقوله تعالى وقودها الناس
والحجاره فالمعنى في ذات الوقود تعظيم امرها كان في ذلك الاخدود من
الحطب الكثير المسله الثانيه قال ابو علي هذا من بدل الاشتمال كقولك سلب
زيد ثوبه وان الاخدود مشتمل على النار المسله الثالثه قرئ الوقود بالضم
اما قوله تعالى اذ هم عليها قعود ففيه مسلتان المسله الاولى العامل في اذ قتل
والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الاخدود يعذبون المومن
همم
المسله الثانيه في الايه اشكال وهو ان قوله هم ضمير عايد الى اصحاب الاخدود
لان ذلك اقرب المذكور والضمير في قوله عليها عايد الى النار فهذا يقتضي ان
اصحاب الاخدود كانوا قاعدين على النار ومعلوم انه لم يكن الامر كذلك والجواب
من وجوه احدها ان الضمير في هم عايد الى اصحاب الاخدود لكن المراد ههنا
من اصحاب الاخدود المقتولون لا القاتلون فيكون المعنى اذ المومنون قعود
على النار يحترقون مطرحون على النار وثانيها ان يجعل الضمير في عليها عايدا
الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي تمكن الجلوس فيها ولفظ على مشعر
بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه فالقاتلون كانوا جالسين
فيها وكانوا يعرضون المومنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان



يصر على دينه القوه في النار وثالثها هب انا سلمنا ان الضمير في هم عايد الى
اصحاب الاخدود بمعنى القاتلين والضمير في عليها عايد الى النار فلم لا يجوز
ان يقال ان اولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار فانا بينا انهم لما القوا
المومنين في النار ارتفع النار اليهم فهلكوا بنفس ما فعلوه بايديهم لاجل اهلاك
غيرهم وكانت الايه داله على انهم في تلك الحاله كانوا ملعونين ايضا ويكون المعنى
انهم خسروا الدنيا والاخره ورابعها ان يكون على بمعنى عند كما قيل في قوله
ولهم على ذنب اي عندي اما قوله تعالى وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود
فاعلم ان قوله شهود يحتمل ان يكون المراد منه حضور ويحتمل ان يكون المراد منه
الشهود الذي يثبت الدعوى بشهادتهم اما على الوجه الاول فالمعنى ان اولئك
الجبابره القاتلين كانوا حاضرين عند ذلك العمل يشاهدون ذلك ويكون الغرض
من ذكر ذلك احد امور ثلثه اما وصفهم بقسوه القلب اذ كانوا عند التعذيب بالنار
حاضرين مشاهدين له واما وصفهم بالجد في تقرير كفرهم وباطلهم حيث حضروا
في تلك المواطن المنفره والافعال الموحشه واما وصف اولئك المومنين المقتولين
بالجد في دينهم والاصرار على حقهم فان الكفار انما حضروا في ذلك الموضع طمعا
في ان هولا المومنين اذا نظروا اليهم هابوا حضورهم واحتشموا من مخالفتهم
ثم ان اولئك المومنين لم يلتفتوا اليهم وبقوا مصرين على دينهم الحق فان قيل
المراد من الشهود ان كان هذا المعنى فكان يجب ان يقال هم لما يفعلون
شهود ولا يقال وهم على ما يفعلون شهود قلنا انما ذكر لفظه على بمعنى انهم
على قبح فعلهم بهولا المومنين وهو احراقهم بالنار كانوا حاضرين مشاهدين
لتلك الافعال القبيحه اما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد من الشهود
الشهاده التي تثبت الدعوى بها ففيه وجوه احدها انهم جعلوا شهودا
يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه
من التعذيب وثانيها انهم شهود على ما يفعلون بالمومنين يودون شهادتهم
يوم القيامه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وثالثها ان هولا الكفار مشاهدون لما يفعل بالمومنين من الاحراق بالنيران

حتى لو كان ذلك من غيرهم لكانوا شهودا عليه ثم مع هذا لم ياخذهم بهم رافة
ولا حصل في قلبهم ميل ولا شفقة قوله تعالى وما نقموا منهم الا ان
يومنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شي
شهيد م المعنى وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وانما قال
الا ان يومنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل ولو كفروا في
المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم وقرا ابو حيوة
نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح ثم انه ذكر الاوصاف التي بها يستحق الاله ان يومن
به ويعبد فاولها العزيز وهو القادر الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يدفع
وبالجملة فهو اشارة الى القدرة التامة وثانيها الحميد وهو الذي يستحق
الحمد والثنا على السنة عباده المومنين وان كان بعض الاشيا لا يحمده بلسانه
فنفسه تشاهده على ان المحمود في الحقيقة هو هو كما قال وان من شي الا يسبح
بحمده وذلك اشارة الى العلم لان من لا يكون عالما بعواقب الاشيا لا يمكنه
ان يفعل الافعال الحميدة فالحميد يدل على العلم التام من هذا الوجه وثالثها
يفعل م
الذي له ملك السموات والارض هو مالكها والقيم بها ولو شا افناها وهو
اشارة الى الملك التام وانما اخر هذه الصفة عن الاولين لان الملك التام لا
يحصل الا عند حصول الكمال في القدرة والعلم فثبت انه من كان موصوفا
بهذه الصفات كان هو المستحق للايمان وغيره لا يستحق ذلك البتة فكيف
حكم اوليك الكفار الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنبا واعلم انه تعالى اشار
بقوله العزيز الى انه لو شا لمنع اوليك الجبابرة من تعذيب اوليك المومنين
ولا طفا نيرانهم ولاماتهم واشار بقوله الحميد الى ان المعتبر عنده سبحانه من
الافعال عواقبها فهو وان كان قد امهل لكنه ما اهمل فانه تعالى يوصل
المومنين م
ثواب اوليك اليهم وعقاب اوليك الكفرة اليهم ولكنه تعالى لم يعاجلهم بذلك
لانه لا يفعل الا على حسب المشية او المصلحة على سبيل التفضل فلهذا السبب
قال والله على كل شي شهيد فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين



قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم ولهم عذاب الحريق اعلم انه سبحانه لما ذكر قصة اصحاب الاخدود
اتبعها بما يتفرع عليها من احكام الثواب والعقاب فقال ان الذين فتنوا
المومنين وههنا مسايل المسلة الاولى يحتمل ان يكون المراد منه اصحاب
الاخدود فقط ويحتمل ان يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا اولى لان اللفظ
عام والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل المسلة الثانية اصل
الفتنة الابتلا والامتحان وذلك لان اوليك الكفار امتحنوا اوليك المومنين وعرضوهم
م
على النار واحرقوهم وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق بالنار قال ابن
عباس ومقاتل فتنوا المومنين حرقوهم بالنار قال الزجاج يقال فتنت الشي
احرقته والتين افتان سود كانها محرقة ومنه قوله يوم هم على النار
يفتنون المسلة الثالثة قوله تعالى ثم لم يتوبوا يدل على انهم لو تابوا لخرجوا
عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بان الله تعالى يقبل التوبة ويدل على
ان توبة القاتل عمدا مقبولة خلاف ما روي عن ابن عباس المسلة الرابعة
في قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قولان الاول ان كلا العذابين
يحصل في الاخرة الا ان عذاب جهنم هو العذاب الحاصل بسبب كفرهم وعذاب
الحريق هو العذاب الزايد على عذاب الكفر بسبب انهم احرقوا المومنين
فيحتمل ان يكون العذاب الاول عذاب برد والثاني عذاب احراق والا ان العذاب
الاول كانه خرج عن ان يسمى احراقا بالنسبة الى الثاني لان الثاني قد اجتمع
فيه نوعا الاحراق فتكامل جدا فكان الاول ضعيفا بالنسبة اليه فلا
جرم لم يسم احراقا والثاني ان قوله عذاب جهنم اشارة الى عذاب الاخرة
ولهم عذاب الحريق اشارة الى ما ذكرنا ان اوليك الكفار ارتفعت عليهم
نار الاخدود واحترقوا بها قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير انه تعالى لما ذكر وعيد
اعلم
المجرمين ذكر وعد المومنين وهو ظاهر وفيه مسلتان المسلة الاولى انما قال
ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهو ان قوله ذلك اشارة الى اخبار

وان يكون الاول عذاب احراق
والزايد عليه احراقا ايضا ح

المستحق لهذه الجنات وقوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى عن ذلك
يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة المسئلة الثانية
قصة اصحاب الاخدود ولا سيما هذه الاية تدل على ان المكره على الكفر بالاهلاك
العظيم الاولى به ان يصبر على ما خوف منه وان اظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك
روي الحسن ان مسيلمة اخذ رجلين من اصحاب النبي عليه السلام فقال لاحدهما
تشهد اني رسول الله فقال نعم فتركه وقال للاخر مثله فقال لا بل انت كذاب
فقتله فقال عليه السلام اما الذي ترك فاخذ بالرخصة فلا تبعة عليه واما الذي قتل
فاخذ بالفضل فهنيئا له قوله تعالى ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد
الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اولا وذكر وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات
ثانيا اردف ذلك الوعيد والوعد بالتاكيد فقال لتاكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد
والبطش هو الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ونظيره
ان اخذه اليم شديد ثم ان هذا القادر لا يكون امهاله لاجل الاهمال لكن لاجل
انه حكم اما بحكم المشية او بحكم المصلحة تاخير هذا الامر الى يوم القيامة فلهذا
قال انه هو يبدئ ويعيد اي انه يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم احياء ليجازيهم
في القيامة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال قال ابن عباس ان
اهل جهنم تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذاك هو المراد
من قوله انه هو يبدئ ويعيد ثم قال لتاكيد الوعد وهو الغفور الودود فذكر من
صفات جلال الله وكبريائه خمسة اولها الغفور قالت المعتزلة هو الغفور لمن تاب
وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان غفران التائب واجب واداء الواجب
لا يوجب التمدح والاية مذكورة في معرض التمدح وثانيها الودود وفيه اقوال
احدها المحب هذا قول اكثر المفسرين وهو مطابق للدلايل العقلية فان الخير
مقتضى بالذات والشر بالعرض ولا بد وان يكون الشر اقل من الخير فالغالب
لا بد وان يكون خيرا فيكون محبوبا بالذات وثانيها قال الكلبي الودود المتودد

الى اوليائه بالمغفرة والجزاء والقول هو الاول وثالثها قال الازهري قال بعض
اهل اللغة يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان
عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وافعاله قال
وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره اذا احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان
احبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه ورابعها قال القفال
قيل الودود قد يكون بمعنى الحليم من قولهم دابة ودود وهي المطيعة القياد التي كيف
عطفتها انعطفت وانشد قطرب    اعدت للحرب صفاة ذلول القياد وقاحا ودودا
وثالثها ذو العرش قال القفال رحمه الله ذو العرش اي ذو الملك والسلطان
كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على السرير وكما يقال ثل عرش فلان اذا
ذهب سلطانه وهذا معنى متفق على صحته وقد يجوز ان يكون اراد بالعرش
السرير ويكون جل جلاله خلق سريرا في سمائه في غاية العظمة والجلالة بحيث لا
يعلم عظمته الا هو ومن يطلعه عليه ورابعها المجيد وفيه قراءتان احداهما الرفع
فيكون ذلك صفة لله سبحانه وهو اختيار اكثر القراء والمفسرين لان المجد من صفات
التعالي والجلال وذلك لا يليق الا بالله سبحانه والفصل والاعتراض بين الصفة
والموصوف في هذا النحو غير ممتنع والقراءة الثانية بالخفض وهي قراءة حمزة
والكسائي فيكون ذلك صفة للعرش وهؤلاء قالوا القران دل على انه يجوز وصف
غير الله بالمجيد قال بل هو قران مجيد ورايناه ان الله تعالى وصف العرش بانه
كريم فلا يبعد ايضا ان يصفه بانه مجيد ثم قالوا ان مجد الله عظمته بحسب الوجوب
الذاتي وكمال القدرة والحكمة والعلم وعظمة العرش علوه في الجهة وعظم
مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش احسن الاجسام تركيبا وصورة
وخامسها انه فعال لما يريد وفيه مسائل المسئلة الاولى فعال خبر مبتدا
محذوف المسئلة الثانية من النحويين من قال وهو الغفور الودود خبران
لمبتدا واحد وهذا ضعيف لان المقصود بالاسناد الى المبتدا اما ان يكون
مجموعهما او كل واحد واحد منهما فان كان الاول كان الخبر واحدا لا
خبرين وان كان الثاني كانت القضية لا واحدة بل قضيتين المسئلة الثالثة

احتج اصحابنا بهذه الايه في مسئله خلق الافعال فقالوا لا شك انه تعالى يريد الايمان فوجب ان يكون فاعلا للايمان بمقتضى هذه الايه واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضروره انه لا قايل بالفرق قال القاضي ولا يمكن ان يستدل بذلك على ان ما يريده الله تعالى من طاعه الخلق لا بد من ان يقع لان قوله فعال لما يريد لا يتناول الا ما اذا وقع كان فعله دون ما اذا وقع لم يكن فعلا له هذه الفاظ القاضي ولا يخفى ضعفها المسئله الرابعه احتج اصحابنا بهذه الايه على انه تعالى لا يجب لاحد من المكلفين عليه شي البته وهو ضعيف لان الايه داله على انه يفعل ما يريد فلم قلتم انه يريد ان لا يعطي الثواب المسئله الخامسه قال القفال فعال لما يريد اي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياه الجنه لا يمنعه منه مانع ويدخل اعداه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاه على ما يشا الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبه اذا شا ويعذب من شا منهم في الدنيا وفي الاخره يفعل من هذه الاشيا ومن غيرها ما يريد قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورايهم محيط بل هو قران مجيد في لوح محفوظ اعلم انه تعالى لما بين حال اصحاب الاخدود في تاذي المومنين بالكفار بين ان الذين كانوا قبلهم كانوا كذلك واعلم ان فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وقومه كما في قوله من فرعون وملايهم وثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهوره فذكر تعالى من المتاخرين فرعون ومن المتقدمين ثمود والمقصود بيان ان حال المومنين مع الكفار في جميع الازمنه مستمره على هذا النهج وهذا هو المراد من قوله بل الذين كفروا في تكذيب ولما طيب قلب الرسول بحكايه الاولين في هذا الباب سلاه بعد ذلك من وجه اخر وهو قوله والله من ورايهم محيط وفيه وجوه احدها ان المراد وصف اقتداره عليهم وانهم في قبضته وحصره كالمحاط اذا احيط به من ورايه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول تعالى فهم كذلك في قبضتي وانا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم

اياك فليسوا يفوتونني اذا اردت الانتقام منهم وثانيها ان يكون المراد من هذه الاحاطه قرب هلاكهم كقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وقوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقوله وظنوا انهم احيط بهم فهذا كله عباره عن مشارفه الهلاك يقول فهولاي في تكذيبك قد شارفوا الهلاك وثالثها ان قوله والله محيط باعمالهم اي عالم بها فهو مجازيهم عليها ثم انه تعالى سلى رسوله بعد ذلك بوجه ثالث وهو قوله بل هو قران مجيد وفيه مسايل المسئله الاولى تعلق هذا بما قبله هو ان هذا قران مجيد مصون عن التغير والتبدل فلما حكم فيه بسعاده قوم وبشقاوه قوم وبتاذي قوم عن قوم امتنع تغيره وتبدله فوجب الرضا به ولا شك ان هذا من اعظم موجبات التسليه المسئله الثانيه قرى قران مجيد بالاضافه اي قران رب مجيد وقرا يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهوا يعني اللوح فوق السما السابعه الذي فيه اللوح المحفوظ وقرى محفوظ بالرفع صفه للقران كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون المسئله الثالثه انه تعالى قال هاهنا في لوح محفوظ وقال في ايه اخرى انه لقران كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدا ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد كونه محفوظا عن ان يمسه الا المطهرون كما قال لا يمسه الا المطهرون ويحتمل ان يكون المراد كونه محفوظا عن اطلاع الخلق عليه سوى الملايكه المقربين ويحتمل ان يكون المراد ان لا يجري عليه تغيير وتبديل المسئله الرابعه قال بعض المتكلمين ان اللوح شي يلوح للملايكه فيقرونه ولما كانت الاخبار والاثار وارده بذلك وجب التصديق به والله اعلم

سوره الطارق

بلغ العرض

وهي مشتمله على الترغيب في معرفه المبدا والمعاد

بسم الله الرحمن الرحيم

والسما والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ اعلم ان الله تعالى اكثر في كتابه ذكر السما والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبه اما الطارق فهو كل ما اتاك ليلا سوا كان كوكبا او غيره ولا يكون الطارق نهارا والدليل عليه قول المسلمين في دعايهم نعوذ بالله من شر طوارق الليل وروي انه

عليه السلام نهى ان ياتي الرجل اهله طروقا والعرب تستعمل الطروق في صفة الخيال
لان تلك الحالة في الاكثر انما تحصل في الليل ثم انه تعالى لما قال والطارق كان هذا
مما لا يستغني سامعه عن معرفة المراد فقال وما ادريك ما الطارق قال سفين
بن عيينة كل شي في القران ما ادريك فقد اخبر الرسول به وكل شي فيه وما يدريك
لم يخبره به كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب ثم قال النجم الثاقب اي هو طارق
عظيم الشان رفيع القدر وهو النجم الذي يهدي به في ظلمات البر والبحر ويوقف به
على اوقات الامطار وههنا مسايل المسلة الاولى انما وصف النجم بكونه ثاقبا
لوجوه احدها انه يثقب الظلام بضوءه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرأه اي
يدفعه وثانيها انه يطلع من المشرق نافذا في الهوا كالشي الذي يثقب الشي
وثالثها انه الذي يرمي به الشيطان فيثقبه اي ينفذ فيه ويحرقه ورابعها قال
الفرا النجم الثاقب هو النجم المرتفع على النجوم والعرب تقول للطاير اذا لحق
ببطن السما ارتفاعا قد ثقب المسلة الثانية انما وصف النجم بكونه طارقا لانه
يبدو بالليل وقد عرفت ان ذلك يسمى طارقا او لانه يطرق الجني اي يصكه المسلة
الثالثة اختلفوا في قوله النجم الثاقب قال بعضهم اشير به الي جماعة النجوم فقيل
الطارق كما قيل ان الانسان لفي خسر وقال اخرون انه نجم بعينه ثم قال ابن زيد انه
الثريا وقال الفرا انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال اخرون انه
الشهب التي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب المسلة الرابعة
روي ان ابا طالب اتى النبي عليه السلم فاتحفه بخبز ولبن فبينا هو جالس ياكل اذا انحط
نجم فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال هذا نجم رمي به وهو
اية من ايات الله فعجب ابو طالب ونزلت السورة واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم
به اتبعه بذكر المقسم عليه فقال ان كل نفس لما عليها حافظ وفيه مسايل المسلة
الاولى في قوله لما قراتان احداها قراة ابن كثير وابي عمرو ونافع والكسائي
وهي بتخفيف الميم والثاني قراة عاصم وحمزة واليحصبي بتشديد الميم قال ابو علي
الفارسي من خفف كانت ان عنده المخففة من الثقيلة واللام في لما هي التي
تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من ان النافية وما صلة كالتي في قوله



فبما رحمة من الله وعما قليل ويكون ان متلقى للقسم كما يتلقاه مثقلة واما من ثقل فيكون ان
عنده النافية كالتي في قوله ما ان مكناكم ولما في معنى الا قال ويستعمل لما بمعنى الا في موضعين
احدهما هذا والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وروي عن

الزجاج م

الاخفش والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم نجد لما بمعنى الا في كلام العرب قال ابن عون
قرات عند ابن سيرين لما بالتشديد فانكره وقال سبحان الله سبحان الله وزعم القتبي
ان لما بمعنى الا مع ان الخفيفة التي تكون بمعنى ما موجودة في لغة هذيل المسلة الثانية
ليس في الاية بيان ان هذا الحافظ من هو وليس فيها ايضا بيان ان هذا الحافظ يحفظ
النفس عن ماذا اما الاول ففيه قولان الاول قول بعض المفسرين ان ذلك الحافظ
هو الله تعالى اما في التحقيق فلان كل موجود سوى الله ممكن وكل ممكن فانه لا يترجح
وجوده على عدمه الا لمرجح وينتهي ذلك الى الواجب لذاته فهو سبحانه القيوم الذي يحفظ
وابقا بقي الموجودات ثم انه تعالى بين هذا المعنى في السموات والارض على العموم في قوله
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وبينه في هذه الاية في حق الانسان على
الخصوص وحقيقة الكلام يرجع الى انه تعالى اقسم ان كل ما سواه فانه ممكن الوجود
محدث محتاج مخلوق مربوب هذا اذا حملنا النفس على مطلق الذات اما اذا
حملناها على النفس المتنفسة وهي النفس الحيوانية امكن ان يكون المراد من كونه تعالى
حافظا لها كونه تعالى عالما باحوالها وموصلا اليها جميع منافعها ودافعا عنها جميع
مضارها القول الثاني ان ذلك الحافظ هم الملايكة كما قال ويرسل عليكم حفظة
وقال عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
امر الله اما البحث الثاني وهو ان ما الذي يحفظه هذا الحافظ ففيه وجوه احدها
ان هولا الحفظة يكتبون عليه اعماله دقيقها وجليلها حتى يخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا وثانيها ان كل نفس لما عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها
فاذا استوفى الانسان اجله ورزقه قبضه الى ربه وحاصله يرجع الى وعيد الكفار
وتسلية النبي عليه السلم كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ثم تعرفون عن قريب
الى الاخر فيجازون عما يستحقونه وثالثها كل نفس لما عليها حافظ يحفظها

من المعاطب والمهالك فلا تصيبها الا ما قدر الله عليها ورابعها قال الفرا كل نفس
لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها الى المقابر وهذا قول الكلبي واعلم انه تعالى
لما اقسم على ان لكل نفس حافظا يراقبها ويعد عليها اعمالها فحينئذ يحق لكل احد ان
يجتهد ويسعى في تحصيل اهم المهمات وقد تطابقت الشرايع والعقول على ان اهم المهمات
معرفة المبدا ومعرفة المعاد واتفقوا على ان معرفة المبدا مقدمة على معرفة المعاد
فلهذا السبب بدا الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدا فقال فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب وفيه مسايل المسئلة الاولى
الدفق صب الماء يقال دفقت الماء اي صببته وهو مدفوق اي مصبوب ومندفق
اي منصب ولما كان هذا الماء مدفوقا اختلفوا في انه لم وصف بانه دافق على وجوه
الاول قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وفارس ونابل ولابن
وتامر اي ذو درع وفرس ونبل ولبن وتمر وذكر الزجاج ان هذا مذهب سيبويه الثاني
انهم يسمون المفعول باسم الفاعل قال الفرا واهل الحجاز افعل لهذا من غيرهم
يجعلون الفاعل مفعولا اذا كان في مذهب النعت لقولهم سر كاتم وهم ناصب
وليل نايم وكقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية الثالث ذكر الخليل في الكتاب
المنسوب اليه دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة واندفق الكوز اذا انصب
بمرة ويقال في الطيرة عند انصباب الكوز ونحوه دافق خير وفي كتاب قطرب
دفق الماء دفق اي انصب الرابع صاحب الماء لما كان دافقا اطلق ذلك على الماء
على سبيل المجاز المسئلة الثانية في الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع
لغات صُلْب وصَلْب وصَلَب وصالب المسئلة الثالثة ترايب المراة عظام
صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة وهذا قول جميع اهل
اللغة قال امرو القيس ترايبها مصقولة كالسجنجل المسئلة الرابعة في هذه
الاية قولان احدهما ان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترايب
المراة وقال اخرون انه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترايبه
واحتج صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين الاول ان ماء الرجل
خارج من الصلب فقط وماء المراة خارج من الترايب فقط وعلى هذا التقدير

لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترايب وذلك على خلاف الاية الثاني
انه تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق والذي يوصف بذلك هو ماء
الرجل ثم عطف عليه بان وصفه بانه يخرج يعني هذا الدافق من بين الصلب والترايب
وذلك يدل على ان الولد مخلوق من ماء الرجل فقط اجاب القايلون بالقول
الاول عن الحجة الاولى انه يجوز ان يقال للشيين المتباينين انه يخرج من بين
هذين خير كثير ولان الرجل والمراة عند اجتماعهما يصيران كالشي الواحد
فحسن هذا اللفظ هناك واجابوا عن الحجة الثانية بان هذا من باب
اطلاق اسم البعض على الكل فلما كان احد قسمي المني دافقا اطلق هذا الاسم
على المجموع ثم قالوا والذي يدل على ان الولد مخلوق من مجموع المنيين ان مني الرجل
وحده صغير فلا يكفي ولانه روي انه عليه السلام قال اذا غلب ماء الرجل يكون ذكرا
ويعود شبهه اليه والى اقاربه واذا غلب ماء المراة فاليها والى اقاربها
يعود الشبه وذلك يقتضي صحة القول الاول واعلم ان الملحدين طعنوا في
هذه الاية فقالوا ان كان المراد من قوله يخرج من بين الصلب والترايب ان المني
انما ينفصل من تلك المواضع فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع
وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى ياخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته
فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء ولذلك فان المفرط في الجماع
يستولي الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المني
يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى في الدماغ والدليل عليه
انه في صورته يشبه الدماغ ولان المكثر منه يظهر الضعف اولا في عينيه وان
كان المراد ان مستقر المني هناك فهو ضعيف لان مستقر المني هو اوعية المني وهي
عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المني هناك
فهو ضعيف لان الحس يدل على انه ليس كذلك والجواب لا شك ان اعظم الاعضاء
معونة في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله
شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين
العضوين بالذكر وعلى ان كلامكم في كيفية تولد المني وكيفية تولد الاعضاء من المني محض

الخامس

الوهم والظن الضعيف وكلام الله اولى بالقبول المسله الرابعه قد بينا في مواضع
من هذا الكتاب ان دلاله تولد الانسان عن النطفه على وجود الصانع المختار من اظهر
الدلايل لوجوه احدها ان التركيبات العجيبه في بدن الانسان اكثر فيكون تولده عن
الماده البسيطه ادل على القادر المختار وثانيها ان اطلاع الانسان على احوال نفسه
اكثر من اطلاعه على احوال غيره فلاجرم كانت هذه الدلاله اتم وثالثها ان مشاهده
الانسان لهذه الاحوال في اولاده واولاد ساير الحيوانات دايمه فكان الاستدلال
به على الصانع المختار اقوى ورابعها وهو ان الاستدلال بهذا الباب كما انه
يدل قطعا على وجود الصانع المختار الحكيم فكذلك يدل قطعا على صحه البعث
والحشر والنشر وذلك لان حدوث الانسان انما كان بسبب اجتماع اجزا كانت
متفرقه في بدن الوالدين بل في جميع العالم فلما قدر الصانع على جمع تلك الاجزا
المتفرقه حتى خلق منها انسانا سويا وجب ان يقال انه بعد موته وتفرق اجزاه
لابد وان يقدر الصانع على جمع تلك الاجزا وجعلها خلقا سويا كما كان اولا ولهذا
السر لما بين تعالى دلالته على المبدا فرع عليه ايضا دلالته على صحه المعاد فقال
انه على رجعه لقادر وفيه مسلتان المسله الاولى الضمير في انه للخالق مع انه لم
يتقدم ذكره والسبب فيه وجهان الاول دلاله خلق عليه والمعنى ان ذلك الذي
خلق قادر على رجعه الثاني انه وان لم يتقدم ذكره لفظا ولكن تقدم ذكر
ما يدل عليه سبحانه وقد تقرر في بدايه العقول ان القادر على هذه التصرفات
هو الله سبحانه فلما كان ذلك في غايه الظهور كان كالمذكور المسله الثانيه
الرجع مصدر رجعت الشي اي رددته والكنايه في قوله على رجعه الى اي شي
يرجع فيه وجهان اولهما وهو الاقرب انه راجع الى الانسان والمعنى ان الذي
قدر على خلق الانسان ابتدا وجب ان يقدر بعد موته على رده حيا وهو
كقوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مره وقوله وهو اهون عليه
وثانيهما ان الضمير غير عايد الى الانسان ثم قال مجاهد قادر على ان
يرد الما في الاحليل وقال عكرمه والضحاك على ان يرد الما في الصلب وروي
ايضا عن الضحاك انه قادر على رد الانسان ما كما كان قبل وقال

مقاتل بن حيان ان شيت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبى ومن
الصبى الى النطفه واعلم ان القول الاول اصح ويشهد له قوله يوم تبلى السراير
اي انه قادر على بعثه يوم القيامه ثم انه سبحانه لما اقام الدلاله على صحه القول
بالبعث والقيامه وصف حاله في ذلك اليوم فقال يوم تبلى السراير
فما له من قوه ولا ناصر وفيه مسايل المسله الاولى يوم منصوب برجعه ومن (في الهامش: برجعه مح)
جعل الضمير في رجعه للما وفسره الى مخرجه من الصلب والترايب او الى الحاله
الاولى نصب الظرف بقوله فما له من قوه اي ما له من قوه في ذلك اليوم المسله الثانيه
تبلى اي تختبر والسراير ما اسر في القلوب من العقايد والنيات وما اخفي من
الاعمال وفي كيفيه الابتلا والاختبار ههنا اقوال الاول ما ذكره القفال
رحمه الله معنى الاختبار ههنا ان اعمال الانسان يوم القيامه تعرض عليه وينظر
ايضا في الصحيفه التي كتبت الملايكه فيها تفاصيل اعمالهم ليعلم ان المذكور هل هو
مطابق للمكتوب ولما كانت المحاسبه يوم القيامه واقعه على هذا الوجه جاز
ان يسمى هذا المعنى ابتلا وهذا التسميه تعده لعباده ابتلا وامتحانا وان كان عالما بتفا (في الهامش: صيل)
ما عملوه وما لم يعملوه والوجه الثاني ان الافعال انما يستحق عليها الثواب والعقاب (في الهامش: والعقاب مح)
لوجوهها فرب فعل يكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا وربما كان بالعكس
فاختبارها ما يعتبر بين تلك الوجوه المتعارضه من المعارضه والترجيح
حتى يظهر ان الوجه الراجح ما هو والمرجوح ما هو الثالث قال
ابو مسلم بلوت يقع على اظهار الشي ويقع على امتحانه كقوله ونبلوا اخباركم
وقوله لنبلوكم ثم قال المفسرون السراير التي تكون بين الله وبين العبد
تختبر يوم القيامه حتى يظهر خيرها من شرها ومؤداها من مضيعها
وهذا معنى قول ابن عمر رضي الله عنهما يبدي الله يوم القيامه كل سر
منها فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه يعني من اداها كان وجهه
مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر المسله الثانيه دلت الايه
على انه لا قوه للعبد ذلك اليوم لان قوه الانسان اما ان تكون له لذاته
او مستفاده من غيره فالاول منفي بقوله فما له من قوه والثاني منفي بقوله

ولا ناصر والمعنى ما له من قوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا
ناصر ينصره في دفعه ولا شك انه زجر وتحذير ومعنى دخول من في قوله من
قوة على وجه النفي لقليل ذلك وكثيره كانه قيل ما له شي من القوة ولا احد من الانصار
المسئلة الرابعة يمكن ان يتمسك بهذه الاية في نفي الشفاعة كقوله تعالى واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا ينصرون والجواب ما تقدم قوله والسما
ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا اعلم انه سبحانه وتعالى بعد ان فرغ
من دلائل التوحيد والمعاد اقسم قسما اخر اما قوله والسما ذات الرجع فنقول
قال الزجاج الرجع المطر لانه يجي ويتكرر واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة
اللغة صريح في ان الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بل سمي رجعا على سبيل المجاز
ولحسن هذا المجاز وجوه احدها قال القفال كانه من ترجيع الصوت وهو
اعادته ووصل الحروف به فكذا المطر لكونه عائدا مرة بعد اخرى سمي رجعا
وثانيها ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم ترجعه
الى الارض وثالثها انهم ارادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع ورابعها ان
المطر يرجع في كل عام اذا عرفت هذا فنقول للمفسرين اقوال احدها قال
ابن عباس والسما ذات الرجع اي ذات المطر يرجع بمطر بعد مطر وثانيها
رجع السما اعطا الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان
ترجعه رجعا اي تعطيه مرة بعد مرة وثالثها قال ابن زيد هو انها ترد وترجع
شمسها وقمرها بعد مغيبهما والقول هو الاول اما قوله والارض ذات
الصدع فاعلم ان الصدع هو الشق ومنه قوله تعالى يومئذ يصدعون اي
يتفرقون وللمفسرين اقوال قال ابن عباس تنشق عن النبات والاشجار وقال
مجاهد هو الجبلان بينهما شق وطريق نافذ كما قال تعالى وجعلنا فجاجا سبلا
وقال الليث الصدع نبات الارض لانه يصدع الارض فتنصدع به الارض وعلى
هذا سمي النبات صدعا لانه صادع للارض واعلم انه سبحانه كما جعل كيفية
خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة

هم

فيها



النبات فالسما ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم
العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السما من المطر متكررا وعلى ما ينبت من
الارض كذلك ثم انه تعالى اردف هذا القسم بالمقسم عليه فقال انه لقول فصل
وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في هذا الضمير قولان الاول ما قاله القفال وهو ان
المعنى ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم في اليوم الذي تبلى فيه سرائركم قول
فصل وحق والثاني انه عائد الى القران اي القران فاصل بين الحق والباطل كما قيل
له فرقان والاول اولى لان عود الضمير الى المذكور السالف اولى المسئلة الثانية
قول فصل اي حكم ينفصل به الحق عن الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها
بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل اي قاطع للمرا والنزاع وقال بعض المفسرين
معناه انه جد حق لقوله وما هو بالهزل اي باللعب والمعنى ان القران نزل
للجد ولم ينزل باللعب ثم قال وما هو بالهزل والمعنى ان الشان الفصل قد يذكر
لا على سبيل الجد والاهتمام بشانه وقد يكون على سبيل الجد وهذا الموضع من ذلك
ثم قال انهم يكيدون كيدا واكيد وذلك الكيد على وجوه منها القا الشبهات
كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين فهي تملى عليه بكرة واصيلا ومنها الطعن
فيه بكونه ساحرا وشاعرا ومجنونا ومنها القصد لقتله على ما قال تعالى واذ يمكر
بك الذين كفروا ليقتلوك ثم قال واكيد كيدا واعلم ان الكيد في حق الله تعالى
محمول على وجوه احدها دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه السلم ومقابلته ذلك
الكيد بنصرته واعلا درجته لاجل المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزا
سيئة سيئة مثلها وقال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وكقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم وثانيها ان كيده
تعالى بهم هو امهاله اياهم على كفرهم حتى ياخذهم على غرة ثم قال فمهل الكافرين
اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل ثم انه تعالى لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال
المامور به قليل فقال امهلهم رويدا فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين
من الرسول عليه السلم والتصبر وهاهنا مسائل المسئلة الاولى قال ابو عبيدة ان تكبير

رويدا رود وانشد يمشي ولا تكلم البطحا مشيته كانه ثمل يمشي على رود
اي على مهله ورفق وتؤدة وذكر ابو علي في باب اسما الافعال رويد زيدا اي ترويد
ارود زيدا ومعناه امهله وارفق به قال النحويون رويد في كلام العرب
على ثلثة اوجه احدها ان يكون اسما للامر كقولك رويد زيدا اي ارود زيدا
وخله ودعه وارفق به ولا تنصرف رويد في هذا الوجه لانها غير متمكنة
والثاني ان تكون بمنزلة سائر المصادر فتضاف الى ما بعده كما تضاف المصادر
تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب والثالث
ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا
رويدا يحذفون المنعوت ويقيمون رويدا مقامه كما يفعلون بسائر النعوت
المتمكنة ومن ذلك قول العرب ضعه رويدا اي وضعا رويدا ويقول للرجل
يعالج الشيء رويدا اي علاجا رويدا ويجوز في هذا الوجه امران احدهما
ان يكون رويدا حالا والثاني ان يكون نعتا فان اظهرت المنعوت لم يجز
ان يكون للحال والذي في الاية هو ما ذكرنا في الوجه الثالث لانه يجوز
ان يكون نعتا للمصدر كانه قيل امهلهم امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال اي
امهلهم غير مستعجل المسئلة الثانية منهم من قال امهلهم رويدا الى
يوم القيامة وانما صغر ذلك من حيث علم ان كل ما هو ات قريب ومنهم من
قال امهلهم رويدا الى يوم بدر والاول اولى لان الذي جرى يوم بدر
وفي سائر الغزوات لا يعم الكل واذا حمل على امر الاخرة عم الكل منهم
ولا يمتنع مع ذلك ان يدخل في جملته امر الدنيا فيما نالهم يوم بدر وغيره
وكل ذلك زجر وتحذير للقوم وكما انه تحذير لهم فهو ترغيب في خلاف طريقتهم
في الطاعات

## سورة سبح

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي
اخرج المرعى فجعله غثاء احوى اعلم ان قوله تعالى سبح اسم
ربك الاعلى فيه مسائل المسئلة الاولى في قوله اسم ربك قولان احدهما
ان المراد الامر بتنزيه اسم الله وتقديسه والثاني ان الاسم صلة والمراد

بلغ العرض



الامر بتنزيه الله تعالى اما على الوجه الاول ففي اللفظ احتمالات احدها
ان المراد نزه اسم ربك عن ان يسمى به غيره فيكون ذلك نهيا عن ان يدعى
غيره باسمه كما كان المشركون يسمون الصنم باللات ومسيلمة برحمان اليمامة
وثانيها ان لا تفسر اسماءه بما لا يصح ثبوته في حقه سبحانه نحو ان يفسر الاعلى
بالعلو في المكان والاستوا بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستوا
بالاستيلا وثالثها ان تصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم
ويدخل فيه ان يذكر تلك الاسما عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقايقها
ورابعها ان يكون المراد سبح باسم ربك اي مجده باسمائه التي انزلتها عليك
وعرفتك انها اسماؤه كقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ونظير هذا
التاويل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم ومقصود الكلام من هذا التاويل
امران احدهما سبح باسم ربك الاعلى اي صل باسم ربك كما يصلي المشركون بالمكا
والتصدية والثاني ان لا يذكر العبد ربه الا بالاسما التي ورد التوقيف بها
قال الفرا لا فرق بين سبح اسم ربك وبين سبح باسم ربك قال الواحدي
وبينهما فرق لان معنى سبح باسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه المنبئ عن تنزيهه
وعلوه كما يقول المبطلون وسبح اسم ربك اي نزه الاسم من السوء خامسها
قال ابو مسلم المراد من الاسم ها هنا الصفة وكذا في قوله تعالى ولله الاسما
الحسنى فادعوه بها اما على الوجه الثاني وهو ان يكون الاسم صلة ويكون
المعنى سبح ربك وهو اختيار جمع من المحققين قالوا لان الاسم في الحقيقة
لفظ هو لفظة من حروف ولا يجب تنزيهها كما يجب في الله تعالى لكن المذكور
اذا كان في غاية العظمة لا يذكر هو بل يذكر اسمه فيقال سبح اسمه ومجد
ذكره كما يقال سلام على المجلس العالي وقال لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما
اي السلام وهذه طريقة مشهورة في اللغة ويقول على هذا الوجه
تسبيح الله يحتمل وجهين الاول ان لا يعامل الكفار معاملة يقدمون
بسببها على ذكر الله بما لا ينبغي على ما قال ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الثاني انه عبارة عن تنزيه الله تعالى

عن كل ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمايه وفي احكامه
اما في ذاته فان يعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض واما في صفاته
فان يعتقد انها ليست محدثة ولا متناهيه ولا ناقصه واما في افعاله
فان يعتقد انه مالك مطلق فلا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور وقالت
المعتزله هو ان يعتقد ان كل ما فعله فهو صواب حسن وانه لا يفعل القبيح
ولا يرضي به واما في اسمايه فان لا يذكر سبحانه الا بالاسما التي ورد التوقيف
بها هذا عندنا واما عند المعتزله فهو ان لا يذكر الا بالاسما التي لا توهم
نقصا بوجه من الوجوه سوا ورد الاذن فيها اولم يرد فهو ان نعلم انه ما
كلفنا لنفع يعود اليه بل اما لمحض المالكيه على ما هو قولنا او لرعايه مصالح
العباد على ما هو قول المعتزله المسئله الثانيه من الناس من تمسك بهذه
الايه في ان الاسم نفس المسمي واقول ان الخوض في الاستدلال لا يمكن الا بعد
تلخيص محل النزاع فلا بد ها هنا من بيان ان الاسم ما هو والمسمي ما هو
حتى يمكننا ان نخوض في ان الاسم هل نفس المسمي ام لا فنقول ان كان المراد
من الاسم هو هذا اللفظ وبالمسمي تلك الذات فالعاقل لا يمكنه ان يقول الاسم
هو المسمي وان كان المراد من الاسم هو تلك الذات وبالمسمي ايضا تلك الذات
كان قولنا الاسم نفس المسمي هو ان تلك الذات نفس تلك الذات وهذا لا
يمكن ان ينازع فيه عاقل فعلمنا ان هذه المسئله في وضعها ركيكه واذا كان
كذلك كان الخوض في ذكر الاستدلال عليه اركل وابعد بلي ها هنا دقيقه
وهي ان قولنا اسم لفظه جعلناها اسما لكل ما دل على معني غير مقترن
بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فها هنا الاسم نفس
المسمي فلعل العلما ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتاخرين وظنوا ان الاسم في
جميع المواضع نفس المسمي هذا حاصل التحقيق في هذه المسئله ولنرجع
الي الكلام المالوف قالوا الذي يدل على ان الاسم نفس المسمي هو ان
احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح
ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمي لم يجز ان يقع التسبيح عليه

هوم

الاولى لبتم



واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لما بينا في المسئله الاولى انه يمكن ان يكون
الامر واردا بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد تسبيح المسمي وذكر الاسم صلة فيه
ويمكن ان يكون المراد سبح باسم ربك كما قال فسبح باسم ربك العظيم ويكون المعني سبح
ربك بذكر اسماه المسئله الثالثه روي عن عقبه بن عامر انه لما نزل قوله تعالى
فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله
سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم ثم روي في الاخبار انه عليه السلم
كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى ثم من
العلما من قال هذه الاحاديث تدل على ان المراد من قوله سبح باسم ربك اي صل
باسم ربك ويتاكد هذا الاحتمال باطباق المفسرين على ان قوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون ورد في بيان اوقات الصلوات المسئله الرابعه
قرا علي وابن عمر سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوي ولعل الوجه فيه ان قوله
سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان ربي الاعلى
المسئله الخامسه تمسكت المجسمه في اثبات العلو بالمكان بقوله ربك الاعلى
والحق ان العلو بالجهه على الله محال لانه تعالى اما ان يكون متناهيا او غير
متناه فان كان متناهيا كان طرفه الفوقاني متناهيا فكان فوقه جهه فلا يكون
هو سبحانه اعلى من جميع الاشيا واما ان كان غير متناه فالقول بوجود ابعاد
غير متناهيه محال وايضا فلانه ان كان غير متناه من جميع الجهات يلزم ان
تكون ذاته تعالى مخلطه بالقاذورات تعالى الله عنه وان كان غير متناه من بعض
الجهات ومتناهيا من بعض الجهات كان الجانب المتناهي مغاير للجانب غير
المتناهي فيكون مركبا من جزئين وكل مركب ممكن فواجب الوجود لذاته ممكن
الوجود هذا محال فثبت ان العلو ها هنا ليس بمعنى العلو في الجهه ومما يوكد
ذلك ان ما قبل هذه الايه وما بعدها ينافي ان يكون المراد هو العلو بالجهه اما
ما قبل الايه فلان العلو عباره عن كونه في غايه البعد عن العالم وهذا لا يناسب
استحقاق التسبيح والثنا والتعظيم اما العلو بمعنى كمال القدره والتفرد بالتخليق
والابداع يناسب ذلك والسوره ها هنا مذكوره لبيان وصفه تعالى بما لاجله

يستحق الحمد والثنا والتعظيم واما ما بعد هذه الاية فلانه اردف قوله الاعلى بقوله
الذي خلق فسوى والخالقية تناسب العلو بحسب القدرة لا العلو بحسب الجهة
المسالة السادسة من الملحدين من قال القران مشعر بان للعالم ربين
احدهما عظيم والاخر اعلى منه اما العظيم فقوله فسبح باسم ربك العظيم واما الاعلى
منه فقوله سبح اسم ربك الاعلى فهذا يقتضي وجود رب اخر يكون هذا اعلى
بالنسبة اليه واعلم انه لما دلت الدلايل على ان الصانع تعالى واحد سقط
هذا السوال ثم نقول ليس في هذه الاية انه سبحانه وتعالى اعلى من رب
اخر بل ليس فيه الا انه اعلى ثم لنا فيه تاويلات الاول انه اعلى واجل واعظم
من كل ما يصفه به الواصفون ومن كل ذكر يذكره به الذاكرون فجلال كبريايه
اعلى من معارفنا وادراكاتنا واصناف آلايه ونعمايه اعلى من حمدنا وشكرنا
وانواع حقوقه اعلى من طاعاتنا واعمالنا الثاني ان قوله الاعلى
تنبيه على استحقاق الله التنزيه من كل نقص فكانه قال سبحانه فانه الاعلى
فانه العالي على كل شي بملكه وسلطانه وقدرته وهو كما يقول اجتنبت الحمى
المزيلة للعقل اي اجتنبتها بسبب كونها مزيلة للعقل والثالث ان يكون
المراد بالاعلى العالي كما ان المراد بالاكبر الكبير المسالة السابعة روي انه
عليه السلم كان يحب هذه السورة ويقول لو علم الناس علم سبح اسم ربك
الاعلى لرددها احدهم ست عشرة مرة وروي ان عايشة مرت باعرابي
يصلي باصحابه فقرا سبح اسم ربك الاعلى الذي يسر على الحبلى فاخرج منها
نسمة تسعى من بين صفاق وحشى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى بلى
الا بلى فقالت عايشة لا آب غايبكم ولا زالت نساكم في رنة والله اعلم
اما قوله تعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى اعلم انه سبحانه
لما امر بالتسبيح فكان سايلا قال الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد
المعرفة فما الدليل على وجود الرب فقال الذي خلق فسوى والذي
قدر فهدى واعلم ان الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة
عند اكابر الانبيا عليهم السلام والدليل عليه ما حكى الله تعالى عن ابرهيم



عليه السلم انه قال الذي خلقني فهو يهدين وحكى عن فرعون انه لما قال لموسى
وهرون عليهما السلم فمن ربكما يا موسى قال موسى عليه السلم ربنا الذي اعطى كل شي
خلقه ثم هدى واما محمد عليه السلم فانه تعالى اول ما انزل عليه هو قوله اقرا
باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذا اشارة الى الخلق ثم
قال اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم وهذا اشارة الى الهداية ثم انه
تعالى اعاد ذكر تلك الحجة في هذه السورة فقال الذي خلق فسوى والذي
قدر فهدى وانما وقع الاستدلال بهذه الطريقة كثيرا لما ذكرنا ان
العجايب والغرايب في هذه الطريقة اكثر ومشاهدة الانسان لها والاطلاع
عليها اتم فلا جرم كانت اقوى في الدلالة ثم ههنا مسايل المسالة الاولى
قوله خلق فسوى يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان
ويحتمل ان يريد كل شي خلقه فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها
احدها انه جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة على ما قال
ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه فقال
فتبارك الله احسن الخالقين وثانيها ان كل حيوان فانه مستعد لنوع
واحد من الاعمال فقط وغير مستعد لساير الاعمال اما الانسان
فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع افعال الحيوانات بواسطة الات
مختلفة فالتسوية اشارة الى هذا وثالثها انه هياه للتكليف والقيام باداء
العبادات واما من حمله على جميع الحيوانات قال المراد انه اعطى كل حيوان
ما يحتاج اليه من اعضا والات وحواس وقد استقصينا القول في هذا الباب
في مواضع كثيرة من هذا الكتاب واما من حمله على جميع المخلوقات قال المراد
من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق
ما اراد على وفق ما اراد موصوفا بوصف الاحكام والاتقان مبرا عن النقص
والاضطراب المسالة الثانية قرا الجمهور قدر مشددة وقرا الكسايي
على التخفيف اما قراءة التشديد فالمعنى انه قدر كل شي بمقدار معلوم واما
التخفيف فقال القفال معناه ملك فهدى وتاويله انه خلق فسوى

فيهم

وملك ما خلق اي تصرف كيف شا واراد وهذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه
ومنهم من قال هما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون
بالتشديد والتخفيف المسله الثالثه ان قوله قدر يتناول المخلوقات
في ذواتها وصفاتها كل واحد فقدر السموات والكواكب والعناصر والمعادن
والنبات والحيوان والانسان بمقدار مخصوص من الجثه والعظم وقدر
لكل واحد منها من البقا مده معلومه ومن الصفات والالوان والطعوم
والروايح والاين والاوضاع والحسن والقبح والسعاده والشقاوه والهدايه
والضلاله مقدارا معلوما على ما قال وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا
بقدر معلوم وتفصيل هذه الجملة مما لا تفي بشرحه المجلدات بل العالم كله من
اعلى عليين الى اسفل السافلين تفسير هذه الآية وتفصيل لهذه الجمله اما
قوله فهدى فالمراد ان كل مزاج فانه مستعد لقوه خاصه وكل قوه
فانها لا تصلح الا لفعل معين فالتسويه والتقدير عباره عن التصرف في
الاجزا الجسمانيه وتركيبها على وجه خاص لاجله تستعد لقبول تلك القوى
وقوله فهدى عباره عن خلق تلك القوى في تلك الاعضا بحيث تكون
كل قوه مصدرا لفعل معين ويحصل من مجموعها تمام المصلحه وللمفسرين
فيه وجوه قال مقاتل هدى الذكر للانثى كيف ياتيها وقال اخرون
هداه لمعيشته ومرعاه وقال اخرون هدى الانسان لسبيل الخير
والشر والسعاده والشقاوه وذلك لانه جعله حساسا دراكا متمكنا
من الاقدام على ما يسره والاحجام عما يسوءه كما قال انا هديناه السبيل اما
شاكرا واما كفورا وقال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
وقال السدي قدر مده الجنين في الرحم ثم هداه للخروج وقال الفرا
قدر فهدى واضل واكتفى بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال
اخرون الهدايه ههنا بمعنى الدعا الى الايمان كقوله وانك لتهدي اي
لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان وقال اخرون هدى اي دلهم بافعاله
على توحيده وجلال كبريايه ونعوت صمديته وفردانيته وذلك لان العاقل

الجملة

الآية صح

تمام



بحكمته صح

يرى في العالم افعالا متقنه متسقه منتظمه فهي لا محاله تدل على الصانع القديم
وقال قتاده في قوله قدر فهدى ان الله ما اكره عبدا على معصيه ولا على ضلاله
ولا رضيها له ولا امره بها ولكن رضي لكم الطاعه وامركم بها ونهاكم عن المعصيه واعلم
ان هذه الاقوال على كثرتها لا تخرج عن قسمين فمنهم من حمل قوله فهدى على
ما يتعلق بالدين كقوله هديناه النجدين ومنهم من حمله على ما يرجع الى مصالح
الدنيا والاول اقوى لان قوله خلق فسوى وقدر يرجع الى احوال الدنيا
ويدخل فيه اكمال العقل والقوى ثم اتبعه بقوله فهدى اي كلفه ودله
على الدين قوله تعالى والذي اخرج المرعى فجعله غثا احوى اعلم انه سبحانه
لما بين ما يختص به الناس اتبعه بذكر ما يختص به غير الناس من النعم فقال
والذي اخرج المرعى اي هو القادر على انبات العشب لا كالاصنام التي عبدتها
الكفره والمرعى ما تخرجه الارض من النبات ومن الثمار والزروع والحشيش قال
ابن عباس المرعى الكلا الاخضر ثم قال فجعله غثا احوى وفيه مسلتان المسله
الاولى الغثا ما يبس من النبت فحملته الاوديه والمياه والوت به الرياح وقال قطرب
واحد الغثا غثاه المسله الثانيه الحوه السواد وقال بعضهم الاحوى هو الذي
يضرب الى السواد اذا اصابته رطوبه وفي احوى قولان احدهما انه نعت الغثا
اي صار بعد الخضره يابسا فتغير الى السواد وسبب ذلك السواد امور احدها
ان العشب انما يجف عند استيلا البرد على الهوا ومن شان البروده انها تبيض
الرطب وتسود اليابس وثانيها ان يحملها السيل فيلصق به اجزا كدره فتسود
وثالثها ان يحملها الريح فيلتصق به الغبار الكثير فتسود القول الثاني
وهو اختيار الفرا وابي عبيده ان يكون الاحوى هو الاسود لشده خضرته
كما قيل مدهامتان اي سوداوان لشده خضرتهما والتقدير الذي اخرج
المرعى احوى فجعله غثا كقوله ولم يجعل له عوجا قيما اي انزله قيما ولم يجعل
له عوجا قوله تعالى سنقريك فلا تنسى الا ما شا الله انه يعلم الجهر
وما يخفى اعلم انه تعالى لما امر محمدا بالتسبيح فقال سبح اسم ربك وعلم محمد ﷺ
عليه السلام ان ذلك التسبيح لا يتم ولا يكمل الا بقراه ما انزله الله عليه من القران

وهو

عد الله

لما بينا ان التسبيح الذي يليق به هو الذي يرتضيه فلا جرم كان يتذكر القران في نفسه
مخافة ان ينسى فازال الله ذلك الخوف عن قلبه بقوله سنقرئك فلا تنسى وفيه مسائل
المسئلة الاولى قال الواحدي سنقرئك اي سنجعلك قارئا بان نلهمك القراءة فلا تنسى
ما تقراه والمعنى نجعلك قارئا للقران تقراه ولا تنساه قال مجاهد ومقاتل
والكلبي كان عليه السلام اذا نزل عليه القران اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان
جبريل لا يفرغ من اخر الوحي حتى يتكلم هو باوله مخافة النسيان فقال الله تعالى
سنقرئك فلا تنسى اي سنعلمك هذا القران حتى تحفظه ونظيره قوله ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ثم ذكروا
في كيفية ذلك الاستقراء والتعليم وجوها احدها ان جبريل عليه السلام سيقرا عليك
القران مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها انا نشرح صدرك ونقوي
خاطرك حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وثالثها انه تعالى لما
امره في اول السورة بالتسبيح فكانه تعالى قال واظب على ذلك ودم عليه فانا
سنقرئك القران الجامع لعلوم الاولين والاخرين ويكون فيه ذكرك وذكر
قومك ونجمعه في قلبك ونيسرك لليسرى وهو العمل به المسئلة الثانية
هذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا
الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتبة خارق للعادة فيكون
معجزا الثاني ان هذه السورة من اوائل ما نزل عليه فهذا اخبار عن امر عجيب
غريب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن
الغيب فيكون معجزا اما قوله فلا تنسى فقال بعضهم فلا تنسى معناه النهي
والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه
الا ما شاء الله ان ينسيكه والقول المشهور ان هذا خبر والمعنى سنقرئك
الى ان تصير بحيث لا تنسى وتامن النسيان كقولك ساكسوك فلا تعرى اي فتامن
العري واحتج اصحاب هذا القول على ضعف القول الاول بان ذلك القول
لا يتم الا عند التزام مجاز في هذه الاية منها ان النسيان لا يقدر عليه الا الله
تعالى فلا يصح ورود الامر والنهي به فلا بد ان يحمل ذلك على المواظبة على الاشيا



التي تنافي النسيان مثل الدراسة وكثرة التذكر وكان ذلك عدولا عن ظاهر اللفظ ومنها
ان تجعل الالف مزيدة للفاصلة وهو ايضا خلاف الاصل ومنها انا اذا جعلناه
خبرا كان معنى الاية بشارة الله اياه باني اجعلك بحيث لا تنساه واذا جعلناه نهيا
كان معناه ان الله امره بان تواظب على الاسباب المانعة من النسيان وهي الدراسة
والقراءة وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه على خلاف قوله لا
تحرك به لسانك لتعجل به اما قوله الا ما شاء الله ففيه احتمالان احدهما ان يقال
هذا الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وانه عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئا قال
الكلبي انه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الاية شيئا وعلى هذا التقدير يكون الغرض
من قوله الا ما شاء الله احد امور احدها التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وكانه تعالى يقول
انا مع اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل لا اخبر عن
وقوع شيء في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك يا محمد اولى بها وثانيها
قال الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد عليه السلام شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا
الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك لقدر عليه كما قال ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع بانه تعالى ما شاء ذلك وقال لمحمد
عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه عليه السلام ما اشرك البتة وبالجملة
ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم ان عدم النسيان
من فضل الله واحسانه لا من قوته وثالثها انه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء
جوز رسول الله عليه السلام في كل ما نزل عليه من الوحي قليلا كان او كثيرا ان يكون
ذلك هو المستثنى فلا جرم كان ساعيا في التثبت والتحفظ والتيقظ في جميع المواضع
فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاءه عليه السلام على التيقظ في جميع الاحوال
ورابعها ان يكون الغرض من قوله الا ما شاء الله نفي النسيان راسا كما يقول
الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ~~استثناء في الحقيقة وعلى هذا التقدير~~
ولا يقصد استثناء شيء القول الثاني ان قوله الا ما شاء الله استثناء في الحقيقة
وعلى هذا التقدير يحتمل الاية وجوها احدها قال الزجاج الا ما شاء الله ان ينسى

فانه ينسى ثم يذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا دايما روي
انه اسقط اية في قراته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها
وثانيها قال مقاتل الا ما شا الله ان ينسيه ويكون المراد من الانسا هاهنا
نسخه كما قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها فيكون المعنى الا ما شا الله ان
ننساه على الاوقات كلها فامرك ان لا تقراه ولا تصلي به فيصير ذلك سببا لنسيانه
وزواله عن الصدور وثالثها ان يكون قوله الا ما شا الله القلة والندرة ويشترط
ان لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع بل من الاداب والسنن فانه لو
نسي شيا من الواجبات ولم يتذكره ادى ذلك الى الخلل في الشرع وانه غير
جايز اما قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى ففيه وجهان احدهما ان
المعنى انه سبحانه عالم بجهرك في القراة مع قراة جبريل عليه السلم وعالم بالسر
الذي في قلبك وهو انك تخاف النسيان فلا تخف فانا اكفيك ما تخافه والثاني
ان يكون المعنى فلا تنسا الا ما شا الله ان ينسخ فانه اعلم بمصالح العبيد فينسخ
حيث يعلم ان المصلحة في النسخ اما قوله ونيسرك لليسرى ففيه مسايل
المسلة الاولى اليسرى هي اعمال الخير التي تودي الى اليسر اذا عرفت
هذا فنقول للمفسرين فيه وجوه احدها ان قوله ونيسرك معطوف على
سنقريك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض والتقدير سنقريك فلا
تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل وايسر يعني في حفظ القران وثانيها
قال ابن مسعود اليسرى الجنة والمعنى نيسرك للعمل المودي اليها وثالثها
نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به ورابعها نوفقك للشريعة
وهي الحنيفية السهلة السمحة والوجه الاول اقرب المسلة الثانية لسايل ان
يسال فيقول العبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلاني ولا يقال جعل
فلان ميسرا للفعل الفلاني فما الفايدة فيه هاهنا جوابه ان هذه العبارة كما
انها اختيار القران في هذا الموضع وفي سورة الليل ايضا فكذا هي اختيار الرسول
في قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفيه لطيفة علمية وذلك لان ذلك الفعل في نفسه
ماهية ممكنة قابلة للوجود والعدم على السوية فما دام القادر يبقى بالنسبة الي

ميسرا لفلان صح



فعلها وتركها على السوية امتنع صدور الفعل عنه فاذا ترجح جانب الفاعلية
على جانب التاركية فحينئذ يحصل الفعل فثبت ان الفعل ما لم يجب لم يوجد وذلك
الرجحان هو المسمى بالتيسير فثبت ان الامر في التحقيق هو ان الفاعل يصير ميسرا
للفعل لا ان الفعل يصير ميسرا للفاعل فسبحان من له تحت كل كلمة حكمة خفية وسر
عجيب تبهر العقول المسلة الثالثة انما قال ونيسرك لليسرى بنون التعظيم
ليكون عظم المعطي دالا على عظمة العطا نظيره قوله تعالى انا انزلناه انا نحن
نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر فدلت هذه الاية على انه سبحانه فتح عليه من ابواب
التيسير والتسهيل ما لم يفتحه على احد غيره وكيف لا وقد كان صبيا لا اب له
ولا ام نشا في قوم جهال ثم انه تعالى جعله في افعاله واقواله قدوة للعالمين
وهاديا للخلق اجمعين اما قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى فاعلم
انه تعالى لما تكفل بتيسير جميع مصالح الدنيا والاخرة امره بدعوة الخلق الى
الحق لان كمال حال الانسان في ان يتخلق باخلاق الله سبحانه تام وفوق
التمام فلما صار محمد عليه السلم تاما بمقتضى قوله ونيسرك لليسرى امر بان
يجعل نفسه فوق التمام بمقتضى قوله فذكر لان التذكير يقتضي تكميل الناقصين
وهداية الجاهلين ومن كان كذلك كان فياضا للكمال فكان تاما وفوق التمام
وهاهنا سوالان السوال الاول انه عليه السلم كان مبعوثا الى الكل فيجب
عليه ان يذكرهم سوا نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فما المراد من تعليقه على الشرط
في قوله ان نفعت الذكرى والجواب ان المعلق بان على الشي لا يلزم
ان يكون عدما عند عدم ذلك الشي ويدل عليه ايات منها هذه الاية
ومنها قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا ومنها قوله
واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا جناح ان تقصروا من
الصلوة ان خفتم فان القصر جايز وان لم يوجد الخوف ومنها قوله فان لم تجد
كاتبا فرهان والرهن جايز مع الكتابة ومنها قوله فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جايزة بدون هذا الظن
اذا عرفت هذا فنقول ذكر والذكر هذا الشرط فوايد احدها ان من

عليكم صح

وا

بأشرف فعل لغرض ولا شك ان الصورة التي تحصل فيها افضا تلك الوسيلة
الى ذلك الفعل اوجب من الصورة التي علم فيها عدم ذلك الافضا فلذلك
قال ان نفعت الذكرى وثانيها انه تعالى ذكر اشرف الحالتين ونبه على الاخرى
كقوله سرابيل تقيكم الحر والتقدير فذكر ان نفعت الذكرى او لم تنفع وثالثها ان
المراد منه البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول المرء لغيره اذا بين له الحق قد
اوضحت لك ان كنت تعقل فيكون مراده البعث على القبول والانتفاع به
ورابعها ان هذا يجري مجرى تنبيه الرسول عليه السلم انه لا تنفعهم الذكرى
كما يقال للرجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى وما اراه يجيبك وخامسها انه
عليه السلم دعاهم الى الله كثيرا وكلما كانت دعوته اكثر كان عتوهم اكثر وكان
عليه السلم يحزن ويتحسر على ذلك فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران
من يخاف وعيد ان التذكير العام واجب في اول الامر فاما التكرير فلعله
انما يجب عند رجا حصول المقصود فلهذا المعنى قيده بهذا الشرط
السؤال الثاني التعليق بالشرط انما يحسن في حق من يكون جاهلا
بالعواقب اما علام الغيوب فكيف يليق به ذلك الجواب روي في الكتب
انه تعالى كان يقول لموسى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وانا اشهد انه
لا يتذكر ولا يخشى فامر الدعوة والبعثة شي وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب
الامور شي ولا يمكن بنا احدهما على الاخر السؤال الثالث التذكير المامور
به هل هو مضبوط مثلا ان يذكرهم عشر مرات او غير مضبوط وحينئذ كيف يكون
الخروج من عهدة التكليف والجواب ان الضابط فيه هو العرف والله اعلم
اما قوله تعالى سيذكر من يخشى ففيه مسايل المسلة الاولى اعلم ان الناس في
امر المعاد على ثلثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه
غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم من اصر على انكاره وقطع بانه لا يكون
فالقسمان الاولان يكون الخشية حاصلة لهما واما القسم الثالث فلا خشية له
ولا خوف اذا عرفت ذلك ظهر ان الاية تحتمل تفسيرين احدهما ان يقال الذي
يخشى هو الذي يكون عارفا بالله وعارفا بكمال قدرته وعلمه وحكمته وذلك



يقتضي كونه قاطعا بصحة المعاد ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
فكانه تعالى لما قال فذكر ان نفعت الذكرى بين في هذه الاية ان الذي تنفعه الذكرى
من هو ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنيا على حصول الخشية في القلب وصفات
القلوب مما لا اطلاع لاحد عليها الا الله سبحانه وجب على الرسول تعميم الدعوة
تحصيلا للمقصود فان المقصود تذكير من ينتفع بالتذكير ولا سبيل اليه الا بتعميم التذكير
والثاني ان يقال ان الخشية حاصلة للعارفين وللمتوقفين غير المعاندين واكثر
الخلق متوقفون غير معاندين والمعاندون فهم قليل فاذا ضم الى المتوقفين الذين
لهم العلة العارفون كانت الغلبة العظيمة لغير المعاند من ثم ان كثيرا من المعاندين
انما يعاندون باللسان فاما المعاند في قلبه بينه وبين نفسه فذلك مما لا يكون وان
كان فهو في غاية الندرة والقلة ثم ان الانسان اذا سمع التخويف بانه يصلى النار
الكبرى ولا يموت فيها ولا يحيى انكسر قلبه فلا بد ان يستمع وينتفع اغلب الخلق
في اغلب الاحوال واما ذلك المعرض فنادر وترك الخير الكثير لاجل الشر
القليل شر كثير فمن هذا الوجه كان قوله فذكر ان نفعت الذكرى يوجب تعميم
التذكير المسلة الثانية السين في قوله سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف
يذكر وسوف من الله واجب كقوله سنقريك فلا تنسى ويحتمل ان يكون المعنى
من يخشى فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر فهو بعد
طول المدة يتذكر والله اعلم المسلة الثالثة العلم انما يسمى تذكرا اذا كان
قد حصل العلم اولا ثم نسيه وهذه الحالة غير حاصلة للكافر فكيف سمى الله تعالى
ذلك بالتذكر وجوابه ان لقوة الدلايل وظهورها كان ذلك العلم كان حاصلا
ثم انه زال بسبب التقليد والعناد فلهذا سماه الله تعالى بالتذكر المسلة
الرابعة قيل نزلت هذه الاية في عثمن بن عفان وقيل نزلت في ابن ام مكتوم اما
قوله ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى فاعلم انا بينا ان اقسام
الخلق ثلثة العارفون والمتوقفون والمعاندون وبينا ان القسمين الاولين
لا بد وان يكون لهما خوف وخشية وصاحب الخشية لا بد وان يستمع الى
الدعوة وينتفع بها فيكون الاشقى هو المعاند الذي لا يستمع الى الدعوة ولا

العرض كان ذلك

ام م

سفع بها فلهذا قال تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى وفيه مسئلتان
المسئلة الاولى ذكروا في تفسير النار الكبرى وجوها احدها قال الحسن
الكبرى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا وثانيها ان في الاخرة نيرانا
ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة وكما ان الكافر
اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم النيران وثالثها ان النار الكبرى هي النار
السفلى وهي نصيب الكفار على ما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار المسئلة الثانية قالوا نزلت هذه الاية في الوليد وعتبة
وابي وانت تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما وقد
بينا صحة هذا الترتيب بالبرهان العقلي المسئلة الثالثة لقائل ان يقول
ان الله تعالى ذكر هاهنا قسمين احدهما الذي يذكر ويخشى والثاني الاشقى
الذي يصلى النار الكبرى لكن وجود الاشقى يستدعي وجود الشقي
فكيف حال هذا القسم جوابه ان لفظ الاشقى لا يقتضي وجود
الشقي اذ قد يجري مثل هذا اللفظ من غير مشارك كقوله تعالى اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقيل المعنى ويتجنبها الشقي الذي
يصلى كما في قوله وهو اهون عليه اي هين عليه ومثله قول القائل ان الذي
سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول هـ هذا ما قيل لكن التحقيق
ما ذكرنا ان الفرق ثلثة العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف
والمتوقف له بعض الشقا والاشقى هو المعاند الذي بينا انه هو الذي لا يلتفت
الى الدعوة ولا يصغي اليها ويتجنبها اما قوله تعالى ثم لا يموت فيها
ولا يحيى ففيه مسئلتان المسئلة الاولى للمفسرين فيه وجهان احدهما
لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة ينفعه كما قال لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها وعلى هذا مذهب العرب يقول للمبتلي بالبلا
الشديد هو لا حي ولا هو ميت وثانيهما معناه ان نفس احدهم في النار
تصير في حلقه فلا تخرج للموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فيحيى المسئلة
الثانية انما قيل ثم لان هذه الحالة افظع واعظم من التصلي فهو متراخ عنه

لا

في مراتب الشدة اما قوله تعالى قد افلح من تزكى ففيه وجهان احدهما
انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن النظر والتامل في دلايل الله تعالى
اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك وثانيهما وهو قول
الزجاج تكثر من التقوى ومعنى الزاكي النامي الكثير وهذا الوجه متعضد
بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون اثبت الفلاح
للمستجمعين لتلك الخصال وكذلك قوله في اول البقرة واولئك هم المفلحون
واما الوجه الاول فانه متعضد بوجهين الاول انه تعالى لما لم يذكر
في الاية ما يجب التزكي عنه علمنا ان المراد هو التزكي عما مر ذكره قبل الاية
وذلك هو الكفر فعلمنا ان المراد هاهنا قد افلح من تزكى عن الكفر الذي
مر ذكره قبل هذه الاية والثاني ان الاسم المطلق ينصرف الى المسمى
الكامل واكمل انواع التزكي هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف
هذا المطلق اليه وتاكد هذا التاويل بما روي عن ابن عباس انه قال
معنى تزكى قول لا اله الا الله اما قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى
ففيه مسايل المسئلة الاولى ذكر المفسرون فيه وجوها احدها قال ابن
عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له واقول هذا التفسير متعين
وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلثة فاولها ازالة العقايد الفاسدة عن القلب
وثانيها استحضار معرفة الله بذاته وصفاته واسمائه وثالثها الاشتغال
بخدمته فالمرتبة الاولى هي المراد بالتزكية في قوله قد افلح من تزكى وثانيها هي
المراد بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة وثالثها
وهي الخدمة هي المراد بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع
فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لا بد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر
الخضوع والخشوع وثانيها قال قوم من المفسرين قوله قد افلح من
تزكى يعني من تصدق قبل مروره الى العيد وذكر اسم ربه فصلى ثم صلى صلاة العيد
بعد ذلك مع الامام وهذا قول عكرمة وابي العالية وابن سيرين وابن عمر وروي
ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا التفسير فيه اشكال من وجهين

يعني

الاول ان عادة الله تعالى في القران تقديم ذكر الصلاة على ذكر الزكوة لا
تقديم الزكوة على الصلاة و الثاني قال الثعلبي هذه السورة مكية بالاجماع
ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر اجاب الواحدي عنه بانه لا يمتنع
ان يقال لما كان في معلوم الله تعالى ان ذلك سيكون اثنى على من فعل ذلك
وثالثها قال مقاتل قد افلح من تصدق من ماله وذكر ربه بالتوحيد في
الصلاة فصلى له والفرق بين هذا الوجه وما قبله ان هذا يتناول الزكوة
والصلاة المفروضتين والوجه الاول ليس كذلك ورابعها قد افلح من
تزكى ليس المراد منه زكوة المال بل زكوة الاعمال اي من تطهر في اعماله من الريا
والتقصير لان اللفظ المعتاد ان يقال في المال زكى ولا يقال تزكى قال
تعالى ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وخامسها قال ابن عباس وذكر
اسم ربه اي كبر في خروجه الى العيد وصلى صلاة العيد وسادسها المعنى
وذكر اسم ربه في صلاته ولا تكون صلاته كصلوة المنافقين حيث يراؤون الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا المسالة الثانية الفقهاء احتجوا بهذه الاية
على وجوب تكبيرة الافتتاح واحتج ابو حنيفة رحمه الله بها على ان تكبيرة
الافتتاح ليست من الصلاة قال لان الصلاة معطوفة عليها والعطف
يستدعي المغايرة واحتج ايضا بهذه الاية على ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه
واجاب اصحابنا بان تقدير الاية وصلى فذكر اسم ربه ولا فرق بين ان
يقول اكرمتني فزرتني وبين ان يقول زرتني فاكرمتني ولابي حنيفة رحمه الله
ان يقول ترك العمل بفاء التعقيب لا يجوز من غير دليل والاولى في الجواب
ان يقال الاية تدل على مدح كل من ذكر اسم الله فصلى عقيبه وليس في الاية
بيان ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح فلعل المراد به ان من ذكر الله بقلبه
وذكر ثوابه وعقابه دعاه ذلك الى فعل الصلاة فحينئذ ياتي بالصلاة التي
احد اجزائها التكبير وحينئذ تندفع الاستدلالات ثم قال بل تؤثرون
الحيوة الدنيا وفيه قراءتان العامة بالتاء ويؤكده حرف ابي بل انتم
تؤثرون عمل الدنيا على عمل الاخرة قال ابن مسعود ان الدنيا احضرت



وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة نعتت
لنا وزويت عنا فاخذنا بالعاجل وتركنا الاجل وقرا ابو عمرو يؤثرون
بالياء يعني الاشقى ثم قال والاخرة خير وابقى وتمامه ان كل ما كان
خيرا وابقى فهو اثر فيلزم ان تكون الاخرة اثر من الدنيا وهم كانوا يؤثرون
الدنيا وانما قلنا ان الاخرة خير لوجوه احدها ان الاخرة مشتملة
على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك فالاخرة خير
من الدنيا وثانيها ان الدنيا لذاتها مخلوطة بالالام والاخرة ليست كذلك
وثالثها ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني ثم قال
ان هذا لفي الصحف الاولى واختلفوا في المشار اليه بلفظ هذا منهم
من قال جميع السورة وذلك لان السورة مشتملة على التوحيد والنبوة والوعيد
على الكفر بالله والوعد على طاعة الله ومنهم من قال بل المشار اليه بهذه
الاشارة هو من قوله قد افلح من تزكى الى قوله والاخرة خير وابقى وذلك
لان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغي اما في القوة
النظرية فعن جميع العقايد الفاسدة واما في القوة العملية فعن جميع الاخلاق
الذميمة واما قوله وذكر اسم ربه فهو اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى
واما قوله فصلى اشارة الى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله واما قوله
بل تؤثرون الحيوة الدنيا فهو اشارة الى الزجر عن الالتفات الى الدنيا واما
قوله والاخرة خير وابقى فهو اشارة الى الترغيب في الاخرة وفي ثواب الله
وهذه امور لا يجوز ان تختلف باختلاف الشرايع فلهذا السبب قال
ان هذا لفي الصحف الاولى وهذا الوجه كما تاكد بالعقل فالخبر يدل عليه
وروي عن ابي ذر انه قال قلت هل في الدنيا مما في صحف ابرهيم وموسى
فقال اقرا يا ابا ذر قد افلح من تزكى وقال اخرون ان قوله هذا اشارة
الى قوله والاخرة خير وابقى وذلك لان الاشارة راجعة الى اقرب
المذكورات وذلك هو هذه الاية واما قوله لفي الصحف الاولى فهو
نظير لقوله وانه لفي زبر الاولين وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به

نوحا وقوله صحف ابرهيم وموسى فيه قولان احدهما انه بيان لقوله في
الصحف الاولى والثاني ان المراد انه مذكور في صحف جميع الانبيا التي منها
صحف ابرهيم وموسى وروي عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب على ادم عشر صحف وعلى
شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف والتورية
والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون
حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه والله اعلم

## سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ه اعلم ان في قوله هل اتاك حديث الغاشية
مسائل المسئلة الاولى ذكروا في الغاشية وجوها احدها انها القيامة من قوله يوم
يغشاهم العذاب وانما سميت القيامة بهذا الاسم لان ما احاط بالشي من جميع جهاته
فهو غاش له والقيامة كذلك من وجوه الاول انها ترد على الخلق بغتة وهو كقوله
تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله والثاني انها تغشى الناس جميعا من
الاولين والاخرين والثالث انها تغشى الناس بالاهوال والشدائد القول
الثاني الغاشية هي النار اي تغشى وجوه الكفرة واهل النار قال تعالى وتغشى
وجوههم النار ومن فوقهم غواش وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل القول
الثالث الغاشية اهل النار يغشونها ويقعون فيها والاول اقرب لان على
هذا التقدير يصير المعنى ان يوم القيامة تكون بعض الناس في الشقاوة وبعضهم في
السعادة المسئلة الثانية انما قال هل اتاك وذلك لانه تعالى عرف رسول
الله من حالها وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل
لان العقل ان دل فانه لا يدل الا على ان حال العصاة مخالفة لحال المطيعين
فاما كيفية تلك التفاصيل فلا سبيل للعقل اليه فلما عرفه الله تفصيل تلك الاحوال
لا جرم قال هل اتاك حديث الغاشية اما قوله وجوه يومئذ خاشعة
عاملة ناصبة فاعلم انه وصف لاهل الشقاوة وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
المراد بالوجوه اصحاب الوجوه هم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه

بلغ المقابلة



بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلق
بالوجه لذلك وهو كقوله وجوه يومئذ ناضرة خاشعة اي ذليلة قد عراها
الخزي والهوان كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم وقال وتريهم
يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وانما يظهر الذل
في الوجه لانه ضد التكبر الذي محله الراس والدماغ واما العاملة فهي التي
تعمل الاعمال ومعنى النصب الدوب في العمل مع التعب المسئلة الثانية
الوجوه الممكنة في هذه الصفات الثلث لا تزيد على ثلثة لانه اما ان يقال
هذه الصفات باسرها حاصلة في الاخرة او هي باسرها حاصلة في
الدنيا او بعضها في الاخرة وبعضها في الدنيا اما الوجه الاول وهو انها
باسرها حاصلة في الاخرة فهو ان هولاء الكفار يكونون يوم القيامة خاشعين
اي ذليلين وذلك لانهم في الدنيا تكبروا عن عبادة الله وعاملين لانها
تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال الثقيلة على ما
قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وخوضها في النار كما تخوض
الابل في الوحل بحيث ترتقي عنه تارة وتغوص فيه اخرى والتحير في جرائم جهنم
والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات قبل دخول النار في
يوم كان مقداره الف سنة وناصبين لانهم دايما يكونون في ذلك العمل قال
الحسن هذه الصفات كان يجب ان تكون حاصلة في الدنيا لاجل الله فلما لم تكن
كذلك سلطها الله عليهم يوم القيامة على سبيل العذاب واما الوجه الثاني
وهو انها باسرها حاصلة في الدنيا فقيل هم اصحاب الصوامع من اليهود
والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس والمعنى انها خشعت لله وعملت
ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وذلك لانهم لما
اعتقدوا في الله ما لا يليق به فكانهم اطاعوا ذلك الموصوف بالصفات
التي تخيلوها فهم في الحقيقة ما عبدوا الله وانما عبدوا ذلك المتخيل الذي
لا وجود له فلا جرم لا تنفعهم تلك العبادات اصلا واما الوجه
الثالث وهو ان بعض تلك الصفات حاصلة في الاخرة وبعضها في

الدنيا ففيه وجوه احدها انها خاشعه في الاخره مع انها كانت في
الدنيا عامله ناصبه والمعنى انها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا ولا يمتنع
وصفهم ببعض اوصاف الاخره ثم يذكر بعض اوصاف الدنيا ثم يعاد الى
ذكر الاخره اذا كان المعنى في ذلك مفهوما فكانه تعالى قال وجوه يوم
القيامه خاشعه لانها كانت في الدنيا عامله ناصبه في غير طاعه الله فهي
اذا تصلى نارا حاميه في الاخره وثانيها انها خاشعه عامله في الدنيا
ولكنها ناصبه في الاخره فخشوعها في الدنيا خوفها الداعي لها الى الاعراض
عن لذات الدنيا وطيباتها وعملها هو صلاتها وصومها ونصبها في الاخره
مقاساة العذاب على ما قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقرى عامله ناصبه على الشتم واعلم انه تعالى بعد ان وصفهم بهذه الصفات
الثلثة شرح بعد ذلك كيفية مكانهم ومشربهم ومطعومهم نعوذ بالله منها
اما مكانهم فقوله تعالى تصلى نارا حاميه يقال صلى بالنار يصلى اي لزمها
واحترق بها وقرى بنصب التاء وضمه قوله الا من هو صال الجحيم وقرا
ابو عمرو وعاصم برفع التاء من اصليته النار لقوله ثم الجحيم صلوه وقوله وتصليه
جهنم وصلوه مثل اصلوه وقرا قوم وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند
العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاه فيدسوها
وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا
وقوله حاميه اي قد اوقدت واحميت المده الطويله فلا حر يعدل حرها
قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله واما مشربهم فقوله
تعالى تسقى من عين انيه الانى الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التاخير
وفي الحديث ان رجلا اخر حضور الجمعه ثم تخطى رقاب الناس فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انيت واذيت ونظيره هذه الايه قوله يطوفون بينها
وبين حميم ان قال المفسرون ان حرها بلغ الى حيث لو وقعت منها قطره
على جبال الدنيا لذابت واما مطعومهم فقوله تعالى ليس لهم طعام الا من
ضريع واختلفوا في ان الضريع ما هو على وجوه احدها قال الحسن



لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من الصحابه شيا وثانيها روي عن الحسن
ايضا انه قال الضريع بمعنى المضرع كالاليم والسميع والبديع بمعنى المولم والمسمع
والمبدع ومعناه الا من طعام يحملهم على ان يضرعوا او يذلوا عند تناوله لما فيه من
الخشونه والمراره والحراره وثالثها ان الضريع ما يبس من الشبرق وهو
جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل
قال ابو ذويب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا عاد
عنه النحائص وهذا قول اكثر المفسرين واكثر اهل اللغه ورابعها
قال الخليل في كتابه ويقال للجلده التي على العظم تحت اللحم هي الضريع فكانه
تعالى وصفه بالقله فلا جرم لا يسمن ولا يغني من جوع وخامسها قال
ابو الجوزا الضريع السلا ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انه شجره
ذات شوك ثم قال ابو الجوزا وكيف يسمن من كان ياكل الشوك وفي الخبر
الضريع شي يكون في النار شبيه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفه واشد
حرا من النار قال القفال رحمه الله والمقصود من ذكر هذا الشراب
وهذا الطعام بيان نهايه ذلهم وذلك ان القوم لما اقاموا في تلك السلاسل
والاغلال تلك المده الطويله عطاشا جياعا ثم القوا في النار فراوا فيها ما
وشيئا من النبات فاحب اوليك القوم تسكين ما بهم من العطش والجوع
فوجدوا الما حميما لا يروي بل يشوي ووجدوا النبات مما لا يشبع ولا يغني
من جوع فايسوا وانقطعت اطماعهم في ازاله ما بهم من الجوع والعطش
كما قال وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل وبين ان هذه الحاله لا تزول
ولا تنقطع نعوذ بالله منها وهاهنا سوالات السوال الاول
قال تعالى في سوره الحاقه فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام
الا من غسلين وقال هاهنا ليس لهم طعام الا من ضريع والضريع
غير الغسلين والجواب من وجهين الاول ان النار دركات
فمن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم
من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد

له م

لكل باب منهم جزء مقسوم الثاني يحتمل ان يكون الغسلين من
الضريع ويكون ذلك كقولك مالي طعام الا من الشاة تقول مالي طعام
الا من اللبن ولا تناقض لان اللبن من الشاة السوال الثاني كيف يوجد
النبت في النار الجواب من وجهين الاول ليس المراد ان الضريع
نبت في النار ياكلونه ولكنه ضرب مثلا اي انهم يقتاتون بما لا يشبعهم او
يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع الثاني لم لا يجوز ان يقال
النبت يوجد في النار فانه لما لم يستبعد بقا بدن الانسان مع كونه لحما
ودما في النار ابد الاباد فكذا هاهنا وكذا القول في سلاسل النار
واغلالها وعقاربها وحياتها اما قوله لا يسمن ولا يغني من جوع
فهو مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع واما المعنى ففيه
ثلثة اوجه احدها ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس وذلك
لان هذا نوع من انواع الشوك والشوك مما ترعاه الابل وهذا النوع
مما تنفر عنه الابل فاذن منفعتا الغذا منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع
وافادة القوة والسمن في البدن وثانيها ان يكون المعنى لا طعام
لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام
ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس
تريد نفي الظل على التوكيد وثالثها روي ان كفار قريش قالت ان
الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما ان يتعنتوا بذلك
الكلام كذبا فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون
المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير
مسمن ولا مغن من جوع قال القاضي يجب في كل طعامهم ان لا يغني من
جوع لان ذلك نفع وارادة ذلك غير جائز في العقاب قوله
تعالى وجوه يومئذ ناعمة اعلم انه سبحانه لما ذكر وعيد الكفار
اتبعه بشرح احوال المومنين فذكر وصف اهل الثواب
اولا ثم وصف دار الثواب ثانيا اما وصف اهل الثواب فامرين



احدهما في ظاهرهم وهو قوله ناعمة اي ذات بهجة وحسن كقوله تعرف
في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة والثاني في باطنهم وهو قوله لسعيها
راضية وفيه تاويلان احدهما انهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل لله لما فازوا
بسببه من العاقبة الحميدة كالرجل يعمل العمل فيجزى عليه بالجميل ويظهر له منه
عاقبة محمودة فيقول ما احسن ما عملت ولقد وفقت للصواب فيما صنعت
فيثني على عمل نفسه ويرضاه الثاني المراد لثواب سعيها في الدنيا راضية اذا
شاهدوا ذلك الثواب وهذا اولى اذ المراد ان الذي شاهدوه من الثواب
العظيم يبلغ حد الرضا حتى لا يريدوا اكثر منه واما وصف دار الثواب
فاعلم ان الله تعالى وصفها بامور سبعة احدها قوله في جنة عالية ويحتمل
ان يكون المراد هو العلو في المكان وان يكون المراد هو العلو في الدرجة والشرف
والمنقبة اما العلو في المكان فذاك لان الجنة درجات بعضها اعلى
من بعض قال عطا والدرجة مثل ما بين السما والارض وثانيها قوله
لا تسمع فيها لاغية وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في قوله لا تسمع ثلث قراات
احداها قرا عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب لاغية بالنصب
والمخاطب بهذا الخطاب يحتمل ان يكون هو النبي عليه السلم وان يكون لا تسمع
يا مخاطب فيها لاغية وهذا يفيد الشياع في الخطاب كقوله واذا رايت ثم
رايت وقوله واذا رايتهم حسبتهم ويحتمل ان تكون هذه التاء عايدة الى
وجوه والمعنى لا تسمع الوجوه فيها لاغية وثانيها قرا نافع بالتاء المنقطة
من فوق مرفوعة على التانيث لاغية بالرفع وثالثها قرا ابن كثير وابو عمرو
لا يسمع بالياء المنقطة من تحت مضمومة على التذكير لاغية بالرفع وذلك جائز
لوجهين الاول ان هذا الضرب من المونث اذا تقدم فعله وكان بين الفعل
والاسم حايل حسن التذكير قال ان امرا غره منكن واحدة بعدي وبعدك
في الدنيا لمغرور والثاني ان المراد باللاغية اللغو فالتانيث على اللفظ والتذكير
على المعنى المسئلة الثانية لاهل اللغة في قوله لاغية ثلثة اوجه احدها انه
يقال لغي يلغو لغوا ولاغية فاللاغية واللغو شي واحد ويتاكد هذا الوجه

بقوله سبحانه لا يسمعون فيها لغوا وثانيها ان يكون صفة والمعنى لا يسمع كلمة
لاغية وثالثها قال الاخفش لاغية اي كلمة ذات لغو كما تقول فارس ودارع
لصاحب الفرس والدرع واما اهل التفسير فلهم وجوه احدها ان الجنة
منزهة عن اللغو لانها منزل جيران الله وانما نالوها بالجد والحق لا باللغو
والباطل وهكذى كل مجلس في الدنيا شريف مكرم فانه يكون مبرا عن اللغو
وكلما كان ابلغ في هذا كان اكثر جلالة هذا ما قرره القفال رحمه الله والثاني
قال الزجاج لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة والثنا على الله على ما رزقهم من النعيم
الدايم والثالث عن ابن عباس يريد لا يسمع فيها كذبا ولا بهتانا ولا كفرا
بالله ولا شتما والرابع قال مقاتل لا يسمع بعضهم من بعض الحلف عند
الشراب كما يحلف اهل الدنيا اذا شربوا الخمر واحسن الوجوه ما قرره القفال
الخامس قال القاضي اللغو ما لا فايدة فيه فالله تعالى لما نفى عنهم ذلك يندرج
فيه ما يوذي سامعه على طريق الاولى الصفة الثالثة للجنة قوله تعالى
فيها عين جارية قال صاحب الكشاف يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله
علمت نفس قال القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض في
غير اخدود وتجري لهم كما ارادوا قال الكلبي لا ادري بما او غيره
الصفة الرابعة قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهوا وذلك
لاجل ان يرى المومن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه في الجنة من النعيم
والملك وقال خارجة بن مصعب بلغنا انها بعضها فوق بعض مرتفع
ما شا الله فاذا جا ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها
ارتفعت الى حيث شا الله والاول اولى وان كان الثاني ايضا غير ممتنع
لان ذلك بما كان اعظم في سرور المكلف قال ابن عباس هي سرر الواحها
من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السما الصفة
الخامسة قوله تعالى واكواب موضوعة الاكواب الكيزان التي لا عرى
لها قال قتادة فهي دون الاباريق وفي قوله موضوعة وجوه احدها
انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيا فيقول هو ها هنا موضوع

سامعه بالحكمة والثنا



بمعنى معد وثانيها موضوعة على حافات العين الجارية كلما اراد الشرب
وجدها مملوة من الشراب وثالثها موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم
اياها بسبب كونها من ذهب او فضة او من جواهر وتلذذهم بالشرب
منها ورابعها ان يكون المراد موضوعة عن حد الكبر اي هي اوساط بين
الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى ونمارق
مصفوفة النمارق هي الوسايد في قول الجميع واحدها نمرقة بضم الميم
وزاد الفرا سماعا عن العرب نمرقة بكسر النون قال الكلبي وسايد مصفوفة
بعضها الى جنب بعض اينما اراد ان يجلس جلس على واحدة واستند
الى اخرى الصفة السابعة قوله تعالى وزرابي مبثوثة يعني البسط
والطنافس واحدها زربية وزربي بكسر الزاي في قول جميع اهل اللغة
وتفسير مبثوثة مبسوطة منشورة او مفرقة في المجالس قوله تعالى
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت اعلم انه تعالى لما حكم بمجي يوم القيامة
وقسم اهل القيامة الى قسمين الاشقيا والسعدا ووصف احوال الفريقين
وعلم انه لا سبيل الى اثبات ذلك الا بواسطة اثبات الصانع الحكيم لا جرم اتبع
ذلك بذكر هذه الدلالة فقال افلا ينظرون الى الابل وجه الاستدلال بذلك على
صحة المعاد انها تدل على وجود الصانع الحكيم ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول
بصحة المعاد اما الاول فلان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص
كل واحد منها بالوصف الذي لاجله امتاز عن الاخر لا بد وان يكون لتخصيص مخصص
وايجاد قادر ولما راينا هذه الاجسام مخلوقة على وجه الاتقان والاحكام
علمنا ان ذلك الصانع عالم ولما علمنا ان ذلك الصانع لا بد وان يكون مخالفا للخلق
في نعت الحاجة والحدوث والامكان علمنا انه غني فهذا يدل على ان للعالم
صانعا قادرا عالما غنيا فوجب ان يكون في غاية الحكمة ثم انا نرى الناس
بعضهم محتاجا الى البعض فان الانسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات
نفسه بل لا بد من بلدة يكون كل واحد من اهلها مشغولا بمهم اخر حتى ينتظم
من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الانتظام لا يحصل الا مع التكليف

المشتمل على الوعد والوعيد وذلك لا يحسن الا بالبعث والقيامه وخلق الجنه
والنار فثبت ان اقامة الدلاله على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث
والقيامه فلهذا السبب ذكر الله دلائل التوحيد في اخر هذه السوره فان
قيل فاي مجانسة بين الابل والسما والجبال والارض ثم لم بدا بذكر الابل
قلنا فيه وجهان الاول ان جميع المخلوقات متساويه في هذه الدلاله
وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها واي واحد منها ذكر دون غيره كان هذا
السوال عايدا فوجب الحكم بسقوط هذا السوال على جميع المقادير وايضا
فلعل الحكمه في ذكر هذه الاشيا التي هي غير متناسبه التنبيه على ان هذا
الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع بل هو عام في الكل على ما قال
وان من شي الا يسبح بحمده ولو ذكر ما لم يكن الامر كذلك لا جرم ذكر الله تعالى
امورا غير متناسبه بل متباعده جدا تنبيها على ان جميع الاجرام العلويه والسفليه
صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساويه في الدلاله على الصانع الحكيم فهذا
وجه حسن معقول وعليه الاعتماد الوجه الثاني وهو ان بين ما في
كل واحد من هذه الاشيا من المنافع والخواص الداله على الحاجه الى الصانع
المدبر ثم بين كيف يجانس بعضها بعضا اما المقام الاول فنقول الابل له خواص الاول
منها انه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى اصنافا شتى فتاره يقتنى ليوكل لحمه
وتاره ليشرب لبنه وتاره ليحمل الانسان في الاسفار وتاره لينقل امتعه
الانسان من بلد الى بلد وتاره ليكون له به زينه وجمال وهذه المنافع باسرها حاصله
في الابل وقد ابان الله عز وجل عن ذلك بقوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون وقال
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وان
شيا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال
فيه من العجايب وثانيها ان في كل واحد من هذه الخصال افضل من الحيوان
الذي لا يوجد فيه الا تلك الخصله لانها ان جعلت حلوبه سقت فاروت الكثير

ان



وان جعلت اكوله اطعمت واشبعت الكثير وان جعلت ركوبه امكن ان يقطع
بها من المسافات المديده ما لا يمكن قطعه بحيوان اخر وذلك لما ركب فيها
من قوة احتمال المداومه على السير والصبر على العطش والاجتزا من
العلوفات بما لا يجتزي به حيوان اخر وان جعلت حموله استقلت بحمل الاحمال
الثقيله التي لا يستقل بها سواها ومنها ان هذا الحيوان كان اعظم الحيوانات
وقعا في قلب العرب ولذلك فانهم جعلوا دية قتل الانسان ابلا وكان ملوكهم
اذا ارادوا المبالغه في اعطا الشاعر الذي جاء من المكان البعيد اعطاه
مايه بعير لان امتلا العين منه اشد من امتلا العين من غيره ولهذا قال
تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ومنها اني كنت مع جماعه
في مفازه فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف
من تل الى تل ومن جانب الى جانب والجمع كانوا يتبعونه حتى وصل الى الطريق
بعد زمان طويل فتعجبنا من قوة تخيل ذلك الحيوان انه بالمره الواحده كيف
انحفظت في خياله صوره تلك المعاطف حتى ان الذي عجز جمع من العقلا الى
الاهتدا اليه فان ذلك الحيوان اهتدى اليه ومنها انها كونها في غايه
القوه على العمل مباينه لغيرها في الانقياد والطاعه لاضعف الحيوانات
كالصبي الصغير ومباينه لغيرها ايضا في انها يحمل عليها وهي باركه ثم تقوم فهذه
الصفات الكثيره الموجوده فيها توجب على العاقل ان ينظر في خلقتها وتركيبها
ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ثم ان العرب من اعرف
الناس باحوال الابل في صحتها وسقمها ومنافعها ومضارها فلهذه
الاسباب حسن من الحكيم تعالى ان يامر بالتامل في خلقتها قال
والى السما كيف رفعت اي رفعا بعيد المدى بلا امساك وغير عمد والى
الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخه لا تميل ولا تزول والى الارض
كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطيه فهي مهاد للمتقلب عليها ومن الناس من
استدل بهذا على ان الارض ليست بكره وهو ضعيف لان الكره اذا كانت
في غايه العظمه يكون كل قطعه منها كالسطح وقرا علي عليه السلام

كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البنا للفاعل وتا الضمير والتقدير
فعلتها فحذف المفعول المقام الثاني في بيان ما بين هذه الاشيا من المناسبة
اعلم ان من الناس من فسر الابل بالسحاب قال صاحب الكشاف ولعله لم يرد
ان الابل من اسما السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك
وانما راى السحاب مشبها بالابل في كثير من اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب
على طريق التشبيه والمجاز وعلى هذا التقدير فالمناسبة ظاهرة اما اذا
حملنا الابل على مفهومه المشهور فوجه المناسبة بينها وبين السما
والجبال والارض من وجهين الاول ان القران نزل على العرب وكانوا
يسافرون كثيرا لان بلادهم بلدة خالية عن الزرع وكانت اسفارهم في اكثر
الامر على الجمل فكانوا كثيرا ما يسيرون عليها في المهامه القفار مستوحشين
منفردين عن الناس ومن شان الانسان اذا انفرد ان يقبل على التفكر في
الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك شي يشتغل به سمعه وبصره
واذا كان كذلك لم يكن له بد من ان يجعل انسه بالفكرة فاذا فكر في ذلك الحال
وقع بصره اول الامر على الجمل الذي ركبه فيرى منظرا عجيبا واذا نظر الى
فوق لم ير غير السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال واذا نظر الى ما
تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد
عن الغير حتى لا يحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثم انه في وقت
الخلوة في المفازة البعيدة لا يرى شيا سوى هذه الاشيا فلا جرم
جمع الله بينها في هذه الاية الوجه الثاني ان جميع المخلوقات دالة على
الصانع الا انها على قسمين منها ما يكون للحكمة والشهوة فيها نصيب
معا ومنها ما يكون للحكمة فيها نصيب وليس للشهوة فيها نصيب والقسم
الاول كالانسان الحسن الوجه والبساتين النزهة والذهب والفضة
وغيرها فهذه الاشيا يمكن الاستدلال بها على الصانع الحكيم الا انها
متعلق الشهوة ومطلوبة للنفس فلم يامر تعالى بالنظر فيها لانه لا يومن
عند النظر اليها وفيها ان يصير داعية الشهوة غالبة على داعية الحكمة فيصير



ذلك مانعا عن اتمام النظر والفكر وسببا لاستغراق النفس في محبته اما
القسم الثاني فهو كالحيوانات التي لا يكون في صورتها حسن ولكن يكون في
تركيبها حكم بالغة وهي مثل الابل وغيره الا ان ذكر الابل هاهنا اولى لان الف
العرب بها اكثر وكذا السما والجبال والارض فان دلايل الحدوث والحاجة
فيها ظاهرة وليس فيها ما يكون نصيبا للشهوة فلما كان هذا القسم بحيث
يكمل نصيب الحكمة فيه مع الامن من زحمة الشهوة لا جرم امر الله تعالى بالتدبر
فيها فهذا ما في هذا الموضع وبالله التوفيق قوله تعالى فذكر انما انت مذكر
اعلم انه تعالى لما بين الدلايل على صحة التوحيد والمعاد قال لرسوله فذكر انما
انت مذكر وتذكير الرسول يكون بذكر هذه الادلة وامثالها والبعث على
النظر فيها والتحذير من ترك ذلك ثم ذلك بعث منه تعالى للرسول على الذكر
والصبر على كل عارض معه وبيان انه انما بعث لذلك دون غيره فلهذا قال
انما انت مذكر وقوله لست عليهم بمسيطر قال صاحب الكشاف
بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقوله افانت تكره الناس
حتى يكونوا مومنين وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطا على ان سيطر متعد
عندهم والمعنى انك ما امرت الا بالتذكير فاما ان تكون مسلطا عليهم حتى
تقتلهم او تكرههم على الايمان فلا قالوا ثم نسختها اية القتال هذا قول
جميع المفسرين والكلام في تفسير هذا الحرف قد تقدم عند قوله ام هم
المسيطرون اما قوله تعالى الا من تولى وكفر ففيه مسايل المسئلة الاولى
في الاقوال احدها انه استثنا حقيقي وعلى هذا التقدير هذا الاستثنا
استثنا عماذا فيه احتمالان الاول ان يقال التقدير فذكر الا من
تولى وكفر والثاني انه استثنا عن الضمير في عليهم والتقدير لست عليهم
بمسيطر الا على من تولى واعترض عليه بانه عليه السلام ما كان حينئذ مامورا
بالقتال وجوابه المراد انك لا تنصب مسلطا الا على من تولى القول
الثاني انه استثنا منقطع عما قبله كما تقول في الكلام قعدنا نتذاكر
العلم الا ان كثيرا من الناس لا يرغب فكذا هاهنا التقدير لست بمستولي

عليهم لكن من تولى منهم فان الله يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب
جهنم قالوا وعلامة كون الاستثنا منقطعا حسن ان في المستثنى واذا كان
الاستثنا محضا متصلا لم يحسن ذلك الا ترى انك تقول عندي مائتان
الا درهما فلا يدخل عليه ان وها هنا يحسن انها انك تقول الا ان من تولى وكفر
فيعذبه الله المسئله الثانيه قرى الا من تولى على التنبيه وفي قراه ابن مسعود
فانه يعذبه المسئله الثالثه انما سماه العذاب الاكبر لوجوه احدها انه
قد بلغ حد عذاب الكفر وهو الاكبر لان ما عداه من عذاب الفسق دونه ولهذا
قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وثانيها
هو العذاب في الدرك الاسفل من النار وثالثها انه قد يكون العذاب
الاكبر حاصلا في الدنيا وذلك بالقتل وسبي الذريه وغنيمه الاموال
والقول الاول اقرب ثم قال تعالى ان الينا ايابهم وهذا كانه من صله
قوله فيعذبه الله العذاب الاكبر وانما ذكر تعالى ذلك ليزيل به عن قلب النبي
الرسول عليه السلم حزنه على كفرهم فقال طب نفسا عليهم وان عاندوا وكذبوا وجحدوا
فان مرجعهم الى الموعد الذي وعدنا وان علينا حسابهم وفيه سوال
وهو ان محاسبة الكفار انما تكون لايصال العقاب اليهم وذلك حق الله تعالى
ولا يجب على المالك ان يستوفي حق نفسه والجواب ان ذلك واجب
عليه اما بحكم الوعد الذي يمتنع وقوع الخلف فيه واما في الحكمه فانه لو لم ينتقم
للمظلوم من الظالم كان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم وتعالى
الله عنه فلهذا السبب كانت المحاسبه واجبه وها هنا مسايل المسئله الاولى
قرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد قال صاحب الكشاف وجهه ان يكون
فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب
ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد المسئله
الثانيه فايده تقديم الظرف التشديد في الوعيد فان ايابهم ليس الا الى
الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي
يحاسب على النقير والقطمير والله اعلم

سورة الفجر

بلغ معارضة

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر
والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر اعلم ان هذه الاشيا التي
اقسم الله تعالى بها لا بد وان يكون فيها اما فايده دينيه مثل كونها دلايل
باهرة على التوحيد او فايده دنيويه توجب بعثا على الشكر او مجموعهما ولاجل
ما ذكرناه اختلفوا في تفسير هذه الاشيا اختلافا شديدا فكل احد
فسره بما راه اعظم درجه في الدين واكثر منفعه في الدنيا اما قوله
والفجر فذكروا فيه وجوها احدها ما روي عن ابن عباس ان الفجر
هو الصبح المعروف فهو انفجار الصبح الصادق والكاذب اقسم الله تعالى
لما يحصل به من انقضا الليل وظهور الضو وانتشار الناس وساير الحيوانات
من الطيور والوحوش في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه
عبره لمن تامل وهذا كقوله تعالى والصبح اذا اسفر وقال في موضع
اخر والصبح اذا تنفس وتمدح في اية اخرى بكونه خالقا له فقال
فالق الاصباح ومنهم من قال المراد به جميع النهار الا انه دل بالابتدا
على الجميع نظيره والضحى والنهار اذا تجلى وثانيها ان المراد نفس صلوه
الفجر وانما اقسم بصلاة الفجر لانها صلوه في مفتتح النهار وتجتمع لها ملايكه النهار
وملايكه الليل كما قال ان قران الفجر كان مشهودا اي تشهد ملايكه الليل
وملايكه النهار القراه في الصبح وثالثها انه فجر يوم معين وعلى هذا التقدير
ذكروا وجوها الاول انه فجر يوم النحر وذلك لان امر المناسك من
خصايص مله ابرهيم وكانت العرب لا تدع الحج وهو يوم عظيم ياتي
الانسان فيه بالقربان كان الحاج يريد ان يتقرب بذبح نفسه فلما عجز
عن ذلك فدى نفسه بذلك القربان كما قال تعالى وفديناه بذبح
عظيم الثاني اراد فجر ذي الحجه لانه قرن به قوله وليال عشر ولانه
اول شهر هذه العباده العظيمه الثالث المراد فجر المحرم اقسم
به لانه اول يوم من كل سنه وعند ذلك يحدث امور كثيره مما يتكرر بالسنين
كالحج والصوم والزكوه واستيناف الحساب بشهور الاهله وفي الخبر

وقوله صح

العيون م

ان اعظم الشهور عند الله المحرم وعن ابن عباس انه قال فجر السنة هو المحرم
فجعل جملة المحرم فجرا ورابعها انه عنى بالفجر التي تنفجر منها المياه
وفيها حيوة الخلق اما قوله تعالى وليال عشر ففيه مسئلتان المسئلة
الاولى انما جاءت منكرة من بين ما اقسم به لانها ليال مخصوصة بفضائل
لا تحصل في غيرها والتنكير دال على الفضيلة العظيمة المسئلة الثانية قد
ذكروا فيه وجوها احدها انها عشر ذي الحجة لانها ايام الاشتغال
بهذا النسك في الجملة وفي الخبر ما من ايام العمل الصالح فيه افضل
من ايام العشر وثانيها انها عشر المحرم من اوله الى اخره وهو
تنبيه على شرف تلك الايام وفيها يوم عاشورا ولصومه من الفضل
ما ورد به الاخبار وثالثها انها العشر الاواخر من شهر رمضان
اقسم الله تعالى بها لشرفها وفيها ليلة القدر اذ في الخبر اطلبوها في العشر
الاخير وكان عليه السلم اذا دخل العشر الاخير شد المئزر وايقظ
اهله اي كف عن الجماع وامر اهله بالتهجد واما الشفع والوتر ففيه
مسئلتان المسئلة الاولى الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب
الخسا والزكا والعامة الزوج والفرد قال يونس اهل العالية يقولون
الوتر بالفتح في العدد والوتر بالكسر في الذحل وتميم تقول وتر بالكسر
فيهما معا وتقول اوترته او ترا اوتارا اي جعلته وترا ومنه قوله
عليه السلم من استجمر فليوتر والحسن والاعمش وابن عباس والفتح قراءة
اهل المدينة وهي لغة حجازية المسئلة الثانية اضطرب المفسرون
في تفسير الشفع والوتر واكثروا فيه ونحن نروي ما هو الاقرب احدها
ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وانما اقسم الله بهما لشرفهما
اما يوم عرفة فهو الذي عليه يدور امر الحج كما في الحديث الحج عرفة
واما يوم النحر فيقع فيه القربان واكثر امور الحج من الطواف المفروض
والحلق والرمي ويروى ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر فلما اختص
هذان اليومان بهذه الفضائل لا جرم اقسم الله بهما وثانيها ان ايام

التفسير قراءة



التشريق ايام بقية اعمال الحج فهي ايام شريفة قال الله واذكروا الله في ايام معدودات
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فالشفع هو يومان بعد يوم النحر والوتر
هو اليوم الثالث ومن ذهب الى هذا القول قال حمل الشفع والوتر على هذا
اولى من حملها على العيد وعرفة من وجهين الاول ان العيد وعرفة داخلان
في العشر فوجب ان يكون المراد بالشفع والوتر غيرهما الثاني ان بعض
اعمال الحج انما يحصل في هذه الايام فحمل اللفظ على هذا القسم يجمع ايام
اعمال المناسك وثالثها الوتر آدم شفع بزوجته وفي رواية اخرى الشفع
آدم وحوا والوتر هو الله تعالى ورابعها الوتر ما كان وترا من الصلوات
كالمغرب والشفع ما كان شفعا منها روى عمران بن الحصين عن النبي عليه السلم
انه قال هي الصلاة منها شفع ومنها وتر وانما اقسم الله بها لان الصلاة تالية
للايمان ولا يخفى قدرها ومحلها من العبادات وخامسها الشفع هو الخلق
كله لقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وقوله وخلقناكم ازواجا والوتر
هو الله تعالى وقال بعض المتكلمين لا يصح ان يقال الوتر هو الله لوجوه الاول
انا بينا ان قوله والفجر تقديره ورب الفجر والشفع والوتر فيجب ان يراد بالوتر المربوب
فبطل ما قالوه الثاني ان الله تعالى لا يذكر مع غيره على هذا الوجه بل
يعظم ذكره حتى يتميز من غيره وروي انه عليه السلم سمع من يقول الله ورسوله
فنهاه وقال قل الله ثم رسوله قالوا وما روي انه عليه السلم قال ان الله
وتر يحب الوتر ليس بمقطوع به وسادسها ان شيئا من المخلوقات
لا ينفك عن كونه شفعا او وترا فكانه يقال اقسم برب الفرد والزوج من
خلقه فدخل كل الخلق تحته ونظيره قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون وسابعها الشفع درجات الجنة وهي ثمانية والوتر دركات
النار وهي سبعة وثامنها الشفع صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة
والعجز والارادة والكراهة والحيوة والموت اما الوتر فهو صفات الحق
وجود بلا عدم حيوة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل
وتاسعها المراد بالشفع والوتر نفس العدد فكانه اقسم بالحساب

الذي لابد للخلق منه وهو بمنزلة الكتاب والبيان الذي من الله به على
العباد اذ قال علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال علمه البيان فكذلك
بالحساب يعرف مواقيت العبادات والايام والشهور قال تعالى
الشمس والقمر بحسبان وقال لتعلموا عدد السنين والحساب ما
خلق الله ذلك الا بالحق وعاشرها قال مقاتل الشفع هو الايام والليالي
والوتر هو اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة الحادي عشر
الشفع كل نبي له اسمان مثل محمد واحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون
والوتر كل نبي له اسم واحد مثل ادم ونوح وابرهيم عليهم السلم الثاني عشر
الشفع ادم وحوا والوتر مريم الثالث عشر الشفع العيون الاثنى عشر
التي فجرها الله تعالى لموسى عليه السلم والوتر الايات التسع التي اوتي موسى
في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات الرابع عشر الشفع ايام عاد والوتر
لياليهم لقوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما الخامس عشر الشفع البروج
الاثنى عشر لقوله جعل في السما بروجا والوتر الكواكب السبعة ~~السيارة~~
السادس عشر الشفع الشهر الذي يتم ثلثين يوما والوتر الشهر الذي يتم
تسعة وعشرين يوما السابع عشر الشفع الاعضا والوتر القلب
قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الثامن عشر الشفع الشفتان
والوتر اللسان قال تعالى ولسانا وشفتين التاسع عشر الشفع السجدتان
والوتر الركوع العشرون الشفع ابواب الجنة لانها ثمانية والوتر ابواب النار لانها سبعة واعلم ان
اقسم الله تعالى بهما وكل هذه الوجوه التي ذكرناها محتمل والظاهر لا اشعار
له بشي من هذه الاشيا على التعيين فان ثبت في شي منها خبر من الرسول
او اجماع من اهل التاويل حكم بانه هو المراد وان لم يثبت فيجب ان يكون الكلام
على طريقة الجواز لا على وجه القطع ولقائل ان يقول ايضا اني احمل
الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع والوتر يفيد العموم اما
قوله والليل اذا يسر ففيه مسئلتان المسئلة الاولى اذا يسري اذا يمضي
كما قال والليل اذا عسعس وسراها مضيها وانقضاها او يقال سراها

ابواب النار لانها سبعة واعلم ان الذي نزل عليه
الظاهر ان الشفع والوتر
اذا اذ يريد قوله والليل



هو السري فيها وقال قتادة اذا يسري اي اذا جا واقبل المسئلة الثانية
اكثر المفسرين على انه ليس المراد منه ليلة مخصوصة بل العموم بدليل قوله والليل
اذا اسفر والليل اذا عسعس ولان نعم الله بتعاقب الليل والنهار واختلاف مقادير
على الخلق عظيمة فصح ان يقسم به لان فيه تنبيها على ان تعاقبهما بتدبير مدبر حكيم
عالم بجميع المعلومات وقال مقاتل هي ليلة المزدلفة فقوله اذا يسري اي
اذا يسار فيه كما يقال ليل نايم لوقوع النوم فيه وليل ساهر لوقوع السهر فيه
وهي ليلة يقع السري في اولها عند الدفع من عرفات الى المزدلفة وفي اخرها
كما روي انه عليه السلم كان يقدم ضعفة اهله في هذه الليلة وانما يجوز ذلك عند
الشافعي بعد نصف الليل المسئلة الثالثة قال الزجاج اذا يسري باثبات اليا
ثم قال وحذفها احب الي لانها فاصلة والفواصل يحذف منها اليات ويدل
عليها الكسرات قال الفرا والعرب قد تحذف اليا وتكتفي بكسرة ما قبلها وانشد
كفاك كف ما تليق درهما   جودا واخرى تعط بالسيف الدما
فاذا جاز هذا في غير الفاصلة فهو في الفاصلة اولى فان قيل لم كان
الاختيار ان يحذف اذا كان في فاصلة او قافية والحرف من نفس الكلمة
فوجب ان يثبت كما ثبت ساير الحروف ولم يحذف اجاب ابو علي
فقال القول في ذلك ان الفواصل والقوافي موضع وقف والوقف
موضع تغيير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف
والاسكان وروم الحركة فيها غيرت هذه الحروف المشابهة للزيادة
بالحذف واما من اثبت اليا في يسري في الوصل والوقف فانه يقول
الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف من الاسما نحو قاض وغاز
تقول هو يقضي وانا اقضي فتثبت اليا ولا تحذف قوله تعالى هل
في ذلك قسم لذي حجر فيه مسئلتان المسئلة الاولى الحجر العقل سمي به لانه
يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل ويمنع وحصاة من
الاحصا وهو الضبط قال الفرا والعرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا
لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من قولهم حجرت على الرجل وعلى هذا سمي العقل

بحرا لانه يمنع من القبيح من الحجر وهو المنع من الشي بالتضييق فيه المسئله الثانيه
قوله هل في ذلك قسم استفهام والمراد منه التاكيد كمن ذكر حجة باهرة
ثم قال هل فيما ذكرته حجه والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله تعالى
به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل على التوحيد والربوبيه فهو حقيق بان
يقسم به لدلالته على خالقه قال القاضي وهذه الايه تدل على ما قلنا ان القسم
واقع برب هذه الامور لان الايه داله على ان هذا مبالغه في القسم ومعلوم
ان المبالغه في القسم لا تحصل الا في القسم بالله ولان النهي قد ورد بان
يحلف العاقل بهذه الامور قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم
ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر
بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد
فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد اعلم ان في جواب القسم
وجهان الاول ان جواب القسم هو قوله ان ربك لبالمرصاد وما بين
الموضعين معترض بينهما الثاني قال صاحب الكشاف المقسم عليه محذوف
وهو لنعذبن الكافرين يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك
سوط عذاب وهذا اولى من الوجه الاول لانه لما لم يتعين المقسم عليه ذهب
الوهم الى كل مذهب فكان ادخل في التخويف فلما جا بعده بيان عذاب
الكافرين دل على ان المقسم عليه اولا هو ذلك اما قوله الم تر ففيه مسئلتان
المسئله الاولى الم تر الم تعلم لان ذلك مما لا يصح ان يراه الرسول وانما
اطلق لفظ الرويه هاهنا على العلم وذلك لان اخبار عاد وثمود وفرعون
كانت منقوله بالتواتر اما عاد وثمود فقد كانا في بلاد العرب واما امر
فرعون فقد كانوا يسمعونه من اهل الكتاب وبلاد فرعون ايضا متصله
بارض العرب وخبر التواتر يفيد العلم الضروري والعلم الضروري
جاري مجرى الرويه في القوه والجلا والبعد عن الشبهه فلذلك قال
الم تر بمعنى الم تعلم المسئله الثانيه قوله الم تر انه كان في الظاهر خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل من علم ذلك والمقصود من ذكر الله

دارتخ

تعالى حكايتهم ان يكون زجرا للكفار عن الاقامه على مثل ما ادى الى هلاك عاد
وثمود وقوم فرعون وليكون بعثا للمومنين على الثبات على الايمان ايضا
قوله تعالى بعاد ارم ذات العماد وفيه مسايل المسئله الاولى انه تعالى ذكر
هاهنا قصه ثلث فرق من الكفار المتقدمين وهي عاد وثمود وقوم فرعون
على سبيل الاجمال حيث قال فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفيه ذلك
العذاب وذكر في سوره الحاقه بيان ما ابهم في هذه السوره فقال فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغيه واما عاد فاهلكوا بريح الى قوله وجا فرعون ومن قبله
والموتفكات بالخاطيه الايه المسئله الثانيه عاد هو عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيله كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم
تميم ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيله عاد الاولى قال تعالى وانه اهلك عادا
الاولى وللمتاخرين عاد الاخيره واما ارم فهو اسم لجد عاد وفي المراد منه
في هذه الايه اقوال احدها ان المتقدمين من قبيله عاد كانوا يسمون بعاد
الاولى فكذلك يسمون بارم تسميه لهم باسم جدهم والثاني ان ارم اسم لبلدتهم
التي كانوا فيها ثم قيل تلك المدينه هي الاسكندريه وقيل دمشق والثالث
ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئه المناره وعلى هيئه القبور
قال ابو الدقيش الاروم قبور عاد وانشد
بها اروم كهوادي البخت ومن الناس من طعن في قول من قال ان ارم
هي الاسكندريه او دمشق قال لان منازل عاد كانت بين عمان الى حضرموت
وهي بلاد الرمال والاحقاف كما قال واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه بالاحقاف واما الاسكندريه ودمشق فليستا من بلاد الرمال
المسئله الثالثه ارم لا ينصرف قبيله كان او ارضا للتعريف والتانيث
المسئله الرابعه في قوله ارم وجهان وذلك لانا ان جعلناه اسم القبيله
كان قوله ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمه وان
جعلناه اسم البلده او الاعلام كان التقدير بعاد ارم ثم حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله واسئل القريه ويدل عليه قراه

عوض نسخ

اهل م

بن الزبير بعادِ ارم على الاضافه المسئله الخامسه قرا الحسن بعادٍ ارمَ مفتوحتين
وقري بعاد ارمَ يسكنون الرا على التخفيف كما قري بورقكم وقري بعادٍ ارمِ
ذات العماد باضافه ارم الى ذات العماد وقري بعادٍ أرَمَّ ذات العماد
بدلا من فعل ربك والتقدير الم تر كيف فعل ربك بعادٍ جعل ذات العماد
رميما اما قوله تعالى ذات العماد ففيه مسئلتان المسله الاولى
في اعرابه وجهان وذلك لانا ان جعلنا ارم اسم القبيله فالمعنى انهم كانوا
بدويين يسكنون الاخبيه والخيام والخبا لا بد فيها من العمود والعماد بمعنى
العمود وقد يكون جمع العمد او يكون المراد بذات العماد انهم طوال
الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمده وقيل ذات البنا الرفيع وان جعلنا
اسم البلد فالمعنى انها ذات اساطين اي ذات ابنيه مرفوعه على
العمد وكانوا يعالجون الاعمده فينصبونها ويبنون فوقها القصور
قال تعالى في وصفهم اتبنون بكل ريع ايه تعبثون اي علامه وبنا رفيعا
المسله الثانيه روي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا
ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنه فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في
ثلثمايه سنه وكان عمره تسعمايه سنه وهي مدينه عظيمه قصورها من الذهب
والفضه واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار فلما تم بناها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيره يوم
وليله بعث الله عليه صيحه من السما فهلكوا وعن عبد الله بن قلابه انه خرج
في طلب ابل له فوقع الى جنه شداد فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره
معاويه فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات
العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على
حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر بن قلابه
فقال هذا والله ذلك الرجل اما قوله لم يخلق مثلها في البلاد ففيه
فالضمير في بها ا[ذ]ا يعود فيه وجوه الاول لم يخلق مثلها اي مثل عاد
مثلها الى



في البلاد في عظم الجثه وشده القوه كان طول الرجل منهم اربعمايه ذراع وكان
يحمل الصخره العظيمه فيلقيها على الجمع فيهلكهم الثاني لم يخلق مثل مدينه شداد
في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يَخلُق مثلها اي لم يخلق الله مثلها الثالث
ان الكنايه عايده الى العماد اي لم يخلق مثل تلك الاساطين في البلاد وعلى
هذا فالعماد جمع عمد والمقصود من هذه الحكايه زجر الكفار فانه تعالى
بين انه اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به من هذه الوجوه
فلان تكونوا خائفين من مثل ذلك ايها الكفار اذا اقمتم على كفركم مع ضعفكم
كان اولى اما قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد فقال
الليث الجوب قطعك الشي كما يجاب الجيب يقال جاب يجوب جوبا وزاد
الفرا يجيب جيبا ويقال جبت البلاد جوبا اي جلت فيها وقطعتها قال
ابن عباس كانوا يجوبون البلاد فيجعلون منها بيوتا واحواضا وما ارادوا
من الابنيه كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال
والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمايه مدينه كلها من الحجاره
وقوله بالواد قال مقاتل بواد القرى اما قوله وفرعون
ذي الاوتاد والاستقصا فيه مذكور في سوره ص ونقول الان
فيه وجوه احدها انه سمي ذا الاوتاد لكثره جنوده ومضاربهم التي
كانوا يضربونها اذا نزلوا وثانيها انه كان يعذب الناس ويشدهم
بها الى ان يموتوا روي عن ابي هريره ان فرعون وتد لامراته اربعه
اوتاد وجعل على صدرها رحا واستقبل بها عين الشمس فرفعت
راسها الى السما وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنه ففرج الله عن
بيتها في الجنه فرأته وثالثها ذي الاوتاد اي ذي الملك والرجال
كما قال الشاعر في ظل ملك راسخ الاوتاد ورابعها روى قتاده
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت ملاعب
يلعبون تحتها لاجله واعلم ان الكلام محتمل لكل ذلك فبين تعالى لرسوله
ان كل ذلك مما يعظم به الشده والقوه والكثره لم يمنع من ورود هلاك عظيم

بهم ولذلك قال آخراً الذين طغوا في البلاد وفيه مسائل المسألة الاولى
يحتمل انه يرجع الضمير الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى جميع
من تقدم ذكرهم وهذا هو الاقرب المسألة الثانية احسن الوجوه في
اعرابه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعاً على هم
الذين طغوا او مجروراً على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون المسألة
الثالثة طغوا في البلاد اي عملوا المعاصي وتجبروا على انبياء الله والمؤمنين
ثم فسر طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد قال الكلبي القتل والمعصية
لله قال القفال والجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول
جميع اقسام البر فالفساد يتناول جميع اقسام الاثم فمن عمل بغير امر الله
وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد ثم قال فصب عليهم ربك سوط
عذاب فاعلم انه يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط
اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى
ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به قال القاضي
وشبهه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه وكان الحسن
رحمه الله اذا قرا هذه الآية قال ان عند الله اسواطاً كثيرة فاخذهم بسوط
منها فان قيل اليس ان قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
على ظهرها من دابة يقتضي تاخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين
الآيتين قلنا هذه الآية تقتضي تاخير تمام الجزاء الى الآخرة والواقع في الدنيا
شيء من ذلك ومقدمة من مقدماته ثم قال ان ربك لبالمرصاد ذكرنا تفسير
المرصاد عند قوله كانت مرصاداً ونقول المرصاد المكان الذي يترتب
فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة
بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال
بالمرصاد وللمفسرين فيه وجوه احدها قال الحسن يرصد اعمال
بني آدم وثانيها قال الفراء اليه المصير وهذان الوجهان عامان
للمؤمنين والكافرين ومن المفسرين من خص هذه الآية اما بوعيد الكفار



او بوعيد العصاة اما الاول فقال الزجاج يرصد من كفر به وعند
عن طاعته بالعذاب واما الثاني فقال الضحاك يرصد لاهل الظلم والمعصية
وهذه الوجوه متقاربة قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربي اهانن اعلم ان قوله فاما الانسان متعلق بقوله ان ربك
لبالمرصاد كانه قيل انه تعالى لبالمرصاد في الآخرة فلا يريد الا السعي للآخرة
فاما الانسان فانه لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة
في الدنيا يقول ربي اكرمن وان لم يجد هذه الراحة يقول ربي اهانن ونظيره
قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وهذا خطا من وجوه احدها ان
سعادة الدنيا وشقاوتها في مقابلة ما في الآخرة من السعادة والشقاوة
كالقطرة في البحر فالمتنعم في الدنيا لو كان شقياً في الآخرة فذاك التنعم
ليس بسعادة والمتألم المحتاج في الدنيا لو كان سعيداً في الآخرة
فذاك ليس باهانة ولا شقاوة فثبت ان المتنعم في الدنيا لا يجوز ان يحكم
على نفسه بالسعادة والكرامة والمتألم في الدنيا لا يجوز له ان يحكم على نفسه
بالشقاوة والهوان وثانيها ان حصول النعمة في الدنيا وحصول
الآلام في الدنيا لا يدل على الاستحقاق فانه تعالى كثيراً ما يوسع على العصاة
والكفرة اما لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واما بحكم المصلحة واما على سبيل
الاستدراج والمكر وقد يضيق على الصديقين لاضداد ما ذكرنا فلا ينبغي
للعبد ان يظن ان ذلك مجازاة وثالثها ان المتنعم لا ينبغي ان يغفل عن
عن العاقبة فان الامور بخواتيمها والفقير المحتاج لا ينبغي عما لله عليه
من النعم التي لا حد لها من سلامة البدن والعقل والدين ودفع الآفات
والآلام التي لا حد لها ولا حصر فلا ينبغي ان يقضي على نفسه بالاهانة مطلقاً
ورابعها ان النفس قد الفت هذه المحسوسات فمتى حصلت هذه المشتهيات

ان يغفل

و: الملذات صعب عليها الانقطاع عنها وعدم الاستغراق فيها اما
اذا لم يحصل للانسان شي من هذه المحسوسات رجعت شاء ام ابت
الى الله واشتغلت بعبودية الله فكان وجدان الدنيا سبب للحرمان
عن الله فكيف يجوز القضا بالشقاوة والاهانة عند عدم الدنيا
مع ان ذلك اعظم الوسايل الى اعظم السعادات وخامسها ان كثرة
الممارسة سبب لتاكد المحبة وتاكد المحبة سبب لتاكد الالم عند الفراق
فكل من كان وجدانه للدنيا اكثر وادوم كانت محبته لها اشد فكان
تالمه بمفارقتها عند الموت اشد والذي بالضد فبالضد فاذن حصول
لذات الدنيا سبب للالم الشديد بعد الموت وعدم حصولها سبب
للسعادة الشديدة بعد الموت فكيف يقال ان وجدان الدنيا سعادة
وفقدانها شقاوة واعلم ان هذه الوجوه انما تصح مع القول باثبات
البعث روحانيا كان او جسمانيا فاما من ينكر البعث من جميع الوجوه
فلا يتمشى على قوله شي من هذه الوجوه بل يلزمه القطع بان وجدان
الدنيا هو السعادة وفقدانها هي الشقاوة ولكن فيه دقيقة اخرى وهي
انه ربما كان وجدان الدنيا الكثيرة سببا للقتل والنهب والوقوع في
انواع العذاب فربما كان الحرمان سببا لبقا السلامة فعلى هذا التقدير
لا يجوز ايضا لمنكر البعث من جميع الوجوه ان يقضي على صاحب الدنيا بالسعادة
وعلى فاقدها بالهوان فربما ينكشف ان الحال بعد ذلك بالضد في الابد
سوالات السوال الاول قوله فاما الانسان المراد منه شخص
معين او الجنس الجواب فيه قولان الاول ان المراد منه شخص معين
فروي عن ابن عباس انه عتبة بن ربيعة وابو حذيفة بن المغيرة وقال
الكلبي هو ابي بن خلف وقال مقاتل نزلت في امية بن خلف والقول
الثاني ان المراد كل من كان موصوفا بهذا الوصف وهو الكافر الجاحد
ليوم الجزا السوال الثاني كيف سمي بسط الرزق وتقديره ابتلا
الجواب لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر



حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة
فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة السوال
الثالث لما قال فاكرمه فقد صحح انه اكرمه واثبت ذلك ثم انه لما حكى عنه
انه قال ربي اكرمن ذمه عليه فكيف الجمع بينهما والجواب ان كلمة الانكار
هي قوله كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله ربي اهانن سلمنا ان الانكار عايدا
اليهما معا ولكن فيه وجوه ثلثة احدها انه اعتقد حصول الاستحقاق
في ذلك الاكرام الثاني ان نعم الله تعالى كانت حاصلة قبل وجدان المال وهي
نعمة سلامة البدن والعقل والدين فلما لم يعترف بالنعمة الا عند وجدان
المال علمنا انه ليس غرضه من ذلك شكر نعمة الله بل التصلف بالدنيا والتكثر
بالاموال والاولاد الثالث ان تصلفه بنعمة الدنيا واعراضه عن ذكر
نعمة الاخرة يدل على كونه منكر البعث فلا جرم استحق الذم على ما
حكى الله تعالى ذلك فقال ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما اظن
ان تبيد هذه وما اظن الساعة قايمة الى قوله اكفرت بالذي خلقك
من تراب السوال الرابع لم قال في القسم الاول اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه وفي القسم الثاني واما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فذكر الاول
بالفا والثاني بالواو والجواب لان رحمة الله سابقة على غضبه وابتلاوه
بالنعم سابق على ابتلايه بانزال الالام فالفا تدل على كثرة ذلك القسم وقلة
الثاني على ما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها السوال الخامس لما قال
في القسم الاول فاكرمه فقوله ربي اكرمن يجب ان يقول في القسم الثاني فاهانه
فيقول ربي اهانن لكنه لم يقل ذلك والجواب لانه في قوله اكرمن صادق
وفي قوله اهانن غير صادق فهو ظن قلة الدنيا وتقتيرها اهانة وهذا جهل
واعتقاد فاسد فكيف يحكي الله سبحانه ذلك منه السوال السادس
ما معنى قوله قدر عليه رزقه الجواب ضيق عليه بان جعله على مقدار
البلغة وقرى فقدر على التخفيف وبالتشديد اي قتر واكرمن واهانن بسكون
النون في الوقف فيمن ترك اليا في الدرج مكتفيا منها بالكسرة قوله تعالى

كلا بل لا يكرمون اليتيم ولا يحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث
اكلا لما وتحبون المال حبا جما واعلم انه تعالى لما حكى عنهم تلك الشبهة قال
كلا وهو ردع للانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس المعنى لم ابتله بالغنى
لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك اما على مذهب اهل السنة
فمن محض القضا والقدر والمشية والحكم الذي تنزه عن التعليل بالعلل واما
على مذهب المعتزلة فبسبب مصالح خفية لا يطلع عليها الا هو فقد يوسع
على الكافر لا لكرامته ويقتر على المومن لا لهوانه ثم انه تعالى لما حكى عن اقوالهم
تلك الشبهة فكانه قال بل لهم فعل شر من هذا القول وهو ان الله تعالى
يكرمهم بكثرة المال فلا يودون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقال بل لا تكرمون
اليتيم وفيه مسايل المسئلة الاولى قرا ابو عمرو يكرمون وما بعده بالياء المنقطة
من تحت وذلك انه لما تقدم ذكر الانسان وكان يراد به الجنس والكثرة وهو على
لفظ الغيبة حمل يكرمون ويحبون عليه ومن قرا بالتاء فالتقدير قل لهم يا محمد لهم
ذلك المسئلة الثانية قال مقاتل كان قدامة بن مطعون يتيما في حجر امية
بن خلف فكان يدفعه عن حقه واعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه
احدها ترك بره واليه الاشارة بقوله ولا يحاضون على طعام المسكين
والثاني دفعه عن حقه الثابت له في الميراث واكل ماله واليه الاشارة
بقوله تعالى وياكلون التراث اكلا لما والثالث اخذ ماله عنوة واليه
الاشارة بقوله ويحبون المال حبا جما اي تاخذون اموال اليتامى وتضمونها
الى اموالكم اما قوله ولا تحاطون على طعام المسكين قال مقاتل ولا يطعمون
مسكينا والمعنى لا يامرون باطعامه كقوله تعالى انه كان لا يومن بالله العظيم ولا
يحض على طعام المسكين ومن قرا ولا تحاضون اراد تتحاضون فحذف
تا تتفاعلون والمعنى لا يحض بعضهم بعضا وفي قراة ابن مسعود ولا تحاضون
بضم التاء من المحاضة اما قوله وتاكلون التراث اكلا لما ففيه مسايل المسئلة
الاولى قالوا اصل التراث وراث والتاء تبدل من الواو المضمومة نحو
تجاه ووجاه من واجهت المسئلة الثانية قال الليث اللم الجمع الشديد



ومنه كتيبة ملمومة وحجر ملموم والآكل يلم الثريد فيجعله لقما ثم ياكله ويقال
لممت ما على الخوان الممه اي اكلته اجمع فمعنى اللم في اللغة الجمع اما التفسير
ففيه وجوه احدها قال الواحدي والمفسرون يقولون في قوله
اكلا لما اي شديدا وهو معنى وليس بتفسير وتفسيره ان اللم مصدر
جعل نعتا للاكل والمراد به الفاعل اي اكلا لاما اي جامعا كانهم يستوعبونه
بالاكل قال الزجاج كانوا ياكلون اموال اليتامى اسرافا وبدارا
فقال الله وياكلون التراث اكلا لما اي تراث اليتامى لما اي يلمون جميعه
وقال الحسن اي ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم فيجمعون نصيب غيرهم
الى نصيبهم وثانيها ان المال الذي بقي من الميت بعضه حلال وبعضه
شبهة وبعضه حرام فالوارث يلم الكل اي يضم البعض الى البعض وياخذ
الكل وياكله وثالثها قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون الذم متوجها
الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف
في انفاقه وياكله اكلا لما واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة
والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون اما قوله تعالى ويحبون
المال حبا جما فاعلم ان الجم هو الكثير يقال جم الشي يجم جموما يقال ذلك في
الما وغيره فهو شي جم وجام وقال ابو عمرو جم ويجم اي يكثر والمعنى
ويحبون المال حبا كثيرا شديدا فبين ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم
عادلون عن امر الاخرة قوله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا دكا
وجاء ربك والملك صفا صفا وجي يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان واني
له الذكرى اعلم ان قوله كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما ينبغي
ان يكون الامر هكذا في الحرص على الدنيا وقصر الهمة والجهد على تحصيلها
والاتكال عليها وترك المواساة منها وجمعها من حيث تهيا من حل وحرام
وتوهم ان لا حساب ولا جزا فان من كانت هذه حاله يندم حين لا
ينفعه الندامة ويتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب بالاعمال الصالحة
والمواساة من المال الى الله تعالى ثم بين انه اذا جا يوم موصوف بصفات

بلية فإنه يحصل ذلك التمني وتلك الندامة الصفة الأولى من صفات
ذلك اليوم قوله إذا دكت الأرض دكا دكا قال الخليل الدك كسر الحائط
والجبل والدكداك رمل متلبد ورجل مدك شديد الوطء على الأرض وقال
المبرد الدك حط المرتفع بالبسط واندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره
وناقة دكاء إذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوائه في الانفراش فمعنى
الدك على قول الخليل كسر كل شيء على وجه الأرض من جبل أو شجر حين زلزلت
فلم يبق على ظهرها شيء وعلى قول المبرد معناه أنها استوت في الانفراش
فذهب دورها وقصورها وسائر أبنيتها حتى تصير كالصخرة الملساء وهذا معنى
قول ابن عباس تمد الأرض يوم القيامة واعلم أن التكرار في قوله دكا دكا معناه
دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا وعلمته حرفا حرفا أي كرر عليها
الدك حتى عادت هباء منبثا واعلم أن هذا التدكدك لا بد وأن يكون متأخرا
عن الزلزلة فإذا زلزلت الأرض زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد
تحريك انكسرت الجبال التي عليها وانهدمت التلال وامتلأت الأغوار
وصارت ملساء وذلك عند انقضاء الدنيا وقد قال تعالى يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة وقال وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة
وقال إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا الصفة الثانية من صفات
ذلك اليوم قوله وجاء ربك والملك صفا صفا واعلم أنه ثبت بالدليل
العقلي أن الحركة على الله تعالى محال لأن كل ما كان كذلك كان جسما والجسم
يستحيل أن يكون أزليا فلا بد فيه من التأويل وهو أن هذا من باب حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثم ذلك المضاف ما هو فيه وجوه
أحدها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة وثانيها وجاء قهر
ربك كما يقال جاءتنا بنو أمية أي قهرهم وثالثها وجاء جلائل آيات
ربك لأن هذا يكون يوم القيامة وفي ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل
الآيات فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لشأن تلك الآيات ورابعها وجاء
ظهوره لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره

وذلك



وتجليه للخلق فقيل وجاء ربك أي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك
وخامسها أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه
مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه فإنه يظهر بمجرد حضوره
من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها وسادسها أن
الرب هو المربي ولعل ملكا هو أعظم الملائكة هو مربي للنبي عليه السلم جا فكان
هو المراد من قوله وجاء ربك أما قوله والملك صفا صفا فالمعنى أنه تنزل
ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس الصفة
الثالثة من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم ونظيره قوله
تعالى وبرزت الجحيم للغاوين قال جماعة المفسرين جيء بها يوم القيامة مزمومة
بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن
يسار العرش فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع قال الأصوليون
معلوم أنها لا تنقل عن مكانها فالمراد وبرزت وأظهرت حتى رآها الخلق
وعلم الكافر أن مصيره إليها قال يومئذ يتذكر الإنسان فاعلم أن تقديره
الكلام إذا دكت الأرض وحصل كذا وكذا فيومئذ يتذكر الإنسان وفي
يتذكر وجوه الأول أنه يتذكر ما فرط فيه لأنه حين كان في الدنيا كانت
همته تحصيل الدنيا ثم إنه في الآخرة يتذكر أن ذلك كان ضلالا وكان الواجب
عليه أن تكون همته تحصيل الآخرة الثاني يتذكر ~~أن ذلك كان~~ أي يتعظ
والمعنى أنه ما كان يتعظ في الدنيا فيصير في الآخرة متعظا فيقول يا ليتنا
نرد ولا نكذب بآيات ربنا الثالث يتذكر يتوب وهو مروي عن الحسن
ثم قال تعالى وأنى له الذكرى وهو كقوله أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول
مبين واعلم أن بين قوله يتذكر وبين قوله أنى له الذكرى تناقضا فلا بد من
إضمار المضاف والمعنى ومن أين له منفعة الذكرى ويتفرع على هذه
الآية مسألة أصولية وهي أن قبول التوبة عندنا غير واجب على الله
عقلا وقالت المعتزلة هو واجب فيقول الدليل على قولنا أن الآية
دلت هنا على أن الإنسان يعلم في الآخرة أن الذي يعمله في الدنيا

لم يكن اصلح له وان الذي تركه كان اصلح له ومهما عرف ذلك لا بد وان يندم
عليه واذا حصل الندم فقد حصلت التوبة ثم انه تعالى نفى كون تلك
التوبة نافعة بقوله وانى له الذكرى فعلمنا ان التوبة لا تجب عقلا قبولها
فان قيل القوم انما ندموا على افعالهم لا لوجه قبحها بل لترتب العقاب
عليها فلاجرم ما كانت التوبة صحيحة قلنا القوم لما علموا ان الندم على
القبيح لابد وان يكون لوجه قبحه حتى يكون نافعا وجب ان يكون
ندمهم واقعا على هذا الوجه فحينئذ يكونون اتين بالتوبة الصحيحة مع
عدم القبول فصح قولنا ثم شرح تعالى ما تقوله هذا الانسان فقال يا
ليتني قدمت لحيوتي وفيه مسئلتان المسئلة الاولى للاية تاويلات
احدها ياليتني قدمت في الدنيا التي كانت حياتي فيها منقطعة لحياتي
هذه التي هي دائمة غير منقطعة وانما قال لحياتي ولم يقل لهذه الحيوة
على معنى ان الحيوة كانها ليست الا الحيوة في الدار الاخرة قال تعالى
وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لهي الحيوة وثانيها انه تعالى قال
في حق الكافر ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وقال فان له
جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقال ويتجنبها الاشقى الذي يصلى
النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى فهذه الايات دلت على ان
اهل النار في الاخرة كانه لا حيوة لهم والمعنى فياليتني قدمت وقت
حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب المسئلة الثانية
استدلت المعتزلة بهذه الاية على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم
وارادتهم وانهم ما كانوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي وجوابه
ان فعلهم كان معلقا بقصدهم فقصدهم ان كان معلقا بقصد اخر لزم منه
التسلسل وان كان معلقا بقصد الله فقد بطل الاعتزال ثم قال تعالى فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفيه مسائل المسئلة الاولى
قراءة العامة يعذب ويوثق بكسر العين فيهما قال مقاتل يعني فيومئذ لا يعذب
عذاب الله احد من الخلق ولا يوثق وثاق الله احد من الخلق والمعنى لا يبلغ

نقول مع



احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق قال ابو عبيدة هذا التفسير
ضعيف لانه ليس يوم القيامة معذب سوى الله فكيف يقال لا يعذب احد مثل
عذابه واجيب عن هذا الاعتراض من وجوه الاول ان التقدير
لا يعذب احد في الدنيا عذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا
وثاق الله الكافر يومئذ والمعنى مثل عذابه ووثاقه في الشدة والمبالغة الثاني
ان المعنى لا يتولى يوم القيامة عذاب الله احد اي الامر يومئذ امره ولا امر
لغيره الثالث وهو قول ابي علي الفارسي ان يكون التقدير لا يعذب احد من
الزبانية مثل ما يعذبونه فالضمير في عذابه عائد الى الانسان وقرأ الكسائي
لا يعذب ولا يوثق بفتح العين فيهما واختاره ابو عبيدة وعن ابي عمرو انه
رجع اليها في اخر عمره لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأهما
بالفتح والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن خلف وفي هذه القراءة تفسيران
احدهما لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل
وثاقه لتناهيه في كفره وفساده والثاني انه لا يعذب احد من الناس
عذابه كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الواحدي وهذا
اولى الاقوال المسئلة الثانية العذاب في القرائن بمعنى التعذيب والوثاق
بمعنى الايثاق كالعطاء بمعنى الاعطاء في قوله وبعد عطائك المائة الرتاعا
قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية اعلم
انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف حال من اطمأن الى
معرفته وعبوديته فقال يا ايتها النفس وفيه مسائل المسئلة الاولى
تقدير هذا الكلام يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس فاما ان يكلمه اكراما
له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك وقال القفال هذا وان
كان امرا في الظاهر لكنه خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة
رجعت الى الله وقال الله لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال
ومجيء الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم كقولهم اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
المسئلة الثانية الاطمئنان هو الاستقرار والثبات وفي كيفية هذا الاستقرار

الكافر مع

وجوه احدها ان تكون متيقنة بالحق فلا يخالجها شك وهو المراد من
قوله ولكن ليطمئن قلبي وثانيها النفس الامنة التي لا يستفزها خوف ولا
حزن ويشهد لهذا التفسير قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمئنة
وهذه الحالة قد تحصل عند الموت عند سماع قوله الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة و تحصل عند البعث و عند دخول الجنة لا محالة وثالثها
وهو تاويل مطابق للحقايق العقلية ومقول القران والبرهان تطابقا
على ان هذا الاطمينان لا يحصل الا بذكر الله اما القران فقوله الا بذكر
الله تطمئن القلوب و اما البرهان فمن وجهين الاول ان القوة العاقلة
اذا اخذت تترقى في سلسلة الاسباب و المسببات فكلما وصل الى سبب
يكون هو ممكنا لذاته طلب العقل له سببا اخر فلم يقف العقل عنده بل لا يزال
ينتقل من كل شي الى ما هو على منه حتى ينتهي في ذلك الترقي الى واجب الوجود
لذاته مقطع الحاجات ومنتهى الضرورات فلما وقفت الحاجة دونه
وقف العقل عنده واطمان اليه ولم ينتقل عنه الى غيره فاذن كلما كانت
القوة العاقلة ناظرة الى شي من الممكنات ملتفتة اليه استحال ان تستقر
عنده واذا انظرت الى جلال واجب الوجود وعرفت ان الكل منه استحال
ان تنتقل عنه فثبت ان الاطمينان لا يحصل الا بذكر واجب الوجود الثاني
ان حاجات العبد غير متناهية و كل ما سوى الله فهو متناهي البقاء والقوة الا
بامداد الله وغير المتناهي لا يصير مجبورا بالمتناهي فلا بد في مقابلة حاجة
العبد التي لا نهاية لها من كمال الله الذي لا نهاية له حتى يحصل الاستقرار
فثبت ان كل من انس بمعرفة الله لشي غير الله فهو غير مطمئن وليست
نفسه نفسا مطمئنة اما من انس بمعرفة الله لله لا لشي سواه فنفسه هي النفس
المطمئنة وكل من كان كذلك كان انسه بالله وشوقه الى الله وبقاه بالله و
كلامه مع الله فلا جرم يخاطب عند مفارقة الدنيا بقوله ارجعي الى ربك
راضية مرضية وهذا كلام لا ينتفع الانسان به الا اذا كان كاملا في القوة
الفكرية الالهية او في التجريد والتفريد المسئلة الثالثة اعلم ان الله تعالى



ذكر مطلق النفس في القران فقال ونفس وما سواها وقال تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وتارة وصفها بكونها امارة بالسوء فقال ان النفس لامارة بالسوء وتارة
بكونها لوامة فقال ولا اقسم بالنفس اللوامة وتارة بكونها مطمئنة كما في هذه الاية
واعلم ان نفسك ذاتك وحقيقتك وهي التي تشير اليها بقولك انا حين تخبر عن
نفسك بقولك فعلت ورايت وسمعت وغضبت واشتهيت وتخيلت وتذكرت
الا ان المشار اليه بهذه الاشارة ليس هو البنية لوجهين الاول ان المشار
اليه بقولك انا قد يكون معلوما حال ما تكون هذه البنية المخصوصة غير
معلومة والمعلوم غير ما هو غير معلوم والثاني ان هذه البنية متبدلة
الاجزا والمشار اليه بقولك انا غير متبدل فاني اعلم بالضرورة اني انا كنت
موجودا قبل هذا اليوم بعشرين سنة والمتبدل غير ما هو غير متبدل
فاذن ليست النفس عبارة عن هذه البنية وقال قوم النفس
ليست بجسم لانا قد نعقل المشار اليه بقولي انا حال ما اكون غافلا عن الجسم
الذي حقيقته المتحيز الذاهب في الطول والعرض والعمق والمعلوم
مغاير لما ليس بمعلوم وجواب المعارضة بالنفس مذكور في كتابنا المسمى
بلباب الاشارات وقال اخرون بل هو جوهر جسماني لطيف صافي
بعيد عن مشابهة الاجرام العنصرية نوراني سماوي مخالف بالماهية لهذه
الاجسام السفلية فاذا صارت مشابكة لهذا البدن الكثيف صار البدن حيا
وان فارقته صار البدن ميتا وعلى التقدير الاول يكون وصفها بالمجي والرجوع
بمعنى التدبير وتركه وعلى التقدير الثاني يكون ذلك الوصف حقيقيا المسئلة الرابعة
من القدما من زعم ان النفوس ازلية واحتجوا بهذه الاية وهي قوله ارجعي الى
ربك فان هذا انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن واعلم ان هذا الكلام
يتفرع على ان هذا الخطاب متى يوجد وفيه وجهان الاول انه انما يوجد
عند الموت وههنا تقوى حجة القائلين بتقدم الارواح على الاجساد الا
انه لا يلزم من تقدمها عليها قدمها الثاني انه يوجد عند البعث والقيامة

والمعنى ارجعي الى ثواب ربك فادخلي في عبادي اي ادخلي في الجسد الذي
خرجت منه المسألة الخامسة المجسمة تمسكوا بقوله الى ربك وكلمة الى
لانتهاء الغاية وجوابه الى حكم ربك او الى ثواب او الى احسان ربك والجواب
الحقيقي المفرع على القاعدة العقلية التي قررناها ان القوة العقلية بسيرها العقلي
تترقى من موجود الى موجود ومن مسبب الى سبب حتى ينتهي الى حضرة
واجب الوجود فهناك انتهاء الغايات وانقطاع الحركات اما قوله تعالى
راضية مرضية فالمعنى راضية بالثواب مرضية عنك في الاعمال التي عملتها في
الدنيا ويدل على صحة هذا التفسير ما روي ان رجلا قرا عند النبي عليه السلام
هذه الايات فقال ابو بكر ما احسن هذا فقال عليه السلام اما ان الملك
سيقولها لك ثم قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفيه مسألتان
المسألة الاولى قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي
الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك
خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان
يحوله وانت قد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب المسألة
الثانية قوله ادخلي في عبادي اي انضمي الى عبادي المقربين وهذه حالة
شريفة وذلك لان الارواح الشريفة القدسية تكون كالمرايا المصقولة فاذا
انضم بعضها الى البعض حصلت فيما بينها حالة شبيهة بالحالة الحاصلة عند
تقابل المرايا المصقولة من انعكاس الاشعة من بعضها عن بعض فيظهر
في كل واحد منها ما ظهر في كلها وبالجملة فيكون ذلك الانضمام سببا
لتكامل تلك السعادات وتعاظم تلك الدرجات الروحانية وهذا هو
المراد من قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
وذلك هو السعادة الروحانية ثم قال وادخلي جنتي وهذا اشارة
الى السعادة الجسمانية ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت
في حق السعداء لا جرم قال فادخلي في عبادي فذكره بفاء التعقيب ولما
كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها الا بعد قيام القيامة الكبرى لا جرم



قال وادخلي جنتي فذكره بالواو لا بالفاء والله اعلم

## سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما
ولد لقد خلقنا الانسان في كبد اجمع المفسرون على ان ذلك البلد هو مكة
وفضل مكة معروف فان الله تعالى جعله حرما امنا وقال في المسجد الذي فيه ومن
دخله كان امنا وجعل ذلك المسجد قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وشرف مقام ابرهيم بقوله واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وامر الناس بحج ذلك البيت فقال ولله على الناس حج البيت وقال في البيت
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال واذ بوانا لابرهيم مكان البيت
ان لا تشرك بي شيئا وقال وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وحرم فيه
الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الدنيا من تحته فهذه الفضائل واكثر
منها لما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى بها فاما قوله وانت حل بهذا البلد
فالمراد منه امور احدها وانت مقيم بهذا البلد نازل فيه حال به كانه تعالى
عظم مكة من جهة انه عليه السلام مقيم بها وثانيها الحل بمعنى الحلال اي ان الكفار
يحرمون هذا البلد ولا يستحلون فيه الحرمات ثم انهم مع ذلك ومع اكرام الله
اياك بالنبوة يستحلون ايذاءك ولو تمكنوا منك لقتلوك فانت حل لهم في اعتقادهم
لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا
او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله
وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجب من حالهم من عداوتهم
وثالثها قال قتادة انت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من
شئت وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله فاحل
ما شاء وحرم ما شاء وفعل ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد
قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس
معرف

الا الاذخر يا رسول الله فانه لبيوتنا و قبورنا فقال الا الاذخر فان قيل
هذه السوره مكيه وقوله وانت حل اخبار عن الحال والواقعه التي ذكرتم انما
حدثت في اخر مده هجرته الى المدينه فكيف الجمع بين الامرين قلنا قد تكون اللفظ
للحال والمعنى مستقبلا لقوله تعالى انك ميت وكما اذا قلت لمن تعده الاكرام والحبا
انت مكرم محبو وهذا من الله تعالى احسن لان المستقبل عنده كالحاضر بسبب
انه لا يمنعه عن وعده مانع ورابعها وانت حل بهذا البلد اي وانت غير
مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيما منك لهذا البيت لا كالمشركين
الذين يرتكبون فيه الكفر بالله وتكذيب الرسول وخامسها انه تعالى لما اقسم
بهذا البلد دل ذلك على غايه فضل هذا البلد ثم قال وانت حل بهذا البلد
اي وانت من مثل هذه البلده المعظمه المكرمه واهل هذا البلد يعرفون
اصلك ونسبك وطهارتك وبراتك طول عمرك عن الافعال القبيحه وهذا
هو المراد بقوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال لقد جاءكم رسول
من انفسكم وقوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبل فيكون الغرض شرح منصب
رسول الله بكونه من هذا البلد اما قوله ووالد وما ولد فاعلم ان هذا معطوف
على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله وانت حل بهذا البلد معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه وللمفسرين فيه وجوه احدها الوالد ادم وما ولد ذريته
اقسم بهم اذ هم اعجب من خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبيا والدعاه الى الله والانصار لدينه وكل
ما في الارض مخلوق لهم وامر الملايكه بالسجود لادم وعلمه الاسما كلها وقد قال
الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم فيكون القسم بجميع الادميين صالحهم وطالحهم
لما ذكرنا من اظهار العجايب في هذه البنيه والتركيب وقيل هو قسم بادم
والصالحين من اولاده اما الطالحون فكانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهايم — غير صح
كما قال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا صم بكم عمي فهم لا يرجعون وثانيها
الوالد ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد عليه السلم وذلك لانه اقسم بمكه وابرهيم
بانيها واسمعيل ومحمد عليه السلم سكانها وفايده التنكير الابهام المستقل بالمدح



والتعجب وانما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد للفايده الموجوده في قوله
والله اعلم بما وضعت اي باي شي وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وثالثها
الوالد ابرهيم وما ولد جميع ولد ابرهيم بحيث يحتمل العرب والعجم فان جمله — ابرهيم ع
ولدهم سكان البقاع الفاضله من ارض الشام ومصر وبيت المقدس وارض
العرب ومنهم الروم لانهم ولد عيص بن اسحق ومنهم من خص ذلك بولد ابرهيم
من العرب ومنهم من خص ذلك بالعرب المسلمين وانما قلنا ان هذا القسم واقع بولد
ابرهيم عليه السلم لانه قد شرع في التشهد ان يقال كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم
وهم المومنون ورابعها روي عن ابن عباس انه قال الوالد الذي يلد وما
ولد الذي لا يلد فما هاهنا يكون للنفي وعلى هذا لا بد من اضمار الموصول اي
ووالد والذي ما ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وخامسها يعني كل والد
ومولود وهذا مناسب لان حرمه الخلق كلهم داخل في هذا الكلام واما
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد ففيه مسايل المسله الاولى في الكبد
وجهان احدهما قال صاحب الكشاف ان الكبد اصله من قولك كبد الرجل
كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل
تعب ومشقه ومنه اشتقت المكابده واصله كبده اذا اصاب كبده
وقال اخرون الكبد شده الامر ومنه تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد
كانه دم يغلظ ويشتد والفرق بين القولين ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا
للكبد ثم اشتقت منه الشده وفي الثاني اللفظ موضوع للشده والغلظ
ثم اشتق منه اسم العضو والوجه الثاني ان الكبد هو الاستوا والاستقامه
الوجه الثالث ان الكبد شده الخلق والقوه اذا عرفت ذلك فنقول
اما على الوجه الاول فيحتمل ان يكون المراد شدايد الدنيا فقط وان يكون
المراد شدايد التكاليف فقط وان يكون المراد شدايد الاخره فقط وان يكون
المراد كل ذلك اما الاول فقوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي خلقناه
اطوارا كلها شده ومشقه تاره في بطن الام ثم زمان الارضاع ثم اذا بلغ
ففي الكد في تحصيل المعاش ثم بعد ذلك الموت واما الثاني وهو الكد في الدين

٦

وقال الحسن يكابد الشكر على السرا والصبر على الضرا ويكابد المحن في ادا
العبادات واما الثالث وهو الاخره والموت ومسايله الملك وظلمه القبر
ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في الجنه واما في النار
واما الرابع وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق وعندي فيه وجه
اخر وهو انه ليس في هذه الدنيا لذه البته بل ذاك الذي يظن انه لذه فهو
خلاص عن الالم فان ما يتخيل من اللذه عند الاكل فهو خلاص عن الم الجوع
وما يتخيل من اللذه عند اللبس فهو خلاص عن الم الحر والبرد فليس للانسان
الا الم او خلاص عن الم وانتقال الى اخر فهذا معنى قوله لقد خلقنا الانسان
في كبد ويظهر منه انه لا بد للانسان من البعث والقيامه لان الحكيم الذي دبر
خلقه الانسان ان كان مطلوبه منه ان يتالم فهذا لا يليق بالرحمه وان كان
مطلوبه ان لا يتالم ولا يلتذ ففي تركه على العدم كفايه في هذا المطلوب وان
كان مطلوبه ان يلتذ فقد بينا انه ليس في هذه الحيوه لذه وانه خلق الانسان
في هذه الدنيا في كبد ومشقه ومحنه فاذن لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى
لتكون تلك الدار دار السعادات واللذات والكرامات واما على الوجه
الثاني وهو ان يفسر الكبد بالاستوا فقال ابن عباس في كبد اي قايما منتصبا
والحيوانات الاخر تمشي منكبه فهذا امتنان عليه بهذه الخلقه واما على
الوجه الثالث وهو ان يفسر الكبد بشده الخلقه فقد قال الكلبي نزلت
هذه الايه في رجل من بني جمح يكنى ابا الاشدين كان يجعل تحت قدميه الاديم
العكاظي فيجتذبونه من تحت قدميه فيتمزق الاديم ولم تزل قدماه واعلم ان
اللايق بالايه هو الوجه الاول المسله الثانيه حرف في واللام يتقاربان
تقول انما انت للعنا والنصب وانما انت في العنا والنصب وفيه وجه اخر
وهو ان قوله في كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطه الظرف
بالمظروف وفيه اشاره الى ما ذكرنا انه ليس في الدنيا الا الكد والمحنه
المسله الثالثه منهم من قال المراد بالانسان انسان معين وهو الذي
وصفناه بالقوه والاكثرون على انه عام يدخل فيه كل احد وان كنا لا نمنع

ع



من ان يكون ورد عند فعل فعله ذلك الرجل فقوله تعالى ايحسب
ان لن يقدر عليه احد اعلم انا ان فسرنا الكبد بالشده في القوه فالمعنى
ايحسب ذلك الانسان الشديد انه لشدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه
بالمحنه والبلا كان المعنى تسهيل ذلك على القلب كانه يقول وهب ان الانسان
كان في النعمه والقدره افيظن انه في تلك الحاله لا يقدر عليه احد ثم اختلفوا
فقال بعضهم لن يقدر على بعثه ومجازاته فكانه خطاب مع من ينكر البعث
وقال اخرون المراد لن يقدر على تغيير احواله ظنا منه انه قوي على الامور
لا يدافع عن مراده وقوله ايحسب استفهام على سبيل الانكار فقوله تعالى
يقول اهلكت مالا لبدا قال ابو عبيده لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير
بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثره يقال رجل حطم اذا كان كثير
الحطم قال الفرا واحدته لبده ولبد جمع وجعله بعضهم واحدا كقثم وحطم
وهو في الوجهين جميعا الكثير قال الليث مال لبد لا يخاف فناه من كثرته
وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله يكونون عليه لبدا والمعنى ان هذا
الكافر يقول اهلكت في عداوه محمد مالا كثيرا والمراد كثره ما انفقه فيما
كان اهل الجاهليه يسمونه مكارم ويدعونه معالي ومفاخر ثم قال
ايحسب ان لم يره احد فيه وجهان الاول قال قتاده ايظن ان الله لم
يره ولا يساله عن ماله من اين كسبه واين انفقه الثاني قال الكلبي كان كاذبا
لم ينفق شيا فقال الله تعالى ايظن ان الله تعالى ما راى ذلك منه فعلا و
لم يفعل انفق او لم ينفق بلى رآه وعلم منه خلاف ما قال واعلم انه تعالى لما
حكى عن ذلك الكافر قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد اقام الدلاله على
كمال قدرته الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
وعجايب هذه الاعضا مذكوره في كتب التشريح قال اهل العربيه
النجد الطريق في ارتفاع فكانه لما وضحت الدلايل جعلت كالطرق المرتفعه
العاليه بسبب انها واضحه للعقول كوضوح الطريق العالي للابصار والى
هذا التاويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو انهما سبيلا الخير والشر

مقال ح

لط

وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال انما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر ولا يكن
نجد الشر احب الى احدكم من نجد الخير وهذه الاية كالاية في هل اتى على
الانسان الى قوله فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما
كفورا وقال الحسن قال اهلكت مالا لبدا ايحسب الذي يحاسبني عليه فقيل
الذي قدر على ان يخلق لك هذه الاعضا قادر على محاسبتك وروي عن ابن
عباس وسعيد بن المسيب انهما الثديان ومن قال ذلك ذهب الى انهما كالطريقين
لحيوة الولد ورزقه والله تعالى هدى الطفل الصغير حتى ارتضعهما قال
القفال رحمه الله والتاويل هو الاول ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان
من قدر على ان يخلق من الما المهين قلبا عقولا ولسانا قوالا فهو على اهلاك
ما خلق قادر وعالم بما خفيه المخلوق عالم فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه
وما الحجة في الكفر بالله مع تظاهر نعمه وما العلة في التعزز على الله وعلى انصار
دينه بالمال وهو المعطي له وهو الممكن من الانتفاع ثم انه سبحانه وتعالى دل
عباده على الوجوه الفاضلة التي تنفق فيها الاموال وعرف هذا الكافر
ان انفاقه كان فاسدا وغير مفيد فقال فلا اقتحم العقبة وفيه مسايل
المسلة الاولى الاقتحام الدخول في الامر الشديد يقال قحم يقحم قحوما واقتحم
اقتحاما وتقحم تقحما اذا ركب القحم وهي المهالك والامور العظام والعقبة
طريق في الجبل وعر والجمع العقب والعقاب ثم ذكر المفسرون في العقبة
ههنا وجهين الاول انها في الاخرة قال عطا يريد عقبة جهنم وقال
الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار وقال ابن عمر هي جبل زلال في جهنم وقال
مجاهد والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهو معنى قول الكلبي انها
عقبة بين الجنة والنار قال الواحدي وهذا التفسير فيه نظر لان من
المعلوم ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها فحمل
الاية عليه يكون ايضاحا للواضحات ويدل عليه انه لما قال وما ادريك
ما العقبة فسره بفك الرقبة وبالاطعام الوجه الثاني في تفسير العقبة
هو انه ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في



اعمال البر وهذا قول الحسن ومقاتل قال الحسن عقبة الله شديدة وهي
مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الانس والجن واقول
هذا التفسير هو الحق لان الانسان يريد ان يرقى من عالم الحس والخيال
الى يفاع عالم الانوار الالهية ولا شك ان بينه وبينها عقبات سامية دونها
صواعق حامية ومجاوزتها صعبة والترقي اليها شديد المسلة الثانية
ان في الاية اشكالا وهو انه قلما يوجد لا الداخلة على الماضي الا مكررة تقول
لا جنبني ولا بعدني قال تعالى فلا صدق ولا صلى وفي هذه الاية ما جا
التكرير فما السبب فيه اجيب عنه من وجوه الاول قال الزجاج انها مكررة
في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى
انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقوله ثم كان من الذين امنوا يدل ايضا
على معنى فلا اقتحم العقبة ولا امن الثاني قال ابو علي الفارسي معنى فلا
اقتحم العقبة لم يقتحمها واذا كانت لا بمعنى لم كان التكرير غير واجب كما لا يجب
التكرير مع لم فان تكررت في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتكرر لم نحو
لم يسرفوا ولم يقتروا المسلة الثالثة قال القفال رحمه الله قوله فلا اقتحم
العقبة اي هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة واما الباقون فانهم
اجروا اللفظ على ظاهره وهو الاخبار بانه ما اقتحم العقبة ثم قال وما
ادريك ما العقبة ابد من تقدير محذوف لان العقبة لا تكون فك رقبة
فالمراد وما ادريك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لامر التزام الدين ثم قال
فك رقبة والمعنى ان اقتحام العقبة هو الفك او الاطعام وفيه مسايل
المسلة الاولى الفك فرق يزيل المنع كفك القيد والغل وفك الرقبة فرق
بينها وبين صفة الرق بايجاب الحرية وابطال العبودية ومنه فك الرهن
وهو ازالة غلق الرهن وكل شي اطلقته فقد فككته ومنه فك الكتاب قال
الفراء في المصادر فكها يفكها فكاكا بفتح الفاء في المصدر ولا يقال بكسرها ويقال
كانت عادة العرب في الاسارى شد رقابهم وايديهم فجرى ذلك فيهم وان لم
يشدوا ثم سمي اطلاق الاسير فكا كما قال الاخطل

هم

ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا المسئلة الثانية فك
الرقبة قد تكون بان يعتق الرجل رقبة من الرق وقد تكون بان يعطي مكاتبا
ما يصرفه الى جهة فكاك نفسه روى البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال
عتق النسمة وفك الرقبة قال يا رسول الله اليسا واحدا قال لا عتق النسمة
ان تفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها وفيه وجه اخر وهو ان يكون
المراد ان يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها الى الجنة
فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار المسئلة الثالثة قرئ فك رقبة او
اطعام والتقدير هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال
من اقتحم العقبة وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض قال الفراء وهو اشبه
الوجهين بصحيح العربية لقوله ثم كان لان فك واطعم فعل وقوله كان فعل
وينبغي ان يكون الذي يعطف عليه الفعل فعلا اما لو قيل ثم ان كان كان
ذلك مناسبا لقوله فك رقبة بالرفع لانه يكون عطفا للاسم على الاسم المسئلة
الرابعة عند ابي حنيفة العتق افضل انواع الصدقات وعند صاحبيه
الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة
قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة فيه مسائل المسئلة الاولى
يقال سغب سغبا اذا جاع فهو ساغب وسغبان قال صاحب الكشاف
المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب
واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة قال الواحدي
المتربة مصدر قولهم ترب يترب تربا ومتربة مثل مسغبة اذا افتقر حتى
لصق بالتراب المسئلة الثانية حاصل القول في تفسير يوم ذي مسغبة
ما قاله الحسن وهو انه يوم محروص فيه على الطعام قال ابو علي ومعناه
ما تقول النحويون في قولهم ليل نائم ونهار صائم اي ذو نوم وذو صوم
واعلم ان اخراج المال في وقت القحط والضرورة اثقل على النفس



واوجب للاجر وهو كقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى وقال
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه
او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة اما قوله يتيما ذا مقربة قال الزجاج ذا
قرابة تقول زيد ذو قرابتي وذو مقربتي وزيد قرابتي قبيح لان القرابة مصدر قال
مقاتل يعني يتيما بينه وبينه قرابة فقد اجتمع فيه حقان يتم وقرابة فاطعامه
افضل وقيل يدخل فيه القرب بالجوار كما يدخل فيه القرب بالنسب اما قوله
او مسكينا ذا متربة اي مسكينا قد لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما
يستره ولا تحته ما يوطئه روي ان ابن عباس مر بمسكين لاصق بالتراب فقال
هذا الذي قال الله او مسكينا ذا متربة واحتج الشافعي على ان المسكين قد يكون
بحيث يملك شيئا لانه لو كان لفظ المسكين دليلا على انه لا يملك شيئا البتة
لكان تقييده بقوله ذا متربة تكريرا وهو غير جائز اما قوله ثم كان من الذين
امنوا اي كان مقتحم العقبة من الذين امنوا فانه ان لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من
هذه الطاعات ولا مقتحما للعقبة فان قيل لما كان الايمان شرطا للانتفاع
بهذه الطاعات وجب كونه مقدما عليها فما السبب في ان الله تعالى اخره
عنها بقوله ثم كان من الذين امنوا والجواب من وجوه احدها ان
هذا التراخي في الذكر لا في الوجود كقوله شعر ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد
ساد قبل ذلك جده شعر لم يرد بقوله ثم ساد ابوه التاخر في الوجود وانما
المعنى ثم اذكر انه ساد ابوه كذلك في الاية وثانيها ان يكون المراد ثم كان في
عاقبة امره من الذين امنوا وهو ان يموت على الايمان فان الموافاة شرط
الانتفاع بالطاعات وثالثها ان من اتى بهذه القرب تقربا الى الله تعالى قبل
ايمانه بمحمد عليه السلام ثم امن بعد ذلك بمحمد عليه السلام فعند بعضهم انه يثاب على
تلك الطاعات قالوا ويدل عليه ما روي ان حكيم بن حزام بعدما اسلم قال
لرسول الله عليه السلام انا كنا نأتي باعمال الخير في الجاهلية فهل لنا منها شيء
فقال عليه السلام اسلمت على ما قدمت من الخير ورابعها ان المراد
من قوله ثم كان من الذين امنوا تراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة

عن العتق والصدقة لان درجة ثواب الايمان اعظم من درجة ثواب سائر
الاعمال اما قوله وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فالمعنى انه كان
يوصي بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي
وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المومن ثم ضم اليه التواصي بالمرحمة
وهو ان يحث بعضهم بعضا على ان يرحم المظلوم او الفقير او يرحم المقدم
على منكر فيمنعه منه لان كل ذلك داخل في الرحمة وهذا يدل على انه يجب على
المرء ان يدل غيره على طريق الحق ويمنعه من سلوك طريق الشر ما امكنه
واعلم ان قوله ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
يعني يكون مقتحم العقبة من هذه الزمرة والطائفة وهذه الطائفة هم اكابر
الصحابة كالخلفاء الاربعة وغيرهم فانهم كانوا مبالغين في الصبر على شدائد
الدين والرحمة على الخلق وبالجملة فقوله وتواصوا بالصبر اشارة
الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على
خلق الله ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وهو الذي
قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق
مع الخلق ثم انه سبحانه لما وصف هولاء المومنين بين انهم من هم في القيامة
فقال اولئك اصحاب الميمنة وانما ذكر ذلك لانه تعالى بين حالهم في سورة
الواقعة وانهم في سدر مخضود وطلح منضود قال صاحب الكشاف
الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشوم اي الميامين على انفسهم
والمشائيم عليها ثم قال والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة
فقيل المراد من يوتى كتابه بشماله او من وراء ظهره وقد تقدم وصف الله لهم
بانهم في سموم وحميم وظل من يحموم الى غير ذلك ثم قال عليهم نار موصدة
وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الفراء والزجاج والمبرد يقال
اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرا موصدة بالهمز اخذها من
اصدت فهمز اسم المفعول ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز
على لغة من يهمز الواو اذا كان قبلها ضمة نحو موسى ومن لم يهمز احتمل

الباطل



ايضا امرين احدهما ان يكون من لغة من قال اوصدت فلم يهمز اسم المفعول
كما يقال من اوعدت موعد والاخر ان يكون من اصد مثل امن ولكنه خفف
كما في تخفيف جونة وبوس جونه وبوس فقلبها في التخفيف واوا قال
الفراء ويقال من هذا الاصيد والوصيد وهو الباب المطبق اذا عرفت
هذا فنقول قال مقاتل عليهم نار موصدة يعني ابوابها مطبقة فلا يفتح
لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الاباد وقيل المراد احاطة
النيران بهم كقوله احاط بهم سرادقها المسئلة الثانية الموصدة هي
الابواب وقد جرت صفة للنار على تقدير عليهم نار موصدة الابواب
فلما نزلت الاضافة عاد التنوين لانهما يتعاقبان

## سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها
قبل الخوض في التفسير لابد من مسائل المسئلة الاولى المقصود من هذه السورة
الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي واعلم ان الله تعالى ينبه عباده دائما
بان يذكر في القسم انواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتامل
المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في
القلب فيكون الدواعي الى تامله اقوى المسئلة الثانية قد عرفت ان
جماعة من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب سائر
ما ذكره الى تمام القسم واحتج قوم على بطلان هذا المذهب فقالوا ان في
جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيلزم ان يكون
المراد ورب السماء وربها وذلك كالمتناقض اجاب القاضي عنه بان
قوله وما بناها لا يجوز ان يكون المراد منه هو الله تعالى لان ما لا يستعمل
في خالق السماء الا على ضرب من المجاز ولانه لا يجوز منه تعالى ان يقدم
قسمه بغيره على قسمه بنفسه ولانه تعالى لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه
فاذن لابد من التاويل وهو ان ما مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير
والسماء وبنائها اعترض صاحب الكشاف عليه فقال لو كان الامر على هذا
الوجه لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم المسئلة الثالثة

بلغ العرض

القرا مختلفون في فواصل هذه السوره وما اشبهها نحو والليل اذا يغشى والضحى
والليل اذا سجى ففروها تاره بالاماله وتاره بالتفخيم وتاره بعضها بالاماله وبعضها
بالتفخيم قال الفرا بكسر ضحيها والايات التي بعدها وان كان اصل بعضها
الواو نحو تلاها وطحاها ودحاها فلذلك ايضا فانه لما ابتدت السوره بحرف
اليا اتبعها ما هو من الواو ولان الالف المنقلبه عن الواو قد توافق المنقلبه
عن اليا الا ترى ان تلوت وطحوت ونحوهما قد يجوز في افعالها ان ينقلب
الى اليا نحو تلي ودحي فلما حصلت هذه الموافقه استجازوا امالته كما استجازوا
امالة ما كان من اليا واما وجه من ترك الاماله مطلقا فهو ان كثيرا من العرب
لا يميلون هذه الالفات ولا ينحون فيها نحو اليا وتقوى ترك الاماله لان الفات الواو
في موسر منقلبه عن اليا واليا في ميقات وميزان منقلبه عن الواو ولم يلزم من ذلك
ان يحصل فيه ما يدل على ذلك الانقلاب فكذا هاهنا ينبغي ان يترك الالف غير مماله
ولا ينحي بها نحو اليا واما امالة البعض وترك امالة البعض كما فعله حمزه فحسن
ايضا وذلك ان الالف انما تمال نحو اليا لتدل على اليا اذا كان انقلابها عن
اليا ولم يكن في تلاها وطحاها ودحاها الف منقلبه عن اليا انما هي منقلبه عن الواو
بدلالة تلوت ودحوت المسله الرابعه ان الله تعالى اقسم بسبعة اشيا
الى قوله قد افلح وهو جواب القسم قال الزجاج المعنى لقد افلح
ولكن اللام حذفت لان الكلام طال فصار طوله عوضا منها قوله تعالى
والشمس وضحاها ذكر المفسرون في ضحاها ثلثة اقوال قال مجاهد والكلبي
ضوها وقال قتاده هو النهار كله وهو اختيار الفرا وابن قتيبه وقال
مقاتل هو حر الشمس وتقرير ذلك بحسب اللغه ان نقول قال الليث
الضحو ارتفاع النهار والضحى فويق ذلك والضحا ممدود اذا امتد
النهار وقرب ان ينتصف وقال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور
الشمس على وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا اليا مع سكون الحا
فقلبوها وقالوا ضحا فالضحى هو ضو الشمس ونورها ثم سمي به الوقت الذي
تشرق فيه الشمس على ما في قوله تعالى الا عشيه او ضحاها فمن قال من المفسرين



في ضحاها ضوها فهو على الاصل وكذا من قال هو النهار كله لان جميع النهار هو من
نور الشمس ومن قال في الضحى انه حر الشمس فلان حرها ونورها متلازمان
فمتى اشتد حرها فقد اشتد ضوها وبالعكس وهذا اضعف الاقوال واعلم
انه تعالى انما اقسم بالشمس وضحاها لكثره ما تعلق بها من المصالح فان اهل العالم
كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر اثر الصبح في المشرق صار ذلك كالصور الذي
ينفخ قوه الحيوه فصارت الاموات احيا ولا تزال تلك الحياه في الازدياد
والقوه والتكامل ويكون غايه كمالها وقت الضحوه فهذه الحاله تشبه احوال
القيامه ووقت الضحوه يشبه استقرار اهل الجنه فيها قوله والقمر اذا تلاها
قال الليث تلا يتلو اذا تبع شيا وفي كون القمر تاليا وجوه احدها ان القمر طالعا
عند غروب الشمس وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت
الشمس فان القمر يتبعها في الاضاه وهو قول عطا عن ابن عباس وثانيها ان الشمس
اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب وهو قول قتاده والكلبي وثالثها
قول الفرا المراد من هذا التلو هو ان القمر ياخذ الضو من الشمس يقال فلان
تبع فلانا في كذا اي ياخذ منه ورابعها قال الزجاج تلاها حين استدار وكمل
فكانه يتلو الشمس في الضيا والنور يعني اذا كمل ضوه فصار كالقايم مقام الشمس
في الاناره وذلك في الليالي البيض وخامسها انه يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس
وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته ولقد ظهر في علم النجوم ان بينهما من المناسبه
ما ليس بين الشمس وبين غيرها قوله والنهار اذا جلاها معنى التجليه الاظهار
والكشف والضمير في جلاها الى ماذا يعود فيه وجهان احدهما وهو قول
الزجاج انه عايد الى الشمس وذلك لان النهار عباره عن نور الشمس فكلما كان
النهار اجلى ظهورا كانت الشمس اجلى ظهورا لان قوه الاثر وكماله يدل على
قوه المؤثر فكان النهار يبرز الشمس ويظهرها كقوله تعالى لا يجليها لوقتها
الا هو اي لا يخرجها الثاني وهو قول الجمهور انه عايد الى الظلمه او الى
الدنيا او الى الارض وان لم يجر لها ذكر يقولون اصبحت بارده يريدون الغداه
وارسلت يريدون السما قوله والليل اذا يغشاها يعني يغشى الليل الشمس

فيزيل ضوءها وهذه الاية تقوى القول الاول في الاية التي قبلها من وجهين الاول
انه لما جعل الليل يغشى الشمس ويزيل ضوءها حسن ان يقال النهار يجليها
على ضد ما ذكر في الليل والثاني ان الضمير في يغشاها للشمس بلا خلاف فكذا
في جلاها يجب ان يكون للشمس حتى تكون الضمير في الفواصل من اول السورة
الى هاهنا للشمس قال القفال رحمه الله وهذه الاقسام الاربعة ليست الا بالشمس
في الحقيقة لكن بحسب اوصاف اربعة اولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار
وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش
ومنها تلو القمر لها واخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجي النهار
ومنها وجود خلاف ذلك بمجي الليل ومن تامل قليلا في عظمة الشمس ثم شاهد
بعين عقله فيها اثر المصنوعية والمخلوقية من المقدار المتناهي والتركب من الاجزا
انتقل منه الى عظمة خالقها فسبحانه ما اعظم شانه قوله تعالى والسما وما بناها
فيه سوالات السوال الاول ان الذي ذكره صاحب الكشاف ان ما
هاهنا لو كانت مصدرية لكان عطف فالهمها عليه يوجب فساد النظم حق
والذي قاله القاضي من انه لو كان هذا قسما بخالق السما لما كان يجوز تاخره
عن ذكر الشمس فهو اشكال جيد والذي يخطر بالبال في الجواب عنه ان
اعظم المحسوسات هو الشمس فذكرها سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالة
على عظمها ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلث وهي
تدبيره سبحانه للسما وللارض وللمركبات ونبه على المركبات بذكر اشرفها
وهي النفس والغرض من هذا الترتيب هو ان تتوافق العقل والحس
على عظمة جرم الشمس ثم يحتج العقل الساذج بالشمس بل بجميع السماويات
والارضيات والمركبات على اثبات مبدا لها محسن يحطي العقل هاهنا بادراك
جلال الله وعظمته على ما يليق به والحس لا يبان معه فيه فكان ذلك كالطريق
الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى بقاع عالم الربوبية وبيدا
كبريا الصمدية فسبحان من عظمت حكمته وكملت كلمته السوال الثاني
ما الفايده في قوله والسما وما بناها الجواب انه سبحانه لما وصف الشمس

بالصفات الاربعة الدالة على عظمتها اتبعه ببيان ما يدل على حدوثها وحدوث
جميع الاجرام السماوية فنبه بهذه الاية على تلك الدلالة وذلك لان الشمس والسما
متناهية وكل متناهي فانه مختص بمقدار معين مع انه كان يجوز في العقل وجود
ما هو اعظم منه وما هو اصغر منه فاختصاص الشمس وساير السماوية بالمقدار
المعين لا بد وان يكون لتقدير مقدر وتدبير مدبر وكما ان باني البيت يبنيه
بحسب مشيته فكذا مدبر الشمس وساير السماويات قدرها بحسب مشيته
فقوله وما بناها كالتنبيه على هذه الدقيقة الدالة على حدوث الشمس وساير
السماويات السوال الثالث لم قال وما بناها ولم يقل ومن بناها الجواب
من وجهين احدهما ان المراد هو الاشارة الى الوصفية كانه قيل والسما وذلك
الشي العظيم القادر الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها والثاني
ان ما تستعمل في موضع من كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا والاعتماد على
الاول السوال الرابع لم ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الاشيا الثلثة
وهي السما والارض والنفس الجواب لان الاستدلال على الغايب لا يمكن
الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسماني وهو قسمان بسيط ومركب
والبسيط قسمان العلوية واليه الاشارة بقوله والسما والسفلية واليه الاشارة
بقوله والارض والمركب وهو اقسام واشرفها ذوات الانفس واليها الاشارة
بقوله ونفس وما سواها اما قوله والارض وما طحاها ففيه مسئلتان المسئلة
الاولى انما اخر هذا عن قوله والسما وما بناها لقوله والارض بعد ذلك دحاها
المسئلة الثانية قال الليث الطحو كالدحو وهو البسط وابدال الطا من
الدال جايز والمعنى وسعها قال عطا والكلبي بسطها على الما اما قوله ونفس
وما سواها ان حملنا النفس على الجسد فتسويتها تعديل اعضايها على ما
يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها اعطاها القوى
الكثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمخيلة والمفكرة والمذكرة على ما يشهد به علم
النفس فان قيل لم نكرت النفس قلنا فيه وجهان احدهما ان يريد به نفسا
خاصة من بين النفوس وهي النفس القدسية النبوية وذلك لان كل كثرة فلا بد

فيها من واحد يكون هو الرئيس فالمركبات جنس تحته انواع ورئيسها الحيوان
والحيوان جنس تحته انواع ورئيسها الانسان والانسان انواع او اصناف ورئيسها
النبي والانبيا كانوا كثيرين فلا بد وان يكون هناك واحد يكون هو الرئيس المطلق
فقوله ونفس اشاره الى تلك النفس التي هي رئيسه لعالم المركبات رياسة بالذات
والثاني ان يريد كل نفس ويكون المراد من التنكير التكثير على الوجه المذكور في
قوله علمت نفس ما احضرت وذلك لان الحيوان انواع لا يحصي عددها الا
الله على ما قال بعد ذكر بعض الحيوانات ويخلق ما لا تعلمون ولكل نوع
نفس مخصوصة مميزة عن سائرها بالفصل المقوم لماهيته والخواص اللازمه
لذلك الفصل فمن الذي يحيط عقله بالقليل من خواص نفس البق والبعوض
فضلا عن التوغل في بحار اسرار الله اما قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
فالمعنى المحصل فيه وجهان الاول ان الهام الفجور والتقوى افهامهما
واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شا منهما وهو
كقوله وهديناه النجدين وهذا التاويل مطابق لمذهب المعتزله قالوا ويدل
عليه قوله بعد ذلك قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها وهذا الوجه
مروي عن ابن عباس وعن جمع من اكابر المفسرين والوجه الثاني ان الله تعالى
الهم المومن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره قال سعيد بن جبير الزمها فجورها
وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه
اياها للفجور واختار الزجاج والواحدي ذلك قال الواحدي رحمه الله
التعليم والتعريف والتبيين غير والالهام غير فان الالهام هو ان يوقع الله
في قلب العبد شيا واذا اوقع في قلبه شيا فقد الزمه اياه واصل معنى الالهام
من قولهم لهم الشي والتهمه اذا ابتلعه والهمته ذلك الشي اي ابلعته هذا هو
الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله في قلب العبد لانه كالابلاع فالتفسير
الموافق لهذا الاصل قول ابن زيد وهو صريح في ان الله تعالى يخلق في المومن
تقواه وفي الكافر فجوره واما التمسك بقوله قد افلح من زكاها فضعيف
لان المروي عن سعيد بن جبير وعطا وعكرمه ومقاتل والكلبي ان المعنى قد

افلحت وسعدت نفس زكاها الله واصلحها وطهرها والمعنى وفقها للطاعه
هذا اخر كلام الواحدي رحمه الله وهو تام واقول قد ذكرنا ان الايات
الثلث ذكرت للدلاله على كونه سبحانه مدبرا للاجسام العلويه والسفليه البسيطه
والمركبه فههنا لم يبق شي مما في عالم المحسوسات الا وقد ثبت بمقتضى
ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره بقي شي واحد يختلج في القلب انه هل هو
بقضايه وقدره وهو الافعال الحيوانيه الاختياريه فنبه سبحانه بقوله فالهمها
فجورها وتقواها على ان ذلك ايضا منه وبه وبقضايه وقدره وحينيذ ثبت ان
كل ما سوى الله فهو واقع بقضايه ودا خل تحت ايجاده وتصرفه ثم الذي
يدل عقلا على ان المراد من قوله فالهمها فجورها وتقواها هو الخذلان
والتوفيق ما ذكرنا مرارا ان الافعال الاختياريه موقوفه على حصول الاختيارات
فحصولها ان كان لا عن فاعل فقد استغنى المحدث عن الفاعل
وفيه نفي الصانع وان كان عن فاعل هو العبد لزم التسلسل وان كان عن
فاعل الله فهو المقصود وايضا فليجرب العاقل نفسه فانه ربما كان الانسان
غافلا عن شي فتقع صورته في قلبه دفعه ويترتب على وقوع تلك الصوره في
القلب ميل اليه ويترتب على ذلك الميل حركة الاعضا وصدور الفعل وذلك
يفيد القطع بان المراد من قوله فالهمها ما ذكرناه لا ما ذكره المعتزله اما قوله
فاعلم ان التزكيه عباره عن التطهير او عن الانما وفي الايه قولان احدهما انه قد
ادرك مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها من الذنوب بفعل الطاعه ومجانبه
المعصيه والثاني قد افلح من زكاها ونقل القاضي هذا التاويل وقال المراد
منه ان الله حكم بتزكيتها وسماها بذلك كما يقال في العرف ان فلانا يزكي فلانا
ثم قال والاول اقرب لان ذكر النفس قد تقدم ظاهرا فرد الضمير عليه اولى
من رده على ما هو في حكم المذكور لا انه مذكور واعلم انا قد دللنا بالبرهان
القاطع ان المراد بالهمها ما ذكرناه فوجب حمل اللفظ عليه واما قوله
بان هذا محمول على الحكم والتسميه فهو ضعيف لان بنا التفعيلات على التكوين
ثم ان سلمنا ذلك لكن ما حكم الله به ممتنع تغيره لان تغير المحكوم به يستلزم

وقدره

تغير الحكم من الصدق الى الكذب وتغير العلم الى الجهل وذلك محال والمفضي الى المحال
محال اما قوله ذكر النفس قد تقدم قلنا هذا بالعكس اولى لان اهل اللغة اتفقوا
على ان عود الضمير الى الاقرب اولى من عوده الى الابعد وقوله فالهمها اقرب
الى قوله تامنه الى قوله ونفس فكان الترجيح لما ذكرناه ومما يؤكد هذا
التاويل ما رواه الواحدي رحمه الله في البسيط عن سعيد بن ابي هلال انه
عليه السلم كان اذا قرا قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها
انت وليها ومولاها وزكها انت خير من زكاها اما قوله تعالى وقد خاب
من دسيها فقالوا دساها اصله دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشي في الشي
فابدلت احدى السينات يا فاصل دسى دسس كما ان اصل تقضى البازي اي
تقضض البازي وكما قالوا لبيت والاصل لببت وملبى والاصل ملبب ثم تقول
اما المعتزلة فذكروا وجوها توافق قولهم احدها ان اهل الصلاح يظهرون
انفسهم واهل الفسق يخفون انفسهم ويدسونها في المواضع الخفية كما ان
اجواد العرب ينزلون الربى حتى تشتهر اماكنهم ويقصدهم المحتاجون ويوقدون
النيران بالليل للطارقين واما اللئام فانهم يخفون اماكنهم على الطالبين
وثانيها خاب من دساها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم
وثالثها من دساها في المعاصي حتى انغمس فيها ورابعها من دساها
من دس في نفسه الفجور وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع اهلها
وخامسها ان من اعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خاملا
متروكا منسيا فصار كالشي المدسوس في الاخفاء والخمول واما اصحابنا
فقالوا المعنى خابت وخسرت نفس اضلها الله واغواها واخملها وابطلها
واهلكها هذه الفاظهم في تفسير دساها قال الواحدي رحمه الله فكانه
سبحانه اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وخسار من خذله حتى لا يظن
احد انه هو الذي يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم
وقضاء سابق اما قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها قال الفراء الطغيان
والطغوى مصدران الا ان الطغوى اشبه برؤوس الايات فاختير لذلك

وهو كالدعوى من الدعاء وفي التفسير وجهان احدهما انها فعلت التكذيب
بطغيانها كما تقول ظلمني بجرائته على الله والمعنى ان طغيانهم حملهم على التكذيب به
هذا هو القول المشهور والثاني ان الطغوى اسم لعذابهم الذي اهلكوا به
والمعنى كذبت بعذابها اي لم تصدق قول رسولهم فيما انذرهم به من العذاب وهذا لا
يبعد لان معنى الطغيان في اللغة مجاوزة القدر فيجوز ان يسمى العذاب الذي جاءهم
طغوى لانه كانت صيحة مجاوزة للقدر المعتاد ويكون التقدير كذبت بما
اوعدت به من العذاب ذي الطغوى ويدل على هذا التاويل قوله تعالى
كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالعذاب الذي حل بهم وقال فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية قوله اذ انبعث
اشقاها انبعث مطاوع بعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له والمعنى
انه كذبت ثمود بسبب طغيانهم حين انبعث اشقاها وهو عاقر الناقة وفيه
قولان احدهما انه شخص معين واسمه قدار بن سالف ويضرب به المثل
فيقال اشام من قدار وهو اشقى الاولين بفتوى رسول الله صلى الله عليه
والثاني يجوز ان يكونوا جماعة وانما جاء على لفظ الواحد ان لتسويتك في
افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمونث تقول هذان
افضل الناس وهؤلاء افضلهم وهذا يتاكد بقوله فكذبوه فعقروها وكان يجوز
ان يقول اشقوها كما تقول افاضلهم اما قوله تعالى فقال لهم رسول الله
ناقة الله وسقياها وفيه مسائل المسئلة الاولى المراد من الرسول صالح عليه السلم
ناقة الله اي انه اشار اليها لما هموا بعقرها وبلغه ما عزموا عليه وقال
لهم هي ناقة الله وآيته الدالة على توحيده وعلى نبوتي فاحذروا ان تقدموا عليها
بسوء احذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها وقد مر في مواضع من هذا الكتاب
انه كان لها شرب يوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم وكانوا يستضرون بذلك
في امر مواشيهم فهموا بعقرها وكان صالح عليه السلم يحذرهم حالا بعد حال من
عذاب ينزل بهم ان اقدموا على ذلك وكانت هذه الحالة متصورة في نفوسهم
فاقتصر على ان قال لهم ناقة الله وسقياها لان هذه الاشارة كافية مع الامور

المتقدمة التي ذكرناها المسألة الثانية ناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا عقرها واحذروا سقياها فلا تمنعوها عنها ولا تستأثروا بها عليها في بين تعالى ان القوم لم يمتنعوا عن تكذيب صالح وعن عقر الناقة بسبب العذاب الذي انذرهم الله تعالى به وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها ثم يجوز ان يكون المباشر للعقر واحدا وهو قدار فيضاف الفعل اليه بالمباشرة كما قال فتعاطى فعقر ويضاف الفعل الى الجماعة لرضاهم بما فعل ذلك الواحد قال قتادة ذكر لنا انه ابى ان يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم وهو قول اكثر المفسرين ~~ذكرهم وانثاهم~~ وقال الفراء قيل انهما كانا اثنين اما قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها فاعلم ان في الدمدمة وجوها احدها قال الزجاج معنى دمدم اطبق عليهم العذاب يقال دمدمت على الشي اذا اطبقت عليه ويقال ناقة مدمومة اي قد البسها الشحم فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت عليه قال الواحدي الدم في اللغة اللطخ ويقال للشي السمين كانما دم بالشحم دما فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكبوا وبابه فعلى هذا معنى دمدم عليهم اطبق عليهم العذاب وعمهم كالشي الذي يلطخ به من جميع الجوانب الوجه الثاني تقول للشي يدفن دمدمت عليه اي سويت عليه فيجوز ان يكون معنى فدمدم عليهم سوى عليهم الارض بان اهلكهم فجعلهم تحت التراب الوجه الثالث قال ابن الانباري دمدم غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وراء بعضها دمدم عليهم ارجف الارض بهم رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وهو قول الفراء اما قوله فسواها يحتمل وجهين وذلك لانا ان فسرنا الدمدمة كان المعنى فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها وذلك ان هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلم وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا فاستوت على صغيرهم وكبيرهم وان فسرناها بالتسوية كان المراد فسوى عليهم الارض اما قوله تعالى ولا يخاف عقباها ففيه وجوه اولها انه كناية عن الرب تعالى اذ هو اقرب المذكورات ثم اختلفوا فقال بعضهم لا يخاف تبعة في العاقبة اذ العقبى والعاقبة سوا

كانه بين انه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل ما يكون حكمة وحقا فانه لا يخاف عاقبة فعله وقال بعضهم ذكر ذلك لا على وجه التحقير لهذا الفعل اي هو اهون من ان يخشى فيه عاقبة والله تعالى يجل ان يوصف بذلك ومنهم من قال المراد منه التنبيه على انه بالغ في التعذيب فان كل ملك يخشى عاقبة فانه يبقي بعض الابقاء والله تعالى لما لم يخف شيا من العواقب لا جرم ما ابقى شيا وثانيها انه كناية عن صالح الذي هو الرسول اي ولا يخاف صالح عقبى هذا العذاب الذي نزل بهم وذلك كالوعد لنصرته ودفع المكاره عنه لو حاول محاول ان يؤذيه لاجل ذلك وثالثها ان المراد ان ذلك الاشقى الذي هو احيمر ثمود فيما اقدم من عقر الناقة لا يخاف عقباها وهذه الاية وان كانت متاخرة لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم كانه قال اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها والمراد بذلك انه اقدم على عقرها وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه ففعل مع هذا الخوف الشديد فعل من لا يخاف البتة فنسب في ذلك الى الجهل والحمق وفي قراءة النبي عليه السلم ولم يخف وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف والله اعلم روي ان صالحا لما وعدهم العذاب بعد ثلث قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا الحقناه بناقته ليبيتوه فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه قد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلث فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا ووجوههم مصفرة فايقنوا بالعذاب فطلبوا صالحا ليقتلوه فهرب صالح فالتجى الى سيد بعض بطون ثمود وكان مشركا فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه ثم شغلهم عنه ما نزل بهم من العذاب فهذا هو قوله ولا يخاف عقباها والله اعلم

## سورة والليل

~~بسم الله الرحمن الرحيم~~

قال القفال رحمه الله هذه السورة نزلت في ابي بكر وانفاقه على المسلمين وفي امية بن خلف

وبخله وكفره بالله الا انها وان كانت كذلك لكن معانيها عامة للناس الا ترى ان
الله تعالى قال ان سعيكم لشتى وقال فانذرتكم نارا تلظى وروي عن علي عليه السلم
انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقعد رسول الله وقعدنا
حوله فقال ما منكم نفس منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة والنار فقلنا يا رسول
الله افلا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى فان بهذا الحديث عموم هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى

واعلم انه تعالى اقسم بالليل الذي ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن الخلق
عن الاضطراب ويجيئهم النوم الذي جعله الله راحة لابدانهم وغذا لارواحهم
ثم اقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جا انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من
الظلمة وجا الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم ويتحرك الطير من اوكارها
والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا
لبطلت الراحة لكن المصلحة كانت في تعاقبهما على ما قال وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة وسخر لكم الليل والنهار اما قوله والليل اذا يغشى فاعلم انه
تعالى لم يذكر مفعول يغشى فهو اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها
واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شي يواريه بظلامه من قوله
اذا وقب وقوله والنهار اذا تجلى اي ظهر بزوال ظلمة الليل او ظهر وتكشف
بطلوع الشمس وقوله وما خلق الذكر والانثى فيه مسايل المسلة الاولى
في تفسيره وجوه احدها اي والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق
الذكر والانثى من ما واحد وقيل هما ادم وحوا وثانيها اي وخلقه
الذكر والانثى وثالثها ما بمعنى من اي ومن خلق الذكر والانثى او والذي
خلق الذكر والانثى المسلة الثانية قرا النبي عليه السلم والذكر والانثى وقرا ابن
مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى
بالجر ووجهه ان يكون معنى وما خلق اي وما خلقه الله اي ومخلوق
الله ثم يجعل الذكر والانثى بدلا منه اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار

اللهم



اسم الله لانه معلوم انه لا خالق الا هو المسلة الثالثة القسم بالذكر والانثى يتناول
القسم بجميع ذوي الارواح الذين هم اشرف المخلوقات لان كل حيوان فهو اما ذكر او
انثى والخنثى فهو في نفسه لا بد وان يكون اما ذكرا او انثى بدليل انه لو حلف بالطلاق
انه لم يلق في هذا اليوم ذكرا ولا انثى وكان قد لقي خنثى فانه يحنث في يمينه قوله تعالى
ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم فاقسم تعالى بهذه الاشيا ان اعمال عباده لشتى
اي مختلفة في الجزا وشتى جمع شتيت مثل مرضى ومريض وانما قيل للمختلف شتى
لتباعد ما بين بعضه وبعضه والشتات هو التباعد والافتراق فكانه قيل
ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلال وبعضه هدى وبعضه يوجب
الجنان وبعضه يوجب النيران فشتان ما بينهما ويقرب من هذه الاية قوله
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا
لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات سوا محياهم ومماتهم سا ما يحكمون وقال ولا الظل ولا الحرور
قال المفسرون نزلت هذه الاية في ابي بكر وابي سفيان ثم انه سبحانه بين معنى
اختلاف الاعمال فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة والثواب والعقاب
فقال فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي قوله اعطى وجهان
احدهما ان يكون المراد انفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب وفك
الاسارى وتقوية المسلمين على عدوهم كما كان يفعله ابو بكر رضي الله عنه سوا كان
ذلك واجبا او نفلا واطلاق هذا كالاطلاق في قوله ومما رزقناهم ينفقون فان المراد
منه كل ما كان انفاقا في سبيل الله سوا كان واجبا او نفلا وقد مدح الله قوما فقال
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا وقال في اخر هذه السورة وسيجنبها
الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى
وثانيهما ان قوله اعطى يتناول اعطا حقوق المال واعطا حقوق النفس في طاعة
الله تعالى فلان اعطى الطاعة واعطى البيعة وقوله واتقى فهو اشارة الى الاحتراز
عن كل ما لا ينبغي وقد ذكرنا انه هل من شرط كونه متقيا ان يكون محترزا عن الصغاير
ام لا في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقوله وصدق بالحسنى فالحسنى فيها وجوه

احدها انها قول لا اله الا الله والمعنى فاما من اعطى واتقى وصدق بالتوحيد
والنبوه حصلت له الحسنى وذلك لانه لا ينفع مع الكفر اعطا مال ولا اتقا محارم
وهو كقوله او اطعم في يوم ذي مسغبه الى قوله ثم كان من الذين امنوا وثانيها ان
الحسنى عباره عما فرضه الله تعالى من العبادات على الابدان وفي الاموال كانه
قيل اعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرايع وعلم انه تعالى لم يشرعها
الا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن وثالثها ان الحسنى هو الخلف الذي
وعده الله في قوله وما انفقتم من شي فهو يخلفه فالمعنى اعطى من ماله في طاعه
الله مصدقا بما وعده الله من الحسنى وذلك انه قال مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله فكان الخلف لما كان زايدا صح اطلاق لفظ الحسنى عليه وعلى هذا المعنى
وكذب بالحسنى اي لم يصدق بالخلف فبخل بماله لسو ظنه بالمعبود كما قال بعضهم
منع الموجود سو الظن بالمعبود وروي عن ابي الدردا انه قال ما من يوم غربت
فيه شمس الا وملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا
خلفا واعط ممسكا تلفا ورابعها ان الحسنى هو الثواب وقيل انه الجنه والمعنى
واحد قال قتاده صدق بموعود الله فعمل لذلك الموعود قال القفال رحمه الله
وبالجمله ان الحسنى لفظه تسع كل خصله حسنه قال الله تعالى هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين يعني النصر او الشهاده وقال تعالى ومن يقترف حسنه
نزد له فيها حسنا فسمى مضاعفه الاجر حسنى وقال ان لي عنده للحسنى
واما قوله فسنيسره لليسرى ففيه مسايل المسله الاولى في تفسير هذه اللفظه
وجوه احدها انها الجنه وثانيها انها الخير وقالوا في العسرى انها الشر
وثالثها المراد منه ان يسهل عليه كل ما كلف به من الافعال والتروك والمراد
من العسرى تعسير كل ذلك عليه ورابعها اليسرى هي العود الى الطاعه التي
اتى بها اولا فكانه قال فسنيسره لان يعود الى الاعطا في سبيل الله وقالوا
في العسرى ضد ذلك اي نيسره لان يعود الى البخل والامتناع من ادا الحقوق
الماليه قال القفال رحمه الله ولكل هذه الوجوه مجاز من اللغه وذلك لان الاعمال
بالعواقب فكل ما ادت عاقبته الى يسر وراحه وامور محموده فان ذلك من اليسرى



وذلك وصف كل الطاعات وكل ما ادت عاقبته الى عسر وتعب فهو من
العسرى وذلك وصف كل المعاصي المسله الثانيه التانيث في لفظ اليسرى
ولفظ العسرى فيه وجوه احدها ان المراد من اليسرى والعسرى ان كان
جماعه الاعمال فوجد التانيث ظاهر وان كان المراد عملا واحدا رجع التانيث
الى الخله او الفعله وعلى هذا من جعل اليسرى هو تيسير العود الى ما فعله
الانسان من الطاعه رجع التانيث الى العود فكانه قال فسنيسره للعوده التي
هي كذا وثانيها ان يكون مرجع التانيث الى الطريقه فكانه قال للطريقه اليسرى
والعسرى وثالثها ان العبادات امور شاقه على البدن فاذا علم المكلف
انها تفضي الى الجنه سهلت تلك الافعال الشاقه عليه بسبب توقعه الجنه فسمى
الله تعالى الجنه يسرى ثم علل حصول اليسر في ادا الطاعات بهذه اليسرى
وقوله فسنيسره للعسرى بالضد من ذلك المسله الثالثه في معنى التيسير لليسرى
والعسرى وجوه وذلك لان من فسر اليسرى بالجنه فسر التيسير لليسرى بادخال
الله اياهم في الجنه بسهوله واكرام على ما اخبر الله تعالى عنه بقوله والملايكه
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقولهم طبتم فادخلوها خالدين وقوله
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واما من فسر اليسرى باعمال الخير فالتيسير
لها هو تسهيلها على من اراد حتى لا يعتريه من التثاقل ما يعتري المرايين والمنافقين
من الكسل قال الله تعالى وانها لكبيره الا على الخاشعين وقال واذا قاموا الى
الصلاه قاموا كسالى وقال ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
الى الارض فكان التيسير هو التنشيط المسله الرابعه استدل الاصحاب
بهذه الايه على صحه قولهم في التوفيق والخذلان فقالوا ان قوله تعالى فسنيسره
لليسرى يدل على انه تعالى خص المومن بهذا التوفيق وهو انه جعل الطاعه
بالنسبه اليه ارجح من المعصيه وقوله فسنيسره للعسرى يدل على انه خص
الكافر بهذا الخذلان وهو انه جعل المعصيه بالنسبه اليه ارجح من الطاعه واذا
دلت الايه على حصول الرجحان لزم القول بالوجوب لانه لا واسطه بين
الفعل والترك ومعلوم ان حال الاستوا امتنع الرجحان فحال المرجوحيه اولى

التوفيق

بالامتناع واذا امتنع احد الطرفين وجب حصول الطرف الاخر ضرورة انه
لا خروج عن طرفي النقيض اجاب القفال رحمه الله عن وجه التمسك
بالاية من وجوه احدها ان تسمية احد الضدين باسم الاخر مجاز مشهور قال
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فبشرهم بعذاب اليم فلما سمى الله تعالى فعل
الالطاف الداعية الى الطاعات تيسيرا لليسرى سمى ترك هذه الالطاف تيسيرا للعسرى
وثانيها ان يكون ذلك على جهة اضافة الفعل الى المسبب له دون الفاعل كما قيل
في الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس وثالثها ان يكون ذلك على سبيل الحكم به
والاخبار عنه والجواب عن الكل انه عدول عن الظاهر وذلك غير
جائز لا سيما اذا بينا ان الظاهر من جانبنا متاكد بالدليل العقلي القاطع ثم ان اصحابنا
اكدوا ظاهر هذه الاية بما روي عن علي عليه السلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من نفس منفوسة الا وقد علم الله مكانها من الجنة والنار قلنا افلا نتكل قال
قال عم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اجاب القفال عنه بان الناس كلهم
خلقوا ليعبدوا الله كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واعلم ان هذا
ضعيف لانه عليه السلم انما ذكر هذا جوابا عن سؤالهم يعني اعملوا فكل ميسر
لما وافق معلوم الله وهذا يدل على قولنا ان ما قدره الله على العبد وعلمه منه فانه
ممتنع التغير والله اعلم المسئلة الخامسة في دخول السين في قوله فسنيسره وجوه
احدها انه على سبيل الترفق والتلطيف وهو من الله تعالى قطع ويقين كما في قوله
اعبدوا ربكم لعلكم تتقون وثانيها ان يحمل ذلك على ان المطيع قد يصير عاصيا
والعاصي قد يصير بالتوبة مطيعا فلهذا السبب كان للتغير فيه مجال وثالثها ان
الثواب لما كان اكثره واقعا في الاخرة وكان ذلك مما لم يات وقته ولا يقف
على وقته احد الا الله لا جرم دخله تراخ فادخلت السين لانها حرف التراخي
ليدل بذلك على ان الوعد اجل غير حاضر والله اعلم اما قوله تعالى
وما يغني عنه ماله اذا تردى فاعلم ان ما ها هنا يحتمل ان يكون استفهاما
بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا واما تردى ففيه وجهان الاول ان يكون
ذلك ماخوذا من قولك تردى من الجبل قال تعالى والمتردية والنطيحة

لدليل



فيكون المعنى تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم وتقدير الاية
انا اذا يسرناه للعسرى وهي النار تردى في جهنم فماذا يغني عنه ماله الذي يبخل
به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى اخرته التي هي موضع فقره وحاجته شيء كما
قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
وقال ونرثه ما يقول وياتينا فردا اخبر ان الذي ينتفع الانسان به هو ما يقدمه
الانسان من اعمال البر واعطاء الاموال في حقوقها دون المال الذي يخلفه
على ورثته الثاني ان تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت اما
قوله تعالى ان علينا للهدى فاعلم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم شتى في
العواقب وبين ما للمحسن من اليسرى وللمسيء من العسرى اخبرهم انه قد قضى
ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب والارشاد والهداية فقال ان
علينا للهدى اي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان
نبين لهم وجوه التعبد وشرح ما يكون المتعبد به مطيعا مما يكون به عاصيا
اذ كنا انما خلقناهم لننفعهم ونرحمهم ونعرضهم للنعيم المقيم فقد فعلنا ما كان
فعله واجبا علينا في الحكمة والمعتزلة احتجوا بهذه الاية على صحة مذهبهم
في مسائل احدها انه تعالى ازاح الاعذار وما كلف المكلف الا ما في وسعه
وطاقته فثبت انه تعالى لا يكلف ما لا يطاق وثانيها ان كلمة على للوجوب
فدل على انه قد يجب للعبد على الله شيء وثالثها انه لو لم يكن العبد مستقلا بالايجاد
لما كان في وضع الدلائل فائدة واجوبة اصحابنا عن امثال هذه الوجوه
مشهورة وذكر الواحدي رحمه الله وجها اخر نقله عن الفراء فقال المعنى
ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كما قال سرابيل تقيكم الحر
وهي تقي الحر والبرد وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ارشد اوليائي
الى العمل بطاعتي واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي فذكر معنى الاضلال
قالت المعتزلة هذا التاويل ساقط لقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها
جائر فبين ان قصد السبيل على الله واما جور السبيل فبين انه ليس على الله ولا
منه واعلم ان الاستقصاء قد سبق في تلك الاية اما قوله وان لنا للاخرة والاولى

ففيه وجهان الاول ان لنا كل ما في الدنيا والاخرة فليس يضرنا ترككم الاهتدا
بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداكم بل نفع ذلك وضرره عايدان عليكم ولو شينا
لمنعناكم من المعاصي قهراً اذ لنا الدنيا والاخرة ولكنا لا نمنعكم من هذا الوجه
لان هذا الوجه يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان والتعريف والوعد والوعيد
الثاني ان لنا ملك الدارين نعطي ما نشا لمن نشا فليطلب سعادة الدارين
منا والاول اوفق لقول المعتزلة والثاني اوفق لقولنا اما قوله تعالى
فانذرتكم نارا تلظى اي تتوقد وتلتهب وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه
سميت جهنم لظى ثم بين انها لمن هي بقوله لا يصلاها الا الاشقى قال ابن عباس
نزلت في امية بن خلف وامثاله الذين كذبوا محمدا والانبيا قبله وقيل ان
الاشقى بمعنى الشقي كما يقال لست فيها باوحد اي بواحد فالمعنى لا يدخلها
الا الكافر الذي هو شقي لانه كذب بايات الله وتولى اي اعرض عن طاعة
الله واعلم ان المرجية يتمسكون بهذه الاية في انه لا وعيد الا على الكفار قال
القاضي ولا يمكن اجرا هذه الاية على ظاهرها ويدل على ذلك ثلثة اوجه
احدها انه يقتضي ان لا يدخل النار الا الاشقى الذي كذب وتولى فوجب
في الكافر الذي لم يكذب ولم يتول ان لا يدخل النار وثانيها ان هذا اغرا
بالمعاصي لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لمن صدق بالله ورسوله ولم يكذب
ولم يتول اي معصية اقدمت عليها فلن يضرك وهذا يتجاوز حد الاغرا
الى ان يصير كالاباحة وتعالى الله عن ذلك وثالثها ان قوله تعالى
من بعد وسيجنبها الاتقى يدل على ترك هذا الظاهر لانه معلوم من حال
الفاسق انه ليس بالاتقى لان ذلك مبالغة في التقوى ومن يرتكب عظايم
الكباير لا يوصف بانه اتقى فان كان الاول يدل على ان الفاسق لا يدخل
النار فهذا الثاني يدل على ان الفاسق لا يجنب النار وكل مكلف لا يجنب
النار فلا بد وان يكون من اهلها ولما ثبت انه لا بد من التاويل فنقول
فيه وجهان الاول ان يكون المراد بقوله نارا تلظى نارا مخصوصة من
النيران لانها دركات لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار

فالاية تدل على ان تلك النار المخصوصة لا يصلاها سوى هذا الاشقى ولا تدل على ان
الفساق وغيرهم ممن هذا صفته من الكفار لا يدخل ساير النيران الثاني ان المراد بقوله
نارا تلظى النيران اجمع ويكون المراد بقوله لا يصلاها الا الاشقى اي هذا الاشقى
به احق وثبوت هذه الزيادة في الاستحقاق غير حاصل الا لهذا الاشقى
واعلم ان وجوه القاضي ضعيفة اما قوله اولا يلزم في غير هذا الكافر
ان لا يدخل النار فجوابه ان كل كافر لا بد وان يكون مكذبا للنبي في دعواه
ويكون متوليا عن النظر في دلالة صدق ذلك النبي فيصدق عليه انه اشقى من
ساير العصاة وانه كذب وتولى واذا كان كل كافر داخلا في الاية سقط
ما قاله القاضي واما قوله ثانيا ان هذا اغرا بالمعصية فضعيف ايضا لانه
يكفي في الزجر عن المعصية حصول الذم في العاجل وحصول غضب الله
بمعنى انه لا يكرمه ولا يعظمه ولا يعطيه الثواب ولعله يعذبه بطريق اخر
فلم يدل دليل على انحصار طرق التعذيب في ادخال النار واما قوله ثالثا
وسيجنبها الاتقى فهذا لا يدل على حال غير الاتقى الا على سبيل المفهوم
والتمسك بدليل الخطاب وهو ينكر ذلك فكيف تمسك به والذي يؤكد هذا
ان هذا يقتضي فيمن ليس باتقى دخول النار فيلزم في الصبيان والمجانين
ان يدخلوا النار وذلك باطل واما قوله رابعا المراد منه نار مخصوصة
وهي النار التي تتلظى فضعيف ايضا لان قوله نارا تلظى يحتمل ان يكون ذلك صفة لكل
النيران وان يكون صفة لنار مخصوصة لكنه تعالى وصف كل نار جهنم بهذا
الوصف في اية اخرى فقال انها لظى نزاعة للشوى واما قوله المراد
ان هذا الاشقى احق به فضعيف لانه ترك للظاهر من غير دليل فثبت
ضعف الوجوه التي ذكرها القاضي فان قيل فما الجواب عنه على
قولكم فانكم لا تقطعون بعدم وعيد الفساق الجواب من وجهين
الاول ما ذكره الواحدي وهو ان معنى لا يصلاها لا يلزمها في حقيقة
اللغة يقال صلي الكافر النار اذا لزمها مقاسيا شدتها وحرها وعندنا
ان هذه الملازمة لا تثبت الا للكافر اما الفاسق فاما ان لا يدخلها وان دخلها

مخلص منها والثاني ان يخص عموم هذا الظاهر بالايات الدالة على
وعيد الفساق والله اعلم اما قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي
ماله يتزكى معنى سيجنبها اي سيبعدها ويجعل منها على جانب يقال جنبته
الشيء اي بعدته وجنبته عنه وفيه مسايل المسلة الاولى اجمع المفسرون
منا على ان المراد منه ابو بكر رضي الله عنه واعلم ان الشيعة باسرهم ينكرون
هذه الرواية ويقولون انها نزلت في حق علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
والدليل عليه قوله ويؤتون الزكوة وهم راكعون فقوله الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى اشارة الى ما في تلك الاية من قوله ويؤتون الزكوة وهم
راكعون ولما ذكر ذلك بعضهم في محضري قلت اقيم الدلالة العقلية
على ان المراد من هذه الاية ابو بكر وتقريرها ان المراد من هذا الاتقى هو
افضل الخلق واذا كان كذلك وجب ان يكون المراد هو ابو بكر فهاتان
المقدمتان متى صحتا صح المقصود انما قلنا ان المراد من هذا الاتقى افضل
الخلق لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل
فدل ان كل من كان اتقى وجب ان يكون افضل فان قيل الاية
دلت على ان كل من كان اكرم اتقى وذلك لا يقتضي ان كل من كان
اتقى كان اكرم قلنا وصف كون الانسان اتقى معلوم مشاهد ووصف
كونه افضل غير معلوم ولا مشاهد والاخبار عن المعلوم بغير المعلوم
هو الطريق الحسن اما عكسه فغير مفيد فتقدير الاية كانه وقعت
الشبهة في ان الاكرم عند الله من هو فقيل هو الاتقى واذا كان كذلك
كان التقدير اتقاكم اكرمكم عند الله فثبت ان الاتقى المذكور هاهنا لا بد
وان يكون افضل الخلق عند الله فنقول لا بد وان يكون المراد به ابو بكر
رضي الله عنه لان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد رسول الله اما ابو بكر
او علي ولا يمكن حمل هذه الاية على علي بن ابي طالب فتعين حملها على ابي بكر
رضي الله عنه وانما قلنا انه لا يمكن حملها على علي بن ابي طالب لانه قال في
صفة هذا الاتقى وما لاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لا يصدق



على علي بن ابي طالب لانه كان في تربية النبي عليه السلام لانه اخذه من ابيه وكان يطعمه
ويسقيه ويكسوه ويربيه فكان الرسول منعما عليه نعمة يجب جزاها
اما ابو بكر فلم يكن للنبي عليه السلام عليه نعمة دنيوية بل ابو بكر كان ينفق على
الرسول عليه السلام بلى كان للرسول عليه نعمة الهداية والارشاد الى الدين
الا ان هذا لا يجزى لقوله تعالى ما اسالكم عليه من اجر والمذكور هاهنا
ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فعلمنا ان هذه الاية لا تصلح لعلي بن ابي طالب
واذا ثبت ان المراد بهذه الاية من كان افضل الخلق وثبت ان ذلك الافضل
من الامة اما ابو بكر او علي وثبت ان الاية غير صالحة لعلي تعين حملها على
ابي بكر رضي الله عنه وثبت دلالة الاية ايضا على ان ابا بكر افضل الامة واما
الرواية فهي انه كان بلال لعبد الله بن جدعان فسلح على الاصنام فشكى اليه
المشركون فعله فوهبه لهم ومائة من الابل ينحرونها لالهتهم فاخذوه وجعلوا
يعذبونه في الرمضاء وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ينجيك احد احد ثم اخبر رسول الله ابا بكر ان بلالا يعذب
في الله فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فقال المشركون ما فعل ذلك
ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا
وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشتري الضعفة
من العبيد فيعتقهم فقال له ابوه يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك
فقال منع ظهري اريد فنزلت هذه الاية المسلة الثانية قال
صاحب الكشاف في محل يتزكى وجهان ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل
له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا
من الضمير في يؤتي فمحله النصب قوله تعالى الا ابتغا وجه ربه الاعلى
ولسوف يرضى فيه مسايل المسلة الاولى ابتغا وجه ربه مستثنى
من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغا وجه ربه كقولك
ما في الدار احد الا حمارا وذكر الفراء فيه وجها اخر وهو ان يضمر الانفاق
على تقدير ما ينفق الا ابتغا وجه ربه الاعلى والتقدير وما ينفقون الا ابتغا وجه الله

المسئلة الثانية اعلم انه تعالى بين ان هذا الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى
لا يوتيه مكافاة على هدية او نعمة سالفة لان ذلك يجري مجرى اداء الدين فلا
يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب بل انما يستحق الثواب اذا فعله
لاجل ان الله امره به وحثه عليه المسئلة الثالثة المجسمة تمسكوا بلفظة
الوجه والملحدة تمسكوا بلفظة ربه الاعلى وان ذلك يقتضي وجود رب
اخر وقد تقدم الكلام على كل ذلك المسئلة الرابعة ذكر القاضي ابو بكر
الباقلاني رحمه الله في كتاب الامامة فقال الاية الواردة في حق علي رضي الله عنه
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا والاية الواردة في حق ابي بكر الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف
يرضى فدلت الايتان على ان كل واحد منهما انما فعل ما فعل لوجه الله
الا ان اية علي دلت على انه فعل ما فعل لوجه الله وللخوف من يوم القيمة
على ما قال انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا واما اية ابي بكر فانها
دلت على انه فعل ما فعل لمحض وجه الله من غير ان يشوبه طمع فيما
يرجع الى رغبة في ثواب او رهبة من عقاب فكان مقام ابي بكر اعلى واجل
المسئلة الخامسة من الناس من قال ابتغاء الله بمعنى ابتغاء ذاته محال
فلا بد وان يكون المراد ابتغاء ثوابه وكرامته ومن الناس من قال لا حاجة
الى هذا الاضمار وحقيقة هذه المحبة راجعة الى انه هل يمكن ان يحب العبد
ذات الله او المراد من هذه المحبة محبة ثوابه وكرامته وقد تقدم الكلام
في هذه المسئلة في تفسير قوله والذين امنوا اشد حبا لله المسئلة السادسة
قرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في
الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين قوله
وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس اما قوله ولسوف
يرضى فالمعنى انه وعد ابا بكر ان يرضيه في الاخرة بثوابه وهو كقوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وفيه عندي وجه اخر وهو ان المراد انه ما يفعل
الا لطلب رضوان الله ولسوف يرضى الله منه وهذا عندي اعظم من الاول

المسئلة م



بلغ العرض وانا على عزم ان انظر الى تفسير هذه السورة لما فيها من اللطائف التذكرة

لان رضى الله عن عبده اكمل للعبد من رضاه عن ربه وبالجملة فلا بد من حصول
الامرين على ما قال راضية مرضية والله اعلم

## سورة والضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى

لاهل التفسير في قوله والضحى وجهان احدهما ان المراد بالضحى وقت الضحى
وهو صدر النهار حين يرتفع الشمس وتلقي شعاعها وثانيها الضحى هو
النهار كله بدليل انه جعل في مقابلة الليل كله واما قوله والليل اذا سجى
فذكر اهل اللغة في سجى ثلثة اوجه متقاربة سكن واظلم وغطى اما الاول
فقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج سجى اي سكن يقال ليلة ساجية اي
ساكنة الريح وعين ساجية اي فاترة الطرف وسجى البحر اذا سكنت امواجه
وقال في الدعاء يا مالك البحر اذا البحر سجا واما الثاني وهو تفسير سجى
باظلم فقال الفراء سجى اظلم وركد في طوله واما الثالث وهو تفسير سجى
بغطى فقال الاصمعي وابن الاعرابي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل
بالثوب واعلم ان اقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلثة
فقال ابن عباس غطى الدنيا بالظلمة وقال الحسن البس الناس ظلامه
وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير اذا اقبل الليل غطى كل شيء
وقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد سكن بالناس ولسكونه معنيان
احدهما سكون الناس فنسب اليه كما يقال ليل نايم ونهار صايم والثاني
هو ان سكونه عبارة عن استقرار ظلامه واستوائه فلا يزداد بعد ذلك
وهاهنا سؤالات السؤال الاول ما الحكمة في انه تعالى في السورة
الماضية قدم ذكر الليل وفي هذه السورة اخره فلنا فيه وجوه احدها
ان بالليل والنهار ينتظم مصالح المكلفين فالليل له فضيلة السبق لقوله
وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور بل الليل كالدنيا والنهار
كالاخرة فلما كان لكل واحد فضيلة ليست للاخر لا جرم قدم هذا
على ذاك تارة وذاك على هذا اخرى ونظيره انه تعالى قدم السجود
على الركوع في قوله واسجدي واركعي ثم قدم الركوع على السجود في قوله

الليل م

اركعوا واسجدوا وثانيها انه تعالى قدم الليل على النهار في سوره ابي بكر
لان ابا بكر سبقه كفر وها هنا قدم الضحى لان الرسول ما سبقه ذنب وثالثها
سوره والليل سوره ابي بكر وسوره الضحى سوره محمد ثم ما جعل بينهما واسطه
ليعلم انه لا واسطه بين محمد وابي بكر فان ذكرت الليل اولا وهو ابو بكر ثم صعدت
وجدت بعده والنهار وهو محمد وان ذكرت والضحى اولا وهو محمد ثم
نزلت وجدت بعده والليل وهو ابو بكر ليعلم انه لا واسطه بينهما
السوال الثاني ما الحكمه ها هنا في الحلف بالضحى والليل فقط والجواب
لوجوه احدها كانه تعالى يقول الزمان ساعه فساعه ساعه
ليل وساعه نهار ثم تاره تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار
ومره بالعكس فلا تكن الزياده لهوى ولا النقصان لقلى بل للحكمه كذا
الرساله وانزال الوحي بحسب المصالح فمره انزال ومره حبس فلا
كان الانزال عن هوى ولا كان الحبس عن قلى وثانيها ان العالم لا يوثر
كلامه حتى يعمل به فلما امر تعالى بان البينه على المدعي واليمين على من انكر
لم يكن بد من ان يعمل به فالكفار لما ادعوا ان ربه ودعه وقلاه قال
هاتوا الحجه فعجزوا فلزمه اليمين بانه ما ودعه ربه وما قلاه وثالثها
كانه تعالى يقول انظر الى جوار الليل مع النهار لا يسلم احدهما عن
الاخر بل الليل تاره يغلب وتاره يغلب فكيف تطمع ان تسلم عن الخلق
السوال الثالث لم خص وقت الضحى بالذكر الجواب فيه وجوه
احدها انه وقت اجتماع الناس وكمال الانس بعد الاستيحاش في زمان
الليل فبشره ان بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحي يظهر ضحى نزول
الوحي وثانيها انها الساعه التي كلم فيها موسى ربه والقي فيها السحره
سجدا فاكتسى الزمان صفه الفضيله لكونها ظرفا فكيف فاعل الطاعه وافاد
ايضا ان الذي اكرم موسى لا يدع اكرامك والذي قلب قلوب السحره حتى سجدوا
يقلب قلوب اعدائك السوال الرابع ما السبب في انه ذكر الضحى
وهو ساعه من النهار وذكر الليل بكليته الجواب فيه وجوه احدها



انه اشاره الى ان ساعه من النهار توازي جميع الليل كما ان محمدا اذا وزن
يوازي جميع الانبيا والثاني ان النهار وقت السرور والراحه والليل
وقت الوحشه والغم فهو اشاره الى ان هموم الدنيا ادوم من سرورها
فان الضحى ساعه والليل كذا ساعات يروى ان الله تعالى لما خلق العرش
اظلت غمامه سودا عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم
والاحزان مايه سنه ثم انكشفت فامرت مره اخرى بذلك وهكذا الى تمام
ثلثمايه سنه ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامه بيضا ونادت ماذا
امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعه فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان
دايمه والسرور قليله ونادرا وثالثها ان وقت الضحى وقت حركه الناس
وتعارفهم فصارت نظير وقت الحشر والليل اذا سكن نظير سكون الناس في
ظلمه القبور فكلاهما حكمه ونعمه لكن الفضيله للحيوه على الموت ولما بعد
الموت على ما قبله فلهذا السبب قدم ذكر الضحى على ذكر الليل ورابعها
ذكر والضحى حتى لا يحصل الياس من روحه ثم عقبه بالليل حتى لا يحصل
الامن من مكره السوال الخامس هل احد من المذكورين فسر الضحى
بوجه محمد والليل بشعره والجواب نعم ولا استبعاد فيه ومنهم
من زاد عليه فقال والضحى ذكور اهل بيته والليل اناثهم ويحتمل الضحى
رسالته والليل زمان احتباس الوحي لان في حال النزول حصل الاستيناس
وفي زمان الاحتباس حصل الاستيحاش ويحتمل والضحى نور علمه به يعرف
المستور من الغيوب والليل عفوه الذي به يستر جميع العيوب ويحتمل
ان الضحى اقبال الاسلام بعد ان كان غريبا والليل اشاره الى انه
سيعود غريبا ويحتمل والضحى كمال العقل والليل حال الموت
ويحتمل اقسم بعلانيتك التي لا يرى عليها الخلق عيبا وبسرك التي لا
يعلم عليها عالم الغيب عيبا قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى
فيه مسايل المسئله الاولى قال ابو عبيده والمبرد ودعك من
التوديع كما يودع المفارق وقرى بالتخفيف اي ما تركك والتوديع

مبالغة في الوداع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك والقلى البغض يقال قلاه
يقليه قلى ومقلية اذا ابغضه قال الفراء تريد وما قلاك وفي حذف الكاف
وجوه احدها حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الاولى في ودعك ولان رؤوس
الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف وثانيها فائدة الاطلاق
انه ما قلاك ولا احدا من اصحابك ولا احدا ممن احبك الى قيام القيمة تقريرا
لقوله المرء مع من احب المسئلة الثانية قال المفسرون ابطا جبريل عن النبي
عليه السلام فقال المشركون قد قلاه الله وودعه فانزل الله تعالى عليه هذه الاية
وقال السدي ابطا عليه اربعين ليلة فشكا ذلك الى خديجة فقالت لعل
ربك نسيك او قلاك وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما
ارى شيطانك الا قد تركك وروي عن الحسن انه قال ابطا على الرسول
الوحي فقال لخديجة ان ربي ودعني وقلاني يشكو اليها فقالت كلا والذي
بعثك بالحق ما ابتداك الله بهذه الكرامة الا وهو يريد ان يتمها لك فنزل
ما ودعك ربك وما قلى وطعن الاصوليون في هذه الرواية وقالوا انه
لا يليق بالرسول ان يظن ان الله ودعه وقلاه بل يعلم ان عزل النبي عن
النبوة غير جائز في حكمة الله تعالى ويعلم ان نزول الوحي بحسب المصلحة
وربما كان الصلاح تاخيره وربما كان خلاف ذلك فثبت ان هذا الكلام
غير لائق بالرسول عليه السلام ثم ان صح ذلك يمكن ان يكون مقصوده عليه السلام
ان يجربها ليعرف قدر علمها او ليعرف الناس قدر علمها واختلفوا في قدر
مدة انقطاع الوحي فقال ابن جريج اثني عشر يوما وقال الكلبي خمسة عشر
يوما وقال ابن عباس خمسة وعشرون وقال السدي ومقاتل اربعين
يوما واختلفوا في سبب احتباس جبريل عليه السلام فذكر اكثر المفسرين ان اليهود
سالت رسول الله عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي وقال ابن زيد السبب
فيه كون جرو في بيته للحسن والحسين فلما نزل جبريل عليه السلام عاتبه رسول
الله فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقال جندب بن سفيان



رمي النبي عليه السلام بحجر في اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
فابطا عنه الوحي وروي انه كان فيهم من لا يقلم الاظفار وههنا سؤالان
السؤال الاول الروايات التي ذكرتم تدل على ان احتباس الوحي كان عن
قلى قلنا اقصى ما في الباب ان ذلك كان تركا للافضل والاولى وصاحبه
لا يكون ممقوتا ولا مبغوضا وروي انه عليه السلام قال لجبريل ما جئتني حتى
اشتقت اليك فقال جبريل كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور وتلا وما
نتنزل الا بامر ربك السؤال الثاني كيف يحسن من السلطان ان يقول
لاعظم الخلق قربة عنده اني لا ابغضك تشريفا له الجواب ان ذلك
لا يحسن ابتداء لكن الاعداء اذا القوا في الالسنة ان السلطان يبغضه ثم تاسف
ذلك المقرب فلا لفظ اقرب الى تشريفه من ان يقول له اني لا ابغضك ولا ادعك
وسوف ترى منزلتك عندي المسئلة الثالثة هذه الواقعة تدل على
ان القران من عند الله اذ لو كان من عنده لما امتنع قوله تعالى
وللاخرة خير لك من الاولى واعلم ان في اتصاله بما تقدم وجوها احدها
ان يكون المعنى ان انقطاع الوحي لا يجوز ان يكون لانه عزل عن النبوة بل
اقصى ما في الباب ان يكون ذلك لانه حصل الاستغناء عن الرسالة وذلك
امارة الموت فكانه يقال انقطاع الوحي متى حصل دل على الموت لكن
الموت خير لك فان ما لك عند الله في الاخرة افضل مما لك في الدنيا وثانيها
لما نزل ما ودعك ربك حصل له بهذا تشريف عظيم فكانه استعظم هذا
التشريف فقيل له وللاخرة خير لك من الاولى اي هذا التشريف وان كان عظيما
الا ان ما لك عند الله في الاخرة خير واعظم وثالثها ما يخطر ببالي وهو ان
يكون المعنى وللاحوال الاتية خير لك من الماضية كانه تعالى وعده بانه سيزيده
كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب فيقول لا تظن اني قليتك بل يكون
كل يوم ياتي فاني ازيدك منصبا وجلالا وههنا سؤالان السؤال الاول
باي طريق يعرف ان الاخرة كانت خيرا له من الاولى الجواب بوجوه احدها
كانه تعالى يقول له انك في الدنيا على خير لانك تفعل فيها ما تريد ولكن الاخرة

خير لك لانا نفعل فيها ما تريد وثانيها الاخره خير لك يجتمع عندك امتك
اذ الامه لك كالاولاد قال تعالى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وامته في
الجنه فيكون كان اولاده في الجنه ثم سمي الولد قره عين هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قره اعين وثالثها الاخره خير لك لانك اشتريتها اما هذه
ليست لك فعلى تقدير لو كانت الاخره اقل من الدنيا لكانت الاخره خير
لك لان مملوكك خير لك مما لا يكون مملوكا لك فكيف ولا نسبه للاخره
الى الدنيا في الفضل ورابعها الاخره خير لك من الاولى لان في الدنيا
الكفار يطعنون فيك اما في الاخره فاجعل امتك شهدا على الامم
واجعلك شهيدا على الانبياء ثم اجعل ذاتي شهيدا لك كما قال وكفى بالله
شهيدا محمد رسول الله وخامسها ان خيرات الدنيا قليله مشوبه منقطعه
ولذات الاخره كثيره خالصه دايمه السوال الثاني لم قال وللاخره
خير لك ولم يقل خير لكم الجواب لانه كان في جماعه من كانت الاخره
شرا له فلو انه سبحانه عمم لكان كذبا ولو خصص المطيعين بالذكر لافتضح
المذنبون والمنافقون ولهذا السبب قال موسى عليه السلم كلا ان معي
ربي سيهدين واما محمد عليه السلم فالذي كان معه لما كان من اهل السعاده
قطعا لا جرم قال ان الله معنا اذ لم يكن ثمه الا نبي وصديق روي
ان موسى عليه السلم خرج للاستسقا ومعه الالوف ثلثة ايام فلم يجدوا
الاجابه فسال موسى عليه السلم عن السبب الموجب لعدم الاجابه فقال
لا اجيبكم ما دام معكم ساعي بالنميمه فقال موسى من هو فقال ابغضه
فكيف اعمل عمله فما مضت مده قليله حتى نزل الوحي بان ذلك النمام قد
مات وهذا جنازته في مصلى كذا فذهب موسى عليه السلم الى ذلك
المصلى فاذا فيها سبعون من الجنايز فهذا ستره على اعدايه فكيف على
اوليايه ثم تامل فان فيه دقيقه لطيفه فانه عليه السلم قال لولا شيوخ ركع
وفيه اشاره الى زياده فضيله هذه الامه فانه تعالى كان يرد الالوف
لمذنب واحد وههنا يرحم المذنبين لمطيع واحد قوله تعالى ولسوف



يعطيك ربك فترضى واعلم ان اتصاله بما تقدم من وجهين الاول
هو انه تعالى لما بين ان الاخره خير له من الاولى ولكنه لم يبين ان ذلك التفاوت
الى اي حد يكون فبين بهذه الايه مقدار ذلك التفاوت وهو انه ينتهي الى غايه
ما يتمناه الرسول ويرتضيه الوجه الثاني كانه تعالى لما قال وللاخره خير لك
من الاولى فقيل ولم قلت ان الامر كذلك فقال لانه يعطيه كل ما يريده وذلك
مما لا تتسع الدنيا له فثبت ان الاخره خير له من الاولى واعلم انا ان حملنا هذا
الوعد على الاخره فقد يمكن حمله على المنافع وقد يمكن حمله على التعظيم اما المنافع
فقال ابن عباس الف قصر في الجنه من لولو ابيض ترابه المسك وفيها ما يليق بها
واما التعظيم فالمروي عن علي بن ابي طالب وابن عباس ان هذا هو الشفاعه
في الامه يروى انه عليه السلم لما نزلت هذه الايه قال اذن لا ارضى وواحد من
امتي في النار واعلم ان الحمل على الشفاعه متعين ويدل عليه وجوه احدها
انه تعالى امره في الدنيا فقال واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فامره
بالاستغفار والاستغفار عباره عن طلب المغفره ومن طلب شيا فلا شك
انه لا يريد الرد ولا يرضى به وانما يرضى بالاجابه واذا ثبت ان الذي يرضاه
الرسول هو الاجابه لا الرد دلت هذه الايه على انه تعالى يعطيه كل ما يرتضيه
علمنا ان هذه الايه داله على الشفاعه في حق المذنبين والثاني وهو ان
مقدمه الايه مناسبه لذلك كانه تعالى يقول لا اودعك ولا ابغضك
بل لا اغضب على احد من اصحابك واتباعك واشياعك طلبا لمرضاتك
وتطييبا لقلبك فهذا التفسير اوفق لمقدمه الايه والثالث الاحاديث
الكثيره الوارده في الشفاعه داله على ان رضى الرسول عليه السلم في العفو
عن المذنبين وهذه الايه دلت على انه تعالى يفعل ما كان يرضاه الرسول
فيحصل من مجموع الايه والخبر حصول الشفاعه وعن جعفر الصادق
رضي جدي ان لا يدخل النار موحد وعن الباقر اهل القران يقولون
ارجى ايه قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وانا اهل البيت نقول
ارجى ايه قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى والله انها الشفاعه ليعطيها

في اهل لا اله الا الله حتى يقول رضيت هذا كله اذا حملنا الايه على احوال الاخره اما لو حملنا هذا الوعد على احوال الدنيا فهو اشاره الى ما اعطاه الله تعالى من الظفر باعدايه يوم بدر ويوم فتح مكه ودخول الناس في الدين افواجا والغلبه على قريظه والنضير واجلايهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وهدم بايديهم من ممالك الجبابره وانهبهم من كنوز الاكاسره وما قذف في اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوه واعلم ان الاولى حمل الايه على خيرات الدنيا والاخره وها هنا سوالات

السوال الاول لم لم يقل يعطيكم مع ان هذه السعادات حصلت للمومنين ايضا الجواب لوجوه احدها انه المقصود وهم اتباع وثانيها اني اذا اكرمت اصحابك فذاك في الحقيقه اكرام لك لاني اعلم انك بلغت في الشفقه عليهم الى حيث تفرح باكرامهم فوق ما تفرح باكرام نفسك ومن ذلك حيث تقول الانبيا نفسي نفسي اي ابدا بجزاي وثوابي قبل امتي لان طاعتي كانت قبل طاعه امتي والرسول يقول امتي امتي اي ابدا بهم فان سروري ان اراهم فايزين بثوابهم وثالثها انك عاملتني معامله حسنه فانهم حين شجوا وجهك قلت اللهم اهد قومي وحين شغلوك يوم الخندق عن الصلاه قلت اللهم املا بطونهم نارا فتحملت الشجه الحاصله في وجه جسدك وما تحملت الشجه الحاصله في وجه دينك فان وجه الدين هو الصلوه فرجحت حقي على حقك لا جرم فضيتك فقلت من ترك الصلاه سنين او حبس غيره عن الصلاه سنين لا اكفره ومن اذى شعره من شعر اتك او جزا من نعلك اكفره

السوال الثاني ما الفايده في قوله ولسوف ولم لم يقل وسيعطيك ربك الجواب فيه فوايد احدها انه يدل على انه ما قرب اجله بل يعيش بعد ذلك زمانا وثانيها ان المشركين لما قالوا ودعه ربه وقلاه فالله تعالى رد عليهم بعين تلك اللفظه فقال ما ودعك ربك وما قلى ثم قال المشركون



سوف يموت محمد فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظه فقال ولسوف يعطيك ربك فترضى

السوال الثالث كيف يقول الله له ولسوف يعطيك ربك الجواب هذه السوره من اولها الى اخرها كلام جبريل عليه السلام معه لانه كان شديد الاشتياق اليه والى كلامه كما ذكرناه فاراد تعالى ان يكون هو المخاطب له بهذه الاستبشارات

السوال الرابع ما هذه اللام الداخله على سوف الجواب قال صاحب الكشاف هي لام الابتدا المؤكده لمضمون الجمله والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك والدليل على ما قلناه انها اما ان تكون لام قسم او ابتدا ولام القسم لا يدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام ابتدا ولام الابتدا لا يدخل الا على الجمله من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان تكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قيل ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلنا معناه ان العطا كاين لا محاله وان تاخر لما في التاخير من المصلحه قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى فيه مسايل

المسله الاولى ان اتصاله بما تقدم هو انه تعالى يقول الم يجدك يتيما فقال الرسول بلى يا رب فيقول انظر كانت طاعاتك في ذلك الوقت اكرام الساعه فلا بد من ان يقال بل الساعه فيقول الله حين كنت غصنا ضعيفا ما تركناك بل ربيناك ورقيناك الى حيث صرت مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك لما خلقت الافلاك اتظن انا بعد هذه الحاله نهجرك ونتركك

المسله الثانيه الم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والوجود من الله والمعنى الم يعلمك الله يتيما فاوى وذكروا في تفسير اليتيم امرين الاول ان عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره اهل الاخبار توفي وام رسول الله حامل به ثم ولد رسول الله فكان مع جده ~~ثم هلك جده~~ عبد المطلب ومع امه امنه فهلكت امه امنه وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم هلك جده بعد امه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين وكان عبد المطلب يوصي ابا طالب به لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحده فكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله بعد جده الى ان بعثه الله

للنبوه فقام بنصرته مده مديده ثم توفي ابو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول
الله يتم البته فاذكره الله تعالى هذه النعمه روى انه قال ابو طالب يوما
لاخيه العباس الا اخبرك عن محمد بما رايت منه فقال بلى فقال اني ضممته الي
فلنت لا افارقه ساعه من ليل ولا نهار فلم ائتمن عليه احدا حتى اني كنت
انومه في فراشي فامرته ليله ان يخلع ثيابه وينام معي فرايت الكراهه في
وجهه وكره ان يخالفني فقال يا عماه اصرف بوجهك عني حتى اخلع ثيابي
اذ لا ينبغي لاحد ان ينظر الى جسدي فعجبت من قوله وصرفت بصري حتى
دخل الفراش معه فلما دخلت معه الفراش اذا بيني وبينه ثوب والله
ما ادخلته فراشي فاذا هو في غايه اللين وطيب الرائحه كانه غمس في المسك
فجهدت لانظر الى جسده فما كنت ارى شيا وكثيرا ما كنت افتقده
من فراشي فاذا قمت لاطلبه ناداني ها انا يا عم فارجع ولقد كنت كثيرا
ما اسمع منه كلاما يعجبني وذلك عند مضي بعض الليل وكنا لا نسمي على
الطعام والشراب ولا نحمد بعده وكان يقول في اول الطعام بسم الله الاحد
واذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فتعجبت منه ثم لم ار منه كذبه ولا ضحكه
ولا جاهليه ولا وقف مع صبيان يلعبون واعلم ان العجايب المرويه في حقه
في حديث بحيرا الراهب وغيره مشهوره التفسير الثاني لليتيم انه من قولهم
دره يتيمه والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاوى اي جعل
لك من تاوي اليه وهو ابو طالب / وقرى فاوى وهو على معنيين اما من اواه
بمعنى اواه واما من اوى له اذا رحمه وهاهنا سوالات السوال الاول
كيف يحسن من الجواد ان يمن بنعمه فقوله الم يجدك يتيما والذي يوكد
هذا السوال ان الله تعالى حكى عن فرعون انه قال الم نربك فينا وليدا
في معرض الذم لفرعون فما كان مذموما من فرعون كيف يحسن من الله تعالى
الجواب ان ذلك يحسن اذا قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام
النعمه وبهذا ظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون لان امتنان
فرعون محبط لان الغرض فما بالك لا تخدمني وامتنان الله زياده نعمه



كانه يقول مالك تنقطع عني رجاك الست شرعت في تربيتك اتظنني تاركا
لما صنعت بل لا بد وان اتم النعمه كما قال ولاتم نعمتي عليكم اما علمت ان الحامل
التي تسقط الولد قبل التمام معيبه ترد ولو اسقطت او الرجل اسقط عنها
بعلاج يجب الغره ويستحق الذم فكيف يحسن ذلك من الحي القيوم فما اعظم
الفرق بين ما ربيه هو الله وبين ما ربيه هو فرعون نظيره ما قاله بعضهم ثلثه
رابعهم كلبهم لا مه وفي امه محمد ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فشتان
بين امه رابعهم كلبهم وبين امه رابعهم ربهم السوال الثاني انه تعالى
من عليه بثلثة اشيا ثم امره بان يذكر نعمه ربه فما وجه المناسبه بين هذه الاشيا
الجواب وجه المناسبه ان نقول قضا الدين واجب ثم الدين نوعان مالي
وانعامي والثاني اقوى وجوبا لان المالي قد يسقط بالابرا والثاني يتاكد بالابرا
والمالي يقضى مره فيبجو الانسان منه والثاني يجب عليك قضاها طول عمرك ثم
اذا تعذر قضا النعمه القليله من منعم هو مملوك فكيف حال النعمه العظيمه
من المنعم العظيم فكان العبد يقول الهي اخرجتني من العدم الى الوجود بشرا
سويا طاهر الظاهر نجس الباطن بشاره منك انك تستر على ذنوبي بستر عفوك
كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر فكيف يمكنني قضا نعمك التي لا حد لها
ولا حصر فيقول تعالى الطريق الى ذلك ان تفعل في حق عبيدي ما فعلته
في حقك كنت يتيما فاويتك فافعل في حق الايتام ذلك وكنت ضالا فهديتك
فافعل في حق عبيدي ذلك وكنت عايلا فاغنيتك فافعل في حق عبيدي
ذلك ثم اذا فعلت كل ذلك فاعلم انك انما فعلتها بتوفيقي ولطفي وارشادي
فكن ابدا ذاكرا لهذه النعم والالطاف / اما قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى فاعلم ان بعض الناس ذهب الى انه كان كافرا في اول الامر ثم هداه الله
وجعله نبيا قال الكلبي ووجدك ضالا يعني كافرا في قوم ضلال فهداك
للتوحيد وقال السدي كان على دين قومه اربعين سنه وقال مجاهد
ووجدك ضالا عن الهدى فهداك لدينه واحتجوا على ذلك بايات اخرمنها
قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين

وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك يقتضي صحة ذلك منه واذا دلت هذه الآية على
الصحة وجب حمل قوله ووجدك ضالا عليه واما الجمهور من العلما فقد
اتفقوا على انه عليه السلم ما كفر بالله لحظة واحدة ثم قالت المعتزلة هذا
غير جائز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا هذا غير ممتنع عقلا لانه جائز
في العقول ان يكون الشخص كافرا فيرزقه الله الايمان ويكرمه بالنبوة الا ان
الدليل السمعي قام على ان هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى ما ضل صاحبكم
وما غوى ثم ذكروا في تفسير هذه الاية وجوها كثيرة احدها ما روي عن
ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ووجدك ضالا عن معالم
النبوة واحكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها وهو المراد من قوله ما
كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين
وثانيها ضل عن مرضعته حليمة حين ارادت ان ترده الى جده حتى
دخلت هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا يقول
انما هلاكنا بيد هذا الصبي وفيه حكاية طويلة وثالثها ما روي مرفوعا
انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي ضايع كاد الجوع يقتلني
فهداني الله ذكره الضحاك وذكر تعلقه باستار الكعبة وقوله
يا رب رد لي محمدا اردده ربي واصطنع عندك يدا فما زال يردد
هذا البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد بين يديه وهو يقول لا
يدري ماذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال لاني انخت
الناقة واركبته من خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة
كان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدي وقال
ابن عباس رده الله الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد
عدوه ورابعها انه عليه السلم لما خرج مع غلام خديجة ميسرة اخذ كافر
بزمام بعيره حتى ضل فانزل الله جبريل عليه السلم في صورة ادمي فهداه
الى القافلة وقيل ان ابا طالب خرج به الى الشام فضل في الطريق فهداه
الله وخامسها يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الآية



كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه وسادسها العرب
تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة
ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في
مفازة الجهل فوجدتك ضالا فهديت بك الخلق ونظيره قوله عليه السلم الحكمة
ضالة المومن وسابعها ووجدك ضالا عن معرفة الله حين كنت طفلا صبيا كما
قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فخلق فيك العقل والهداية
والمعرفة والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطا
وثامنها كنت ضالا عن النبوة ما كنت تطمع في ذلك ولا خطر شي من ذلك في
قلبك فان اليهود والنصارى كانوا يزعمون ان النبوة في بني اسرايل فهديتك
الى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة وتاسعها انه قد يخاطب السيد ويكون
المراد قومه فقوله ووجدك ضالا اي وجد قومك ضالا فهداهم بك وبشرعك
وعاشرها وجدك ضالا عن الضالين منفردا عنهم مجانبا لدينهم
وكلما كان بعدك عنهم اشد كان ضلالهم اشد فهداك الى ان اختلطت
بهم ودعوتهم الى الدين المبين الحادي عشر وجدك ضالا عن الهجرة
متحيرا في يد قريش متمنيا فراقهم وكان لا يمكنك الخروج بدون اذنه تعالى
فلما اذن له ووافقه الصديق عليه وهداه الى خيمة ام معبد وكان ما
كان من حديث سراقة وظهور القوة في الدين كان ذلك المراد بقوله فهدى
الثاني عشر ضالا عن القبلة فانه كان يتمنى ان يجعل الكعبة قبلة له
وما كان يعرف ان ذلك هل يحصل ام لا فهداه اليه بقوله فلنولينك قبلة
ترضاها فكانه سمي ذلك التحير بالضلال الثالث عشر انه حين ظهر
له جبريل عليه السلم في اول امره ما كان يعرف اهو جبريل ام لا وكان يخافه
خوفا شديدا وربما اراد ان يلقي نفسه من الجبل فهدى حتى عرف انه
جبريل عليه السلم الرابع عشر الضلال بمعنى المحبة كما في قوله انك لفي ضلالك
القديم اي محبتك ومعناه انك محب فهديتك الى الشرايع التي بها يتقرب
الى خدمة محبوبك الخامس عشر ضالا عن امور الدنيا اي لا تعرف التجارة

ونحوها في هذا حتى ربحت تجارتك وعظم ربحها حتى رغبت خديجة فيك
والمعنى انه ما كان لك وقوف على الدنيا وما كنت تعرف سوى الدين فهداك
الى مصالح الدنيا بعد ذلك السادس عشر ووجدك ضالا اي ضايعا في قومك
كانوا يؤذونك ولا يرضون بك رغبة فقوى امرك وهداك الى ان صرت واليا
عليهم السابع عشر كنت ضالا ما كنت تهتدي طريق السماوات فهداك اذ
عرجت بك ليلة المعراج الثامن عشر ووجدك ضالا اي ناسيا كقوله
تعالى ان تضل احداهما فهداك اي ذكرك وذلك انه ليلة المعراج نسي
ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله تعالى الى كيفية الثنا حتى قال لا
احصي ثنا عليك التاسع عشر انه وان كان عارفا بالله بقلبه الا انه كان في الظاهر
لا يظهر لهم خلافا فعبر عن ذلك بالضلال العشرون روى علي عن النبي عليه السلام
انه قال ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول
الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته
فاني قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو حفظت لي غنمي
حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشبان فخرجت اريد ذلك حتى اتيت اول
دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقالوا فلان بن فلان تزوج
بفلانة فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس قال فجئت صاحبي فقال ما فعلت ما صنعت شيا ثم اخبرته الخبر
قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا
مس الشمس ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته اما قوله تعالى
ووجدك عايلا فاغنى ففيه مسايل المسئلة الاولى العايل هو ذو العيلة
ذكرنا ذلك عند قوله الا تعولوا او يدل عليه قوله تعالى وان خفتم عيلة ثم
اطلق العايل على الفقير وان لم يكن له عيال وها هنا في تفسير العايل قولان
الاول وهو المشهور ان المراد هو الفقير ويدل عليه ما روي ان في مصحف
عبد الله ووجدك عديما وقرئ عيلا كما قرئ سيحات ثم في كيفية الاغنا وجوه
الاول ان الله تعالى اغناه بتربية ابي طالب ولما اختلت احوال ابي طالب

الدنيا ظ



اغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما اختل ذلك امره
بالهجرة واغناه باعانة الانصار ثم امره بالجهاد واغناه بالغنايم وان كان انما حصل
بعد نزول هذه السورة لكن لما كان ذلك معلوم الوقوع كان كالواقع روي
انه عليه السلام دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له ما لك فقال الزمان زمان
قحط فان انا بذلت المال ينفد مالك فاستحي منك وان انا لم ابذل اخاف الله
فدعت قريشا وفيهم الصديق قال الصديق فاخرجت دنانير وصبت حتى
بلغت مبلغا لم يقع بصري على من كان جالسا قدامي لكثرة المال ثم قالت
اشهدوا ان هذا المال ماله ان شاء فرقها وان شاء امسكها الثاني
اغناه باصحابه كانوا يعبدون الله سرا حتى قال عمر حين اسلم ابرز انعبد اللات
جهرا ونعبد الله سرا فقال عليه السلام حتى تكثر الاصحاب فقال حسبك الله
وانا فقال تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المومنين فاغناه بمال ابي بكر وبهيبة
عمر الثالث اغناك بالقناعة فصرت بحال يستوي عندك الحجر والذهب
لا تجد في قلبك سوى ربك فربك غني عن الاشيا لا بها وانت بقناعتك استغنيت
عن الاشيا وان الغنى الاعلى عن الشي لا به ومن ذلك انه عليه السلام خير بين الغنى
والفقر فاختار الفقر الرابع كنت عايلا عن البراهين والحجج فانزل عليك
القران وعلمك ما لم تكن تعلم فاغناك القول الثاني في تفسير العايل انك كنت
كثير العيال وهم الامة فكفاك وقيل فاغناهم بك لانهم فقرا بسبب جهلهم وانت
صاحب العلم فعذاهم في بدك وها هنا سوالات السوال الاول
ما الحكمة في انه تعالى اختار له اليتم قلنا فيه وجوه احدها ان يعرف قدر اليتم
فيقوم بامرهم ومن ذلك كان يوسف عليه السلام لا يشبع فقيل له في ذلك فقال
اخاف ان اشبع فانسى الجياع وثانيها ليكون اليتيم مشاركا له في الاسم
فيكرم لاجل ذلك ومن ذلك قال عليه السلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه
ووسعوا له في المجلس وثالثها ان من كان له اب وام كان اعتماده عليهما
فسلب عنه الوالدان حتى لا يعتمد من اول صباه الى اخر عمره على احد سوى
الله فيصير في طفوليته متشبها بابرهيم عليه السلام في قوله حسبي من سوالي علمه

بحالي وكجواب مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ورابعها ان العاده
جارية بان اليتيم لا تخفى عيوبه بل تظهر وربما زادوا على الموجود فاختار تعالى
له اليتيم ليتامل كل احد في احواله ثم لا يجدوا عليه عيبا فيتفقون على نزاهته
فاذا اختاره الله للرسالة لم يجدوا عليه مطعنا وخامسها جعله يتيما ليعلم
كل احد ان فضيلته فضل من الله ابتدا لان الذي له اب فان اباه يسعى في تعليمه
وتاديبه وسادسها ان اليتم والفقر نقص في حق الخلق فلما صار محمد عليه السلم
مع هذين الوصفين اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعاده فكان من جنس المعجزات
السوال الثاني ما الحكمة في ان الله تعالى ذكر هذه الاشيا الجواب
الحكمة ان لا ينسى نفسه فيقع في العجب السوال الثالث روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سالت ربي مسئلة لوددت اني لم اسالها قلت
اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال واعطيت
سليمان كذا وكذا واعطيت فلانا كذا وكذا فقال الم اجدك يتيما فاويتك
الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى فقال الم اشرح
لك صدرك قلت بلى قال الم ارفع لك ذكرك قال الم اصرف عنك وزرك
قلت بلى قال الم اوتك ما لم اوت نبيا قبلك وهي خواتيم سورة البقرة الم
اتخذك خليلا كما اتخذت ابرهيم خليلا فهل يصح هذا الحديث قلنا
طعن القاضي في هذا الخبر فقال ان الانبيا عليهم السلام لا يسالون مثل
ذلك الا عن اذن فكيف يصح ان يقع من الرسول مثل هذا السوال ويكون
منه تعالى ما يجري مجرى المعاتبة اما قوله فاما اليتيم فلا تقهر وقري
لا تكهر اي لا تعبس وجهك اليه والمعنى عامله بمثل ما عاملتك به ونظيره
من وجه واحسن كما احسن الله اليك ومنه قوله عليه السلم الله الله فيمن
ليس له الا الله وروي نزلت حين صاح النبي عليه السلم على ولد خديجة ومنه
حديث موسى عليه السلم حين قال الهي بم نلت ما نلت قال اتذكر حين هربت
منك السخلة فلما قدرت عليها قلت اتعبت نفسك ثم حملتها فلهذا السبب
جعلتك واليا على الخلق فلما نال موسى عليه السلم النبوه بالاحسان الي الشاه

قلت بلى صح

انعام



فكيف بالاحسان الي اليتيم واذا كان هذا هو العتاب بمجرد الصياح او العبوسة
في الوجه فكيف اذا اذله او اكل ماله عن انس عن النبي عليه السلم اذا بكى اليتيم وقعت
دموعه في كف الرحمن يقول تعالى من ابكى هذا اليتيم الذي واريت والده في التراب
من اسكته فله الجنة ثم قال واما السايل فلا تنهر يقال نهره وانتهره اذا
استقبله بكلام يزجره وفي المراد من السايل قولان احدهما وهو اختيار الحسن
ان المراد منه من يسال العلم ونظيره من وجه عبس وتولى وحينئذ يحصل الترتيب
لانه تعالى قال له اولا الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عايلا فاغنى ثم اعتبر هذا الترتيب فاوصاه برعاية حق اليتيم ثم برعاية حق
من يساله عن العلم والهداية ثم اوصاه بشكر نعم الله عليه والقول الثاني
ان المراد مطلق السايل ولقد عاتب الله رسوله في القران في شان الفقرا في ثلث
مواضع احدها انه كان جالسا وحوله صناديد قريش اذ جا ابن ام مكتوم
الضرير فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يديه وقال علمني مما علمك الله فشق
ذلك عليه فعبس وجهه فنزل عبس وتولى والثاني حين قالت له قريش لو
جعلت لنا مجلسا وللفقرا مجلسا اخر فهم ان يفعل فنزل قوله واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم والثالث كان جالسا فجاه عثمان بعذق من تمر فوضعه
بين يديه فاراد ان ياكل فوقف سايل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا فاهم
فامر بدفعه الي السايل فكره عثمان ذلك واراد ان ياكله النبي عليه السلم
فخرج واشتراه من السايل ثم رجع السايل ففعل ذلك ثلث مرات وكان يعطيه
النبي عليه السلم الي ان قال له النبي عليه السلم اسايل انت ام بايع فنزل واما
السايل فلا تنهر ثم قال واما بنعمة ربك فحدث وفيه وجوه احدها
قال مجاهد تلك النعمة هي القران فان القران اعظم ما انعم الله به على محمد عليه السلم
والتحدث به ان يقراه ويقري غيره ويبين حقايقه لهم وثانيها روي ايضا عن
مجاهد ان تلك النعمة هي النبوه اي بلغ ما انزل اليك من ربك وثالثها اذا
وفقك الله فراعيت حق اليتيم والسايل وذلك التوفيق نعمة من الله عليك
فحدث بها ليقتدي بك غيرك ومنه ما روي عن الحسين بن علي عليه السلم انه قال

ذلك فنزل صح

اذا عملت خيراً فحدث اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا انما يحسن اذا لم يتضمن
رياء وظن ان غيره يقتدي به ومن ذلك لما سئل امير المومنين علي رضي الله عنه
عن الصحابه فاثني عليهم وذكر خصالهم فقالوا له فحدثنا عن نفسك
فقال مهلاً فقد نهي الله عن التزكيه فقيل له اليس الله تعالى يقول واما بنعمة
ربك فحدث قال فاني احدث كنت اذا سالت اعطيت واذا سكت
ابتديت وبين الجوانح علم جم فسالوني فان قيل فما الحكمه في اخر الله تعالى
حق نفسه عن حق اليتيم والسايل قلنا فيه وجوه احدها كانه يقول
انا غني وهما محتاجان وتقديم حق المحتاج اولى وثانيها انه وضع
في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول وثالثها ان المقصود من جميع
الطاعات استغراق القلب في ذكر الله تعالى فجعل خاتمة هذه الطاعات
تحدث القلب واللسان بنعم الله تعالى حتى يكون ختم الطاعات على
ذكر الله واختار قوله فحدث علي قوله فخبر ليكون ذلك حديثاً عنده
لا ينساه ويعيده مره بعد اخرى والله اعلم تم الكلام في سورة والضحى

## سورة الم نشرح

يروي عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما
كانا يقولان هذه السورة وسوره الضحى سوره واحده وكانا يقرانهما
في الركعه الواحده وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
والذي دعاهما الي ذلك هو ان قوله الم نشرح كالعطف علي قوله الم
يجدك يتيماً وليس كذلك لان الاول كان نزوله حال اغتمام الرسول عليه السلم
من ايذا الكفرة فكانت حال محنة وضيق صدر والثاني يقتضي ان يكون
حال النزول منشرح الصدر طيب القلب فاني يجتمعان

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك استفهم عن انتفا
الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا
لك صدرك وفي شرح الصدر قولان القول الاول ما روي ان جبريل
عليه السلم اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصي
ثم ملاه علماً وايماناً ووضعه في صدره واعلم ان القاضي طعن في هذه الرواية

من وجوه احدها ان الروايه ان هذه الواقعه انما وقعت في حال صغره
عليه السلم وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها ان
تاثير الغسل في ازالة الاجسام والمعاصي ليست باجسام فلا يكون للغسل
فيها اثر وثالثها انه لا يصح ان يملا القلب علماً بل الله تعالى يخلق فيه العلوم
والجواب عن الاول ان تقدم المعجزات على زمان البعثة جايز عندنا وذلك
هو المسمي بالارهاص ومثله في حق الرسول عليه السلام كثير واما الثاني
والثالث فلا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من
قلب الرسول عليه السلم علامه للقلب الذي يميل الى المعاصي ويحجم عن الطاعات
فاذا ازالوه عنه كان علامه لكون صاحبه مواظباً على الطاعات محترزاً عن
السيات فكان ذلك كالعلامه للملايكه على كون صاحبه معصوماً وايضاً فلان
الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد والقول الثاني ان المراد من شرح
الصدر ما يرجع الي المعرفه والطاعه ثم ذكروا فيه وجوها احدها
انه عليه السلم لما بعث الي الجن والانس فكان يضيق صدره عن منازعة
الجن والانس والبراه من كل عابد ومعبود سوى الله فاتاه الله من اياته
ما اتسع لكل ما حمله وصغر عنده كل شي احتمله من المشاق وذلك بان اخرج
عن قلبه جميع الهموم وما ترك فيه الا هذا الهم الواحد فما كان يخطر بباله هم
النفقه والعيال ولا يبالي بما يتوجه اليه من ايذايهم حتى صاروا في عينه
دون الذباب لم يجبن خوفاً من وعيدهم ولم يمل الى مالهم وبالجملة فشرح
الصدر عبارة عن علمه بحقارة الدنيا وكمال الاخره ونظيره قوله فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقاً حرجاً وروي انهم قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا
وما علامة ذلك قال التجافي عن دار الغرور والانابه الى دار الخلود والاعداد للموت
قبل نزوله وتحقيق القول فيه ان صدق الايمان بالله ووعده ووعيده يوجب
للانسان الزهد في الدنيا والرغبه في الاخره والاستعداد للموت وثانيها
انه انفسح صدره حتى انه كان يتسع لجميع المهمات لا يقلق ولا يضجر ولا يتحير

بل هو في حالتي البوس والفرح منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف والشرح
التوسعه ومعناه الاراحه من الهموم والعرب تسمي الغم والهم ضيق صدر كقوله
ولقد نعلم انك يضيق صدرك وهاهنا سوالات السوال الاول
لم ذكر الصدر ولم يذكر القلب الجواب لان محل الوسوسه هو الصدر
على ما قال يوسوس في صدور الناس فازاله تلك الوسوسه وابدالها بدواعي
الخير هي الشرح فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقال محمد بن علي
الترمذي رحمه الله القلب محل العقل والمعرفه وهو الذي يقصده الشيطان
فالشيطان يجي الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا اغار فيه ونزل
جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينيذ ولا يجد للطاعه
لذه ولا للاسلام حلاوه واذا طرد العدو اولا في الابتدا منع حصول الامن
ونزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام باداء العبوديه
السوال الثاني لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك
والجواب من وجهين احدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل
جميع الطاعات لاجلي كما قال الا ليعبدون اقم الصلاه لذكري فانا ايضا
جميع ما افعل افعله لاجلك وثانيها ان فيه تنبيها على ان منافع الرساله
عايده اليه عليه السلم كانه تعالى قال انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي
السوال الثالث لم قال الم نشرح ولم يقل الم اشرح والجواب
ان حملناه على نون التعظيم فالمعنى ان عظمه المنعم تدل على عظمه النعمه فدل
ذلك على ان ذلك الشرح نعمه لا تصل العقول الى كنه جلالتها وان حملناه
على نون الجمع فالمعنى كانه تعالى يقول الم اشرحه وحدي بل اعملت
فيه ملايكتي فكنت ترى الملايكه حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك
فاديت الرساله وانت قوي القلب ولحقتهم هيبه فلم يجيبوا لك جوابا
فلو كنت ضيق القلب لضحكوا منك فسبحان من جعل قوه قلبك جبنا فيهم
وانشراح صدرك ضيقا فيهم ثم قال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وفيه مسايل المسالة الاولى قال المبرد هذا محمول على معنى الم نشرح



لا على لفظه لانك لا تقول الم وضعنا ولكن معنى الم نشرح قد شرحنا فحمل الثاني على
معنى الاول لا على ظاهر اللفظ لانه لو كان معطوفا على ظاهره لوجب ان يقال ونضع
عنك وزرك المسالة الثانيه معنى الوزر ثقل الذنب وقد مر تفسيره عند قوله
وهم يحملون اوزارهم وهو كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
واما قوله انقض ظهرك فقال علما اللغه الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل
سمع له نقيض اي صوت خفي وهو صوت المحامل والرحال او الاضلاع او البعير
اذا اثقله الحمل فهو مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوزاره
المسالة الثالثه احتج بهذه الايه من اثبت المعصيه للانبيا عليهم السلم والجواب
عنه من وجهين الاول ان الذين يجوزون الصغاير على الانبيا عليهم السلم
حملوا هذه الايه عليها لا يقال ان قوله تعالى الذي انقض ظهرك يدل على
كونه عظيما فكيف يليق ذلك بالصغاير لانا نقول انما وصف ذلك بانقاض الظهر
مع كونها مغفوره لشده اغتمام النبي عليه السلم بوقوعه منه وتحسره مع ندمه عليه
او انما وصفه بذلك لان تاثيره فيما يزول به من الثواب عظيم فيجوز لذلك ما
ذكره تعالى هذا تقرير الكلام على قول المعتزله وفيه اشكال وهو ان العفو
عن الصغيره واجب على الله عند القاضي والله تعالى ذكر هذه الايه في معرض
الامتنان ومن المعلوم ان الامتنان بفعل الواجب غير جايز الوجه الثاني
ان يحمل ذلك على غير الذنب وفيه وجوه احدها قال قتاده كانت للنبي عليه السلم
ذنوب منه في الجاهليه قبل النبوه وقد اثقلته فغفرها له وثانيها ان المراد منه
تخفيف اعبا النبوه التي تثقل الظهر من القيام بامرها وحفظ موجباتها
والمحافظه على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان
يسرها عليه حتى تيسرت له وثالثها الوزر ما كان يكرهه من تغيرهم لسنه
الخليل وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه وقال له ان اتبع مله ابرهيم
ورابعها انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه ماذا يصنع في حقهم الى
ان قال وما كان الله ليعذبهم فامنهم من العذاب في العاجل ووعده الشفاعه
في الاجل وخامسها معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان

ذلك الا بحاصلا فسمي العصمه وضعا مجازا فمن ذلك ما روي انه حضر وليمه
فيها دف ومزامير قبل البعثه ليسمع فضرب الله على اذنه فلم يوقظه الا حر
الشمس من الغد وثانيها الوزر ما اصابه من الهيبه والفزع في اول
ملاقاته جبريل عليه السلام حين اخذته الرعده وكاد يرمي نفسه من الجبل ثم تقوى
حتى الفه وصار بحاله كاد يرمي نفسه من الجبل لشده اشتياقه وثالثها
الوزر ما كان يلحقه من الاذى والشتم حتى كاد ينقض ظهره وتاخذه الرعده
ثم قواه الله تعالى حتى صار بحيث يدمون وجهه ويقول اللهم اهد قومي ورابعها
لمن كان نزول السوره بعد موت ابي طالب وخديجه فلقد كان فراقهما عليه
وزرا عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السما حين لقيه كل ملك وحياه فارتفع
له الذكر فلذلك قال ورفعنا لك ذكرك وخامسها ان المراد من الوزر والثقل
الحيره له التي كانت له قبل المبعث وذلك انه بكمال عقله لما نظر الى عظيم نعم
الله تعالى عليه حين اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحياه والعقل
وانواع النعم ثقل عليه نعم الله وكاد ينقض ظهره من الحيا لانه عليه السلم كان
يرى ان نعم الله عليه لا تنقطع وما كان يعرف انه كيف يطيع ربه فلما جاته
النبوه والتكاليف وعرف انه كيف ينبغي له ان يطيع ربه محمد فلحياه وسهلت
عليه تلك الاحوال فان اللئيم لا يستحي من زياده النعم بدون مقابلتها بالخدمه
والانسان الكريم النفس اذا كثرت الانعام عليه وهو لا يقابلها بنوع من انواع
الخدمه فانه يثقل ذلك عليه جدا بحيث يميته الحيا فاذا كلفه المنعم بنوع خدمه
سهل ذلك عليه قلبه ثم قال تعالى ورفعنا لك ذكرك واعلم انه عام
في كل ما ذكروه من النبوه وشهرته في الارض والسماوات اسمه مكتوب على
على العرش وانه يذكر معه في الشهاده والتشهد وانه تعالى ذكره في الكتب
المتقدمه وانتشار ذكره في الافاق وانه ختمت به النبوه وانه يذكر في الخطب
والاذان ومفاتيح الرسائل وعند الختم وجعل ذكره في القران مقرونا بذكره
والله ورسوله احق ان ترضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا
الرسول وينادبه باسم الرسول والنبي حين ينادي غيره بالاسم يا موسى يا عيسى

كانوا

نعم

وطاب



وايضا جعله في القلوب بحيث يستطيبون ذكره وهو معنى قوله تعالى سيجعل
لهم الرحمن ودا كانه تعالى يقول املا العالم من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون
عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضه من فرائض الصلاه الا ومعه سنه
فهم يمتثلون في الفريضه امري وفي السنه امرك وجعلت طاعتك طاعتي
وبيعتك بيعتي من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله لا يانف السلاطين من اتباعك بل لا جراه لا جهل الملوك ان ينصب خليفه
من غير قبيلتك فالقرا يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني
فرقانك والوعاظ يبلغون وعظك بل العلما والسلاطين يصلون الى خدمتك
ويسلمون من ورا الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون
شفاعتك فشرفك باق الى يوم قيام الساعه ثم قال فان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا وفيه مسائل المسئله الاولى وجه تعلق هذه
الايه بما قبلها ان المشركين كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر
ويقولون ان كان غرضك من هذا الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى
تكون كايسر اهل مكه فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سبق
الى وهمه انهم انما رغبوا عن الاسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله
تعالى عليه مننه في هذه السوره وقال الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك
وزرك اي ما كنت فيه من امر الجاهليه ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل عن
قلبه ما حصل فيه من التاذي بسبب انهم عيروه بالفقر والدليل عليه دخول
الفا في قوله فان مع العسر يسرا كانه تعالى قال لا يحزنك ما يقولون
وما انت فيه من القله فانه يحصل في الدنيا يسر كامل المسئله الثانيه
قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين
فلن يغلب عسر يسرين وروى مقاتل عن النبي عليه السلام انه قال
لن يغلب عسر يسرين وقرا هذه الايه وفي تقرير هذا المعنى وجهان
الاول قال الفرا والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك
معهود سابق فينصرف الى الحقيقه فيكون المراد بالعسر في اللفظتين

شيئا واحدا واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما غير الاخر
وتبعه الجرجاني هذا وقال اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس
سيفا يلزم ان يكون هناك فارس واحد معه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم
من وضع العربية الوجه الثاني ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر
قوله ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب
وكما يكرر المفرد في قولك جاني زيد زيد والمراد من اليسرين يسر الدنيا
وهو ما تيسر من استفتاح البلاد ويسر الاخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى
هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب
فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الي
يسر الدنيا ويسر الاخرة كالمغمور القليل وههنا سوالان الاول ما معنى التنكير
في اليسر جوابه التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر السوال
الثاني اليسر لا يكون مع العسر لانهما ضدان فلا يجتمعان الجواب لما كان
وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل كان مقطوعا جعل كالمقارن له ثم قال
فاذا فرغت فانصب وجه تعلق هذا بما قبله انه تعالى لما عدد عليه نعمه
السالفة ووعده بالنعم الاتية لا جرم بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة
فقال فاذا فرغت فانصب اي فانعب يقال نصب ينصب قال قتادة
والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعا
وارغب اليه في المسالة يعطك وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع
لدنياك واخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من امر دنياك فانصب فصل
وقال عبد الله اذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقال الحسن
اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وقال علي بن ابي طلحة المعنى اذا
كنت صحيحا فانصب يعني اجعل فراغك نصبا في العبادة يدل عليه ما روي
ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال الفارغ ما امر بهذا انما قال الله فاذا
فرغت فانصب وبالجملة فالمعنى ان يواصل بين بعض العبادات وبعض
وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى واما



قوله والى ربك فارغب ففيه وجوه احدها اجعل رغبتك في سائر ما تلتمسه
اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه وثانيها ارغب في سائر ما
تلتمسه دنيا ودينا ونصره على الاعدا الى ربك وقرئ فرغّب اي رغّب
الناس الى طلب ما عنده

## سورة والتين

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اعلم ان الاشكال
هو ان التين والزيتون ليسا من الامور الشريفة فكيف يليق ان يقسم الله
تعالى بهما فلاجل هذا السوال حصل فيه قولان القول الاول
ان المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران قال ابن عباس
هو تينكم وزيتونكم هذا ثم ذكروا من خواص التين والزيتون اشيا اما التين
فقالوا انه غذا وفاكهة ودوا اما كونه غذا فالاطبا زعموا انه طعام لطيف
سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل
البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام
الكبد والطحال وهو خير الفواكه واحمدها وروي انه اهدي لرسول الله
طبق من تين فاكل منه ثم قال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة
لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس
وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج
واما كونه دوا فلانه يتداوى به في اخراج فضول البدن واعلم ان لها بعد
ما ذكرنا خواص احدها ان ظاهرها كباطنها ليس كالجوز ظاهره قشر ولا
كالتمر باطنه قشر بل نقول ان من الثمار ما يخبث ظاهره ويطيب باطنه كالجوز والبطيخ
ومنه ما يطيب ظاهره دون باطنه كالتمر والاجاص اما التين فانه طيب الظاهر
والباطن وثانيها ان الاشجار ثلثة شجرة تعد وتخلف وهي شجرة الخلاف
وثانية تعد وتفي وهي التي تاتي بالنور اولا وبعده بالثمرة كالتفاح وغيره
وشجرة تبذل قبل الوعد وهي التين لانها تخرج الثمرة قبل ان تعد بالورد بل
لو غيرت العبارة لقلت هي شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى بل لك ان تقول انها
شجرة تخرج الثمرة قبل ان تلبس نفسها بورد او بورق والتفاح والمشمش وغيرهما

بدأ بنفسها ثم بغيرها اما شجرة التين فانها تهتم لغيرها قبل اهتمامها لنفسها فسائر
الاشجار كارباب المعاملة في قوله عليه السلام ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وشجرة
التين كالمصطفى عليه السلام كان يبدأ بغيره فان فضل صرفه الى نفسه بل من الذين
اثنى الله عليهم في قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وثالثها ان
من خواص هذه الشجرة ان سائر الاشجار اذا اسقطت الثمرة عن موضعها لم تعد
في تلك السنة الا التين فانه بعد البدو ربما سقط ثم يعود مرة اخرى ورابعها
ان التين في النوم رجل خير غني فمن نالها في المنام نال مالا وسعة ومن اكلها رزقه
الله اولادا وخامسها روي ان ادم عليه السلام لما عصى وفارقته ثيابه تستر
بورق التين وروي انه لما نزل وكان متزرا بورق التين استوحش فطاف
الظبا حوله فاستانس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة
والملاحة معنى وغير دمها مسكا فلما تفرقت الظبا الى مساكنها راى غيرها
عليها من الجمال ما اعجبها فلما كان من الغد جاءت الظبا على اثر الاولى الى
ادم فاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال دون المسك وذلك لان
الاولى جاءت الى ادم لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت للطمع سرا
والى ادم ظاهرا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن واما الزيتون فشجرة
هي الشجرة المباركة فاكهة من وجه وادام من وجه ودواء من وجه وهي
في اغلب البلاد لا يحتاج الى تربية الناس ثم لا تقتصر منفعتها على غذا
بدنك بل هي غذا السراج ايضا وتولدها في الجبال التي لا يوجد فيها شي
من الدهنية البتة وقيل من اخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة
الوثقى وقال مريض لابن سيرين رايت في المنام كانه قيل لي كل اللامين
تشفى فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية ثم قال المفسرون التين
والزيتون اسم لهذين الماكولين وفيهما هذه المنافع الجليلة فوجب اجرا
اللفظ على الظاهر والجزم بان الله تعالى اقسم بهما لما فيهما من المصالح والمنافع
القول الثاني انه ليس المراد هاتان الثمرتان ثم ذكروا وجوها احدها
قال ابن عباس هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا



وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون فكانه تعالى اقسم بمنابت الانبيا
فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام والزيتون الشام مبعث اكثر انبيا بني
اسرائيل والطور مبعث موسى عليه السلام والبلد الامين مبعث محمد عليه السلام فيكون
المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الانبيا واعلاء درجاتهم وثانيها ان المراد من
التين والزيتون مسجدان ثم قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد
بيت المقدس وقال اخرون التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد
ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح المبني على الجودي والزيتون مسجد بيت
المقدس والقايلون بهذا القول انما ذهبوا اليه لان القسم بالمسجد حسن
لانه موضع العبادة والطاعة فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي
يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون وثالثها المراد
من التين والزيتون بلدان فقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس
وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام وعن الربيع هما جبلان
بين همذان وحلوان والقايلون بهذا القول انما ذهبوا اليه لان اليهود
والنصارى والمسلمين ومشركي قريش كل واحد منهم يعظم بلده من هذه البلاد
فالله تعالى اقسم بهذه البلاد باسرها او يقال ان دمشق وبيت المقدس فيهما
نعم الدنيا والطور ومكة فيهما نعم الدين اما قوله تعالى وطور سينين فالمراد من
الطور الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه واختلفوا في سينين والاولى
عند النحويين ان يكون سينين وسينا اسما للمكان الذي حصل فيه الجبل اضيف
الى ذلك المكان واما المفسرون فقال ابن عباس في رواية عكرمة الطور
الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وقال مجاهد سينين المبارك وقال
الكلبي هو الجبل المشجر ذو الشجر وقال مقاتل كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين
وسينا بلغة النبط قال الواحدي والاولى ان يكون سينين اسما للمكان
الذي به الجبل ثم ذلك المكان سمي سينين او سينا لحسنه او لكونه مباركا ولا
يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه اما قوله تعالى وهذا البلد
الامين فالمراد مكة والامين الامن قال صاحب الكشاف من امن الرجل

الرجل امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن
عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما
وصف بالامن في قوله حرما امنا يعني ذي امن وذكروا في كونه امنا وجوها
احدها ان الله تعالى حفظه عن الفيل على ما ياتيك شرحه ان شا الله تعالى
وثانيها انها يحفظ لك جميع الاشيا فمباح الدم عند الالتجا اليه امن بل السباع
والصيود تستفيد منها الحفظ عند الالتجا اليها وثالثها ما روي ان عمر كان
يقبل الحجر ويقول انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله قبلك لما
قبلتك فقال له علي اما انه يضر وينفع ان الله تعالى لما اخذ على ذرية ادم الميثاق
كتبه في ورق ابيض وكان لهذا الركن يومئذ لسان وشفتان وعينان فقال
افتح فاك فالقمه ذلك الورق وقال تشهد لمن وافاك بالموافاة الى يوم
القيامة فقال عمر لا بقيت في قوم لست فيهم يا ابا حسن ثم قال تعالى لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم والمراد من الانسان هذه الماهية والتقويم
تصيير الشي على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال قومه تقويما فا
ستقام وتقوم وذكروا في شرح ذلك الحسن وجوها احدها انه تعالى
خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان فانه تعالى خلقه مديد القامة
يتناول ما كوله بيده وقال الاصم في اكمل عقل وفهم وادب وعلم وبيان والحا
صل ان القول الاول راجع الى الصورة الظاهرة والثاني الى السيرة الباطنية
وعن يحيى بن اكثم القاضي انه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك
زمانه خلي بزوجته في ليلة مقمرة فقال ان لم تكوني احسن من القمر فانت كذى
فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يحنث فقيل له خالفت شيوخك
فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى يقول لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا
في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة احسن الفعال وهو العفو
عن الذنوب والتجاوز عن العيوب اما قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين
ففيه وجهان الاول قال ابن عباس يريد ارذل العمر وهو مثل قوله ثم يرد



الى ارذل العمر قال ابن قتيبة السافلون هم الضعفا والزمنى ومن لا يستطيع حيلة
ولا يجد سبيلا تقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما تقول علا يعلو
فهو عال وهم عالون اراد ان الهرم يخرف ويضعف سمعه وبصره وعقله
وتقل حيلته ويعجز عن عمل الصالحات فيكون اسفل الجميع قال الفرا ولو كانت
اسفل سافل لكان صوابا لان لفظ الانسان واحد وانت تقول هذا افضل
قايم ولا تقول افضل قايمين الا انه قيل سافلين على الجمع لان الانسان في
معنى جمع فهو كقوله والذي جا بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون
وقال واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم والقول الثاني
ما ذكره مجاهد والحسن ثم رددناه الى النار قال علي وهو ابواب جهنم
بعضها اسفل من بعض فيبدا بالاسفل فيملا وهو اسفل سافلين وعلى هذا
التقدير ثم رددناه الى اسفل او في اسفل سافلين اما قوله تعالى الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فاعلم ان هذا الاستثنا على القول الاول منقطع والمعنى
ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دايم على طاعتهم وصبرهم على ابتلا
الله اياهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على
تخاذل نهوضهم واما على القول الثاني فالاستثنا متصل ظاهر الاتصال اما
قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون ففيه قولان احدهما غير منقوص ولا مقطوع
والاخر غير ممنون اي لا يمن به عليهم واعلم ان كل ذلك من صفات الثواب لانه يجب
ان يكون غير منقطع وان لا يكون منغصا بالمنة ثم قال تعالى فما يكذبك بعد بالدين
وفيه سوالان السوال الاول من المخاطب بقوله فما يكذبك الجواب
فيه قولان احدهما انه خطاب للانسان على طريقة الالتفات والمراد من قوله فما
يكذبك ان كل من اخبر عن الواقع بانه لا يقع فهو كاذب والمعنى فما الذي يلجيك الى
هذا الكذب والثاني وهو اختيار الفرا انه خطاب مع محمد عليه السلم والمعنى فمن
يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل بالدين السوال الثاني ما وجه
التعجب الجواب ان خلق الانسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه
في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر ليكون

واهمح على قدره الخالق على الحشر والنشر فمن شاهد هذه الحاله ثم بقي مصرا
على انكار الحشر فلا شي اعجب منه ثم قال اليس الله باحكم الحاكمين فيه مسلتان
المسله الاولى ذكروا في تفسيره وجهين احدهما ان هذا تحقيق لما ذكر من
خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر يقول الله تعالى اليس الذي فعل ذلك
باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واذا ثبتت القدره والحكمه بهذه الدلاله صح
القول بامكان الحشر ووقوعه اما الامكان فبالنظر الى القدره واما الوقوع
فبالنظر الى الحكمه لان عدم ذلك يقدح في الحكمه كما قال تعالى وما خلقنا
السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا والثاني ان هذا تنبيه
من الله تعالى لنبيه عليه السلم بان يحكم بينه وبين خصومه يوم القيامه بالعدل
المسله الثانيه قال القاضي هذه الايه من اقوى الدلايل على انه تعالى لا يفعل
القبيح ولا يخلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم فانه لو كان الفاعل
لافعال العباد هو الله تعالى لكان كل سفه وكل امر سفه وكل نوع عبث سفه
فهو من الله تعالى ومن كان كذلك فهو اسفه السفها كما انه لا حكمه ولا امر
بالحكمه ولا ترغيب في الحكمه الا من الله ومن كان كذلك فهو احكم الحكما ولما ثبت
في حقه تعالى الامران لم يكن وصفه بانه احكم الحكما اولى من وصفه بانه
اسفه السفها ولما امتنع هذا الوصف في حقه علمنا انه ليس خالقا لافعال
العباد والجواب المعارضه بالعلم والداعي ثم نقول السفيه من قامت
السفاهه به لا من خلق السفاهه كما ان المتحرك والساكن من قامت
الحركه والسكون به لا من خلقهما والله اعلم ه سورة اقرا
زعم اكثر المفسرين ان هذه السوره اول ما نزل من القران وقال اخرون
الفاتحه اول ما نزل ثم سوره القلم بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك اعلم ان في البا من قوله باسم ربك قولين احدهما
قال ابو عبيده البا زايده والمعنى اقرا اسم ربك كما قال الاخطل
هن الحراير لا ربات احمره سود المحاجر لا يقران بالسور
ومعنى اقرا اسم ربك اي اذكر اسمه وهذا القول ضعيف لوجوه احدها



انه لو كان معناه اذكر اسم ربك ما حسن منه ان يقول ما انا بقاري اي لا اذكر
اسم ربي وثانيها ان هذا الامر لا يليق بالرسول لانه ما كان له شغل سوى
ذكر الله فكيف يامره بان يشتغل بما كان مشغولا به ابدا وثالثها ان فيه تضييع
البا من غير فايده القول الثاني ان المراد من قوله اقرا اي اقرا القران اذ
القراه لا تستعمل الا فيه قال تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه وقال وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث وقوله باسم ربك يحتمل وجوها احدها ان يكون
محل باسم ربك النصب على الحال فيكون التقدير اقرا القران مفتتحا باسم ربك
اي قل باسم الله ثم اقرا وفي هذا دلاله على انه يجب قراه التسميه في ابتدا
كل سوره كما انزل الله تعالى وامر به وفي هذه الايه رد على من لا يرى ذلك
واجبا ولا يبتدي بها وثانيها ان يكون المعنى اقرا القران مستعينا باسم ربك
كانه يجعل الاسم الة فيما يحاوله من امر الدين والدنيا نظيره كتبت بالقلم
وتحقيقه انه لما قال له اقرا فقال له لست بقاري فقال اقرا باسم ربك
اي استعن باسم ربك واتخذه الة في تحصيل هذا الذي عسر عليك وثالثها
ان قوله اقرا باسم ربك اي اجعل هذا الفعل لله وافعله لاجله كما تقول
بنيت هذه الدار باسم الامير وصنفت هذا الكتاب باسم الوزير ولاجله فان
العباده اذا صارت لله تعالى فكيف يجتري الشيطان ان يتصرف فيما هو لله تعالى
فان قيل كيف يستمر هذا التاويل في قولك قبل الاكل بسم الله وكذا قبل كل فعل
مباح قلنا فيه وجهان احدهما ان ذلك اضافه مجازيه كما تضيف ضيعتك الى بعض
الكبار ليندفع بذلك ظلم الظلمه كذا تضيف فعلك الى الله ليقطع الشيطان طمعه
عن مشاركتك فقد روي ان من لم يذكر اسم الله شاركه الشيطان في ذلك الطعام
والثاني انه ربما استعان بذلك المباح على التقوى على طاعه الله فيصير المباح
طاعه فيصح ذلك التاويل فيه اما قوله ربك ففيه سوالان احدهما وهو ان
الرب من صفات الفعل والله من اسما الذات واسما الذات اشرف
من اسما الفعل ولانا قد دللنا بالوجوه الكثيره على ان اسم الله اشرف
من اسم الرب ثم انه تعالى قال ها هنا باسم ربك ولم يقل اقرا باسم الله كما

قال في التسمية المعروفة بسم الله الرحمن الرحيم وجوابه لانه امر بالعبادة
وبصفات الذات وهو لا يستوجب شيا وانما يستوجب العبادة لصفات
الفعل فكان ذلك ابلغ في الحث على الطاعة ولان هذه السورة كانت من اوايل
ما نزل وكان الرسول عليه السلام قد فزع فاستماله لنزول الفزع فقال هو الذي
رباك فكيف يفزعك فافاد هذا الحرف معنيين احدهما ربيتك فلزمك القضا
فلا تتساهل والثاني ان الشروع ملزم للاتمام وقد ربيتك منذ كذا فكيف اضيعك
حين كنت علقا لم ادع تربيتك فبعد ان صرت علقا نفيسا موحدا عارفا بي
كيف اضيعك السوال الثاني ما الحكمة في انما اضاف ذاته اليه فقال
باسم ربك الجواب تارة يضيف ذاته اليه بالربوبية كما هاهنا وتارة
يضيفه الى نفسه بالعبودية اسرى بعبده نظيره قوله عليه السلام علي مني وانا منه
كانه تعالى يقول هو لي وانا له يقرره قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله او نقول اضافة ذات الله الى عبده احسن من اضافة العبد اليه اذ قد علم
في الشاهد ان من له ابنان ينفعه اكبرهما دون الاصغر يقول هو ابني فحسب لما انه ينال
منه المنفعة فيقول الرب تعالى المنفعة تصل مني اليك ولم يصل منك الى خدمة
ولا طاعة الى الان فاقول انا لك ولا اقول انت لي ثم اذا اتيت بما طلبته
منك من طاعة او توبة اضيفك الى نفسي فقلت انزل على عبده يا عبادي
الذين اسرفوا السوال الثالث لم ذكر عقيب قوله ربك الذي خلق
الجواب كان العبد يقول ما الدليل على انك ربي فيقول لانك كنت
بذاتك وصفاتك معدوما ثم صرت موجودا فلا بد لك في ذاتك وصفاتك
من خالق وهذا الخلق والايجاد تربية فدل على اني ربك وانت مربوبي
اما قوله تعالى الذي خلق خلق الانسان من علق ففيه مسايل المسالة
الاولى في تفسير هذه الاية ثلثة اوجه احدها ان يكون قوله الذي
خلق لا يقدر له مفعول ويكون المعنى انه الذي حصل منه الخلق وا
ستاثر به لا خالق سواه والثاني ان يقدر له مفعول ويكون المعنى
انه الذي خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس حمله على

له

قوله في



البعض اولى من حمله على الباقي كقولنا الله اكبر اي من كل شيء ثم قوله بعد ذلك خلق
الانسان من علق تخصيصا للانسان بالذكر من بين جملة المخلوقات اما لان التنزيل
اليه او لانه اشرف ما على وجه الارض والثالث ان يكون قوله اقرا باسم ربك
الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان من علق تفخيما لخلق الانسان
ودلالة على عجيب فطرته المسالة الثانية احتج الاصحاب بهذه الاية على ان لا خالق
غير الله قالوا لانه سبحانه جعل الخالقية صفة مميزة لذات الله تعالى عن ساير
الذوات وكل صفة هذا شانها فانه يستحيل وقوع الشركة فيها قالوا وبهذا
الطريق عرفنا ان خاصية الالهية هي القدرة على الاختراع ومما يوكد ذلك ان
فرعون لما طلب حقيقة الاله فقال وما رب العالمين قال موسى ربكم ورب
اباىكم الاولين والربوبية اشارة الى الخالقية التي ذكرها هاهنا وكذلك يدل
على قولنا المسالة الثالثة اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات معرفة الله
تعالى او النظر في معرفة الله تعالى او القصد الى ذلك النظر على الاختلاف
المشهور فيما بينهم ثم ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعث رسولا الى المشركين لو قال
لهم اقرا باسم ربك الذي لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم في
ذلك مقدمة يلجيهم الى الاعتراف به كما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة الى
البصرة لتقرير مذهبه فلما ذكر ابا حنيفة زيفوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابي
حنيفة واخبره بذلك فقال انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر
في المسالة اقاويل ايمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك هاهنا قول اخر فاذكر
قولي وحجتي فاذا تمكن ذلك في قلبهم فقل هذا قول ابي حنيفة لانهم حينيذ
يستحيون فلا يردون فكذا هاهنا ان الحق سبحانه يقول ان هولا عباد الاوثان
فلو اثنيت علي واعرضت عن الاوثان لابوا ذلك لكن اذكر لهم انهم هم الذين
خلقوا من العلقة فلا يمكنهم انكاره ثم قل ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم
ان يضيفوا ذلك الى الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون باني
انا المستحق للثنا دون الاوثان كما قال ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله
ثم لما صارت الالهية موقوفة على الخالقية حصل القطع بان من لم يخلق لم يكن

علم

الٓهافلهذا قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق ودلت الآية ان القول بالطبع باطل
لان المونز فيه ان كان حادثا افتقر الى مونز اخر وان كان قديما فاما ان يكون
موجبا او قادرا فان كان موجبا لزم ان يقارنه الاثر فلم يبق الا انه مختار وهو عالم
لان التغير حصل على الترتيب الموافق للمصلحة المسئلة الرابعة انما قال من
علق على الجمع لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر اما قوله
تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ففيه مسايل المسئلة الاولى قال بعضهم
اقرا اولا لنفسك والثاني للتبليغ او الاول للتعلم من جبريل والثاني للتعليم او اقرا
في صلاتك والثاني خارج صلاتك المسئلة الثانية الكرم افادة ما ينبغي لا
لعوض فمن يهب السكين ممن يقتل به نفسه فهو ليس بكريم ومن اعطى ثم طلب عوضا
فهو ليس بكريم وليس يجب ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب والتخلص
عن المذمة كله عوض ولهذا قال اصحابنا انه سبحانه يستحيل ان يفعل
فعلا لغرض لانه لو فعل فعلا لغرض لكان حصول ذلك الغرض اولى له من
لا حصوله فحينيذ يستفيد بفعل ذلك الشي حصول تلك الاولوية ولو لم يفعل
ذلك الفعل لما كان يحصل له تلك الاولوية فيكون ناقصا لذاته مستكملا لغيره
وذلك محال ثم ذكروا في بيان اكرميته تعالى وجوها احدها انه كم من كريم
يحلم وقت الجناية لكن لا يبقى احسانه على الوجه الذي كان قبل الجناية
وهو تعالى الاكرم لانه يزيد في احسانه بعد الجناية ومنه قول القايل

متى زدت تقصيرا تزدني تفضلا ❊ كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وثانيها انك كريم لكن ربك الاكرم وكيف لا وكل كريم ينال بكرمه نفعا اما مدحا
او ثوابا او يدفع ضررا اما انا فالاكرم اذ لا افعله الا لمحض الكرم وثالثها
انه الاكرم لان له الابتداء في كل كرم واحسان وكرمه غير مشوب بالتقصير
ورابعها يحتمل ان يكون هذا حثا على القراه اي هو الاكرم لانه يجازيك بكل
حرف عشرا او حثا على الاخلاص اي لا تقرا للطمع ولكن لاجلي ودع علي
امرك فانا اكرم من ان لا اعطيك ما لا يخطر ببالك ويحتمل يخرج لدعوة
الخلق ولا تخف احدا فانا اكرم من ان امرك بهذا التكليف الشاق ثم لا انصرك

الجود مبدا افادة ما ينبغي لا لعوض
الجود صفة هي مبدا افادة ما ينبغي لا لعوض
تعريفي



المسئلة الثالثة انه سبحانه وصف نفسه بانه خلق الانسان من علق وثانيا
بانه الذي علم بالقلم ولا مناسبة في الظاهر بين الامرين لكن التحقيق ان اول
احوال الانسان كونه علقة وهي اخس الاشيا واخر امره هو صيرورته
عالما بحقايق الاشيا وهو اشرف مراتب المخلوقات فكانه تعالى يقول انتقلت
من اخس المراتب الى اعلى المراتب فلا بد لك من مدبر مقدر ينقلك من تلك
الحالة الخسيسة الى هذه الحالة الشريفة ثم فيه تنبيه على ان العلم اشرف الصفات
كانه تعالى يقول الايجاد والاحيا والاقدار والرزق كرم وربوبية اما الاكرم
هو الذي اعطاك العلم لان العلم هو النهاية في الشرف المسئلة الرابعة
قوله باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اشارة الى الدلالة
العقلية الدالة على كمال القدرة والحكمة والعلم والرحمة وقوله الذي علم
بالقلم اشارة الى الاحكام المكتوبة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالسمع فالاول
كانه اشارة الى معرفة الربوبية والثاني الى النبوة وقدم الاول على الثاني
تنبيها على ان معرفة الربوبية غنية عن النبوة واما النبوة فانها محتاجة
الى معرفة الربوبية المسئلة الخامسة في قوله علم بالقلم وجهان احدها
ان المراد من القلم الكتابة التي بها يعرف الامور الغايبة وجعل القلم
كناية عنها والثاني المراد علم الانسان الكتابة بالقلم وكلا القولين متقارب
اذ المراد التنبيه على فضيلة الكتابة يروى ان سليمان عليه السلم سال عفريتا
عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة فالقلم صياد يصيد
العلوم يبكي ويضحك بركوعه يسجد الانام وبحركته تبقى العلوم على مر الليالي
والايام نظيره قوله زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا اخفى واسمع فكذا القلم
لا ينطق ثم يسمع الشرق والغرب فسبحانه من قادر بسواده جعل الدين
منورا كما انه جعلك بالسواد مبصرا والقلم قوام الانسان والانسان
قوام العين ولا يقل القلم نايب اللسان فان القلم ينوب عن اللسان واللسان
لا ينوب عن القلم التراب طهور ولو الى عشر حجج والقلم بدل ولو الى المشرق
والمغرب اما قوله علم الانسان ما لم يعلم فيحتمل ان يكون المراد علمه بالقلم

اذم

وعلمه ايضا عند ذلك ولم يذكروا النسق وقد يجري مثل هذا في الكلام تقول اكرمتك
احسنت اليك ملكتك الاموال وليتك الولايات ويحتمل ان يكون المراد من
اللفظين واحدا و يكون المعنى علم الانسان بالقلم ما لم يعلم فيكون قوله علم الانسان
ما لم يعلم بيانا لقوله علم بالقلم ثم قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى وفيه مسايل
المسالة الاولى اكثر المفسرين على ان المراد من الانسان هاهنا انسان واحد وهو
ابو جهل ثم منهم من قال نزلت السوره من هاهنا الى اخرها في ابي جهل وقيل
نزلت من قوله ارايت الذي ينهى عبدا الى اخر السوره في ابي جهل قال ابن
عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجا ابو جهل فقال الم انهك عن
هذا فزبره النبي عليه السلام فقال ابو جهل والله انك لتعلم ما بها نادي اكثر
مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية وقال ابن عباس والله لو
دعا ناديه لاخذته زبانية الله فكانه تعالى لما عرفه انه مخلوق من علق فلا يليق
به التكبر فهو عند ذلك ازداد طغيانا و تعززا بماله ورياسته في مكة ويروى
انه قال ليس بمكة اكرم مني ولعله لعنه الله قال ذلك ردا لقوله وربك الاكرم
ثم القايلون بهذا القول منهم من زعم انه ليست هذه السوره من اوايل ما
نزل ومنهم من قال يحتمل ان يكون خمس ايات من اول السوره نزل اولا ثم نزلت
البقيه بعد ذلك في شان ابي جهل ثم امر النبي عليه السلام بضم ذلك الى اول السوره
لان تاليف الايات انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى ما نزل
قبله بزمان طويل القول الثاني ان المراد من الانسان المذكور
في هذه الايه جملة الانسان والقول الاول وان كان اظهر بحسب الروايات
الا ان هذا القول اقرب بحسب الظاهر لانه تعالى بين ان الله سبحانه
مع انه خلقه من علقه وانعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها اذا اغنيناه
وزدنا في النعمه عليه فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس
وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقه ثم انه تعالى اكد هذا الزجر بقوله ان
الى ربك الرجعى اي الى حيث لا مالك سواه فتقع المحاسبه على ما كان منه



من العمل والمواخذه بحسب ذلك المسالة الثانيه قوله كلا فيه وجوه احدها
انه ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه وثانيها
قال مقاتل كلا لا يعلم الانسان ان الله هو الذي خلقه من العلقه وعلمه بعد الجهل
وذلك لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا
فلا يتفكر في هذه الاحوال ولا يتامل فيها وثالثها ذكر الجرجاني صاحب
النظم ان كلا هاهنا بمعنى حقا لانه ليس قبله ولا بعده شي يكون كلا ردا له وهذا
كما قالوه في كلا والقمر فانهم زعموا انه بمعنى اي والقمر المسالة الثالثة الطغيان
هو التكبر والتمرد وتحقيق الكلام في هذه الايه ان الله تعالى لما ذكر في مقدمة السوره
دلايل ظاهره على التوحيد والقدره والحكمه بحيث يبعد من العاقل ان لا يطلع
عليها ولا يقف على حقايقها اتبعها بما هو السبب الاصلي في الغفله عنها وهو حب
الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والثروه والقدره فانه لا سبب لعمى القلب في الحقيقه
الا ذلك فان قيل ان فرعون ادعى الربوبيه فقال تعالى في حقه اذهب الى
فرعون انه طغى وهاهنا ذكر في ابي جهل ليطغى فاكده بهذه اللام فما السبب
في هذه الزياده قلنا فيه وجوه احدها انه قال لموسى اذهب الى فرعون
انه طغى وذلك قبل ان يلقاه موسى وقبل ان يعرض عليه الادله وقبل ان
يدعي الربوبيه واما هاهنا فانه تعالى ذكر هذه الايه تسليه لرسوله حين
رد عليه اقبح الرد وثانيها ان فرعون مع كمال سلطنته ما كان يزيد
كفره على القول وما كان يتعرض لقتل موسى عليه السلام ولا لايذائه
اما ابو جهل فهو مع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي عليه السلام وايذاه
وثالثها ان فرعون احسن الى موسى اولا وقال اخرا امنت واما
ابو جهل فكان يحسد النبي في صباه وقال في اخر رمقه بلغوا عني
محمدا اني اموت ولا احد ابغض الي منه ورابعها انهما وان كانا
رسولين لكن الحبيب في مقابلة الكليم كاليد في مقابلة العين والعاقل
يصون عينه فوق ما يصون يده بل يصون عينه باليد فلهذا السبب
كانت المبالغه هاهنا اكثر اما قوله ان راه استغنى ففيه مسايل

المسله الاولى قال الاخفش لان راه فحذف اللام كما يقال انكم لتطغون ان
رايتم غناكم المسله الثانيه قال الفرا اغا قال ان راه ولم يقل راى نفسه
كما يقال قتل نفسه لان راى من الافعال التى تستدعى اسما وخبرا نحو
الظن والحسبان والعرب تطرح النفس من هذا الجنس وتقول راتنى
وظننى وحسبتنى فقوله ان راه استغنى من هذا الباب المسله الثالثه
في قوله استغنى وجهان احدهما ماله عن ربه والمراد من الايه ليس
هو الاول لان الانسان قد ينال الثروه فلا يزيد الا تواضعا كسليمان
عليه السلم فانه كان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا
وعبد الرحمن بن عوف ما طغى مع كثره امواله بل العاقل يعلم انه عند
الغنى يكون اكثر حاجه الى الله منه حال فقره لانه في حال فقره لا يتمنى
الا سلامه نفسه واما في حال الغنى فانه يتمنى سلامه نفسه وماله
ومماليكه وفي الايه وجه ثالث وهو ان يرى ان استغنى بنفسه عن الطلب والمعنى
ان الانسان راى ان نفسه انما نالت الغنى لانها طلبته وبذلت الجهد في
الطلب فنالت الثروه والغنى بسبب ذلك الجهد لا انها نالته باعطا الله وتوفيقه
وهذا جهل وحمق فكم من باذل وسعه في الحرص والطلب وهو يموت
جوعا ثم ترى اكثر الاغنيا في الاخره يصيرون مدبرين خايفين يريهم
الله ان ذلك الغنى ما كان بفعلهم وقوتهم المسله الرابعه اول السوره
يدل على مدح العلم واخرها على مذمه المال وكفى ذلك مرغبا في الدين
والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال ثم قال ان الى ربك الرجعى
وفيه مسايل المسله الاولى هذا الكلام واقع على طريقه الالتفات الى
الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبه الطغيان المسله الثانيه الرجعى
المرجع والرجوع وهي باجمعها مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا
ورجعى على وزن فعلى وفي معنى الايه وجهان احدهما انه يرى ثواب طاعته
وعقاب تمرده وتكبره وطغيانه ونظيره قوله ولا تحسبن الله غافلا
الى قوله انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وهذه الموعظه لا توثر



الا في قلب من له قدم صدق اما الجاهل فيغضب ولا يعتقد الا الفرح العاجل
والقول الثاني انه تعالى يرده ويرجعه الى النقصان والفقر والموت كما رده
من النقصان الى الكمال حيث نقله من الجماديه الى الحيوه ومن الفقر الى الغنى
ومن الذل الى العز فما هذا التعزز والقوه المسله الثالثه روي ان ابا جهل
قال للرسول عليه السلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكه ذهبا
وفضه لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل وقال ان
شيت فعلنا ذلك ثم ان لم يومنوا فعلنا بهم مثل ما فعلنا باصحاب المايده فكف رسول
عن الدعا ابقا عليهم قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وفيه مسايل
المسله الاولى روي عن ابي جهل لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين
اظهركم قالوا نعم قال فو الذي يحلف به لين رايته توطات عنقه فجاه ثم انه راي
رسول الله في الصلاه فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه
لخندقا من نار وهولا شديدا وعن الحسن ان اميه بن خلف كان ينهى سلمان
عن الصلاه واعلم ان ظاهر الايه ان المراد في هذه الايه هو الانسان المتقدم ذكره
فلذلك قالوا انه ورد في ابي جهل وذكروا ما كان منه من التوعد لمحمد عليه السلم
حين راه يصلي ولا يمتنع ان يكون نزوله في ابي جهل ثم يعم في الكل لكن ما بعده
يقتضي انه في رجل بعينه المسله الثانيه قوله ارايت خطاب مع الرسول
على سبيل التعجب ووجه التعجب فيه امور احدها انه عليه السلم قال اللهم اعز
المسلمين اما بابي جهل بن هشام او بعمر فكانه تعالى قال له كنت تظن انه يعز
بالاسلام امثله يعز به الاسلام وهو ينهى عبدا اذا صلى وثانيها انه كان
يلقب بابي الحكم فكانه تعالى يقول كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى
العبد عن خدمه ربه ايوصف بالحكمه من يمنع عن طاعه الرحمن ويسجد للاوثان
وثالثها ان ذلك الاحمق يامر وينهى ويعتقد انه يجب على الغير طاعته مع انه ليس
بخالق ولا رب ثم انه ينهى عن طاعه الرب والخالق الا يكون هذا غايه الحماقه
المسله الثالثه قال ينهى عبدا ولم يقل ينهاك وفيه فوايد احدها ان التنكير
في عبدا يدل على كونه كاملا في العبوديه كقول ابي حنيفه واما عبد الله فعبد الله

كانه يقول انه عبد لا يفي الطعام بشرح ثناه و صفه اخلاقه في عبوديته يروى في
هذا المعنى ان يهوديا من فصحا اليهود جا الى عمر في ايام خلافته وقال اخبرني
عن اخلاق رسولكم فقال عمر اطلبه من بلال فهو اعلم به مني ثم ان بلالا دله على
فاطمه ثم ان فاطمه دلته على علي فلما سال عليا عنه قال صف لي متاع الدنيا حتى
اصف لك اخلاقه فقال الرجل هذا لا يتيسر لي فقال علي عجزت عن وصف
الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال قل متاع الدنيا قليل فكيف اصف
اخلاق النبي وقد شهد الله بانه عظيم حيث قال وانك لعلى خلق عظيم فكانه
قال ينهى اشد الخلق عبوديه عن العبوديه وذلك عين الجهل والحمق
وثانيها ان هذا ابلغ في الذم لان المعنى ان هذا دابه وعادته فينهى كل
من يرى وثالثها ان هذا التخليف كلمن نهى عن الصلاه روي عن علي
عليه السلم انه راى في المصلى اقواما يصلون قبل صلاه العيد فقال ما رايت
رسول الله يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل
تحت قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاه واخذ
ابو حنيفه منه هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف ايقول
المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد
ويسجد ولم يصرح بالنهي ورابعها ايطن ابو جهل انه لو لم يسجد
محمد لي لا اجد ساجدا غيره ان محمدا عبد واحد ولي من الملايكه المقربين
ما لا تحصيهم الا انا وهم دايما في الصلاه والتسبيح وخامسها انه تفخيم
لشان النبي يقول انه مع التنكير معرف نظيره الكنايه في سوره القدر
حملت على القران وان لم يسبق له ذكر اسمي بعده انزل على عبده وانه لما
قام عبد الله ثم قال تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى
وفيه مسايل المسله الاولى فقوله ارايت خطاب لمن فيه
وجهان الاول انه خطاب للنبي والدليل عليه ان الاول وهو قوله
ارايت الذي ينهى عبدا للنبي والثالث وهو قوله ارايت ان كذب
وتولى للنبي فلو جعلنا الوسط لغير النبي لخرج الكلام عن النظم الحسن



يقول تعالى يا محمد ارايت ان كان هذا الكافر ولم يقل لو كان اشاره الى
المستقبل كانه يقول ارايت ان صار على الهدى واستغل بامر نفسه اما
كان يليق به ذلك اذ هو رجل عاقل ذو ثروه فلو اختار الدين والهدى
والامر بالتقوى اما كان ذلك خيرا له من الكفر بالله والنهي عن خدمته وطاعته
كانه تعالى يقول تلهف عليه كيف فوت على نفسه المراتب العاليه وقنع
بالمراتب الرديه القول الثاني انه خطاب للكافر لان الله تعالى كالمشاهد
للظالم والمظلوم وكالمولى الذي قام بين يديه عبدان وكالحاكم الذي
حضر عنده المدعي والمدعى عليه فخاطب هذا مره وهذا مره فلما قال
للنبي ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى التفت بعد ذلك الى الكافر فقال
ارايت يا كافر ان كانت صلاته هدى ودعاه الى الله امرا بالتقوى
اتنهاه مع ذلك المسله الثانيه ههنا سوال وهو ان المذكور في اول
الايه هو الصلاه وهو قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى والمذكور ههنا
امران وهو قوله ارايت ان كان على الهدى في فعل الصلاه فلم ضم اليه شيئا
ثانيا وهو قوله او امر بالتقوى جواب من وجوه احدها ان الذي
شق على ابي جهل من افعال الرسول عليه السلم هو هذان الامران الصلاه
والدعا الى الله فلا جرم ذكرهما ههنا وثانيها ان النبي عليه السلم كان لا يوجد
الا في احد امرين اما في اصلاح نفسه وذلك بفعل الصلاه او في اصلاح غيره
وذلك الامر بالتقوى وثالثها انه عليه السلم كان في صلاته على الهدى وامرا
بالتقوى لان كل من راه وهو في الصلاه كان يرق قلبه فيميل الى الايمان فكان
فعل الصلاه دعوه بلسان الفعل وهي اقوى من الدعوه بلسان القول
ثم قال تعالى ارايت ان كذب وتولى وفيه قولان الاول انه خطاب
مع الرسول عليه السلم وذلك لان الدلايل التي ذكرها في اول هذه
السوره جليه ظاهره وكل احد يعلم ببديهه عقله ان منع العبد من خدمه
مولاه فعل باطل وسفه ظاهر فاذن كل من كذب بتلك الدلايل وتولى
عن خدمه مولاه بل منع غيره عن خدمه مولاه يعلم بعقله السليم انه على

التامل وانه لا يفعل ذلك الا عنادا فلهذا قال تعالى لرسوله ارايت يا محمد ان كذب هذا الكافر عن تلك الدلايل الواضحه وتولى عن خدمه خالقه الم يعلم بعقله ان الله يرى من هذه الاعمال القبيحه ويعلم افلا يزجره ذلك عن هذه الاعمال القبيحه والثاني انه خطاب للكافر والمعنى ان كان محمد كاذبا او متوليا الا يعلم بان الله يرى حتى ينتهي بل احتج الى نهيك اما قوله الم يعلم بان الله يرى ففيه مسئلتان المسله الاولى المقصود من الايه التهديد بالحشر والنشر والمعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات حكيم لا يهمل عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذره في الارض ولا في السما فلا بد وان يوصل جزا كل احد اليه بتمامه فيكون هذا تخويفا شديدا للعصاه وترغيبا عظيما لاهل الطاعه المسله الثانيه هذه الايه وان نزلت في حق ابي جهل فكل من نهى عن طاعه فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاه في الدار المغصوبه والاوقات المكروهه لان المنهي عنه غير الصلاه وهو المعصيه ولا يلزم المولى يمنع عبده عن قيام الليل والصوم التطوع وزوجته عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفا مصلحته باذن ربه لا بغضا لعباده ربه ثم قال تعالى كلا وفيه وجوه احدها انه ردع لابي جهل ومنع له عن نهيه عن عباده الله وامره بعباده اللات وثانيها كلا لن يصل ابو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا او يطا عنقه بل تلميذ محمد هو الذي يقتله ويطا صدره وثالثها قال مقاتل كلا لا يعلم ان الله يرى وان كان يعلم لكن اذا كان لا ينتفع بما يعلم فكانه لا يعلم ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصيه ناصيه كاذبه خاطيه وفيه مسايل المسله الاولى في قوله لنسفعا وجوه احدها لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشي وجذبه بشده وهذا كقوله فيوخذ بالنواصي والاقدام وثانيها السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وثالثها لنسودن وجهه قال الخليل يقول للشي اذا لفحته النار لفحا يسيرا يغير لون البشره قد سفعته النار قال والسفع ثلاثه احجار توضع



عليها القدر سميت بذلك لسوادها قال والسفعه سواد في الخدين قال وبالجمله فتسويد الوجه علامة الاذلال والاهانه ورابعها لنسمنه كما قال ابن عباس في قوله سنسمه على الخرطوم انه ابو جهل وخامسها لنذلنه المسله الثانيه قرى لنسفعن بالنون المشدده اي الفاعل لهذا الفعل هو الله والملايكه على ما قال فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين وقرا ابن مسعود لاسفعن اي يقول الله تعالى يا محمد انا الذي اتولى اهانته نظيره هو الذي ايدك هو الذي انزل السكينه المسله الثالثه هذا السفع يحتمل ان يكون المراد الى النار في الاخره وان يكون المراد منه في الدنيا وهذا ايضا على وجوه احدها ما روي ان ابا جهل لما قال ان راته يصلي لاطان عنقه فانزل الله تعالى عليه هذه السوره وامره جبريل عليه السلام ان يقراها على ابي جهل ويخر لله ساجدا في اخره ففعل فعدا اليه ابو جهل ليطا عنقه فلما دنا منه نكص راجعا فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه فحلا فاغرا فاه لو مشيت اليه لالتقمني وقيل كان جبريل وميكاييل عليهما السلام على كتفيه في صوره الاسد والثاني ان يكون المراد يوم بدر فيكون ذلك بشاره بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرونه الى القتل اذا عاد الى النهي فلما عاد لا جرم مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر روي انه لما نزلت سوره الرحمن علم القران قال عليه السلام من يقراها على روسا قريش فتثاقلوا مخافه اذيتهم فقام ابن مسعود وقال انا فاجلسه عليه السلام ثم قال من يقراها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فراهم مجتمعين حول الكعبه فافتتح قراه السوره فقام ابو جهل فلطمه فانشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما راه النبي عليه السلام رق قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام يجي ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكي فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في

فاغرا فاه
اي فاتحا

الباطل وانه لا يفعل ذلك الا عنادا فلهذا قال تعالى لرسوله ارايت يا محمد
ان كذب هذا الكافر عن تلك الدلايل الواضحه وتولى عن خدمه خالقه
الم يعلم بعقله ان الله يرى من هذه الاعمال القبيحه ويعلم افلا يزجره ذلك
عن هذه الاعمال القبيحه والثاني انه خطاب للكافر والمعنى ان كان محمد
كاذبا او متوليا الا يعلم بان الله يرى حتى ينتهي بل اجترى الى نهيك اما
قوله الم يعلم بان الله يرى ففيه مسئلتان المسئله الاولى المقصود من الايه
التهديد بالحشر والنشر والمعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات حكيم لا
يهمل عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذره في الارض ولا في السما فلا بد وان
يوصل جزا كل احد اليه بتمامه فيكون هذا تخويفا شديدا للعصاه وترغيبا
عظيما لاهل الطاعه المسئله الثانيه هذه الايه وان نزلت في حق ابي جهل
فكل من نهى عن طاعه فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه
المنع من الصلاه في الدار المغصوبه والاوقات المكروهه لان المنهي عنه
غير الصلاه وهو المعصيه ولا يلزم المولى يمنع عبده عن قيام الليل والصوم
التطوع وزوجته عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفا مصلحته باذن ربه
لا بغضا لعباده ربه ثم قال تعالى كلا وفيه وجوه احدها انه ردع
لابي جهل ومنع له عن نهيه عن عباده الله وامره بعباده اللات وثانيها
كلا لن يصل ابو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا او يطا عنقه بل تلميذ
محمد هو الذي يقتله ويطا صدره وثالثها قال مقاتل كلا لا يعلم ان
ان الله يرى وان كان يعلم لكن اذا كان لا ينتفع بما يعلم فكانه لا يعلم ثم قال
لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصيه ناصيه كاذبه خاطيه وفيه مسايل
المسئله الاولى في قوله لنسفعا وجوه احدها لناخذن بناصيته و
لنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشي وجذبه بشده وهذا كقوله
فيوخذ بالنواصي والاقدام وثانيها السفع الضرب اي لنلطمن وجهه
وثالثها لنسودن وجهه قال الخليل يقول للشي اذا لفحته النار لفحا
يسيرا يتغير لون البشره قد سفعته النار قال والسفع ثلثه احجار توضع



عليها القدر سميت بذلك لسوادها قال والسفعه سواد في الخدين قال
وبالجمله فتسويد الوجه علامة الاذلال والاهانه ورابعها لنسمنه كما قال
ابن عباس في قوله سنسمه على الخرطوم انه ابو جهل وخامسها لنذلنه
المسئله الثانيه قرى لنسفعن بالنون المشدده اي الفاعل
لهذا الفعل هو الله والملايكه على ما قال فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المومنين وقرا ابن مسعود لاسفعن اي يقول الله تعالى يا محمد انا
الذي اتولى اهانته بطرده هو الذي ايدك هو الذي انزل السكينه
المسئله الثالثه هذا السفع يحتمل ان يكون المراد في النار في الاخره
وان يكون المراد منه في الدنيا وهذا ايضا على وجوه احدها ما روي ان
ابا جهل لما قال ان رايته يصلي لاطان عنقه فانزل الله تعالى عليه هذه السوره
وامره جبريل عليه السلم ان يقراها على ابي جهل ويخر لله ساجدا في
اخره ففعل فعدا اليه ابو جهل ليطا عنقه فلما دنا منه نكص راجعا
فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه فحلا فاغرا فاه لو مشيت اليه لالتقمني
وقيل كان جبريل وميكايل عليهما السلام على كتفيه في صوره الاسد والثاني
ان يكون المراد يوم بدر فيكون ذلك بشاره بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته
حتى يجرونه الى القتل اذا عاد الى النهي فلما عاد لا جرم مكنهم الله تعالى
من ناصيته يوم بدر روي انه لما نزلت سوره الرحمن علم القران قال عليه السلام
من يقراها على رؤسا قريش فتثاقلوا مخافه اذيتهم فقام ابن مسعود وقال
انا فاجلسه عليه السلم ثم قال من يقراها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود ثم
ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلم يبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر
جثته ثم انه وصل اليهم فراهم مجتمعين حول الكعبه فافتتح قراه السوره
فقام ابو جهل فلطمه فانشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما
راه النبي عليه السلم رق قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبريل عليه السلم
يجي ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكي فقال
ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في

فاغراه
اى فاتحا

الجهاد فقال عليه السلام خذ رمحك وانصرف الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك
تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابوجهل مصروع يخور فخاف
ان تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى
قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه
فارتقى اليه بحيلة فلما راه ابوجهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا
فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابوجهل بلغ صاحبك
انه لم يكن احد ابغض الي منه في حياتي ولا احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي
انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال امنت
وهو قد ازداد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع راسي بسيفي هذا لانه احد واقطع
فلما قطع راسه لم يقدر على حمله ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا لاجل ان لا
يقوى على الحمل لوجوه احدها انه كلب والكلب يجر والثاني ليشق الاذن
فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية
فيجر تلك الراس على مقدمها ثم ان ابن مسعود لما لم يطقه شق اذنه وجعل
الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد
اذن باذن لكن الراس هاهنا مع الاذن فهذا ما روي في مقتل ابي جهل نقلته
معنى لا لفظا وهو معنى قوله لنسفعا بالناصية المسئلة الرابعة الناصية شعر الجبهة
وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه تعالى كنى هاهنا عن الوجه والراس بالناصية
ولعل السبب فيه ان ابا جهل كان شديد الاهتمام بترجيل تلك الناصية وتطييبها
وربما كان يهتم ايضا بتسويدها فاخبر تعالى انه يسودها مع الوجه المسئلة
الخامسة انه تعالى عرف الناصية بحرف التعريف كانه تعالى يقول الناصية المعروفة
عندكم ذاتها لكنها مجهولة عندكم صفاتها ناصية واي ناصية كاذبة خاطئة قولا
فعلا وانما وصف بالكذب لانه كان كاذبا على الله في انه لم يرسل محمدا او كاذبا
على رسوله في انه ساحر او كذاب او ليس بنبي وقيل كذبه انه قال انا اكثر اهل
الوادي ناديا ووصف الناصية بانها خاطئة لان صاحبها متمرد على الله قال الله
تعالى لا ياكله الا الخاطئون والفرق بين الخاطي والمخطي ان الخاطي معاقب ماخوذ



والمخطي غير ماخوذ ووصف الناصية بالخاطئة الكاذبة كما وصف الوجوه بانها
ناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة المسئلة السادسة ناصية بدل من الناصية
وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفايدة المسئلة
السابعة قرى ناصية بالرفع والتقدير هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما
على الشتم واعلم ان الرسول عليه السلام لما اغلظ في القول لابي جهل وتلا
عليه هذه الايات قال يا محمد بمن تهددني واني لاكثر هذا الوادي ناديا
فافتخر بجماعة الذين كانوا ياكلون حطامه فنزل قوله فليدع ناديه سندع
الزبانية وفيه مسائل المسئلة الاولى قد مر تفسير النادي عند قوله
وتاتون في ناديكم قال ابو عبيدة ناديه اي اهل مجلسه وبالجملة فالمراد
من النادي اهل النادي ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ويسمى
ناديا لان القوم يندون اليه ندوا وندوة ومنه دار الندوة بمكة وكانوا
يجتمعون فيها للتشاور وقيل سميت ناديا لانه مجلس الندى والجود ذكر ذلك
على سبيل التهكم اي اجمع اهل الكرم والدفاع عن رعيتك فينصروك المسئلة
الثانية قال ابو عبيدة والمبرد واحد الزبانية زبنية واصله من زبنته
اذا دفعته وهو كل متمرد من انس او جن ومثله في المعنى والتقدير عفرية
يقال فلان زبنية عفرية وقال الاخفش قال بعضهم واحدها الزباني
وقال اخرون الزابن وقال اخرون هذا من الجمع الذي لا واحد له
في لغة العرب مثل ابابيل وعباديد وبالجملة فالمراد ملايكة العذاب ولا شك
انهم مخصوصون بقوة شديدة قال مقاتل هم خزنة جهنم ارجلهم في
الارض ورؤسهم في السما وقال قتادة الزبانية هم الشرط في كلام العرب
وهم الملايكة الغلاظ الشداد وملايكة النار سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اي
يدفعونهم في جهنم المسئلة الثالثة في الاية قولان الاول اي فليفعل ما
ذكره من انه يدعو انصاره ويستعين بهم في مناصبة محمد فانه لو فعل ذلك
فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لناديه وقومه بهم قال ابن عباس لو دعا
ناديه لاخذته الزبانية من ساعته معاينة وقيل هذا اخبار من الله تعالى بانه يجر

في الدنيا كالكلب وقد فعل به ذلك يوم بدر وقيل بل هذا اخبار بان الزبانيه
يجرونه في الاخرة فليدع هو ناديه حسد فليمنعوه المسله الرابعه
الفا في قوله فليدع ناديه يدل على المعجز لان هذا يكون تحريضا للكافر على
دعوه ناديه وقومه ومتى فعل الكافر ذلك ترتلت عليه دعوه الزبانيه فلما
لم يجتر الكافر على ذلك دل على ظهور معجزه الرسول المسله الخامسه
قري سندعي على المجهول وهذا السين ليس للشك فان عسى من الله واجب
وخصوصا عند بشاره الرسول بانه ينتقم له من عدوه ولعل فايده السين
هو المراد من قوله عليه السلام لانصرنك ولو بعد حين ثم قال كلا وهو ردع لابي
جهل وقيل معناه لن تصل الى ما تتصلف لن يدعو ناديه ولين دعاهم لن
ينفعوه ولين ينصروه وهو اذل واحقر من ان يقاومك ويحتمل ان ينال
ما يتمنى من طاعتك له حين نهاك عن الصلاه وقيل معناه الا لا تطعه
وهو كقوله ولا تطع المكذبين واسجد وعند اكثر اهل التاويل اراد به صل
وتوفر على عباده الله فعلا وابلاغا وليقل فكرك في هذا العدو فان الله
مقويك وناصرك وقال بعضهم بل المراد الخضوع وقال اخرون بل المراد
نفس السجود في الصلاه ثم قال واقترب والمراد وابتغ بسجودك
قرب المنزله من ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد
وقال بعضهم المراد واسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل منه حتى تبصر ما
ينالك من اخذ الزبانيه فكانه تعالى امره بالسجود ليزداد غيظ الكافر
كقوله ليغيظ بهم الكفار والسبب الموجب لازدياد الغيظ هو ان الكافر
كان يمنعه من القيام فيكون غيظه وغضبه عند مشاهده السجود
اتم ثم قال عند ذلك واقترب منه يا ابا جهل وضع قدمك عليه فان الرجل
ساجد مشغول بنفسه وهذا تهكم به واستحقار لشانه سورة القدر
بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليله القدر فيه مسايل
المسله الاولى اجمع المفسرون على ان المراد انا انزلنا القران في ليله القدر
ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر لان هذا التركيب يدل على عظم القران

نيصوره

ابال

بلغ العرض



من ثلثه اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره
والثاني انه جا بضميره دون اسمه الظاهر شهاده له بالنباهه والاستغنا
عن التصريح الا ترى انه في السوره المتقدمه لم يذكر اسم ابي جهل ولم يخف
على احد لاشتهاره وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم لم يذكر الموت لشهرته
فكذا ههنا والثالث تعظيم الوقت الذي انزل فيه المسله الثانيه انه تعالى
قال في بعض المواضع اني كقوله اني جاعل في الارض خليفه وفي بعض المواضع
انا كقوله انا انزلناه في ليله القدر انا نحن نزلنا الذكر انا ارسلنا نوحا
انا اعطيناك الكوثر واعلم ان قوله انا تاره يراد به الجمع وتاره يراد به
التعظيم وحمله على الجمع محال لان الدلايل دلت على وحدة الصانع ولانه
لو كان في الالهه كثره لانحطت رتبه كل واحد منهم عن الالهيه لانه لو كان
كل واحد منهم قادرا على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم عن كل واحد
منهم وكونه مستغنى عنه نقص في حقه فيكون الكل ناقصا وان لم يكن كل واحد
منهم قادرا على الكمال كان ناقصا فعلمنا ان قوله انا محمول على التعظيم
لا على الجمع المسله الثالثه ان قيل ما معنى انه انزل ليله القدر مع العلم
بانه انزل نجوما قلنا فيه وجوه احدها قال الشعبي ابتدا بانزاله ليله
القدر لان المبعث كان في رمضان والثاني قال ابن عباس انزل الى
سما الدنيا جمله ليله القدر ثم الى الارض نجوما كما قال فلا اقسم بمواقع
النجوم وقد ذكرنا هذه المسله في قوله شهر رمضان الذي انزل فيه
القران لا يقال فعلى هذا القول لم لم يقل انزلناه الى السما لان اطلاقه يوهم
الانزال الى الارض لانا نقول لان انزاله الى السما كانزاله الى الارض لانه لم يكن ليشرع
في امر ثم لا يتمه وهو كغايب جا الى نواحي البلد يقال جا فلان او يقال
الغرض من تقريبه وانزاله الى سما الدنيا ان يشوقهم الى نزوله كمن يسمع
الخبر بمجي منشور لوالده او امامه فانه يزداد شوقه الى مطالعته كما قال
وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الخيام الى الخيام ۞ وهذا لان
السما كالمشترك بيننا وبين الملايكه فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينه كما قال

صح

وجعلنا السما سقفا فانزال القران هناك كانزاله هاهنا والوجه الثالث
في الجواب ان التقدير انزلنا هذا الذكر في ليلة القدر اي في فضل ليلة القدر
وبيان شرفها المسئله الرابعه القدر مصدر قدرت اقدر قدرا والمراد
به ما يمضيه الله من الامور وقال انا كل شي خلقناه بقدر والقدر والقدر واحد
الا انه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم قال الواحدي القدر في اللغه بمعنى
التقدير وهو جعل الشي على مساواه غيره من غير زياده ولا نقصان واختلفوا
في انه لم سميت هذه الليله بليلة القدر على وجوه احدها انها ليلة تقدير
الامور والاحكام قال عطا عن ابن عباس ان الله تعالى قدر ما يكون في كل
تلك السنه من مطر ورزق واحيا واماته الى مثل هذه الليله من السنه الاتيه ونظيره
قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله لا يحدث في تلك الليله
فانه تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل بل المراد
اظهار تلك المقادير للملايكه في تلك الليله بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا
القول اختيار عامه العلما الثاني نقل عن الزهري انه قال ليلة القدر
ليلة العظمه والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اي منزله وشرف ويدل
عليه قوله ليلة القدر خير من الف شهر ثم هذا يحتمل وجهين احدهما ان
يرجع ذلك الى الفاعل اي من اتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف وثانيهما
الى الفعل اي الطاعات لها في تلك الليله قدر زايد وشرف زايد وعن
ابي بكر الوراق سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك
ذي قدر على امة لها قدر ولعل الله تعالى انما ذكر لفظ القدر في هذه
السوره ثلث مرات لهذا السبب القول الثالث ليلة القدر اي الضيق
فان الارض تضيق عن الملايكه المسئله الخامسه انه تعالى اخفى
هذه الليله لوجوه احدها انه تعالى اخفاها كما اخفى ساير الاشيا فانه
اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى غضبه في المعاصي
ليحترزوا عن الكل واخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل واخفى الاجابه
في الدعا ليبالغوا في كل الدعوات واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما



واخفى الصلاه الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى قبول التوبه ليواظب المكلف
على جميع اقسام التوبه واخفى وقت الموت ليخاف المكلف فكذا اخفى هذه
الليله ليعظموا جميع ليالي رمضان وثانيها كانه تعالى يقول لو عينت ليلة القدر
وانا عالم بتجاسرك على المعصيه فربما دعتك الشهوة في تلك الليله الى المعصيه فوقعت
في الذنب فكانت معصيتك مع علمك اشد من معصيتك لا مع علمك فلهذا السبب
اخفيته عليك روي ان عليه السلام دخل المسجد فراى نايما فقال يا علي نبهه ليتوضا
فايقظه علي ثم قال علي يا رسول الله انك سباق الى الخيرات فلم لم تنبهه قال
لان رده علي كفر ورده عليك ليس بكفر ففعلت ذلك لتخف جنايته لو ابى فاذا
كان هذا رحمة الرسول فقس عليه رحمة الرب تعالى وكانه تعالى يقول اذا
علمت ليلة القدر فان اطعت فيه اكتسبت ثواب الف شهر وان عصيت فيه
اكتسبت عقاب الف شهر ودفع العقاب اولى من جلب الثواب وثالثها
اني اخفيت هذه الليله حتى يجتهد المكلف في طلبها فيكتسب ثواب الاجتهاد ورابعها
ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر فيباهي الله تعالى ملايكته ويقول كنتم تقولون فيهم
يفسدون ويسفكون الدما فهذا جده واجتهاده في الليله المظنونه فكيف لو جعلتها
معلومه له فحينيذ يظهر سر اني اعلم ما لا تعلمون المسئله السادسه اختلفوا في
ان هذه الليله هل تستتبع اليوم قال الشعبي نعم يومها كليلتها ولعل الوجه فيه
ان ذكر الليالي يستتبع الايام ومنه اذا نذر اعتكاف ليلتين لزمناه بيومهما وقال
تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه اي اليوم يخلف ليلته وبالضد المسئله
السابعه هذه الليله هل هي باقيه قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران
يقول انقطعت وكانت مره والجمهور على انها باقيه وعلى هذا هل هي مختصه
برمضان ام لا روي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها وفسرها
عكرمه بليلة البراه في قوله انا انزلناه في ليلة مباركه والجمهور على انها مختصه
برمضان واحتجوا عليه بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال
انا انزلناه في ليلة القدر فوجب ان يكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم
التناقض وعلى هذا القول اختلفوا في تعيينه على ثمانيه اقوال فقال ابن رزين

فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان على رجاء انه
ربما كانت هذه الليله هي ليلة القدر

ليلة القدر هي الليلة الاولى من رمضان وقال الحسن البصري السابعة عشر
وعن انس مرفوعا التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرون وعن
ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال ابو ذر
الغفاري الخامسة والعشرون وقال ابي بن كعب وجماعة من الصحابة السابع والعشرون
وقال بعضهم التاسعة والعشرون اما الذين قالوا انها الليلة الاولى فالوا روي
وهب ان صحف ابرهيم انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتورية لست ليال
مضين من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود
لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التورية بخمسمائة عام وانزل الانجيل على عيسى
لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما وكان
القران ينزل على النبي عليه السلام في كل ليلة قدر من السنة الى السنة كان جبريل عليه السلام
ينزل به من بيت العزة في السماء السابعة الى سماء الدنيا فانزل الله تعالى القران
في عشرين شهرا في عشرين سنة فلما كان هذا الشهر هو الشهر الذي حصلت
فيه هذه الخيرات العظيمة لا جرم كان في غاية الشرف والقدر والرتبة فكانت
الليلة الاولى منه ليلة القدر واما الحسن البصري فانه قال هي ليلة سبع عشرة
لانها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر واما التاسعة عشر فقد روي انس فيها
خبرا واما ليلة الحادي والعشرين فقد مال الشافعي اليه لحديث الماء والطين
والذي عليه المعظم انها ليلة السابع والعشرين وذكروا فيه امارات ضعيفة
احدها حديث ابن عباس ان السورة ثلثون كلمة وقوله هي هي السابعة
والعشرون منها وثانيها روي ان عمر سال الصحابة ثم قال لابن عباس غص
يا غواص فقال زيد ابن ثابت احضرت اولاد المهاجرين وما احضرت
اولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا غلام ولكن عنده ما ليس عندكم فقال
ابن عباس احب الاعداد الى الله الوتر واحب الوتر اليه السبع فذكر السموات
السبع والارضين السبع والاسبوع ودركات النار وعدد الطواف والاعضا
السبعة فدل على انها السابعة والعشرون وثالثها نقل ايضا عن ابن عباس
انه قال ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور ثلث مرات فتكون السابعة

لثنتي

والعشرين ورابعها انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر
يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة
والعشرون من رمضان واما من قال انها هي الليلة الاخرة قال لانها هي الليلة
التي تتم فيها طاعات هذا الشهر بل اول رمضان كادم واخره كمحمد ولذلك روي
في الحديث يعتق في اخر رمضان بعدد ما اعتق من اول الشهر بل الليلة الاولى
كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وقد
علمت فرق ما بين الصبر والشكر ثم قال تعالى وما ادريك ما ليلة القدر
يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم انه تعالى بين فضيلتها من
ثلثة اوجه الاول قوله ليلة القدر خير من الف شهر وفيه مسايل المسئلة الاولى
في تفسير الاية وجوه احدها ان العبادة فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه
الليلة لانه كالمستحيل ان يقال انها خير من الف شهر فيها هذه الليلة وانما كان
كذلك لما يوتي الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير وثانيها قال
مجاهد كان في بني اسرايل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل
ذلك الف شهر فتعجب رسول الله والمسلمون من ذلك فانزل الله هذه الاية اي
ليلة القدر لامتك خير من الف شهر لذلك الاسرايلي الذي حمل السلاح الف
شهر وثالثها قال مالك بن انس اري رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار الناس
فاستقصر اعمار امته وخاف ان لا يبلغوا من الاعمال مثل ما بلغ ساير الامم فاعطاه
الله ليلة القدر وهو خير من الف شهر لساير الامم ورابعها روي القسم بن فضل
عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن بن علي يا مسود وجوه المومنين عمدت الى
هذا الرجل فبايعت له يعني معاوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راي
في منامه بني امية يطاون منبره واحدا بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره
نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله
خير من الف شهر يعني ملك بني امية قال القسم فحسبنا ملك بني امية فاذا هو
الف شهر طعن القاضي في هذه الوجوه فقال ما ذكر من الف شهر في ايام بني
امية بعيد لانه تعالى لا يذكر فضلها بذكر الف شهر مذمومة وايام بني امية كانت

ارى

مذمومه واعلم ان هذا الطعن ضعيف و ذلك لان ايام بني اميه كانت اياما
عظيمه بحسب السعادات الدنيويه فلا يمتنع ان يقول الله اني اعطيتك ليله هي في
السعادات الدينيه افضل من تلك السعادات الدنيويه المسئله الثانيه هذه
الايه فيها بشاره عظيمه وفيها تهديد عظيم اما البشاره فهي انه تعالى ذكر ان هذه
الليله خير ولم يبين قدر الخيريه وهذا كقوله عليه السلم لمبارزه علي مع عمرو بن
عبد ود افضل من عمل امتي الى يوم القيامه فلم يقل مثل عمله بل قال افضل
كانه يقول حسبك هذا من الوزن والباقي جزاف واعلم ان من احياها فكانه
عبد الله نيفا وثمانين سنه ومن احياها كل سنه فكانه رزق اعمارا كثيره ومن احيا
الشهر لينال ها بيقين فكانه احيا ثلثين قدرا يروى انه يجاء يوم القيمه بالاسرايلي
الذي عبد الله اربعمايه سنه ويجاء برجل من هذه الامه وقد عبد الله اربعين
سنه فيكون ثوابه اكثر فيقول الاسرايلي انت العدل واري ثوابه اكثر فيقول
لانكم تخافون العقوبه المعجله فتعبدون وامة محمد كانوا امنين لقوله وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم انهم كانوا يعبدونني فلهذا السبب كانت عبادا
تهم افضل واما التهديد فهو انه تعالى توعد صاحب الكبيرة بالدخول
في النار وان احياء مايه ليله من القدر لا يخلصه عن ذلك العذاب المستحق
بتطفيف حبه واحده فهذا فيه اشاره الى تعظيم حال الذنب والمعصية
المسئله الثالثه لقايل ان يقول صح عن رسول الله عليه السلم انه قال
اجرك على قدر نصبك ومن المعلوم ان الطاعه في الف شهر اشق من الطاعه
في ليله واحده فكيف يعقل استواؤهما والجواب من وجوه احدها
ان الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف
الوجوه المنضمه اليه الا ترى ان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بكذا
درجه مع ان الصورة قد تنقص فان المسبوق سقطت عنه ركعة واحده
وايضا فانت تقول لمن يرجم انه انما يرجم لانه زاني فهو قول حسن ولو
قلته للنصراني فقذف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو يوجب الحد فقد
اختلفت الاحكام في هذه المواضع مع ان الصوره واحده بل لو قلته في

الكلب



حق عايشه كان كفرا ولذلك قال وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وذلك
لان هذا الطعن في حق عايشه التي كانت رحلة في العلم لقوله خذوا ثلثي دينكم من
هذه الحميرا وطعن في صفوان مع انه كان رجلا بدويا وطعن في كافة المومنين
لانها ام المومنين وللولد حق المطالبه بقذف الام وان كان كافرا بل طعن في النبي
الذي كان اشد خلق الله غيرة بل طعن في حكمة الله اذ لا يجوز ان يتركه حتى
يتزوج بامراه زانيه ثم القايل يقول هذا زاني فقد ظن ان هذه اللفظه سهله
مع انها اثقل من الجبال فقد ثبت بهذا ان الافعال يختلف اثارها في الثواب
والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد ان تكون الطاعه القليله في الصورة
مساويه في الثواب للطاعات الكثيره والوجه الثاني في الجواب ان مقصود
الحكيم سبحانه ان يجر الخلق الى الطاعات فتاره يجعل ثمن الطاعه ضعفين
فقال ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ومره عشرا ومره سبعمايه وتاره
بحسب الازمنه وتاره بحسب الامكنه والمقصود الاصلي من الكل جر المكلف
الى الطاعه وصرفه عن الاشتغال بالدنيا فتاره يرجح البيت وزمزم على ساير
البلاد وتاره يفضل رمضان على ساير الشهور وتاره يفضل الجمعه على
ساير الايام وتاره يفضل ليلة القدر على ساير الليالي والمقصود ما ذكرناه
الوجه الثاني من فضايل هذه الليله قوله تعالى تنزل الملايكه والروح
فيها فيه مسايل المسئله الاولى اعلم ان نظر الملايكه الى الارواح ونظر البشر
على الاشباح ثم ان الملايكه لما راوا روحك محلا للصفات الذميمة من الشهوه
والغضب ما قبلوك فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وابواك لما راوا
قبح صورتك في اول الامر حين كنت منيا ما قبلوك ايضا بل اظهروا النفره
واستقذروا ذلك المني والعلقه وغسلوا ثيابهم عنه ثم احتالوا
للاسقاط والابطال ثم انه تعالى لما اعطاه الصوره الحسنه فالابوان
لما راوا تلك الصوره الحسنه قبلوك ومالوا اليك فكذا الملايكه لما راوا
في روحك الصور الحسنه وهي معرفه الله وطاعته احبوك فنزلوا
اليك معتذرين عما قالوه اولا فهذا هو المراد من قوله تنزل الملايكه

فاذا نزلوا اليك دار وحد في ظلمه ليل البدن وظلمه القوى الجسمانيه فحينئذ
يعتذرون عما تقدم ويستغفرون للذين امنوا المسئله الثانيه ان قوله تعالى
تنزل الملائكه يقتضي ظاهره نزول كل الملائكه ثم ان الملائكه لهم كثره عظيمه لا
يحتمل كلهم الارض فلهذا السبب اختلفوا فقال بعضهم انها تنزل باسرهم الى السما
الدنيا فان قيل الاشكال بعد باق لان السما مملوة بحيث لا يوجد فيه موضع
اهاب الا وفيه ملك وكيف يسع الجميع سما واحده قلنا يقتضي بعموم الكتاب على
خبر الواحد كيف والمروي انهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد
كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبه بالكليه لكن الناس بين داخل وخارج
ولهذا السبب مده الى غايه طلوع الفجر ولذلك ذكره بلفظ تنزل الذي
يفيد المره بعد المره والقول الثاني وهو اختيار الاكثرين انهم
ينزلون الى الارض وهو الاوجه لان الغرض هو الترغيب في احيا هذه
الليله ولانه دلت الاحاديث على ان الملائكه ينزلون ساير الايام الى مجالس
الذكر والدين فلان يحصل ذلك في هذه الليله مع علو شانها اولى ولان النز
ول المطلق لا يفيد الا النزول من السما الى الارض ثم اختلف من قال
ينزلون الى الارض على وجوه احدها قال بعضهم ينزلون ليروا
عباده البشر وجدهم واجتهادهم في الطاعه وثانيها ان الملائكه
قالوا وما نتنزل الا بامر ربك فهذا يدل على انهم كانوا مامورين بذلك
بذلك النزول فلا يدل على غايه المحبه اما هذه الايه وهو قوله باذن
ربهم فانها تدل على انهم استاذنوا اولا فاذنوا وذلك يدل على غايه
المحبه لانهم كانوا يرغبون الينا ويتمنون لقانا لكن كانوا ينتظرون الاذن
فان قيل قوله وانا لنحن الصافون ينافي قوله تنزل الملائكه قلنا
يصرف الحالتان الى زمانين مختلفين وثالثها انه تعالى وعد في الاخره ان
الملائكه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فهاهنا في الدنيا
لو اشتغلت بعبادتي لنزلت الملائكه عليك حتى يدخلوا عليك للتسليم وا
لزياره روي عن النبي عليه السلم انهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا



فمن اصابته التسليمه غفر له ذنبه ورابعها ان الله تعالى جعل فضيله هذه
الليله في الاشتغال بطاعته في الارض فهم ينزلون الى الارض لتصير طاعاتهم
اكثر ثوابا كما ان الرجل يذهب الى مكه لتصير طاعاته هناك اكثر ثوابا وكل ذلك
ترغيب للانسان في الطاعه وخامسها ان الانسان ياتي بالطاعات والخيرات
عند حضور الاكابر من العلما والزهاد احسن مما يكون في الخلوه فالله تعالى
انزل الملائكه المقربين حتى ان المكلف يعلم انه انما ياتي بالطاعات في حضور
اولئك العلما العباد الزهاد فيكون اتم وعن النقصان ابعد وسادسها
ان من الناس من خص لفظ الملائكه ببعض فرق الملائكه عن كعب ان سدره المنتهى
على حد السما السابعه مما يلي الجنه فهي على حد هوا الدنيا وهوا الاخره
وساقها في الجنه واغصانها تحت الكرسي فيها ملائكه لا يعلم عددهم الا
الله يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي
الرافه والرحمه للمومنين ينزلون مع جبريل ليله القدر فلا يبقى بقعه من
الارض الا وعليها ملك ساجدا وقايم يدعوا للمومنين والمومنات وجبريل
لا يدع احدا من الناس الا صافحهم وعلامه ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه
ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحه جبريل من قال فيها ثلث مرات
لا اله الا الله غفر له بواحده ونجاه من النار بواحده وادخله الجنه
بواحده واول من يصعد جبريل حتى يصير امام الشمس فيبسط جناحين
اخضرين لا ينشرها الا تلك الساعه من يوم تلك الليله ثم يدعو ملكا ملكا
فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكه ونور جناح جبريل فيقيم جبريل ومن
معه من الملائكه بين الشمس وسما الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعا
والرحمه والاستغفار للمومنين ولمن صام رمضان احتسابا فاذا امسوا
دخلوا السما الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع اليهم ملائكه السما فيسا
لونهم عن رجل رجل وعن امراه امراه حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف
وجدتموه فيقولون وجدناه عام اول متعبدا وفي هذا العام مبتدعا
وفلان كان عام اول مبتدعا وهذا العام متعبدا فيكفون عن الدعا

للاول ويشتغلون بالدعا للثاني ووجدنا فلانا تاليا وفلانا راكعا وفلانا
ساجدا فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا الى السما الثانيه وهكذا يفعلون
في كل سما حتى ينتهوا الى السدره فيقول لهم السدره يا سكاني حدثوني
عن الناس فان لي عليكم حقا واني احب من احب الله فذكر كعب انهم يعدون
لها الرجل والمراه باسمايهم واسما ابايهم ثم يصل ذلك الخبر فيقول الجنه اللهم
عجلهم الي والملايكه واهل السدره يقولون امين امين واذا عرفت ذلك
فنقول كلما كان المجمع اعظم كان نزول الرحمه اكثر ولذلك فان اعظم
الجموع في موقف الحج لاجرم كان نزول الرحمه هناك اكثر فلذا في ليله
القدر يحصل مجمع الملايكه المقربين فلاجرم كان نزول الرحمه اكثر
المسله الثالثه ذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو
التقم السموات والارضين كانت ذلك له لقمه واحده وثانيها طايفه من
الملايكه لا تراهم الملايكه الا ليله القدر كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد
وثالثها خلق من خلق الله ياكلون ويلبسون ليسوا من الملايكه ولا
من الانس ولعلهم خدم اهل الجنه ورابعها يحتمل ان عيسى عليه السلم
لانه اسمه ثم انه ينزل في موافقه الملايكه ليطالع امه محمد وخامسها
انه القران وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسادسها الرحمه قرى
لا تياسوا من روح الله بالرفع كانه تعالى يقول الملايكه ينزلون ورحمتي تنزل
في اثرهم فيجدون سعاده الدنيا وسعاده الاخره وسابعها الروح
اشرف الملايكه وثامنها عن ابن ابي نجيح الروح هم الحفظه والكرام
الكاتبون فصاحب اليمين يكتب اتيانه بالواجب وصاحب الشمال يكتب
تركه للقبيح والاصح ان الروح هاهنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزياده
شرفه كانه تعالى يقول الملايكه في كفه والروح في كفه اما قوله تعالى
باذن ربهم فقد ذكرنا ان هذا يدل على انهم كانوا مشتاقين الينا فان
قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثره معاصينا قلنا لا يقفون على
تفصيل المعاصي روي انهم يطالعون اللوح فيرون فيها طاعه المكلف مفصله

حتى

الى الجنة



فاذا وصلوا الى معاصيه ارخي الستر فلا يرونه فحينيذ يقولون سبحان من
اظهر الجميل وستر القبيح ثم قد ذكرنا فوايد في نزولهم ونذكر الان فوايد اخرى
وحاصلها انهم يرون في الارض من انواع الطاعات اشيا ما راوها في
عالم السموات احدها ان الاغنيا يجيون بالطعام من بيوتهم فيجعلونها
ضيافه للفقرا ياكلون طعام الاغنيا ويعبدون الله وهذا نوع من الطاعه
لا يوجد في السموات وثانيها انهم يسمعون انين العصاه وهذا لا يوجد
في السموات وثالثها انه تعالى قال لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين
فقالوا تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت
تسبيحنا وكيف لا يكون احب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين
وانين العصاه اظهار لغفاريه رب الارض والسموات المسله الثانيه
هذه الايه داله على عصمه الملايكه ونظيرها قوله وما نتنزل الا بامر ربك في قوله
لا يسبقونه بالقول وفيها دقيقه وهي انه تعالى لم يقل ماذونين بل قال
باذن ربهم وهو اشاره الى انهم لا يتصرفون تصرفا ما الا باذنه ومن ذلك
قول الرجل لامراته ان خرجت الا باذني فانه يعتبر الاذن في كل خرجه
المسله الثالثه قوله ربهم يفيد تعظيما للملايكه وتحقيرا للعصاه كانه
تعالى قال كانوا لي فكنت لهم ونظيره في حقنا ان ربكم الله الذي خلق
السموات وقال لمحمد عليه السلم واذ قال ربك ثم ما روي ان داود لما مرض
مرض الموت قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فنزل الوحي وقال قل لسليمان
فليكن لي كما كنت لي وروي عن ابرهيم الخليل عليه السلم انه فقد الضيف
اياما فخرج بالسفره يلتمس ضيفا فاذا بخيمه فنادى اتريدون الضيف
فقيل نعم فقال للمضيف ايوجد عندك لبن او عسل فرفع الرجل صخرتين
وضرب احدهما بالاخر فانشقتا فخرج من احدهما اللبن ومن الاخر
العسل فتعجب ابرهيم وقال انا خليلك ولم اجد مثل ذلك الاكرام فقال
فنزل الوحي يا خليلي كان لنا فكنا له اما قوله تعالى من كل امر
فمعناه تنزل الملايكه والروح فيها من اجل كل امر والمعنى ان كل

ح

ونظيره

ادام

واحد منهم انما نزل لمهم اخر ثم ذكروا فيه وجوها احدها انهم كانوا
في اشغال كثيره فبعضهم بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالدعا
وكذا القول في التفكر والتعلم وابلاغ الوحي وبعضهم لادراك فضيله
الليله او ليسلموا على المومنين وثانيها وهو قول الاكثرين من اجل كل
امر قدر في تلك السنه من خير او شر وفيه اشاره الى ان نزولهم انما كانت
عبادة فكانهم قالوا ما نزلنا الى الارض لهوا لكن لاجل كل امر فيه مصلحة
المكلفين وعم لفظ الامر ليعم خير الدنيا والاخره بيانا منه انهم ينزلون بما هو
صلاح المكلف في دينه ودنياه كان السايل يقول من اين جيت فيقول مالك
وهذا الفضول ولكن قل لاي امر جيت لان خطك وثالثها قرا بعضهم
من كل امرئ اي من اجل كل انسان روي انهم لا يلقون مومنا ولا مومنه الا
سلموا عليه ان قيل اليس قد روي انه يقسم الاجال والارزاق ليله النصف
من شعبان والان يقولون ان ذلك يكون ليله القدر قلنا عن النبي عليه السلم
انه قال ان الله يقدر المقادير في ليله البراه فاذا كان ليله القدر يسلمها الى
الى اربابها وقيل يقدر ليله البراه الاجال والارزاق وليله القدر يقدر
الامور التي فيها الخير والبركه والسلامه وقيل يقدر في ليله القدر ما يتعلق
به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين واما ليله البراه فيكتب فيها
اسما من يموت ويسلم الى ملك الموت الوجه الثالث من فضايل هذه
الليله قوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر وفيه مسايل المسله الاولى
في قوله سلام وجوه احدها ان ليله القدر الى طلوع الفجر سلام اي
تسلم الملايكه على المطيعين وذلك لان الملايكه ينزلون فوجا فوجا من ابتدا
الليل الى طلوع الفجر ولترادف النزول وكثره السلام وتتابعها وصفت
الليله بانها سلام ثم يحتمل ان لا يستحق هذا السلام لان شيعه من الملايكه
سلموا على الخليل في قصه العجل الحنيذ فازداد فرحه بذلك على فرحه
بملك الدنيا بل الخليل لما سلم الملايكه عليه صار نار نمرود بردا وسلاما فلا
تصير ناره تعالى ببركه تسليم الملايكه عليه بردا وسلاما لكن ضيافه الخليل



مشويا

لهم كانت عجلا محنوذا وهم يريدون زمنا قليلا مشويا بل فيه دقيقه وهي اظهار فضل
هذه الامه فان هناك الملايكه نزلوا على الخليل وهاهنا نزلوا على امه محمد عليه السلم
وثانيها انها سلام من الشرور والافات اي سلامه وهذا كما يقال انما فلان حج وغزو
اي هو ابدا مشغول بهما ومثله فانما هي اقبال وادبار وقالوا تنزل الملايكه والروح
في ليله القدر بالخيرات والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شي فما ينزل
في هذه الليله فهو سلام اي سلامه ونفع وخير وثالثها قال ابو مسلم سلام
اي الليله سالمه عن الرياح والاذى والصواعق الى ما شابه ذلك ورابعها
سلامه لا يستطيع الشيطان فيها سوا وخامسها ان الوقف عند قوله
من كل امر سلام فيصل السلام بما قبله ومعناه ان تقدير الخير والبركه والسلامه
يدوم الى طلوع الفجر وهذا الوجه ضعيف وسادسها انها من اولها الى
مطلع الفجر سالمه في ان العباده كل واحد من اجزاها خير من الف شهر
ليست كساير الليالي في انه يستحب للفرض الثلث الاول وللعباده النصف وللدعا
السحر بل هي متساويه الاوقات والاجزا وسابعها سلام هي اي جنه هي
لان السلام من اسما الجنه دار السلام اي دار الجنه المصوغه من السلامه
المسله الثانيه المطلع الطلوع يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والمعنى
انه يدوم ذلك السلام الى طلوع الفجر ومن قرا بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع
وكذا مكان الطلوع مطلع قاله الزجاج اما ابو عبيد والفرا وغيرهما فانهم اختا
فتح اللام لانه بمعنى المصدر وقالوا الكسر اسم نحو المشرق ولا معنى لاسم موضع
الطلوع هاهنا بل ان حمل على ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح قال ابو
علي ويمكن حمله على المصدر ايضا لان من المصادر التي ينبغي ان يكون على
المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمعجز وقوله ويسالونك عن المحيض فكذلك
كسر المطلع جا شاذا عما عليه بابه

## سورة لم يكن

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينه رسول من الله يتلوا صحفا مطهره فيها كتب قيمه
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينه اعلم ان في الايه مسايل

روا

بلغ العرض

المسئلة الاولى قال الواحدي رحمه الله في كتاب البسيط هذه الاية من اصعب
ما في القران نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلما ثم انه رحمه الله لم يلخص
كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين
كفروا منفكين حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون
عماذا لكنه معلوم ان المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين
كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتها
الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال
بعد ذلك وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وهذا يقتضي
ان كفرهم قد ازداد عند مجي الرسول فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والاية الثانية
مناقضة في الظاهر هذا منتهى الاشكال فيما اظن والجواب عنه من وجوه
اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف هو ان الكفار من
الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد عليه السلام لا
ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو
مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا
يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع
الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم
على الكفر الا مجي الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق لمن يعظه لست بممتنع
مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فلما رزقه الله الغنى ازداد
فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك
في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وحاصل
هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب هو اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان خلاف
ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم
وان جاتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال هكذا ذكره القاضي

بما



الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شي وثالثها ان لا نحمل قوله
منفكين عن الكفر بل على كونهم منفكين عن ذكر محمد بالمناقب
والفضائل والمعنى لم يكن الذين كفروا منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل
حتى تاتيهم البينة قال ابن عرفة اي حتى اتتهم فاللفظ لفظ المضارع
ومعناه الماضي وهو كقوله تعالى ما تتلوا الشياطين اي ما تلت والمعنى انهم
ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد تفرقوا فيه وقال كل احد
فيه قولا اخر ردياء ونظيره قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به والقول المختار في هذه الاية
هو الاول وفي الاية وجه رابع وهو انه تعالى حكم على الكفار انهم ما كانوا
منفكين عن كفرهم الى وقت مجي الرسول وكلمة حتى تقتضي ان يكون الحال بعد
ذلك بخلاف ما كان قبل ذلك والامر هكذا كان لان ذلك المجموع ما بقوا على
الكفر بل تفرقوا فمنهم من صار مومنا ومنهم من صار كافرا ولما لم يبق حال
اولئك الجمع بعد مجي الرسول كما كان قبل مجيه كفى ذلك في العمل بمدلول
لفظ حتى وفيها وجه خامس وهو ان الكفار كانوا قبل مبعث الرسول
منفكين عن التردد في كفرهم بل كانوا جازمين به معتقدين في حقيته ثم زال
ذلك الجزم بعد مبعث الرسول بل بقوا شاكين متحيرين في ذلك الدين وفي
ساير الاديان ونظيره قوله كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين والمعنى ان الدين الذي كانوا عليه صار كانه اختلط
بلحمهم ودمهم فاليهودي كان جازما في يهوديته وكذا النصراني وعابد
الوثن فلما بعث محمد عليه السلام اضطربت الخواطر والافكار وتشكك كل
احد في دينه ومذهبه ومقالته وقوله تعالى منفكين مشعر بهذا لان انفكاك
الشي عن الشي هو انفصاله عنه فمعناه ان قلوبهم ما خلت عن تلك العقائد
وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم ان بعد المبعث لم يبق الامر على تلك
الحالة المسئلة الثانية الكفار كانوا جنسين احدهما اهل الكتاب
كفرق اليهود والنصارى وكانوا كفارا باحداثهم في دينهم ما كفروا به

كقولهم عزير بن الله والمسيح بن الله وتحريفهم كتاب الله ودينه والثاني المشركون
الذين كانوا لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله تعالى الجنسين بقوله الذين كفروا
على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل وهو قوله من اهل الكتاب
والمشركين وهاهنا سؤالان السؤال الاول تقدير الاية لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب ومن المشركين فهذا يقتضي ان اهل الكتاب منهم كافر
ومنهم ليس بكافر وهذا حق وان المشركين منهم كافر ومنهم ليس بكافر ومعلوم
ان هذا ليس بحق والجواب من وجوه احدها كلمة من هاهنا ليست
للتبعيض بل للتبيين كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وثانيها ان الذين كفروا
بمحمد بعضهم من اهل الكتاب وبعضهم من المشركين فادخال كلمة من لهذا السبب
وثالثها ان يكون المشركون ايضا وصفا لاهل الكتاب وذلك لان النصارى مثلثة
واليهود عامتهم مشبهة وهذا كله شرك وقد يقول القائل جاءني العقلاء
والظرفاء يريد بذلك قوما باعيانهم يصفهم بالامرين وقال تعالى الراكعون
الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود
الله وهذا وصف لطائفة واحدة وفي القران من هذا الباب كثير وهو ان تنعت
قوما بنعوت شتى يعطف بعضها على بعض بواو العطف ويكون الكل وصفا
لموصوف واحد السؤال الثاني المجوس هل يدخلون في اهل الكتاب
قلنا ذكر بعض العلماء انهم داخلون في اهل الكتاب لقوله عليه السلام سنوا بهم
سنة اهل الكتاب وانكره الاخرون قال لانه تعالى انما ذكر من الكفار
من كان في بلاد العرب وهم اليهود والنصارى قال تعالى حكاية عنهم ان
تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا والطائفتان هم اليهود والنصارى
السؤال الثالث ما الفائدة في تقديم اهل الكتاب في الكفر على المشركين
حيث قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الجواب ان الواو لا تفيد
الترتيب ومع هذا ففيه فوائد احدها ان السورة مدنية فكان اهل الكتاب
هم المقصودون بالذكر وثانيها انهم كانوا علماء بالكتب فكانت قدرتهم على
معرفة صدق محمد اتم فكان اصرارهم على الكفر اقبح وثالثها انهم لكونهم علماء يقتدي



غيرهم بهم فكان كفرهم اصلا لكفر غيرهم فلهذا قدموا في الذكر ورابعها انهم
لكونهم علماء اشرف من غيرهم فقدموا في الذكر السؤال الرابع لم قال من اهل
الكتاب ولم يقل من اليهود والنصارى الجواب لان قوله من اهل
الكتاب يدل على كونهم علماء وذلك يقتضي اما مزيد تعظيم فلا جرم ذكروا بهذا
اللقب دون اليهود والنصارى او لان كونه عالما يقتضي مزيد قبح في
كفره فذكروا بهذا الوصف تنبيها على تلك الزيادة من العقاب المسئلة
الثالثة هذه الاية فيها احكام تتعلق بالشرع احدها ان الله تعالى فسر قوله
الذين كفروا باهل الكتاب وبالمشركين فهذا يقتضي كون الكل واحدا في الكفر
فمن ذلك قال العلماء الكفر كله ملة واحدة فالمشرك يرث اليهودي وبالعكس
والثاني ان العطف اوجب المغايرة فلذلك يقول الذمي ليس بمشرك وقال
عليه السلام غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم فاثبت التفرقة بين الكتابي والمشرك
الثالث نبه بذكر اهل الكتاب انه لا يجوز الاغترار باهل العلم اذ قد حدث
في اهل القران مثل ما حدث في الامم الماضية المسئلة الرابعة قال القفال
رحمه الله الانفكاك هو انفراج الشيء عن الشيء واصله من الفك وهو الفتح
والزوال ومنه فككت الكتاب اذا ازلت ختمه ففتحته ومنه فكاك الرهن
وهو زوال الانغلاق الذي كان عليه الا ترى ان ضد قوله انفك الرهن
غلق الرهن ومنه فكاك الاسير وفكه فثبت ان انفكاك الشيء من الشيء هو
ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون
بدينهم تشبثا قويا لا يزايلونه الا عند مجيء البينة واما البينة فهي الحجة الظاهرة
التي بها يتميز الحق من الباطل وهو من البيان او البينونة لانها تبين الحق من
الباطل وفي المراد من البينة في هذه الاية اقوال الاول انها هي
الرسول ثم ذكروا في انه لم سمي الرسول بالبينة وجوها الاول ان ذاته
كانت بينة على نبوته وذلك لانه عليه السلام كان في نهاية الجد في تقرير النبوة
والرسالة ومن كان كذابا متصنعا فانه لا يتاتى منه ذلك الجد المتناهي فلم
يبق فيه الا ان يكون صادقا او معتوها والثاني معلوم البطلان لانه

كمال

كان في غاية العقل فلم يبق الا انه كان صادقاً الثاني ان مجموع الاخلاق الحاصلة فيه
كان بالغاً الى حد الاعجاز والجاحظ قرر هذا المعنى والغزالي رحمه الله نصره
في كتاب المنقذ فاذن لهذين الوجهين سمي هو في نفسه بانه بينة الثالث ان معجزاته
عليه السلم في غاية الظهور وكانت ايضاً في غاية الكثرة فلاجتماع هذين الامرين جعل
كانه عليه السلم في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجاً منيراً واحتج
القايلون بان المراد من البينة هو الرسول بقوله تعالى بعد هذه الاية رسول من الله
فهو رفع على البدل من البينة وقرا عبد الله رسولا حالا من البينة قالوا واللام في
قوله البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره في التورية والانجيل على لسان موسى
وعيسى او يقال انها للتفخيم اي هو البينة التي لا مزيد عليها او البينة كل البينة والتعريف
قد يكون للتفخيم وكذا التنكير وقد جمعهما الله هاهنا في حق الرسول فبدا بالتعريف
وهو لفظ البينة ثم بين بالتنكير فقال رسول اي هو رسول واي رسول ونظيره
ما ذكره الله تعالى في الساعلي في نفسه فقال ذو العرش المجيد ثم قال فعال فنكر
بعد التعريف القول الثاني ان المراد من البينة مطلق الرسل وهو قول
ابي مسلم قال المراد من قوله حتى تاتيهم البينة اي حتى تاتيهم رسل من ملايكة
الله تتلوا عليهم صحفاً مطهرة وهو كقوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتاباً من السما وكقوله بل يريد كل امري منهم ان يوتى صحفاً منشرة القول
الثالث وهو قول قتادة وابن زيد البينة هي القران ونظيره قوله اولم تاتهم
بينة ما في الصحف الاولى ثم قوله بعد ذلك رسول من الله لا بد فيه من مضاف
محذوف والتقدير وتلك البينة وحي رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة اما
قوله تعالى يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة فاعلم ان الصحف جمع الصحيفة
وهي ظرف للمكتوب وفي المطهرة وجوه احدها انها مطهرة وهو كقوله تعالى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله مرفوعة مطهرة وثانيها
مطهرة عن الذكر القبيح فان القران يذكر باحسن الذكر ويثني عليه احسن الثنا
وثالثها ان يقال مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون كقوله تعالى في
كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون واعلم ان المطهرة وان جرت نعتاً للصحف

كانت ح



في الظاهر فهي نعت لما في الصحف وهو القران وقوله كتب فيه قولان احدهما
المراد من الكتب الايات المكتوبة في الصحف والثاني قال صاحب النظم الكتب
قد يكون بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن ومنه حديث العسيف لاقضين بينكما
بكتاب الله اي بحكم الله فيحتمل ان يكون المراد من قوله كتب قيمة اي احكام قيمة اما
القيمة ففيها قولان الاول قال الزجاج مستقيمة لا عوج فيها تبين الحق من
الباطل من قام يقوم كالسيد والميت وهو كقولهم قام الدليل على كذا اظهر واستقام
الثاني ان تكون القيمة بمعنى القايمة اي هي قايمة مستقلة بالحجة والدلالة من
قولهم قام فلان بالامر يقوم به اذا اجراه على وجهه ومنه يقال للقايم بامر
القوم القيم فان قيل كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة الى الرسول مع
انه كان امياً قلنا اذا تلا مثل المسطور في تلك الصحف كان تالياً ما فيها وقد
جا في كتاب منسوب الى جعفر الصادق ان عليه السلم كان يقرا من الكتاب
وان كان لا يكتب ولعل هذا كان من معجزاته اما قوله تعالى وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة ففيه مسايل المسلة الاولى
في هذه الاية سوال وهو انه تعالى ذكر في اول السورة اهل الكتاب والمشركين
وهاهنا ذكر اهل الكتاب فقط فما السبب فيه وجوابه من وجوه احدها ان
المشركين لم يتفرقوا على دينهم فمن امن فهو المراد ومن لم يومن قبل بخلاف اهل
الكتاب الذين يقرون على كفرهم ببذل الجزية وثانيها ان اهل الكتاب كانوا
عالمين بنبوة محمد عليه السلم بسبب انهم وجدوها في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق
مع العلم كان من لا كتاب له اولى ان يدخل في هذا الوصف وهاهنا مسايل المسلة
الاولى في هذه الاية سوال المسلة الثانية قال الجبايي هذه الاية تبطل
قول القدرية الذين قالوا ان الناس يفرقوا في الشقا والسعادة في اصلاب
الابا وقبل ان تاتيهم البينة والجواب ان هذا ذلك لان المراد منه
علم الله بذلك وارادته له حاصل في الازل اما ظهوره من المكلف فانما وقع
بعد الحالة المخصوصة المسلة الثالثة قالوا هذه الاية دالة على ان الكفر
والتفرق فعلهم لا انه مقدر عليهم لانه قال الا من بعد ما جاتهم البينة ثم قال

اداه

اوتوا الكتاب اي ان الله وملايكته اتاهم ذلك فالخير والتوفيق مضاف الي
الله والشر والتفرق والكفر مضاف اليهم المسله الرابعه المقصود من هذه
الايه تسليه الرسول اي لا يغمنك تفرقهم فليس ذلك لقصور في الحجه بل لعنادهم
فسلفهم هكذا كانوا لم يتفرقوا في السبت وعباده العجل الا من بعد ما جاتهم البينه
فهي عاده قديمه لهم ثم قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وفيه مسايل المسله الاولى في قوله وما امروا وجهان احدهما ان يكون المراد
وما امروا في التوريه والانجيل الا بالدين الحنيفي فيكون المراد انهم كانوا مامورين
بذلك الا انه تعالى لما اتبعه بقوله وذلك دين القيمه علمنا ان ذلك الحكم كما انه كان
مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وثانيهما ان يكون المراد وما امر اهل
الكتاب على لسان محمد عليه السلام الا بهذه الاشيا وهذا اولى لثلثه وجوه احدها
ان الايه على هذا التقدير تفيد شرعا جديدا وحمل كلام الله على ما يكون اكثر فايده
اولي ثانيها وهو ان ذكر محمد عليه السلام قد مر هاهنا وهو قوله حتى تاتيهم البينه
وذكر ساير الانبيا عليهم السلم لم يتقدم وثالثها انه تعالى ختم الايه بقوله وذلك
دين القيمه فحكم بكون ما هو متعلق هذه الايه دينا قيما فوجب ان يكون شرعا
في حقنا سوا قلنا بانه شرع من قبلنا او شرع جديد يكون هذا بيانا لشرع
محمد عليه السلم وهذا اقول مقاتل المسله الثانيه في قوله الا ليعبدوا الله دقيقه
وهو ان هذا اللام لام الغرض فلا يمكن حمله على ظاهره لان كل من فعل فعلا
لغرض فهو ناقص لذاته مستكمل بذلك الغرض فلو فعل الله فعلا لغرض
لكان ناقصا لذاته مستكملا بالغير وهو محال ولان ذلك الغرض ان كان قديما
لزم من قدمه قدم الفعل وان كان محدثا افتقر الى غرض اخر فلزم التسلسل
وهو محال ولانه ان عجز عن تحصيل ذلك الغرض الا بتلك الواسطه فهو عاجز
وان كان قادرا عليه بتوسط تلك الواسطه عبثا فثبت انه لا يمكن حمله على ظاهره
فلا بد فيه من التاويل ثم قال الفرا العرب تجعل اللام في موضع ان في الامر
والاراده كثيرا من ذلك قوله يريد الله ليبين لكم ويريدون ليطفوا وقال في الامر
وامرنا لنسلم وهي في قراه عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله فثبت ان المراد

فيكون



وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عباره عن النيه الخالصه
والنيه الخالصه لما كانت معتبره كانت النيه معتبره فقد دلت الايه على ان كل مامور به
فلا بد فلا بد وان يكون منويا ثم قالت الشافعيه الوضو مامور به في قوله
اذا قمتم الي الصلاه فاغسلوا وجوهكم ودلت هذه الايه على ان كل مامور به يجب
ان يكون منويا فيلزم من مجموع الاثنين وجوب كون الوضو منويا واما المعتزله
فانهم يوجبون تعليل افعال الله واحكامه بالاغراض لا جرم اجروا الايه
على ظاهرها فقالوا معنى الايه وما امروا بشي الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
في ذلك الشي وهذا ايضا يقتضي اعتبار النيه في جميع المامورات فان قيل النظر
في معرفه الله تعالى مامور به ويستحيل اعتبار النيه فيه لان النيه لا يمكن اعتبارها
الا بعد المعرفه فما كان قبل المعرفه لا يمكن اعتبار النيه فيه قلنا هب انه خص عموم
الايه في هذه الصوره بحكم الدليل العقلي الذي ذكرتم فيبقى في الباقي حجه
المسله الثالثه قوله امروا مذكور بلفظ ما لم يسم فاعله وهو كقوله كتب عليكم
الصيام كتب عليكم القصاص قالوا فيه وجوه احدها كانه تعالى يقول العباده
شاقه ولا اريد مشقتك اراده اصليه بل ارادتي لعبادتك كاراده الوالده
لحجامتك ولهذا لما ال الامر الى الرحمه قال كتب ربكم على نفسه الرحمه كتب في
قلوبهم الايمان وذكر في الواقعات اذا اراد الاب من ابنه عملا يقول سعى ان تفعل
هذا ولا يامره صريحا لانه ربما يرد عليه فتغلظ جنايته فهاهنا ايضا لم يصرح بالامر
لتخف جنايه الرد وثانيها انا على القول بالحسن والقبح العقلي نقول
كانه تعالى يقول لست انا الامر للعباده فقط بل عقلك يامرك لان النهايه
في التعظيم لمن اوصل اليك نهايه الانعام واجب في العقول المسله الرابعه
اللام في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله يدل على مذهب اهل السنه حيث
قالوا العباده ما وجبت لكونها مفضيه الى ثواب الجنه او الى البعد عن
عقاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب فلو لم يحصل في الدين ثواب
ولا عقاب البته ثم امرك بالعباده وجبت لمحض العبوديه وفيها ايضا
اشاره الى ان من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقه هو الثواب

والعقاب والحق واسطه ونعم ما قيل من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني
ومن آثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول المسئلة
الخامسة العبادة هي التذلل ومنه طريق معبد اي مذلل ومن زعم انها الطاعة
فقد اخطأ لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم لكن في الشرع
صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم واعلم ان
العبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا في صفاته الذاتية
والفعلية فان كان له مثل لم يجز ان يصرف اليه النهاية في التعظيم ثم نقول لا بد
في كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قلنا ان صلاة الصبي
ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم والثاني ان يكون
مأمورا به ففعل اليهودي ليست بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير
مأمور به والنكتة الوعظية فيه ان فعل الصبي ليس بعبادة لفقد التعظيم وفعل
اليهودي ليس بعبادة لفقد الامر فكيف تكون ركعتك الناقص عبادة
ولا امر ولا تعظيم المسئلة السادسة الاخلاص هو ان يأتي بالفعل خالصا
لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الدعاء الى ذلك الفعل
والنكتة الوعظية فيه من وجوه احدها كانه تعالى يقول عبدي لا تسع
في اكثار الطاعة بل في اخلاصها لاني ما بذلت كل مقدوري لك حتى اطلب
منك كل مقدورك بل بذلت البعض فاطلب البعض نصفا من العشرين
وشاة من الاربعين لكن القدر الذي فعلته لم ارد بفعل سواك فلا ترد
بطاعتك سواي فلا تستثن من طاعتك لنفسك فضلا من ان تستثنيه لغيرك
ومن ذلك المباح الذي يوجد منك في الصلاة كالحكة والتنحنح فهو حظ
استثنيته لنفسك فانتفى الاخلاص واما الالتفات المكروه فذاك حظ الشيطان
وثانيها كانه تعالى قال يا عقل انت حكيم لا تميل الى الجهل والسفه وانا حكيم
لا افعل ذلك البتة فاذن لا تريد الا ما اريد ولا اريد الا ما تريد ثم انه سبحانه
ملك العالمين والعقل ملك لهذا البدن فكانه تعالى بفضله قال لا
تخدم الملك لكن نصطلح اجعل جميع ما فعله لاجلك هو الذي خلق لكم ما



الارض جميعا فاجعل انت ايضا جميع ما تفعله لاجلي وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين واعلم ان قوله مخلصين نصب على الحال فهو تنبيه على ما يجب من تحصيل
الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب
لوجوبه ياتي بالفعل لوجهه مخلصا لربه لا يريد رياء ولا سمعة ولا غرضا
آخر بل قالوا لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة عن النار مطلوبا وان
كان لا بد من ذلك وفي التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي
فكثيره قليل وقالوا من الاخلاص ان لا تزيد في العبادات عبادة اخرى
لاجل الغير مثلا الواجب من الاضحية شاة فان ذبحت اثنين واحدة لله وواحدة
للامير لم يجز لانه شرك وان زدت في الخشوع لان الناس يرونه لم يجز فهذا اذا
خلطت بالعبادة عبادة اخرى فكيف ولو خلطت بها محظورا مثل ان
تقدم على امامك بل لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين ولا العبيد
والاماء لانه المخلص فاذا طلبت سرورهم الذي لك لم يزل الاخلاص فكيف
اذا طلبت مسرة شهوتك كيف تبقى الاخلاص وقد اختلف الفاظ السلف في معنى
قوله مخلصين قال بعضهم مقرين بالعبادة له بالعبادة وقال آخرون قاصدين
بقلوبهم رضى الله في العبادة وقال الزجاج اي يعبدونه موحدين له لا يعبدون
معه غيره ويدل على هذا قوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اما قوله حنفاء
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ففيه اقوال الاول قال مجاهد متبعين
دين ابراهيم عليه السلام ولذلك قال ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
وهذا التفسير فيه لطيفة كانه سبحانه لما علم ان التقليد مستولي على الطباع لم يستجز
منعه عن التقليد بالكلية ولم يستجز التعويل على التقليد ايضا بالكلية فلا جرم ذكر
قوما اجمع الخلق بالكلية على تزكيتهم وهو ابراهيم ومن معه فقال قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه فكانه تعالى قال ان كنت مقلدا احدا في دينك فكن
مقلدا ابراهيم عليه السلام حيث تبرأ من الاصنام وهذا غير عجيب فانه تبرأ من نفسه
حين سلمها الى النيران وعن ماله حين بذله للضيفان وعن ولده حين بذله للقربان
بل روي انه سمع سبوح قدوس فاستطابه ولم ير شخصا فاستعاده فقال

اما بغير اجر فلا فبذل كل ما ملكه فظهر له جبريل عليه السلام وقال حق لك حيث
سماك خليلا فخذ مالك فان القايل كنت انا بل انقطع الى الله حتى عن جبريل حين
قال له اما اليك فلا فالحق سبحانه كانه يقول ان كنت عابدا فانا عبد كعبادته فاذا
لم نترك الحلال وابواب السلاطين اما نترك الحرام وموافقة الشياطين فان
لم تقدر على منا بعة ابرهيم فاجتهد في متابعة ولده الصبي كيف انقاد لحكم ربه مع
صغره ومد عنقه لحكم الرويا وان كنت دون الرجل فاتبع الموسوم بنقصان العقل
وهو ام الذبيح كيف تجرعت تلك الغصص ان المراة الحرة نصف الرجل فان
البنتين يقومان مقام الرجل الواحد في الشهادة والارث والرقيقة نصف
الحرة بدليل ان للحرة ليلتين من القسم فهاجر كانت ربع الرجل ثم انظر انها
كيف اطاعت ربها فتحملت المحنة في ولدها ~~الخليل~~ ثم صبرت حين تركها الخليل
وحيدة فريدة في جبال مكة بلا ماء ولا زاد وانصرف لا يكلمها ولا يعطف عليها
قالت الله امرك بهذا قال وهي برا بة نعم فرضيت بذلك وصبرت على تلك المشاق
والقول الثاني المراد من قوله حنيفا اي مستقيما والحنف هو الاستقامة
وانما سمي مايل القدم احنف على سبيل التفاول كقولنا للاعمى بصير وللمهلكة
مفازة ونظيره ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اهدنا الصراط المستقيم
الثالث قال ابن عباس حجاجا وذلك لانه ذكر العبادة اولا ثم قال حنفا وانما
قدم الحج على الصلاة لان في الحج صلاة وانفاق مال الرابع قال ابو قلابة الحنيف
الذي امن بجميع الرسل ولم يستثن احدا منهم فمن لم يومن بافضل الانبيا كيف
يكون حنيفا الخامس حنفا اي جامعين لكل الدين اذ الحنيفية كل الدين قال
عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة السادس قال قتادة هي الختان
وتحريم نكاح المحارم اي مختونين محرمين لنكاح الام والمحارم فقوله حنفا
اشارة الى النفي ثم اردفه بالاثبات وهو قوله ويقيموا الصلاة السابع قال
ابو مسلم اصله من الحنف في الرجل وهو ادبار ابهامها عن اخواتها حتى يقبل
على ابهام الاخرى فيكون الحنيف هو الذي يعدل عن الاديان كلها الى الاسلام
الثامن قال الربيع بن انس الحنيف الذي يستقبل القبلة بصلاته وانما قال ذلك



لانه عند التكبير يقول وجهت وجهي الى قوله حنيفا واما الكلام في اقامة الصلاة وايتا
الزكوة فقد مر مرارا كثيرة ثم قال وذلك دين القيمة وفيه مسايل المسئلة الاولى
قال المبرد والزجاج ذلك دين الملة القيمة فالقيمة نعت موصوف محذوف
والمراد من القيمة اما المستقيمة او القائمة وقد ذكرنا هذين القولين في قوله كتب
قيمة وقال الفرا هذا من اضافة النعت الى المنعوت كقوله ان هذا لهو حق
اليقين والهاء للمبالغة في قوله تعالى كتب قيمة المسئلة الثانية في هذه الاية لطايف
احداها ان الكمال في كل شي انما يحصل اذا حصل الاصل والفرع معا فقوم
اخلوا في الاعمال من غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس
فانهم ربما اتعبوا انفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق وقوم حصلوا
الاصول واهملوا الفروع وهم المرجية الذين قالوا لا يضر الذنب مع الايمان والله
تعالى خطا الفريقين في هذه الاية وبين انه لا بد من العلم والاخلاص في قوله مخلصين
ومن العمل في قوله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكوة ثم قال وذلك المجموع كله هو
دين القيمة اي البنية المستقيمة المعتدلة فكما ان مجموع الاعضا بدن واحد كذا هذا
المجموع دين واحد فقلب دينك الاعتقاد ووجهه الصلاة ولسانه الواصف
لحقيقته الزكوة لان باللسان يظهر قدر فضلك وبالصدقة يظهر قدر دينك ثم القيم
من يقوم بمصالح من يعجز عن اقامة مصالح نفسه فكانه سبحانه يقول القايم
بتحصيل مصالحك عاجلا واجلا هو هذا المجموع ونظيره قوله تعالى دينا قيما وقوله
في القران فيما يتعلق بالرشاد يهدي للتي هي اقوم لان القران هو القيم بالارشاد الى الحق ويوكده قوله
عليه السلام من كان في عمل الله كان الله في عمله واوحى الله تعالى يا دنيا من خدمك فا
ستخدميه ومن خدمني فاخدميه وثانيها ان المحسنين في افعالهم هم الحق سبحانه
وذلك بالاحسان الى عبيده والملايكة وذلك بالاشتغال بالتسبيح لخالقهم والاحسان
من الله لا من الملايكة والتعظيم والعبودية من الملايكة لا من الله ثم ان الانسان اذا حضر
عرصة القيامة يقول الله مباهيا بهم للملايكة هولاء امثالكم سبحوا وهللوا بل في بعض
الافعال امثالي احسنوا وتصدقوا ثم اني اكرمكم يا ملايكتي بمجرد ما التزم به من العبودية
وانتم تعظموني بمجرد ما فعلت من الاحسان فهولا جمعوا بين الامرين يقيموا الصلاة

اتوا بالعبودية ويبوبوا الزكوة اتوا بالاحسان فانتم صبرتم على احد الامرين وهم
صبروا على الامرين فتجي الملائكة منهم وينصبون اليهم للنظاره فلهذا قال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم افلا يكون هذا الدين قيما وثالثها ان الدين كالنفس
فحيوة الدين بالمعرفة ثم النفس العالمة بلا قدرة كالزمن العاجز والقادرة بلا علم
مجنون فاذا اجتمع العلم والقدرة كانت النفس كاملة فكذا الصلاة للدين كالعلم والزكوة
كالقدرة فاذا اجتمعا سمي الدين قيمة ورابعها وهو فائدة الترتيب ان الحكيم تعالى
امر رسوله ان يدعوهم الى اسهل شي وهو القول والاعتقاد فقال مخلصين
ثم لما اجابوه زاد مسالتهم الصلاة التي تعداد ابها سقي النفس سالمة كما كانت ثم لما
اجابوه واراد منهم الصدقة وعلم انها تشق عليهم قال لا زكوة في مال حتى يحول
عليه الحول ثم لما ذكر الكل قال وذلك دين القيمة المسئلة الثالثة احتج من قال
الايمان عبارة عن مجموع القول والاعتقاد والعمل بهذه الاية فقال مجموع القول
والعقد والعمل هو الدين والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان فاذن مجموع
القول والعقد والعمل هو الايمان انما قلنا ان مجموع القول والعقد والعمل
هو الدين لانه تعالى ذكر في هذه الاية مجموع هذه الثلثة ثم قال وذلك دين القيمة
اي وذلك المذكور هو دين القيمة وانما قلنا ان الدين هو الاسلام لقوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام وانما قلنا ان الاسلام هو الايمان لوجهين الاول
ان الايمان لو كان غير الاسلام لما كان مقبولا عند الله لقوله تعالى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه لكن الايمان بالاجماع مقبول عند الله فهو اذن عين
الاسلام والثاني قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين فاستثنا المسلم من المؤمن يدل على ان الاسلام يصدق عليه
واذا ثبت هذه المقدمات ظهر ان مجموع هذه الثلثة اعني القول والعقد والعمل
هو الايمان وحينئذ يبطل قول من قال الايمان اسم لمجرد المعرفة او لمجرد الاقرار
او لهما معا والجواب لم لا يجوز ان يكون الاشارة بقوله وذلك الى الاخلاص
فقط والدليل عليه انا على هذا التقدير لا نحتاج الى الاضمار وانتم تحتاجون الى
الاضمار فتقولون المراد وذلك المذكور ولا شك ان عدم الاضمار اولى ولئن سلمنا



ان قوله وذلك اشارة الى مجموع ما تقدم لكنه يدل على ان ذلك المجموع هو الدين القيم
فلم قلتم ان ذلك المجموع هو الدين وذلك لان الدين غير والدين القيم غير والدين القيم
هو الدين الكامل المستقل بنفسه وذلك انما يكون اذا كان الدين حاصلا وكانت اثاره
ونتائجه ايضا حاصلة معه وهي الصلاة والزكوة واذا لم يوجد هذا المجموع لم يكن
الدين القيم حاصلا لكن لم قلتم ان اصل الدين لا يكون حاصلا والنزاع ما وقع الا فيه
والله اعلم قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها اولئك هم شر البرية اعلم انه تعالى لما ذكر حال الكفار اولا في قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما
امروا الا ليعبدوا الله اعاد في اخر هذه السورة ذكرهما من الفريقين فبدا ايضا
بحال الكفار فقال ان الذين كفروا واعلم انه تعالى ذكر من احوالهم امرين احدهما
الخلود في نار جهنم والثاني انهم شر الخلق وههنا سؤالات السؤال الاول
لم قدم اهل الكتاب على المشركين في الذكر الجواب من وجوه احدها انه عليه السلام
كان يقدم حق الله سبحانه على حق نفسه الا ترى ان القوم لما كسروا رباعيته قال
اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ولما فاتته صلاة العصر يوم الخندق قال اللهم املأ
بطونهم وقبورهم نارا فكانه عليه السلام قال كانت القرية ثم على وجه الصورة وفي
يوم الخندق على وجه الشرع التي هي الصلاة ثم انه سبحانه قضاه ذلك فقال كما قدمت
حقي على حقك فانا ايضا اقدم حقك على حق نفسي فمن ترك الصلاة طول عمره
لا يكفر ومن طعن في شعرة من شعرك يكفر اذا عرفت ذلك فنقول اهل الكتاب
ما كانوا يطعنون في الله بل في الرسول واما المشركون فانهم كانوا يطعنون في الله
فلما اراد تعالى في هذه الاية ان يذكر سوء حالهم بدا اولا في الشكاية بذكر من طعن
في محمد عليه السلام وهم اهل الكتاب ثم ثانيا بذكر من طعن فيه تعالى وهم المشركون وثانيها
ان جناية اهل الكتاب في حق الرسول كانت اعظم لان المشركين راوه صغيرا ونشا
فيما بينهم ثم سفه احلامهم وابطل اديانهم وهذا امر شاق اما اهل الكتاب
فقد كانوا يستفتحون برسالته ويفرحون ببعثته فلما جاءهم انكروه مع العلم به
فكانت جنايتهم اشد السؤال الثاني لم ذكر كفروا بلفظ الفعل والمشركين

باسم الفاعل والجواب سهاعلى ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول
الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوريه والانجيل ومقرين بمبعث محمد عليه السلم ثم
انهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عباده
الاوثان وانكار الحشر والقيامه السوال الثالث ان المشركين كانوا
ينكرون الصانع وينكرون النبوه وينكرون القيامه اما اهل الكتاب فكانوا
مقرين بكل هذه الاشيا الا انهم كانوا منكرين لنبوه محمد عليه السلم فكان كفر
اهل الكتاب اخف من كفر المشركين واذا كان كذلك فكيف يجوز التسويه
بين الفريقين في العذاب والجواب يقال بير جهنام اذا كان بعيد القعر
فكانه تعالى يقول تكبروا طلبا للرفعه فصاروا الى اسفل السافلين ثم ان الفريقين
وان اشتركا في ذلك لكنه لا ينافي اشتراكهم في هذا القدر تفاوتهم في مراتب العذاب
واعلم ان الوجه في حسن هذا العذاب ان الاساه على قسمين اساه الى من اسا
اليك واساه الى من احسن اليك وهذا القسم الثاني هو اقبح القسمين والاحسان
ايضا على قسمين احسان الى من احسن اليك واحسان الى من اسا اليك وهذا
احسن القسمين فكان احسان الله الى هولا الكفار اعظم انواع الاحسان
واساتهم وكفرهم اقبح انواع الاساه ومعلوم ان العقوبه انما تكون بحسب
الجنايه فبالشتم تعزير وبالقذف حد وبالسرقه قطع وبالزنا رجم وبالقتل قصاص
وبشتم الملك يوجب التعزير والنظر الشزر الى الرسول يوجب القتل فلما
كانت جنايه هولا الكفار اعظم الجنايات لاجرم استحقوا اعظم العقوبات وهو
نار جهنم فانها نار في موضع عميق مظلم هايل لا مفر عنه البته ثم كانه قال قايل
هب انه ليس هناك رجا الفرار فهل هناك رجا الاخراج فقال لا بل يبقون خالدين
فيها فكانه قيل فهل هناك احد يرق قلبه عليهم فقال بل يذمونهم ويلعنونهم
لانهم شر البريه السوال الرابع ما السبب في انه لم يقل ههنا خالدين
فيها ابدا وقال في صفه اهل الثواب خالدين فيها ابدا الجواب
من وجوه احدها التنبيه على ان رحمته ازيد من غضبه وثانيها ان العقوبات والحدود
والكفارات تتداخل اما الثواب فاقسامها لا تتداخل وثالثها روي حكايه





عن الله انه قال يا داود حببني الى خلقي قال وكيف افعل قال اذكر لهم سعه
رحمتي فكان هذا من هذا الباب السوال الخامس كيف القراه في لفظ البريه
الجواب قرا نافع البريه بالهمز وقرا الباقون بغير همز وهو من برا الله الخلق والقياس
فيها الهمز الا انه ترك همزه كالنبي والذريه والخابيه والهمز فيه كالرد الى الاصل المتروك
في الاستعمال كما ان من همز النبي كان كذلك وترك الهمز فيه اجود وان كان الهمز
هو الاصل لان ذلك كان كالشي المرفوض المتروك وهمز من همز البريه يدل على فساد
قول من قال انه من البرا الذي هو التراب السوال الخامس ما الفايده في قوله
هم شر البريه الجواب انه يفيد النفي والاثبات اي هم دون غيرهم واعلم
ان شر البريه جمله يطول تفصيلها شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفه
محمد عليه السلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق
وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح واعلم ان
هذا تنبيه على ان وعيد علما السو اعظم من وعيد كل احد السوال السادس
هذه الايه هل هي مجراه على عمومها الجواب لا بل هو مخصوص في صورتين
احداهما ان من تاب منهم واسلم خرج عن الوعيد والثاني قال بعضهم لا يجوز
ان يدخل في الايه من مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم فاما الايه الثانيه وهي الايه
الداله على ثواب المومنين فعامه فيمن تقدم وتاخر لانهم افضل الامم قوله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريه وفيه مسايل المسله الاولى
الوجه في حسن تقديم الوعيد على الوعد وجوه احدها ان الوعيد كالدوا والوعد
كالغذا ويجب تقديم الدوا حتى اذا صار البدن نقيا انتفع بالغذا فان البدن الغير
النقي كلما غذوته زدته شرا هكذا قاله بقراط في كتاب الفصول وثانيها ان الجلد
بعد الدبغ يصير صالحا للمداس والخف اما قبله فلا ولذلك فان الانسان متى وقع في
محنه او شده رجع الى الله فاذا نال الدنيا اعرض على ما قال فلما نجاهم الى البر تولوا
وثالثها ان فيه بشاره كانه تعالى يقول لما لم يكن بد من الامرين ختمت بالوعد الذي
هو بشاره مني الى ان اختم امرك بالخير الست كنت نجسا وفي مكان نجس ثم اخرجتك
الى الدنيا طاهرا افلا اخرجك الى الجنه طاهرا المسله الثانيه احتج من قال بان

عد

من البحر

الطاعات ليست داخلة في مسمى الايمان بان الاعمال الصالحة معطوفة في هذه الاية
على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه المسلة الثالثة قال الذين امنوا ولم
يقل ان المومنين اشارة الى انهم اقاموا سوق الاسلام حال كساده وبذلوا
المهج والاموال لاجله ولهذا السبب استحقوا الفضيلة العظمى كما قال لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ولفظة امنوا اي فعلوا الايمان مرة واعلم
ان الذين يعتبرون الموافاة يحتجون بهذه الاية وذلك لانها تدل على ان من اتي
بالايمان مرة واحدة فله هذا الثواب فالذي يموت على الكفر لا يكون له هذا الثواب
فعلمنا انه ما صدر الايمان في الحقيقة قبل ذلك المسلة الرابعة قوله وعملوا
الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فلا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف
حظ فحظ الغني الاعطا وحظ الفقير الاخذ المسلة الخامسة احتج بعضهم
بهذه الاية في تفضيل البشر على الملك قالوا روى ابو هريرة انه عليه السلم قال
اتعجبون من منزلة الملايكة من الله والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المومن عند الله
يوم القيمة اعظم من ذلك اقروا ان شيتم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اوليك هم خير البرية واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لوجوه احدها ما روي
عن يزيد النحوي ان البرية بنو ادم من البرا وهو التراب فلا يدخل الملك فيه البتة
وثانيها ان قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات غير مختص بالبشر بل يدخل
فيه الملك وثالثها ان الملك خرج عن النص بساير الدلايل قالوا وذلك لان
الفضيلة اما مكتسبة او موهوبة فان نظرت الى الموهوبة فاصلهم من نور واصلك
من حما مسنون ومسكنهم دار لم يتزل فيها ابوك مع الزلة ومسكنكم ارض هي مسكن
الشياطين وايضا فمصالحنا منتظمة بهم ورزقنا في يد البعض وروحنا بيد البعض
ثم هم العلما ونحن المتعلمون ثم انظر الى عظم همتهم لا يميلون الى محقرات الذنوب
ومن ذلك فان الله تعالى لم يحك عنهم سوى دعوى الالهية حين قال ومن يقل
منهم اني اله اي لو اقدموا على ذنب فهمتهم بلغت غاية لا يليق بتلك المنزلة
الا دعوى الربوبية وانت ابدا عند البطن والفرج واما العبادة فهم اكثر
عبادة من النبي لانه تعالى مدح النبي باحيا ثلثي الليل وقال فيهم يسبحون الليل والنهار



لا يفترون ومرة لا يسامون وتمام القول في هذه المسلة قد تقدم في سورة البقرة
قوله تعالى جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه اعلم ان التفسير ظاهر ونحن
نذكر ما فيها من اللطائف وفيه مسايل المسلة الاولى اعلم ان المكلف لما تامل
وجد نفسه مخلوقا مع المحن والافات فصاغه من اخس شي في اضيق مكان
كما عرف حتى خرج باكيا للفراق لكن وحشة الحبس لا ترحم كالذي يطلق من
الحبس يغلبه البكا لا يرحم ثم لم يرحم بل شدته القابلة ولم يكن مشدودا في الرحم ثم
لم يمض قليل مدة حتى القوه في المهد وشدوه بالقماط ثم لم يمض قليل حتى سلموه
الى استاذ يحبسه في المكتب ويضربه على التعلم وهكذي الى ان بلغ الحلم ثم عند
ذلك شد عليه مسامير العقل والتكليف ثم ان المكلف يصير كالمتحير يقول من
الذي يفعل بي هذه الافعال مع اني ما صدرت عني جناية فلم يزل يتفكر حتى
ظفر بالفاعل فوجده عالما لا يشبه العالمين وقادرا لا يشبه القادرين
وعرف ان كل ذلك وان كان صورته صورة المحنة لكن حقيقته محض الكرم
والرحمة فترك الشكاية واقبل على الشكر ثم وقع في قلب العبد ان يقابل احسانه
بالخدمة والطاعة فجعل قلبه مسكنا لسلطان عرفانه فكان الحق قال
عبدي انزلت معرفتي في قلبك حتى تخرجها منه بعد ذلك او تستبقيها هناك فيقول العبد
يا رب انزلت حب الثدي في قلبي ثم اخرجته وكذا حب الاب والام وحب الدنيا
وشهواتها واخرجت الكل اما حبك وعرفانك فلا اخرجهما من قلبي ثم انه
لما بقيت المعرفة والمحبة في ارض القلب انفجر من هذا الينبوع انهار وجداول
فالجدول الذي وصل الى العين حصل منه الاعتبار وهكذا في جميع الاعضا
والجوارح فيقول الله عبدي جعلت قلبك كالجنة لي واجريت فيه تلك الانهار
دايمة مخلدة فانت مع عجزك وقصورك فعلت هذا فانا اولى بالكرم والجود
والرحمة فجنة بجنة فلهذا قال جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار بل كان الكريم الرحيم يقول عبدي اعطاني كل ما ملكه وانا اعطيه
بعض ما في ملكي وانا اولى منه بالكرم والجود فلا جرم جعلت هذا البعض جنة

موهوبا ابدا مخلدا حتى يكون دوامه وخلوده جابرا لما فيه من النقصان
الحاصل بسبب البعضية المسئلة الثانية الجزا اسم لما يقع به الكفاية ومنه اجتزات
الماشية بالحشيش الرطب عن الما فهذا يفيد معنيين احدهما انه يعطيه الجزا
الوافر من غير نقص والثاني انه تعالى يعطيه ما يقع به الكفاية فلا يبقى فيه
نفسه الا والمطلوب يكون حاصلا على ما قال ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
قال جزاهم فاضاف الجزا اليهم والاضافة المطلقة تدل على الملك فكيف
الجمع بينه وبين قوله الذي احلنا دار المقامة من فضله والجواب
اما اهل السنة فكيف يقولون انه لو قال الملك الكريم من حرك اصبعه
اعطيته الف دينار فهذا شرط وجزا بحسب اللغة وبحسب الوضع
لا بحسب الاستحقاق الذاتي فقوله جزاهم يكفي في صدق هذا المعنى واما
المعتزلة فانهم قالوا في قوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله ان كلمة
من لابتدا الغاية فالمعنى ان استحقاق هذه الجنان انما حصل بسبب فضلك
السابق فانك لولا انك خلقتنا واعطيتنا القدرة والعقل وازلت الاعذار
واعطيت الالطاف والا لما وصلنا الى هذه الدرجة فان قيل فاذا
كان لا حق لاحد عليه في مذهبكم فلم نعام قلنا انسال عن انعامه
الامسي حال عدمنا او عن انعامه اليومي حال التكليف او عن انعامه في
غد القيامة ان سالت عن الامسي فنقول انا منزه عن الانتفاع والمائدة
مملوة من المنافع ولو لم اخلق الخلق لضاعت هذه المنافع فكما ان من له
مال ولا عيال له فانه يشتري العبيد والجواري لينتفعوا بماله فهو سبحانه
اشترى من دار العدم هذا الخلق لينتفعوا بملكه كما روي الخلق عيال الله
واما اليومي فالنعم يوجب الاتمام بعد الشروع فالرحمن اولى واما
الغد فانا مدنونهم بحكم الوعد والاخبار فكيف لا افي بذلك المسئلة الرابعة
في قوله عند ربهم لطائف احدها قال بعض الفقها لو قال لا شي لي على
فلان فهذا يختص بالديون وله ان يدعي الوديعة ولو قال لا شي لي عند
فلان انصرف الى الوديعة دون الدين ولو قال لا شي لي قبل فلان انصرف

الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله عند ربهم يفيد انه وديعة والوديعة
عين ولو قال لفلان علي كذا فهو اقرار بالدين والعين اشرف من الدين فقوله عند
ربهم يفيد انه كالمال المعين الحاضر العتيد فان قيل الوديعة امانة وغير مضمونة
والدين مضمون والمضمون خير مما كان غير مضمون قلنا المضمون خير اذا تصور
الهلاك فيه وهذا في حق الله تعالى محال فلا جرم قلنا الوديعة هناك خير
من المضمون وثانيها اذا وقعت الفتنة في البلد فوضعت مالك عند امام المحلة
على سبيل الوديعة صرت فارغ القلب فهاهنا ستقع الفتنة في بلدة بدنك وجسدك
تخاف الشياطين من ان يغيروا عليها فضع وديعة امانتك عندي فاني اكتب له
به كتابا يتلى في المحاريب الى يوم القيامة وهو قوله جزاهم عند ربهم حتى اسلمه
اليك احوج ما تكون اليه وهو في عرصة القيامة وثالثها انه قال عند ربهم
وفيه بشارة عظيمة كانه تعالى يقول انا الذي ربيتك اولا حين كنت معدوما
صفر اليد من الوجود والحيوة والعقل والقدرة فخلقتك واعطيتك كل هذه
الاشيا فحين كنت فقيرا مطلقا اعطيتك هذه الاشيا وما ضيعتك افترى
انك اذا اكتسبت شيا وجعلته وديعة عندي فانا اضيعها كلا ان هذا
مما لا يكون المسئلة الخامسة قوله جزاهم جنات فيه قولان احدهما
انه قابل الجمع بالجمع وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد كما لو قال لامراتيه وعبديه
ان دخلتما هاتين الدارين فانتما فهذا على ان يدخل كل واحدة منهما دارا على
حدة وعن ابي يوسف لم يحنث حتى يدخل الدارين وعلى هذا ان ملكتما
هذين العبدين ودليل القول الاول جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا
ثيابهم فعلى القول الاول يثبت ان الجزا لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى
تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل عليه
قوله تعالى وملكا كبيرا ويحتمل ان يراد لكل مكلف جنات كما روي عن ابي
يوسف وعليه يدل القران لانه قال ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم
قال ومن دونهما جنتان فذكر اربعا للواحد والسبب فيه انه بكى من خوف
الله وذلك البكا انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون الاثنين فاستحق

جنتين دون الجنتين فحصلت له اربع جنات بسبقه بالبكا اربعة اجفان ثم
انه تعالى قدم الخوف في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان واخر الخوف
في هذه الايه لانه ختم السوره بقوله ذلك لمن خشي ربه وفيه اشاره الى انه
لا بد من دوام الخوف اما قبل العمل فالحاصل خوف الاختلال واما
بعد العمل فالحاصل خوف الجلال اذ هذه العباده لا تليق بتلك الحضره
المسله السادسه قوله عدن يفيد الاقامه لا يخرجون ولا يشعرون عنها
عنها حولا يقال عدن بالمكان اقام وروي جنات عدن اي وسط
الجنه وقيل عدن من المعدن اي هي معدن للنعيم والامن والسلامه قال
بعضهم انها سميت جنه اما من الجن او الجنون او الجنه او الجنين فان كانت
من الجن فهم المخصوصون بسرعه الحركه يطوفون العالم في ساعه واحده فكانه
تعالى قال انها في ايصال المكلف الى مشتهاه في غايه الاسراع ومثل حركه الجن
مع انها دار اقامه وعدن واما من الجنون فهو ان الجنه بحيث لو راها العاقل
بصير كالمجنون لولا ان الله تفضله بسنه واما من الجنه فلانها جنه واقيه
تقيك من النار او من الجنين فان المكلف يكون في الجنه في غايه التنعم ويكون
كالجنين لا يعشه برد ولا حر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا المسله السابعه
قوله تجري اشاره الى ان الما الجاري الطف من الراكد ومن ذلك النظر الى
الما الجاري يزيده نورا لكانه تعالى قال طاعتك كانت جاريه مادمت
كنت حيا على ما قال واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فوجب ان يكون انهار
كرمي جاريه الى الابد ثم قال من تحتها الانهار وذلك لان التبعيض في البستان
اما بسبب عدم الما فذكر الجري الدايم واما بسبب الغرق للكثره فذكر
تحتها ثم الالف واللام في الانهار للتعريف فيكون منصرفه الى الانهار المذكوره
في القران نهر الما واللبن والعسل والخمر واعلم ان النهار والانهار من
السعه والضيا فلا تسمى الساقيه نهرا بل العظيم هو الذي يسمى نهرا بدليل
قوله وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار فعطف ذلك على البحر
المسله الثامنه اعلم انه تعالى لما وصف الجنه اتبعه بما هو افضل من الجنه

وهو الخلود اولا والرضا ثانيا روي انه عليه السلام قال الخلود في الجنه خير
من الجنه ورضى الله في الجنه خير من الجنه اما الصفه الاولى وهي الخلود فاعلم
ان الله سبحانه وصف الجنه مره بجنات عدن ومره جنات النعيم ومره دار
السلام وهذه الاوصاف الثلثه انما حصلت لانك ركبت ايمانك من امور
ثلثه اعتقاد وقول وعمل واما الصفه الثانيه وهي الرضا فاعلم ان العبد مخلوق
من جسد وروح فجنه الجسد هي الجنه الموصوفه وجنه الروح هي رضا الرب
والانسان مبدا امره من عالم الحس ومنتهى امره من عالم العقل والروح فلا
جرم ابتدا بالجنه وجعل المنتهى هو رضى الله ثم انه قدم رضي الله عنهم على قوله
ورضوا عنه لان الازلي هو المؤثر في المحدث والمحدث لا يؤثر في الازلي المسله
التاسعه انما قال رضي الله عنهم ولم يقل رضي الرب عنهم ولا سائر الاسما لان
اشد الاسما هيبه وجلاله لفظ الله لانه هو الاسم الدال على الذات والصفات
باسرها اعني صفات الجلال وصفات الاكرام فلو قال رضي الرب عنهم لم يشعر
ذلك بكمال طاعه العبد لان المربي قد يكتفي بالقليل اما لفظ الله فيفيد غايه
الجلاله والهيبه في مثل هذه الحضره لا يحصل الرضا الا بالفعل الكامل والخدمه
التامه فقوله رضي الله عنهم يفيد تطريه فعل العبد من هذه الجهه المسله
العاشره اختلفوا في قوله رضي الله عنهم فقال بعضهم رضي اعمالهم وقال بعضهم
بل المراد رضي بان يمدحهم ويعظمهم قال لان الرضا عن الفاعل غير الرضا
بفعله وهذا هو الاقرب واما قوله ورضوا عنه فالمراد انهم رضوا بما جازاهم
من النعيم والثواب اما قوله تعالى لمن خشي ربه ففيه مسايل المسله
الاولى الخوف في الطاعه حال حسنه قال تعالى والذين يؤتون ما اتوا
وقلوبهم وجله ولعل الخشيه اشد من الخوف لانه تعالى ذكره في صفات
الملايكه مقرونا بالاشفاق الذي هو اشد الخوف فقال هم من خشيه ربهم
مشفقون والكلام في الخوف والخشيه مشهور المسله الثانيه هذه الايه اذا
ضم اليها ايه اخرى صار المجموع دليلا على فضل العلم والعلما وذلك لانه تعالى
قال انما يخشى الله من عباده العلما فدلت هذه الايه على ان العالم يكون صاحب الخشيه

في م

معناه م

ذكر م

وقوله ذلك لمن خشي ربه يدل على ان صاحب الخشيه تكون له الجنه فيتولد من
مجموع الايتين ان الجنه حق العلما المسئله الثالثه قالوا هذه الايه تدل على ان
المرء لا ينتهي حد يصير معه امنا بان يعلم انه من اهل الجنه وجعلوا هذه
الايه داله عليه وهذا المذهب غير قوي لان الانبيا عليهم السلام قد علموا انهم
من اهل الجنه وهم مع ذلك من اشد العباد خشيه لله تعالى والله اعلم

سورة الزلزله بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها

ها هنا مسايل المسئله الاولى ذكروا في المناسبه بين اول هذه السوره
واخر السوره المتقدمه وجوها احدها انه تعالى لما قال جزاؤهم عند ربهم
فكان المكلف قال ومتى يكون ذلك يا رب فقال اذا زلزلت الارض فالعالمون
كلهم يكونون في الخوف وانت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون
امنا فيه كما قال وهم من فزع يومئذ امنون وثانيها انه تعالى لما ذكر في
السوره المتقدمه وعيد الكافر ووعد المومن اراد ان يزيد في وعيد الكافر
فقال اجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره ما للارض تزلزل نظيره قوله
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ثم ذكر الطايفتين فقال فاما الذين اسودت
وجوههم واما الذين ابيضت ثم جمع بينهما في اخر السوره بذكر الذره من الخير
والشر المسئله الثانيه في قوله اذا بحثان احدهما ان لقايل ان يقول
اذا للوقت فكيف وجه البدايه بها في السوره جوابه من وجوه الاول
كانوا يسالونه متى الساعه فقال اذا زلزلت الارض كانه تعالى قال لا سبيل
الى تعيينه بحسب وقته ولكني اعينه بحسب علاماته الثاني انه تعالى اراد
ان يخبر المكلف ان الارض تحدث وتشهد يوم القيامه مع انها في هذه الساعه
جماد فكانه قيل متى يكون ذلك فقال اذا زلزلت الارض البحث الثاني
قالوا كلمة ان في المجوز واذا في المقطوع به تقول ان دخلت الدار فانت
طالق لان الدخول يجوز اما اذا اردت التعليق بما يوجد قطعا لا تقول ان
بل تقول اذا جا غد فانت طالق لانه يوجد لا محاله هذا هو الاصل فان
استعمل على خلافه فمجاز فلما كان الزلزال مقطوعا به قال اذا زلزلت



المسئله الثالثه قال الفرا الزلزال بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم وقد
قرى بهما وكذلك الوسواس هو الاسم الذي هو اسم الشيطان الذي يوسوس
اليك والوسواس بالكسر المصدر والمعنى حركت حركه شديده كما قال اذا
رجت الارض رجا وقال قوم ليس المراد من زلزلت حركت بل المراد تحركت
واضطربت والدليل عليه انه تعالى يخبر عنها في جميع السوره كالخبر عن المختار
القادر ولان هذا ادخل في التهويل كانه تعالى يقول ان الجماد يضطرب
لاوايل القيامه اما ان لك ان تضطرب وتتنبه عن غفلتك وتقرب منه لترانيه
خاشعا متصدعا من خشية الله واعلم ان زل للحركه المعتاده وزلزل للحركه
الشديده العظيمه لما فيه من معنى التكرير وهو كالصرصر من الريح ولاجل شده
هذه الحركه وصفها الله بالعظم فقال ان زلزلة الساعه شي عظيم المسئله الرابعه
قال مجاهد المراد من الزلزله المذكوره في هذه الايه النفخه الاولى كقوله يوم
ترجف الراجفه تتبعها الرادفه اي تزلزل في النفخه الاولى ثم تزلزل ثانيا فتخرج
موتاها وهي الاثقال وقال اخرون هذه الزلزله هي الثانيه بدليل انه تعالى
جعل من لوازمها انها تخرج الارض اثقالها وذلك انما يكون في الزلزله الثانيه
المسئله الخامسه في قوله زلزالها بالاضافه وجوه احدها القدر اللايق بها في
الحكمه كقولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام
والاهانه والثاني ان يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه والمعنى انه وجد
من الزلزله كل ما يحتمله المحل والثالث زلزالها الموعود او المكتوب عليها اذا قدرت
تقدير الحي تقريره ما روي انها تزلزل من شده صوت اسرافيل عليه السلام لما انها قدرت
تقدير الحي قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وفيه مسئلتان المسئله الاولى
في الاثقال قولان احدهما انه جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها
من الدفاين اثقالا لها قال ابو عبيده والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو
ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقيل سمي الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل
بهم اذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها اذا كانوا فوقها ثم قال المراد من هذه الزلزله
الزلزله الاولى تقول اخرجت الارض اثقالها يعني الكنوز فيمتلا ظهر الارض ذهبا ولا احد

تلتفت اليه كان الذهب يصيح ويقول اما كنت تخرب دينك وديناك لاجلي او تكون الفايدة في اخراجها كما قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم ومن قال المراد منها الزلزلة الثانية وهي بعد القيامة قال يخرج الاثقال يعني الموتى احيا كالام تلده حيا وقيل تلفظه الارض ميتا كما دفن ثم يحييه الله تعالى والقول الثاني اثقالها اسرارها فيومئذ تكشف الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها فتشهد لك او عليك المسئلة الثانية انه تعالى قال في صفة الارض الم نجعل الارض كفاتا ثم صارت بحال ترميك وهو تقرير لقوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت يوم يفر المرء اما قوله تعالى وقال الانسان مالها ففيه مسائل المسئلة الاولى مالها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك اما عند النفخة الاولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفاين او عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الاموات المسئلة الثانية قيل هذا قول الكافر وهو كما يقولون من بعثنا من مرقدنا فاما المومن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل بل هو عام في المومن والكافر اي الانسان الذي هو كنود جزوع ظلوم الذي من شانه الغفلة والجهالة يقول مالها وهو ليس بسوال بل هو للتعجب لما يرى من العجايب التي لم تسمع بها الاذان ولا نطق بها لسان ولهذا قال الحسن انه للكافر والفاجر معا المسئلة الثالثة انما قال مالها على غير المواجهة لانه يعاتب بهذا الكلام نفسه كانه يقول يا نفس ما للارض تفعل ذلك يعني يا نفس انت السبب فانه لولا معاصيك لما صارت الارض كذلك فالكفار يقولون هذا الكلام والمومنون يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن اما قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها فاعلم ان ابن مسعود قرا تنبي اخبارها اخبارها وسعيد بن جبير تنبي ثم فيه سوالات السوال الاول ابن مفعولا تحدث الجواب قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما السوال الثاني ما معنى تحدث الارض قلنا فيه وجوه احدها وهو قول ابي مسلم يومئذ يتبين لكل احد جزا عمله فكانها حدثت بذلك كقولك الدار تحدثنا

حق



بانها كانت مسكونة فكذا انتقاض الارض بسبب الزلزلة تحدث ان الدنيا قد انقضت وان الاخرة قد اقبلت والثاني وهو قول الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل عليها فحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى قال عليه السلام ان الارض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ثم تلا هذه الاية وهذا على مذهبنا غير بعيد لان البنية عندنا ليست شرطا لقبول الحياة فالارض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحيوة والنطق والمقصود كان الارض تشكو من العصاة وتشكر من اطاع فتقول ان فلانا صلى وزكى وصام وحج في وان فلانا كفر وزنى وسرق وجار حتى يود الكافر ان يساق الى النار وكان علي رضي الله عنه اذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول لتشهدن اني ملاتك بحق وفرغتك بحق والقول الثالث وهو قول المعتزلة ان الكلام يجوز خلقه في الجماد فلا يبعد ان يخلق الله تعالى في الارض حال كونها جمادا اصواتا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى السوال الثالث اذا ويومئذ ما ناصبهما الجواب يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث السوال الرابع لفظ التحدث يفيد الاستيناس وهناك لا استيناس فما وجه هذا اللفظ الجواب ان الارض كانها تبث شكواها مع اولياء الله وملايكته اما قوله تعالى بان ربك اوحى لها ففيه سوالات السوال الاول بم تعلقت الباء في قوله بان ربك الجواب بتحدث ومعناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها السوال الثاني لم يقل اوحى اليها الجواب فيه وجهان الاول قال ابو عبيدة اوحى لها اي اوحى اليها وانشد للعجاج اوحى لها القرار فاستقرت الثاني لعله انما قال لها اي فعلنا ذلك لاجلها حتى تتوسل الارض بذلك الى التشفي من العصاة قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الصدر ضد الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف واشتاتا متفرقين فيحتمل ان يريد يصدرون عن الارض الى عرصة القيامة ويحتمل ان يردوا عرصة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون عنها

من

وحاتم

وجوابه

الى موضع الثواب والعقاب وان كان قوله اشتاتا اقرب الى الوجه الاول
ولفظة الصدر اقرب الى الوجه الثاني وقوله ليروا اعمالهم اقرب الى
الوجه الاول لان رويه عملهم مكتوبا في الصحايف هو اقرب الى الحقيقة من
رويه جزا الاعمال وان صح ايضا ان يحمل على رويه جزا الاعمال وقوله اشتاتا فيه
وجوه احدها ان بعضهم يذهب به الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة وبياض
الوجه والمنادي ينادي بين يديه هذا ولي الله وآخرون يذهب بهم سود
الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال والمنادي ينادي بين يديه هذا
عدو الله وثانيها اشتاتا اي كل فريق مع شكله اليهودي مع اليهودي
والنصراني مع النصراني وثالثها اشتاتا من اقطار الارض من كل ناحية ثم انه
سبحانه ذكر المقصود فقال ليروا اعمالهم قال بعضهم ليروا صحايف اعمالهم لان
الكتاب يوضع بين يدي الرجل فيقول هذا طلاقك وبيعك هل تراه والمرئي
هو الكتاب وقال آخرون ليروا اعمالهم وهو الجنة او النار وانما اوقع اسم العمل
على الجزا لانه جزا وفاق فكانه نفس العمل بل المجاز في ذلك ادخل من الحقيقة
وفي قراءة النبي عليه السلم ليروا بالفتح ثم قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فيه مسايل المسئلة الاولى مثقال ذرة اي زنة ذرة قال
الكلبي الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس اذا وضعت راحتك على الارض ثم
رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة فليس من عبد عمل
خيرا او شرا قليلا كان او كثيرا الا اراه الله تعالى اياه المسئلة الثانية في رواية عن
عاصم يره برفع اليا وقرا الباقون يره وقرا بعضهم يره بالجزم المسئلة الثالثة
في الاية اشكال وهو ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيات المومن معفوة اما
ابتداء واما بسبب اجتناب الكباير فما معنى الجزا بمثاقيل الذر من الخير والشر
واعلم ان المفسرين اجابوا عنه من وجوه احدها قال احمد بن كعب القرظي
فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى
يلقى الاخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مومن يرى عقوبة
ذلك في الدنيا في نفسه واهله وماله حتى يلقى الاخرة وليس له فيها شر وهذا

جزاء صح

ذرة صح



مروي عن ابن عباس ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلم
قال لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر
الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها يوم القيمة وثانيها قال ابن عباس ليس
من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه فاما المومن فيغفر له سياته
ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسياته وثالثها ان حسنات
الكافر وان كانت محبطة بكفره ولكن الموازنة معتبرة فتقدر تلك الحسنات انحبطت
من عقاب كفره وكذا القول في الجانب الاخر فلا يكون ذلك قادحا في عموم الاية
ورابعها ان يخصص عموم قوله فمن يعمل ذرة خيرا يره ويقول المراد فمن يعمل
من السعدا مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل من الاشقيا مثقال ذرة شرا يره
المسئلة الرابعة لقايل ان يقول اذا كان الامر الى هذا الحد فاين الكرم
والجواب هذا هو الكرم لان المعصية وان قلت ففيها استخفاف والكريم
لا يحتمله وفي الطاعة تعظيم وان قل فالكريم لا يضيعه وكانه سبحانه يقول لا تحسب
مثقال الذرة من الخير صغيرا فانك مع لومك وضعفك لم تضيع مني الذرة بل
اعتبرتها ونظرت فيها واستدللت بها على ذاتي وصفاتي واتخذتها مركبا به
وصلت الي فاذا لم تضيع ذرتي انا اضيع ذرتك ثم التحقيق ان المقصود
هو النية والقصد فاذا كان العمل قليلا لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب
وان كان العمل كثيرا والنية فاترة فالمقصود فايت ومن ذلك ما روي عن كعب
لا تحقروا شيئا من المعروف فان رجلا دخل الجنة باعارة ابرة في سبيل الله
وان امراة اعانت بحبة في بناء بيت المقدس فدخلت الجنة وعن عايشة كان
بين يديها عنب قدمته الى نسوة بحضرتها فجاء سايل فامرت له بحبة من ذلك
العنب فضحك بعض من كان عندها فقالت ان فيما ترون مثاقيل كثيرة وتلت هذه
الاية ولعله كان غرضها التعليم والا فهي كانت في غاية السخاوة روي ان ابن الزبير
بعث اليها بماية الف وثمانين الف درهم في غرارتين فدعت بطبق وجعلت
تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فجاءت بخبز وزيت فقيل
لها اما امسكت لنا درهما نشتري به لحما نفطر فقالت لو ذكرتني لفعلت ذلك

مثقال صح

عليه

وقال مقاتل نزلت هذه الآية في رجلين كان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه
التمرة والكسرة والجوزة ويقول ما هذا بشيء وانما نوجر على ما نعطي وكان آخر
يتهاون بالذنب اليسير ويقول لا شيء علي من هذا انما الوعيد بالنار على الكبائر
فنزلت هذه الآية ترغيبا في القليل من الخير فانه يوشك ان يكثر وتحذيرا من
من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر ولهذا قال عليه السلم اتقوا النار
ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة

## سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اعلم ان الضبح اصوات
انفاس الخيل اذا عدون وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت
نفس ثم اختلفوا في المراد بالعاديات على قولين الاول ما روي عن علي وابن مسعود
انها الابل وهو قول ابرهيم والقرظي روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
بينا انا جالس في الحجر اذ اتاني رجل فسالني عن العاديات ضبحا فذهب
الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما
وقفت على راسه فقال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول
غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد
والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى مزدلفة ومن المزدلفة الى منى يعني ابل
الحاج قال ابن عباس فرجعت عن قولي الى قول علي ويتاكد هذا القول
بما روي في فضل السورة مرفوعا من قراها اعطي من الاجر بعدد من بات
بالمزدلفة وشهد جمعا وعلى هذا القول فالموريات قدحا ان الحوافر ترمي
بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجرا آخر فتوري النار او يكون المعنى
الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة فالمغيرات
الاغارة سرعة السير وهم يندفعون صبحا يوم النحر مسرعين الى منى فاثرن
به نقعا يعني غبارا بالعدو وعن محمد بن كعب النقع ما بين المزدلفة الى منى
فوسطن به جمعا يعني مزدلفة لانها تسمى الجمع لاجتماع الحاج بها وعلى هذا
التقدير فوجه القسم به من وجهين احدهما ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه
في قوله افلا ينظرون الى الابل وثانيها كانه تعريض بالادمي الكنود فكانه تعالى

يقول



يقول اني سخرت مثل هذا لك وانت تتمرد عن طاعتي وثالثها الغرض بذكر ابل الحج
الترغيب في الحج كان الله تعالى يقول جعلت ذلك الابل مقسما به فكيف اضيع عملك
وفيه تعريض بمن يرغب عن الحج فان الكنود هو الكفور والذي لا يحج بعد الوجوب
موصوف بذلك كما في قوله ولله على الناس حج البيت الى قوله ومن كفر القول
الثاني قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء واكثر المحققين انها الخيل
وروي ذلك مرفوعا قال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى
اناس من كنانة فمكثت ما شاء الله ان تمكث لا ياتيه منهم خبر فتخوف عليها فنزل
جبريل عليه السلم بخبر مسيرها فان جعلنا الالف واللام في والعاديات للمعهود
السابق كان محل القسم خيل تلك السرية وان جعلناهما للجنس كان ذلك قسما بكل
خيل عدت في سبيل الله واعلم ان الفاظ هذه الآيات تنادي ان المراد هو الخيل
وذلك لان الضبح لا يكون الا للفرس واستعمال هذا اللفظ في الابل يكون على
سبيل الاستعارة كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والعدول
من الحقيقة الى المجاز بغير ضرورة لا يجوز وايضا فالقدح يظهر بالحافر ما لا
يظهر بخف الابل وكذا قوله فالمغيرات صبحا لانه بالخيل اسهل منه بغيره
وقد روينا انه ورد في بعض السرايا واذا كان كذلك فالاقرب ان السورة
مدنية لان الاذن بالقتال كان بالمدينة وهو الذي قاله الكلبي اذا عرفت
ذلك فههنا مسائل المسئلة الاولى انه تعالى انما اقسم بالخيل لان لها في العدو
من الخصال الحميدة ما ليست لسائر الدواب فانها تصلح للطلب والهرب والكر
والفر فاذا ظننت ان النفع في الطلب عدت الى الخصم ليفوز بالغنم واذا
ظننت ان المصلحة في الهرب قدرت على اشد العدو ولا شك ان السلامة احدى
الغنيمتين فاقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين وفيه
تنبيه على ان الانسان يجب ان يمسكه لا للزينة والتفاخر بل لهذه المنفعة وقد
نبه تعالى على هذا المعنى في قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فادخل
لام التعليل على الركوب وما ادخله على الزينة وانما قال ضبحا لانه امارة يظهر
به التعب وانه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب فكانه تعالى يقول

ول

انه مع ضعفه لا يترك طاعتك فليكن العبد في طاعة مولاه ايضا كذلك المسئلة
الثانية ذكروا في انتصاب ضبحا وجوها احدها قال الزجاج والعاديات
تضبح ضبحا وثانيها ان يكون والعاديات في معنى والضابحات لان الضبح
يكون مع العدو وهو قول الفرا وثالثها قال البصريون التقدير والعاديات
ضابحة فقوله ضبحا نصب على الحال اما قوله تعالى فالموريات قدحا فاعلم
ان الايرا اخراج النار والقدح الصك يقول قدح فاورى وقدح فاصلد
ثم في تفسير الاية وجوه احدها قال ابن عباس يريد ضرب الخيل بحوافرها
الجبل فاورت منه النار مثل الزند اذا قدح وقال مقاتل يعني الخيل
يقدحن بحوافرهن في الحجارة نارا كنار الحباحب والحباحب اسم رجل كان
بخيلا لا يوقد النار الا اذا نام الناس فاذا انتبه اطفا ناره لئلا ينتفع بها
فشبهت هذه النار التي تقدح من حوافر الخيل بتلك النار التي لم يكن فيها
نفع ومن الناس من يقول انها نعل الحديد يصك الحجر فيخرج النار والاول
ابلغ لان على ذلك التقدير تكون السنابك نفسها كالحديد كما انتصب ضبحا وثانيها
قال قوم هذه الايات في الخيل ولكن ايراها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين
عدوهم كما قال كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ومنه يقال للحرب اذا
التحمت حمي الوطيس وثالثها هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم
وطعامهم فالموريات هم الجماعة من الغزاة ورابعها انها هي الالسنة توري
نار العداوة بعظم ما تتكلم به وخامسها هي افكار الرجال توري نار
المكر والخديعة روي ذلك عن ابن عباس ويقال لاقدحن لك ثم لاورين
لك اي لاهيجن عليك شرا وحربا ومكرا وقيل هو المكر الا انه مكر بايقاد
النار ليراهم العدو كثيرا ومن عادة العرب عند الغزو اذا قربوا من العدو
ان يوقدوا نيرانا كثيرة لكي اذا نظر العدو اليهم ظنهم كثيرا وسادسها قال
عكرمة الموريات قدحا الالسنة وسابعها الموريات قدحا اي فالمنجحات
امرا يعني الذي وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج يقال للمنجح
في حاجته وري زنده ثم يرجع هذا الى الجماعة المنجحة ويجوز ان يرجع الى الخيل

تنجح ركابها قال جرير وجدنا الازد اكرمهم جوادا واوراهم اذا قدحوا زنادا
ويقال فلان اذا قدح اورى واذا منح اردى واعلم ان الوجه الاول
اقرب لان لفظ الايرا حقيقة في ايرا النار وفي غيره مجاز ولا يجوز ترك الحقيقة
بغير دليل اما قوله تعالى فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير على العدو وقت
الصبح وكانوا يغيرون صباحا لانهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون
شيا واما النهار فالناس يكونون كالمستعدين للمدافعة والمحاربة اما هذا
الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد واما الذين حملوا
هذه الايات على الابل قالوا المراد هو الابل تدفع بركبانها يوم النحر من
جمع الى منا والسنة ان لا تغير حتى تصبح ومعنى الاغارة في اللغة الاسراع
يقال اغار اذا اسرع وكانت العرب في الجاهلية تقول اشرق ثبير
كيما نغير اي نسرع في الافاضة اما قوله فاثرن به نقعا ففيه مسايل
المسئلة الاولى في النقع قولان احدهما انه هو الغبار وقيل انه ماخوذ
من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمي نقعا لارتفاعه وقيل هو من النقع
في الما فكان صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل في الما والثاني النقع
الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة اي فهيجن في المغار عليهم
صياح النوايح وارتفعت اصواتهن ويقال ثار الغبار والدخان اي ارتفع
وثار القطا عن مفحصه واثرت الغبار اي هيجته والمعنى ان الخيل اثرن الغبار
لشدة العدو في الموضع الذي اغرن فيه المسئلة الثانية الضمير في قوله
به الى ماذا يعود فيه وجوه احدها وهو قول الفرا انه عايد الى المكان
الذي انتهى اليه والموضع الذي تقع فيه الاغارة لان في قوله فالمغيرات
صبحا دليلا على ان الاغارة لا بد لها من موضع واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما
لم يجر ذكره بالتصريح كقوله انا انزلناه في ليلة القدر وثانيها انه عايد الى
ذلك الزمان الذي وقعت فيه الاغارة اي فاثرن في ذلك الوقت نقعا وثالثها
وهو قول الكسايي انه عايد الى العدو اي اثرن بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر
العدو في قوله والعاديات المسئلة الثالثة فان قيل على اي شي عطف قوله

فاثرن قلنا على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه والتقدير واللاتي عدون
فاورين فاعزن فاثرن المسئله الرابعه قرا ابو حيوه فاثّرن بالتشديد
بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى
وثرن وقلب الواو همزه اما قوله تعالى فوسطن به جمعا ففيه مسئلتان
المسئله الاولى قال الليث وسطت النهر والمفازه اسطها وسطا
وسطه اي صرت في وسطها وكذلك وسّطتها وتوسطتها ونحو هذا
قال الفرا والضمير في قوله به الى ماذا يرجع فيه وجوه احدها قال
مقاتل اي بالعدو وذلك ان العاديات تدل على العدو فجازت الكنايه
عنه وقوله جمعًا يعني جمع العدو والمعنى يعدوهن وسط جمع العدو ومن
حمل الايات على الابل قال يعني جمع منا وثانيها ان الضمير عايد الى النقع اي
وسطن بالنقع الجمع وثالثها المراد ان العاديات وسطن ملتبسات
بالنقع جمعا من جموع الاعدا المسئله الثانيه قرئ فوسّطن بالتشديد
للتعديه والبا مزيده للتوكيد كقوله واتوا به وهي مبالغه في وسطن واعلم
ان الناس اكثروا في صفة الفرس وهذا القليل الذي ذكره الله احسن وقال
عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير وقال ايضا ظهرها حرز وبطنها كنز
واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به ذكر المقسم عليه وهو امور ثلثه احدها وهو
قوله ان الانسان لربه لكنود قال الواحدي رحمه الله اصل الكنود منع
الحق والخير والكنود الذي يمنع ما عليه والارض الكنود هي التي لا تنبت شيئا
ثم للمفسرين عبارات فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمه والضحاك وقتاده الكنود
هو الكفور قالوا ومنه سمي الرجل المشهور كنده لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي
الكنود بلسان كنده العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعه الكفور
وروى ابو امامه عن النبي عليه السلام ان الكنود الكفور الذي يمنع رفده وياكل
وحده ويضرب عبده وقال الحسن الكنود اي اللوّام لربه يعدّ المحن والمصايب
وينسى النعم والراحات وهو كقوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانن واعلم ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرا وفسقا وكيف ما



كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين او ان حملناه على
الكل لكن المعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه
من ذلك والاول قول الاكثرين قالوا لان ابن عباس قال انها نزلت في قرط
بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وايضا فقوله افلا يعلم اذا بعثر ما في
القبور لا يليق الا بالكافر لان ذلك كالدلاله على انه منكر لذلك الامر
الثاني من الامور التي اقسم الله عليه قوله وانه على ذلك لشهيد وفيه قولان
احدهما ان الانسان على ذلك اي على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بذلك
اما لانه امر ظاهر لا يمكنه ان يجحده او لانه يشهد على نفسه بذلك في الاخره
ويعترف بذنوبه القول الثاني المراد وان الله على ذلك لشهيد قالوا وهذا
اولى لان الضمير عايد الى اقرب المذكورين والاقرب هو لفظ الرب تعالى ويكون
ذلك كالوعيد والزجر له عن المعاصي من حيث انه يحصي عليه اعماله واما الناصرون
للقول الاول فقالوا ان قوله بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد الضمير فيه
عايد الى الانسان فيجب ان يكون الضمير في الايه التي قبله عايد الى الانسان ليكون
النظم احسن الامر الثالث مما اقسم الله عليه قوله وانه لحب الخير لشديد
الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا وقوله واذا مسه الخير منوعا وهذا
لان الناس يعدون المال فيما بينهم خيرا كما انه تعالى سمى ما يناله المجاهد
من الجراح واذى الحرب سوا في قوله لم يمسسهم سوء والشديد البخيل
الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفه
اري الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيله مال الفاحش المتشدد
ثم في التفسير وجوه احدها انه لاجل حب المال لبخيل ممسك وثانيها
ان يكون المراد من الشديد القوي ويكون المعنى وانه لحب المال وايثار
الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عباده الله وشكر نعمه ضعيف تقول
هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وثالثها اراد
انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض ورابعها
قال الفرا يجوز ان يكون المعنى وانه لحب الخير لشديد الحب يعني انه

لحب المال وبحب كونه محتاله الا انه اكتفي بالحب الاول من الثاني كما قال اشتدت به
الريح في يوم عاصف اي في يوم عاصف الريح فاكتفي بالاولى عن الثانيه وخامسها
قال قطرب اي انه شديد لحب الخير كقولك انه لزيد ضروب اي انه ضروب زيد
واعلم انه تعالى لما عدد عليه قبايح افعاله خوفه فقال افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
وفيه مسايل المسله الاولى القول في بعثر مضى في قوله تعالى واذا القبور
بعثرت وذكرنا ان معنى بعثر بعث واثير واخرج وقرئ بحثر المسله الثانيه
لقايل ان يسال لم قال بعثر ما في القبور ولم يقل بعثر من في القبور ثم انه لما
قال ما في القبور فلم قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها يوميذ لخبير والجواب
عن السوال الاول هو ان ما في الارض من غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام
على الاغلب او يقال انهم حال ما يبعثرون لا يكونون احيا عقلا بل بعد البعث يصيرون
كذلك فلا جرم كان الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثاني ضمير العقلا ثم
قال وحصل ما في الصدور قال ابو عبيده اي ميز ما في الصدور وقال الليث
الحاصل من كل شي ما بقي وثبت وذهب ما سواه والتحصيل تمييز
ما يحصل والاسم الحصيله قال لبيد وكل امري يوما سيعلم سعيه اذا حصلت
عند الاله الحصايل وفي التفسير وجوه احدها معنى حصل جمع في الصحف
اي اظهر محصلا مجموعا وثانيها انه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح
والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حده فتميز البعض عن البعض
وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللايق به هو التحصيل ومنه قيل للمنخل
المحصل وثالثها ان كثيرا ما يكون باطن الانسان بخلاف ظاهره اما في يوم القيمه
فانه يتكشف الاسرار وينهتك الاستار ويظهر ما في البواطن كما قال يوم تبلى
السراير واعلم ان حظ الوعظ منه ان يقال انك تستعد فيما لا فايده لك فيه فتشتري
المقبره وتشتري التابوت وتغسل الكفن وتعد العجوز الكفن فيقال هذا
كله للديدان فاين حظ الرحمان بل المراه اذا كانت حامله فانها تعد للطفل
ثيابا فاذا قلت لها الطفل لك فما هذا الاستعداد فتقول اليس يبعثر ما في
بطني فيقول الرب لك الا يبعثر ما في بطن الارض فاين الاستعداد و منى



وحصل بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر ثم قال ان ربهم بهم يوميذ لخبير اعلم ان فيه
سوالات السوال الاول انه يوهم ان علمه بهم في ذلك اليوم انما حصل بسبب
الخبره وذلك يقتضي سبق الجهل وهو على الله محال الجواب من وجوه
احدها كانه تعالى يقول ان من لم يكن عالما فانه يصير بسبب الاختبار عالما فمن كان
لم يزل عالما الا يكون خبيرا باحوالك وثانيها ان فايده تخصيص ذلك الوقت في قوله
يوميذ مع كونه عالما لم يزل انه وقت الجزا وتقريره لمن الملك كانه يقول لا حاكم
يروج حكمه ولا عالم يروج فتواه يوميذ الا هو وكم عالم لا يعرف الجواب
وقت الواقعه ثم يتذكره بعد ذلك فكانه تعالى يقول لست كذلك السوال
الثاني لم خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور واهمل
ذكر اعمال الجوارح الجواب لان اعمال الجوارح تابعه لاعمال القلب
فانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك
انه تعالى جعلها الاصل في الذم فقال اثم قلبه والاصل في المدح فقال وجلت
قلوبهم السوال الثالث لم قال وحصل ما في الصدور ولم يقل وحصل
ما في القلوب الجواب لان القلب مطيه الروح وهو بالطبع محب لمعرفه الله
وخدمته انما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر
ولذلك قال يوسوس في صدور الناس وقال افمن شرح الله صدره للاسلام
فجعل الصدر موضعا للاستسلام السوال الرابع الضمير في قوله
ان ربهم بهم عايد الى الانسان وهو واحد والجواب الانسان في معنى الجمع
لقوله تعالى ان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين امنوا ولولا انه للجمع
والا لما صح ذلك واعلم انه بقي من مباحث هذه الايه مسلتان المسله الاولى
هذه الايه تدل على كونه تعالى عالما بالجزييات الزمانيات لانه تعالى نص على
كونه عالما بكيفيه احوالهم في ذلك اليوم فيكون منكره كافرا المسله الثانيه نقل ان
الحجاج سبق على لسانه ان بالنصب فاسقط اللام من قوله لخبير حتى لا
يكون الكلام لحنا وهذا يذكر في تقرير فصاحته فزعم بعض المشايخ ان هذا كفر
لانه قصد لتغيير المنزل ونقل عن ابي السمال انه قرا على هذا الوجه والله اعلم

السورة

سورة القارعة اعلم انه سبحانه لما ختم الاية المتقدمة بقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير فكانه قيل وما ذلك اليوم فقيل هي القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة

اعلم ان فيه مسايل المسلة الاولى القرع الضرب بشده واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة قال الله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة ومنه قولهم العبد يقرع بالعصا ومنه المقرعة وقوارع القران وقرع الباب وتقارعوا تضاربوا بالسيوف واتفقوا على ان القارعة اسم من اسما القيامة واختلفوا في لمية هذه التسمية على وجوه احدها ان سبب ذلك هو الصيحة التي تموت منها الخلايق لان في الصيحة الاولى تذهب العقول قال تعالى فصعق من في السموات والارض وفي الثانية تموت الخلايق سوى اسرافيل ثم يميته الله ثم يحييه فينفخ الثالثة فيقومون وروي ان الصور له ثقب على عدد الاموات لكل واحد ثقبة معلومة فيحيي الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة اليه من تلك الثقبة المعينة والذي يوكد هذا الوجه قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة فانما هي زجرة واحدة وثانيها ان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب تلك القرعة سمي يوم القيامة بالقارعة وثالثها ان القارعة هي التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع وذلك في السموات بالانشقاق والانفطار وفي الشمس والقمر بالتكور وفي الكواكب بالانتثار وفي الجبال بالدك والنسف وفي الارض بالطي والتبديل وهو قول الكلبي ورابعها انها تقرع اعدا الله بالعذاب والخزي والنكال وهو قول مقاتل وقال بعض المحققين وهذا اولى من قول الكلبي لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون المسلة الثانية في اعراب قوله القارعة ما القارعة وجوه احدها انه تحذير وقد جا التحذير بالرفع والنصب يقول الاسد الاسد فيجوز الرفع والنصب وثانيها فيه اضمار اي ستاتيكم القارعة على ما اخبرت عنه في قولي اذا بعثر ما في القبور وثالثها رفع بالابتدا وخبره ما القارعة وعلى قول قطرب الخبر وما ادريك ما القارعة

من خ



فان قيل اذا اخبرت عن شي بشي فلا بد وان يستفيد منه علما زايدا وقوله وما ادريك يفيد كونك جاهلا به فكيف يعقل ان يكون هذا خبرا قلنا حصل لنا بهذا الخبر علم زايد لانا كنا نظن انها قارعة كساير القوارع فبهذا التجهيل علمنا انها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدة المسلة الثالثة قوله وما ادريك ما القارعة فيه وجوه احدها معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد ولا فهمه وكيف ما قدرته فهو اعظم من تقديرك كانه تعالى قال قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة كانها ليست بقوارع ونار الدنيا في جنب نار الاخرة كانها ليست بنار ولذلك قال في اخر السورة نار حامية تنبيها ان نار الدنيا في جنب تلك ليست بحامية وصار اخر السورة مطابقا لاولها من هذا الوجه فان قيل ها هنا قال وما ادريك ما القارعة وقال في اخر السورة فامه هاوية وما ادريك ما هيه ولم يقل وما ادريك ما هاوية فما الفرق قلنا الفرق ان كونها قارعة امر محسوس اما كونها هاوية فليس كذلك فظهر الفرق بين الموضعين وثانيها ان ذلك التفصيل لا سبيل لاحد الى العلم به الا باخبار الله وبيانه لانه بحث عن وقوع الواقعات لا عن وجوب الواجبات فلا يكون الى معرفته دليل الا بالسمع المسلة الرابعة نظير هذه الاية قوله الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة ثم قال المحققون قوله القارعة ما القارعة اشد من قوله الحاقة ما الحاقة لان النازل اخيرا لا بد وان يكون ابلغ لان المقصود منه زيادة التنبيه وهذه الزيادة لا تحصل الا اذا كانت اقوى واما بالنظر الى المعنى فالحاقة اشد لكونه راجعا الى معنى العدل والقارعة اشد لما انها تهجم على القلوب بالامر الهايل قال تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال صاحب الكشاف الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كذى واعلم انه تعالى وصف ذلك اليوم بامرين الاول كون الناس فيه كالفراش المبثوث قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث ها هنا

بيان الفراش

بالفراش وفي اية اخرى بالجراد المنتشر اما وجه التشبيه بالفراش اذا
ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحد منها يذهب الى غير جهة الاخرى
فدل هذا على انهم اذا بعثوا فزعوا فاختلفوا في المقاصد على جهات
مختلفة غير معلومة والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه واما وجه
التشبيه بالجراد فهو في الكثرة قال الفرا كغوغا الجراد يركب بعضه
بعضا وبالجملة فالله سبحانه شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر
وبالفراش لانهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش
وتاكد بما ذكرنا بقوله فتاتون افواجا وقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين وقوله في قصة ياجوج وماجوج وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض فان قيل الجراد بالنسبة الى الفراش كبار فكيف
شبه الشي الواحد بالصغير والكبير معا قلنا شبه الواحد بالصغير
والكبير لكن في وصفين اما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى غير
جهة الاخرى اما بالجراد فبالكثرة والتتابع ويحتمل ان يقال انها تكون
كبارا اولا كالجراد ثم تصير صغارا كالفراش بسبب احترافهم بحر
الشمس وذكروا في التشبيه بالفراش وجوها اخرى احدها ما روي انه
عليه السلم قال الناس عالم ومتعلم وساير الناس همج رعاع فجعلهم
الله في الاخرة كذلك جزاء وفاقا وثانيها انه تعالى انما ادخل حرف
التشبيه فقال كالفراش لانهم يكونون في ذلك اليوم اذل من الفراش
لان الفراش لا يعذب وهولا يعذبون ونظيره كالانعام بل هم اضل سبيلا
الصفة الثانية من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن
المنفوش العهن الصوف ذو الالوان وقد مر تحقيقه عند قوله وتكون
الجبال كالعهن والنفش مد الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض
وفي قراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش واعلم ان الله تعالى اخبر
ان الجبال مختلفة الالوان على ما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود ثم انه سبحانه يفرق اجزاءها ويزيل التاليف



والتركيب عنها فتصير ذلك مشابها للصوف الملون بالالوان المختلفة اذا جعل منفوشا
وهاهنا مسايل المسلة الاولى انما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال كانه
تعالى نبه على ان تاثير تلك القرعة في الجبال هو انها صارت كالعهن المنفوش
فكيف يكون حال الانسان عند سماعها فالويل ثم الويل لابن ادم ان لم تتداركه
رحمة ربه ويحتمل ان يكون المراد ان جبال النار تصير كالعهن المنفوش
لشدة حمرتها المسلة الثانية قد وصف الله تغير الاحوال على الجبال من
وجوه اولها ان تصير قطعا كما قال ودكت الارض والجبال دكا وثانيها ان
تصير كثيبا مهيلا كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
ثم تصير كالعهن المنفوش وهي اجزا كالذرة تدخل من كوة البيت لا تمسها
الايدي ثم قال في الرابع تصير سرابا كما قال وسيرت الجبال فكانت سرابا
المسلة الثالثة لم يقل يوم يكون الناس كالفراش والجبال كالعهن المنفوش
بل قال وتكون الجبال كالعهن المنفوش لان التكرير في مثل هذا المقام ابلغ في
التحذير واعلم انه تعالى لما وصف يوم القيامة قسم الناس فيه الى قسمين فقال
فاما من ثقلت موازينه واعلم ان في الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو
العمل الذي له وزن وخطر عند الله وهذا قول الفرا قال ونظيره يقال لك
عندي درهم بميزان درهمك ووزن درهمك ودارى بميزان دارك ووزن
دارك اي حذاها والثاني انه جمع ميزان قال ابن عباس الميزان له لسان
وكفتان لا توزن فيه الا الاعمال فيوتى بحسنات المطيع في احسن صورة فاذا
رجح فالجنة له ويوتى بسيات الكافر في اقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار
وقال الحسن في الميزان له كفتان ولا يوصف قال المتكلمون ان نفس الحسنات
والسيات لا يصح وزنها خصوصا وقد تقضت بل المراد ان الصحف المكتوب
فيها الحسنات والسيات يوزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة
السيات او تصور في صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيات
بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفايدة في ذلك ظهور حال
صاحب الحسنات في الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيات

فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلايق اما قوله تعالى فهو في عيشة راضية فالعيشة
مصدر بمعنى العيش كالخيفة بمعنى الخوف واما الراضية فقال الزجاج معناه
اي عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها وهي كقولهم لابن وتامر بمعنى ذو تمر
وذو لبن ولهذا قال المفسرون تفسيرها مرضية على معنى يرضاها صاحبها ثم قال
واما من خفت موازينه اي قلت حسناته فرجحت السيات على الحسنات
قال ابو بكر رضي الله عنه انما ثقلت موازين من ثقلت باتباعهم الحق وثقله عليهم
وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت
موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل
ان يكون خفيفا وقال مقاتل انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف
اما قوله تعالى فامه هاويه ففيه وجوه احدها ان الهاويه من اسما
النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا والمعنى فماواه
النار وقيل للماوي ام على سبيل التشبيه بالام الذي لا يقع الفزع من الوالد
الا اليها وثانيها فام راسه هاويه في النار ذكره الاخفش والكلبي وقتاده
قال لانهم يهوون في النار على روسهم وثالثها انهم اذا دعوا على الرجل
بالهلاك قالوا هوت امه لانه اذا هوي اي سقط وهلك فقد هوت
امه حزنا وثكلا فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وما ادريك ماهيه
قال صاحب الكشاف هيه ضمير الداهيه التي دل عليها قوله فامه هاويه
في التفسير الثالث او ضمير هاويه والها للسكت فاذا وصل جاز حذفها والا
ختيار الوقف بالها لاتباع المصحف والها ثابته فيه وذكرنا الكلام في هذه الها
عند قوله لم يتسنه فبهداهم اقتده ما اغنى عني ماليه ثم قال نار حاميه والمعنى
ان ساير النيران بالنسبه اليها كانها ليست حاميه وهذا القدر كافي في التنبيه
على قوة سخونتها نعوذ بالله منها ومن جميع انواع العذاب ربنا واتنا ما
وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامه انك لا تخلف الميعاد

## سورة التكاثر بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر

فيه مسايل المسئله الاولى الالها الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما



يدعو اليه الهوى ومعلوم ان الانصراف الى الشي يقتضي الاعراض عن غيره
فلهذا قال اهل اللغه الهاني فلان عن كذا اي انساني وشغلني ومنه الحديث
ان الزبير كان اذا سمع صوت الرعد لهي عن حديثه اي تركه واعرض عنه وكل
شي تركته فقد لهيت عنه والتكاثر التباهي بكثرة المال والجاه والمناقب يقال
تكاثر القوم تكاثرا اذا تعادوا ما لهم من كثرة المناقب وقال ابو مسلم التكاثر
تفاعل من الكثره والتفاعل يقع على احد وجوه ثلثه يحتمل ان يكون بين الاثنين
فيكون مفاعله ويحتمل تكلف الفعل تقول تكارهت على كذا اذا فعلته وانت
كاره وتقول تعاميت عن الامر اذا تكلفت العمى عنه وتقول تغافلت
ويحتمل ايضا الفعل بنفسه كما تقول تباعدت عن الامر اي بعدت عنه
ولفظ التكاثر في هذه الايه يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل التكاثر بمعنى المفاعله
لانه كم من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا
ويحتمل تكلف الكثره فان الحريص يتكلف جميع عمره تكثير ماله واعلم ان التفاخر
والتكاثر شي واحد ونظيره هذه الايه وتفاخر بينكم المسئله الثانيه اعلم
ان التفاخر انما يكون باثبات الانسان نوعا من انواع السعاده لنفسه واجناس
السعادات ثلثه فاحدها في النفس والثانيه في البدن والثالثه فيما يطيف بالبدن
من خارج اما التي في النفس فهي العلوم والاخلاق الفاضله وهما المراد ان بقوله
تعالى حكاية عن ابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وبهما ينال البقا
الابدي والسعاده السرمديه واما التي في البدن فهي الصحه والجمال وهي في
المرتبه الثانيه واما التي تطيف بالبدن من خارج فقسمان احدهما ضروري
وهو المال والجاه والاخر غير ضروري وهو الاقربا والاصدقا وهو الذي
عددناه في المرتبه الثالثه انما تراد كلها للبدن بدليل انه اذا تالم عضو من
اعضايه فانه يجعل المال والجاه فداله واما السعاده البدنيه فالفضلا من
الناس انما يريدونها للسعاده النفسانيه الباقيه اذا عرفت هذا فنقول
العاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم فالتفاخر بالمال والجاه
والاعوان والاقربا تفاخر باخس المراتب من اسباب السعاده والاشتغال

التباهي التفاخر

قوله تعالى م

فانه ما لم يحصل صحيح البدن لم يتفرغ لاكتساب الفضايل النفسانيه

به يمنع الانسان من تحصيل السعادة النفسانية بالعلم والعمل فيكون ذلك ترجيحاً
لاخس المراتب في السعادات على اشرف المراتب فيها وذلك يكون عكس الواجب
ونقيض الحق فلهذا السبب ذمهم الله تعالى فقال الهيكم التكاثر ويدخل فيه
التكاثر بالعدد وبالمال والجاه والاقرباء والانصار والجيش وبالجملة فيدخل
فيه التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها المسئلة الثالثة قوله
الهيكم يحتمل ان يكون اخباراً عنهم ويحتمل ان يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ
والتقريع اي الهيكم كما قرئ انذرتهم وانذرتهم واذا كنا واذا كنا عظاما
المسئلة الرابعة الاية دلت على ان التكاثر والتفاخر مذموم والعقل دل
على ان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم ومن ذلك
ما روي من تفاخر العباس بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده
الى ان قال علي وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة فاسلمتم
فشق ذلك عليهم فنزل قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج الاية وذكرنا في تفسير
قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث انه يجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته ومحاسن
اخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدي به فثبت ان مطلق التكاثر ليس بمذموم بل
التكاثر في العلم والطاعة والاخلاق الحميدة هو المحمود وهو اصل الخيرات فالالف
واللام في التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها
وعلائقها فانه هو الذي يمنع عن طاعة الله وعبوديته ولما كان ذلك مقرراً في العقول
ومتفقاً عليه في الاديان لا جرم حسن ادخال حرف التعريف عليه المسئلة الخامسة
في تفسير الاية وجوه احدها الهيكم التكاثر بالعدد روي انها نزلت في بني عبد سهم
وبني عبد مناف تفاخروا ايهم اكثر فكان بنو عبد مناف اكثر فقال بنو سهم عدوا
مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا فزاد بنو سهم فنزلت الاية
وهذه الرواية مطابقة لظاهر القران لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر
مضى فكانه تعالى تعجبهم من انفسهم ويقول هب انكم اكثر منهم عدداً فماذا ينفع
والزيارة اتيان الموضع وذلك يكون لاغراض كثيرة واهمها واولاها بالرعاية ترقيق القلب
وازالة حب الدنيا فان مشاهدة القبور تورث ذلك على ما قال عليه السلم كنت



نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فان في زيارتها تذكرة ثم انكم زرتم القبور بسبب
قساوة القلب والاستغراق في حب الدنيا فلما انعكست هذه القضية لا جرم
ذكر الله تعالى ذلك في معرض التعجب والقول الثاني ان المراد هو التكاثر بالمال
واستدلوا عليه بما روى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه انه عليه السلم كان
يقرأ الهيكم وقال ابن ادم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت
او لبست فابليت او تصدقت فامضيت والمراد من قوله حتى زرتم المقابر اي
حتى متم وزيارة القبر عبارة عن الموت يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه قال
جرير للاخطل زار القبور ابو مالك ه فاصبح الام زوارها
اي مات فيكون معنى الاية الهيكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم
الموت وانتم على ذلك لا يقال حمله على هذا الوجه مشكل من وجهين
الاول ان الزاير هو الذي يزور ساعة ثم ينصرف والميت يبقى في قبره فكيف يقال
انه زار القبر والثاني ان قوله حتى زرتم المقابر اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل
والجواب عن السوال الاول انه قد يمكث الزاير لكن لا بد له من الرحيل
وكذا اهل القبور يرحلون عنها الى مكان الحساب والجواب عن السوال
الثاني من وجوه احدها يحتمل ان يكون المراد من كان مشرفاً على الموت بسبب
الكبر ولذلك يقال فيه انه على شفير القبر وثانيها ان الخبر عمن تقدمهم وعظهم
فهو كالخبر عنهم لانهم كانوا على طريقتهم ومنه قوله تعالى ويقتلون النبيين وثالثها
قال ابو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييراً للكفار
وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور القول الثالث الهيكم
الحرص على المال وطلب تكثيره حتى منعتم الحقوق المالية الى حين الموت ثم تقول
في تلك الحالة اوصيت لاجل الزكوة كذا ولاجل الحج كذا القول الرابع
الهيكم التكاثر فلا تلتفتون الى الدين بل قلوبكم كانها احجار لا تنكسر البتة الا اذا
زرتم المقابر فهل ينبغي ان يكون حالكم هو ان يكون حظكم من دينكم ذلك القدر
القليل من الانكسار ونظيره قوله تعالى قليلاً ما تشكرون والمعنى اني لا اقنع منكم بهذا
القدر القليل من الشكر المسئلة السادسة انه تعالى لم يقل الهيكم التكاثر عن كذا

وانما لم يذكره لان المطلق ابلغ في الذم لانه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه
جميع ما يحتمله الموضع اي الهاكم عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة
والطاعة والتفكر والتدبر او نقول ان نظرنا الى ما قبل هذه الاية فالمعنى الهاكم التكاثر
عن التفكر في امر القارعة والاستعداد لها قبل الموت وان نظرنا الى الاسفل فالمعنى
الهاكم التكاثر فنسيتم القبر حتى زرتموه اما قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم
كلا سوف تعلمون فهو متصل بما قبله وبما بعده اما الاول فعلى وجه الرد والتكذيب
اي ليس الامر كما توهمه هؤلاء من ان السعادة الحقيقية بكثرة العدد والاموال
والاولاد واما اتصاله بما بعده فعلى معنى القسم اي حقا سوف تعلمون لكن
حين يصير الفاسق تائبا والكافر مسلما والحريص زاهدا ومنه قول الحسن لا يغرنك
كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك
وتقريره يوم يفر ويأتينا فردا ولقد جئتمونا فرادى وتركتم ما خولناكم وهذا يمنعك
عن التكاثر وذكروا في التكرير وجوها احدها انه للتاكيد وانه وعيد بعد وعيد
كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل وثانيها ان الاول عند الموت
حين يقال له لا بشرى والثاني في سؤال القبر من ربك والثالث عند النشور
حين ينادي المنادي فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها ابدا وحين يقال وامتازوا
اليوم وثالثها عن الضحاك سوف تعلمون ايها الكفار ثم كلا سوف تعلمون
ايها المؤمنون وكان يقرأها كذلك فالاول وعيد والثاني وعد ورابعها ان كل
احد يعلم قبح الظلم والكذب وحسن العدل والصدق لكن لا يعرف قدر اثارها
ونتائجها ثم انه تعالى يقول سوف تعلم العلم المفصل لكن التفصيل يحتمل التزايد فيهما
حصلت زيادة لذة ازداد علما وكذا في جانب العقوبة فقسم ذلك على الاحوال
فعند المعاينة يزداد ثم عند السؤال ثم عند المبعث ثم عند الحساب ثم عند
دخول الجنة والنار فلذلك وقع التكرير وخامسها ان احدى الحالتين عذاب
القبر والاخرى عذاب القيامة كما روي عن زر انه قال كنت اشك في عذاب القبر
حتى سمعت علي بن ابي طالب ان هذه الاية تدل على عذاب القبر وانما قال ثم لان
بين العالمين والحالتين موتا ثم قال كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم

التدبر



ثم لترونها عين اليقين وفيه مسائل المسألة الاولى اتفقوا على ان جواب لو محذوف
وانه ليس قوله لترون الجحيم جواب لو ويدل عليه وجهان احدهما ان ما كان جواب
لو فنفيه اثبات واثباته نفي فلو كان قوله لترون الجحيم جوابا للو لوجب ان لا
تحصل هذه الرؤية وذلك باطل فان هذه الرؤية واقعة قطعا فان قيل
المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا ثم ان هذه الرؤية غير واقعة
قلنا ترك الظاهر خلاف الاصل والثاني ان قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
اخبار عن امر سيقع قطعا فعطفه على ما لا يوجد ولا يقع قبيح في النظم واعلم
ان ترك الجواب في مثل هذا الكلام احسن تقول الرجل للرجل لو فعلت
هذا اي لكان كذا قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولم يجئ له جواب وقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
اذا عرفت هذا فنقول ذكروا في جواب لو وجوها احدها قال الاخفش
لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم التكاثر وثانيها قال ابو مسلم لو علمتم ماذا يجب
عليكم لتمسكتم به او لو علمتم لاي امر خلقتم لاشتغلتم به وثالثها انه حذف
الجواب ليذهب الوهم كل مذهب فيكون التهويل اعظم وكانه قال لو
علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة واما قوله
لترون الجحيم فاللام يدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد
وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا للتهديد
وزيادة في التهويل المسألة الثانية انه تعالى اعاد لفظ كلا وهو للزجر
وانما حسنت الاعادة لانه عقبه في كل موضع بغير ما عقب به الموضع الاخر
كانه تعالى قال لا تفعلوا هذا فانكم تستحقون به من العذاب كذا لا تفعلوا
هذا فانكم تستوجبون به ضررا اخر وهذا التكرير ليس بالمكروه بل هو مرضي
عندهم وكان الحسن رحمه الله يجعل معنى كلا في هذا الموضع معنى حقا كانه قيل
حقا لو تعلمون علم اليقين المسألة الثالثة في قوله علم اليقين وجهان احدهما
ان معناه علما يقينا فاضيف الموصوف الى الصفة كقوله تعالى ولدار الاخرة وكما
يقال مسجد الجامع وعام الاول والثاني ان اليقين ههنا هو الموت والبعث

وقد سمي الموت يقينا في قوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولانهما اذا وقعا جا
اليقين وزال الشك فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الانسان معه وبعده
في القبور وفي الاخره لم يلهكم التكاثر والتفاخر عن ذكر الله وقد يقول الانسان
انا اعلم علم كذا اي اتحققه وفلان يعلم علم الطب وعلم الحساب لان العلوم انواع
فيصلح لذلك ان يقال علمت علم كذا المسئله الرابعه العلم من اشد البواعث على
العمل فاذا كان وقت العمل امامه كان وعدا وعبطه وان كان بعد فوات وقت
العمل محسد يكون حسرة وندامه كما ذكر ان ذا القرنين لما دخل الظلمات فالذين
كانوا معه اخذوا من تلك الخرز فلما خرجوا من الظلمات وجدوها جواهر ثم
الاخذون كانوا في الغم اي لم لم ناخذ اكثر مما اخذنا والذين لم ياخذوا كانوا
اضعاف الغم فهكذا يكون احوال اهل القيامه المسئله الخامسه في الايه تهديد
عظيم للعلما فانها دلت على انه لو حصل اليقين بما في التكاثر والتفاخر لا
يكون اليقين حاملا له فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا ثم الويل له المسئله
السادسه في تكرار الرويه وجوه احدها انه لتاكيد الوعيد وايضا لعل القوم
كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك ونون التاكيد يقتضي كون تلك الرويه
اضطراريه يعني لو خليتم ورايكم ما رايتموها لكنكم تحملون على رويتها شيتم ام ابيتم
وثانيها ان اولهما الرويه من البعيد اذا رايتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وقوله
وبرزت الجحيم لمن يرى والرويه الثانيه اذا صاروا الى شفير النار وثالثها ان الرويه
الاولي عند الورود والثانيه عند الدخول فيها وقيل هذا التفسير ليس بحسن لانه
قال ثم لتسالن والسوال يكون قبل الدخول ورابعها الرويه الاولى
الموعد والثانيه المشاهده وخامسها ان يكون المراد لترون الجحيم غير مره
فيكون ذكر الرويه مرتين عباره عن تتابع الرويه واتصالها لانهم يخلدون في
الجحيم فكانه قيل لهم على جهه الوعيد لين كنتم الان شاكين فيها غير مصدقين
بها فلترونها رويه دايمه متصله فتزول عنكم الشكوك وهو كقوله ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت الى قوله فارجع البصر كرتين يعني لو اعدت النظر
فيها ما شيت لم تجد فطورا ولم ترد مرتين فقط فكذا ههنا ان قيل ما فايده

ولا وجه لمن كره التكاثر ... بالتكاثر ... ان يقتضي ...



تخصيص الرويه الثانيه باليقين قلنا لانهم في المره الاولى راوا لهبا لا غير وفي المره
الثانيه راوا نفس الحفره وكيفيه السقوط فيها وما فيها من الحيوانات الموذيه ولا شك
ان هذه الرويه اجلى والحكمه في النقل من العلم الاخفى الى العلم الاجلى التفريع
على ترك النظر لانهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزياده المسئله السابعه
قراه العامه لترون بفتح التا وقرى بضمها من ارايته الشي والمعنى انهم يحشرون
اليها فيرونها ثم حين هم اليها فيرونها وهذه القراه تروى عن ابن عامر والكسائي
كانهما ارادا لترونها فترونها ولذلك قرا الثانيه ثم لترونها بالفتح وفي هذه
الثانيه دليل على انهم اذا اروها راوها وفي قراه العامه الثانيه تكرير للتاكيد
او لساير الفوايد التي عددناها واعلم ان قراه العامه اولى لوجهين الاول
قال الفرا قراه العامه اشبه بكلام العرب لانه تغليظ فلا ينبغي ان يختلف لفظه
الثاني قال ابو علي المعنى في لترون الجحيم لترون عذاب الجحيم الا ترى ان الجحيم يراها
المومنون ايضا بدلاله قوله وان منكم الا واردها واذا كان كذلك كان الوعيد
في رويه عذابها لا في رويه نفسها يدل على هذا قوله اذ يرون العذاب وقوله
واذا راى الذين ظلموا العذاب وهذا يدل على ان لترون ارجح من لترون
قوله تعالى ثم لتسالن يوميذ عن النعيم فيه مسايل المسئله الاولى
في ان الذي يسال عن النعيم من هو قولان احدهما وهو الاظهر انهم الكفار قال
الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار ويدل عليه وجهان الاول ما روي
ان ابا بكر لما نزلت هذه الايه قال يا رسول الله ارايت اكله اكلتها معك
في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وما عذب ان يكون
من النعيم الذي يسال عنه فقال عليه السلام انما ذلك للكفار ثم قرا وهل
يجازى الا الكفور الثاني وهو ان ظاهر الايه يدل على ما ذكرناه وذلك
لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعه الله تعالى
والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم عنها يوم القيامه حتى يظهر لهم
ان الذي ظنوه سببا للسعاده هو كان من اعظم اسباب الشقا لهم في
الاخره والقول الثاني انه عام في حق المومن والكافر واحتجوا باحاديث

وروي ابو هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يسئل
عنه العبد يوم القيامه من النعيم فيقال له الم نصحح لك جسمك ونروك من الما
البارد وقال محمود بن لبيد لما نزلت هذه السوره قالوا يا رسول الله عن
اي نعيم نسال انما هما الماء والتمر وسيوفنا على عواتقنا والعدو حاضر فعن
اي نعيم نسال قال ان ذلك سيكون وروي ان عمر قال عن اي نعيم نسال
عنه يا رسول الله وقد اخرجنا من ديارنا واموالنا فقال صلى الله عليه ظلال
المساكن والاشجار والاخبيه التي تقيكم الحر والبرد والما البارد في اليوم الحار
وقريب منه من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بحذافيرها وروي ان شابا اسلم في عهد الرسول عليه السلم
فعلمه سورة الهكم ثم زوجه رسول الله امراه فلما دخل عليها ورأى الجهاز
العظيم والنعيم الكثير خرج وقال لا اريد ذلك فسأله النبي عليه السلم عنه فقال
الست علمتني ثم لتسالن يومئذ عن النعيم وانا لا اطيق الجواب عن ذلك وعن
انس لما نزلت الايه قام محتاج فقال هل علي من النعمه شي قال الظل والنعلان
والما البارد واشهر الاخبار في هذا ما روي انه عليه السلم خرج ذات ليله الي
المسجد فلم يلبث ان جا ابو بكر فقال ما اخرجك يا ابا بكر قال الجوع قال
والله ما اخرجني الا الذي اخرجك ثم دخل عمر فقال مثل ذلك فقال قوموا
بنا الى منزل ابي الهيثم فدق رسول الله الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب
احد فانصرف رسول الله فخرجت امراته تصيح كنا نسمع صوتك لكن
اردنا ان نزيد من ~~صلاتك~~ سلامك فقال لها خيرا ثم قالت بابي وامي ان ابا
الهيثم خرج يستعذب لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنت وخبزته
ورجع ابو الهيثم فذبح عناقا واتاهم بالرطب فاكلوا وشربوا ~~فقال عليه السلم~~
فقال عليه السلم هذا من النعيم الذي تسالون عنه وروي ايضا لا يزول
قدما عبد حتى يسال عن اربع عن عمره وماله وشبابه وعمله وعن معاذ
عن النبي عليه السلم ان العبد ليسال يوم القيامه حتى عن كحل عينيه وعن
فتات الطينه باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه واعلم ان الاولى ان يقال

من م



السوال يعم المومن والكافر لكن سوال الكافر سوال توبيخ لانه ترك الشكر وسوال
المومن سوال تشريف لانه شكر واطاع المسله الثانيه ذكروا في النعيم المسول
عنه وجوها احدها ما روي انه خمس شبع البطون وبارد الشراب ولذه
النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وثانيها قال ابن مسعود انه الامن والصحه
والفراغ وثالثها قال ابن عباس وجابر ملاذ الماكول والمشروب ورابعها
قال بعضهم الانتفاع بادراك السمع والبصر وخامسها قال الحسين بن الفضل
تخفيف الشرائع وتيسير القران وسادسها قال ابن عمر انه الما البارد وسابعها
قال الباقر انه العافيه ويروى ايضا عن جابر الجعفي قال دخلت على الباقر
فقال ما تقول ارباب التاويل في قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فقلت يقولون
الظل والما البارد فقال لو انك ادخلت بيتك احدا واقعدته في ظل وسقيته
الما عليه فقلت لا قال فالله اكرم ان يطعم عبده ويسقيه ثم يساله عنه قلت ما
تاويله قال النعيم هو رسول الله الذي انعم الله به على هذا العالم فاستنقذهم
به من الضلاله اما سمعت قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا القول الثامن انما تسالون عن الزائد عما لا بد منه من مطعم وملبس
ومسكن والتاسع وهو الاولى انه يجب حمله على جميع النعم ويدل عليه وجوه احدها
ان الالف واللام تفيدان الاستغراق وثانيها انه ليس صرف اللفظ الى البعض اولى
من صرفه الى الباقي لا سيما وقد دل الدليل على ان المطلوب من منافع هذه الدنيا
اشتغال العبد بعبوديه الله وثالثها انه قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم والمراد منه جميع النعم من فلق البحر والانجاء من فرعون وانزال المن
والسلوى فكذا ههنا ورابعها ان النعيم التام كالشي الواحد الذي له ابعاض
واعضا فاذا اشير الى النعيم فقد دخل فيه الكل كما ان التزياق اسم للمعجون المركب
من الادويه الكثيره فاذا ذكر التزياق فقد دخل الكل فيه واعلم ان النعيم اقسام
فمنها ظاهره وباطنه ومنها متصله ومنفصله ومنها دينيه ودنيويه وقد ذكرنا
اقسام السعادات بحسب الجنس في تفسير اول هذه السوره واما تعديدها بحسب
النوع والشخص فغير ممكن على ما قال تعالى وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها فاستغرق في

الدرياق صوابه

معرفة نعم الله عليك في صحة بدنك بالاطعام هم اشد الخلق غفلة وفي معرفة الله
عليكم بخلق السموات والكواكب بالمنجمين وهم اشد الناس جهلا بالصانع وفي
معرفة سلطان الله بالملوك ثم هم اجهل الخلق واما الذي روي عن ابن عمر ان الما
البارد فمعناه هذا جملة ولعله خصه بالذكر لانه اهون موجود واعز مفقود
وهو قول ابن السماك للرشيد ارايت لو احتجت الى شربة ما في فلاة اكنت تبذل
فيه نصف الملك واذا اشرقت بها اكنت تبذل نصف الملك وان احتبس بولك اكنت
تبذل الملك فلا تغتر بملك كانت الشربة الواحدة من الما قيمته مرتين او لان
اهل النار يطلبون الما اشد من طلبهم لغيره قال تعالى ان افيضوا علينا من الما
او لان السورة في المترفين وهم المختصون بالما البارد والظل والحق ان السوال
يعم المومن والكافر عن جميع النعم سوا كان مالا بد منه او ليس كذلك لان كل ذلك
يجب ان يكون مصروفا الى طاعة الله لا الى معصيته فيكون السوال واقعا
عن الكل ويوكده ما روي انه عليه السلم قال لا تزول قدما العبد يوم القيامة
حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله فيما
من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به وكذا النعيم من الله داخل
فيما ذكره عليه المسلة الثالثة اختلفوا ان هذا السوال اين يكون
فالقول الاول ان هذا السوال انما يكون في موقف الحساب فان قيل
هذا لا يستقيم لانه تعالى اخبر ان هذا السوال متاخر عن مشاهدة جهنم
بقوله ثم لتسالن واهوالها وموقف السوال متقدم على مشاهدة جهنم
قلنا المراد من قوله ثم اي ثم اخبركم انكم تسالون يوم القيامة وهو كقوله فك
رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا القول الثاني
انهم اذا دخلوا النار سيلوا عن النعم توبيخا لهم كما قال كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها وقال ما سلككم في سقر ولا شك ان مجي الرسول نعمة من الله فقد سيلوا
عنه بعد دخولهم النار ويقال انهم اذا اماتوا في الجحيم وشاهدوها يقال
لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم في الدنيا اشتغلتم بالنعم عن العمل الذي
ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل



النجاة والفائزين بالدرجات فيكون ذلك من الملايكة سوالا عن نعمهم في الدنيا

سورة العصر م

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اعلم انهم ذكروا في تفسير العصر
اقوالا القول الاول انه الدهر واحتج هذا القايل بوجوه احدها ما روي
عن النبي عليه السلم انه اقسم بالدهر وكان عليه السلم يقرا والعصر ونوايب الدهر
الا انا نقول هذا مفسد للصلاة فلا نقول قراه قرانا بل تفسيرا ولعله تعالى لم يذكر
الدهر لعلمه بان الملحد مولع بذكره وتعظيمه ومن ذلك ذكره في هل اتى ردا على فساد
قولهم بالدهر والطبع وثانيها ان الدهر مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السرا
والضرا والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ما هو اعجب من كل عجيب وهو ان العقل
لا يقوى على ان يحكم عليه بالعدم فانه مجزا مقسم بالسنة والشهر واليوم والساعة
ومحكوم عليه بالزيادة والنقصان والمطابقة وكونه ماضيا ومستقبلا
فكيف يكون معدوما ولا يمكنه ان يحكم عليه بالوجود لان الحاضر غير قابل للقسمة
والماضي والمستقبل معدومان فكيف يمكن الحكم عليه بالوجود وثالثها ان بقية
عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة ثم تبت في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في
الجنة ابد الاباد فعلمت حينيذ ان اشرف الاشيا حياتك في تلك اللمحة فكان الدهر
والزمان من جملة اصول النعم فلذلك اقسم بهما ونبه على ان الليل والنهار فرصة
يضيعها المكلف واليه الاشارة بقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ورابعها وهو ان قوله تعالى في سورة
الانعام قل لمن ما في السموات والارض قل لله اشارة الى المكان والمكانيات
المكان والمكانيات ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى الزمان
والزمانيات وقد بينا هناك ان الزمان اعلى واشرف من المكان فلما كان
كذلك كان القسم بالعصر قسما باشرف النصفين من ملك الله وملكوته وخامسها
انهم كانوا يضيفون الخسران الى نوايب الدهر فكانه تعالى اقسم على ان الدهر
والعصر نعمة حاصلة لا عيب فيها انما الخاسر المعيب هو الانسان وسادسها
انه تعالى ذكر العصر الذي بمضيه ينقص عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب
صار ذلك النقصان عين الخسران ولذلك قال لفي خسر ومن قول القايل

انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى بعض من الاجل

فكان المعنى والعصر العجيب امره حيث يفرح الانسان بمضيه لظنه انه وجد الربح
مع انه هدم لعمره وانه لفي خسر القول الثاني وهو قول ابي مسلم المراد بالعصر
احد طرفي النهار والسبب فيه وجوه احدها انه تعالى اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى
لما فيهما جميعا من دلايل القدره فان كل بكره كانها القيامه يخرجون من القبور
وتصير الاموات احيا وتقام الموازين وكل عشيه تشبه تخريب الدنيا بالصعق
والموت وكل واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ثم اذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين
عد خاسرا فكذا الانسان الغافل عنهما في خسر وثانيها قال الحسن رحمه الله انما
اقسم بهذا الوقت تنبيها على ان الاسواق قد دنا وقت انقطاعها وانتهاء التجاره والكسب
فيها فاذا لم يكتسب ودخلت الدار وطاف العيال عليك يسالك كل احد ماهو حقه
فحينيذ تخجل فتكون من الخاسرين فكذا نقول والعصر اي وعصر الدنيا فقد دنت
القيامه وبعد لم تستعد وتعلم انك تسال غدا عن النعم الذي كنت فيه في دنياك
وتسال عن معاملتك مع الخلق وكل احد من المظلومين يدعي ما عليك فاذا انت
خاسر ونظيره اقترب للناس حسابهم وهم في غفله معرضون وثالثها ان هذا الوقت
معظم والدليل عليه قوله عليه السلم من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا
ينظر اليه يوم القيامه فكما اقسم في حق الرابح بالضحى فكذا اقسم في حق الخاسر
بالعصر وذلك لانه اقسم بالضحى في حق الرابح وبشر الرسول ان امره الى الاقبال
وهاهنا في حق الخاسر توعده ان امره الى الادبار ثم كانه يقول بعض النهار
باقي فحثه على التدارك في البقيه بالتوبه وعن بعض السلف تعلمت معنى السوره
من بايع الثلج كان يصيح ويقول ارحموا من يذوب راس ماله ارحموا من
يذوب راس ماله فقلت هذا معنى ان الانسان لفي خسر يمر به العصر فيمضي
عمره ولا يكتسب فاذن هو خاسر القول الثالث وهو قول مقاتل
اراد صلوة العصر وذكروا فيه وجوها احدها انه تعالى اقسم بصلاة العصر
لفضلها بدليل قوله والصلاة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصه
وقيل في قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله انها صلاة العصر

احدهما



وثانيها قوله عليه السلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله
وثالثها ان التكليف في ادايها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم
اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم ورابعها ان امراه كانت تصيح في سكك
المدينه وتقول دلوني على النبي عليه السلم فراها رسول الله فسالها ماذا حدث
قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاني ولد من الزنا فالقيت
الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبه فقال
عليه السلم اما الزنا فعليك الرجم واما قتل الولد فجزاه جهنم واما بيع
الخل فقد ارتكبت كبيرا لكن ظننت انك تركت صلاه العصر ففي هذا الحديث اشاره
الى تفخيم صلاح امر هذه الصلاه وخامسها ان صلاه العصر بها يحصل
ختم طاعات النهار فهي كالتوبه بها يختم الاعمال فكما تجب الوصيه بالتوبه
كذا بصلاه العصر لان الامور بخواتيمها فاقسم بهذه الصلاه تفخيما لشانها
وزياده توصيه للمكلف على ادايها واشاره منه انك ان اديتها على وجهها
عاد خسرانك ربحا كما قال الا الذين امنوا وسادسها قال النبي عليه السلم
ثلثه لا ينظر الله اليهم يوم القيمه ولا يكلمهم ولا يزكيهم منهم رجل حلف بعد العصر
كاذبا فان قيل صلاه العصر فعلنا فكيف يجوز ان يقال اقسم الله تعالى به والجواب
انه ليس قسما من حيث انها فعلنا بل من حيث انها امر شريف تعبدنا الله بها
القول الرابع انه قسم بزمان الرسول عليه السلم واحتجوا عليه بقوله
عليه السلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من
يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر
الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب
بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر
عملا واقل اجرا فقال الله وهل نقصت من اجركم شيا قالوا لا قال فهذا
فضلي اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر دل على ان
العصر هو الزمان المختص به وبامته فلا جرم اقسم الله به فقوله والعصر
اي والعصر الذي انت فيه فهو تعالى اقسم بزمانه في هذه الايه وبمكانه

ردي

ذاهم

اليهم

في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعمرك وبلدك
وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فقس حال المظروف
ثم وجه القسم كانه تعالى يقول انت يا محمد حضرتهم ودعوتهم وهم اعرضوا
عنك وما التفتوا اليك فما اعظم خسرانهم وما اجل خذلانهم فقوله تعالى
ان الانسان لفي خسر وفيه مسايل المسئلة الاولى الالف واللام في الانسان
يحتمل ان يكون للجنس وان يكون للمعهود السابق فلهذا ذكر المفسرون فيه قولين
الاول المراد منه الجنس وهو كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس ويدل على هذا
القول استثنا الذين امنوا من الانسان والقول الثاني المراد منه
شخص معين قال ابن عباس يريد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص
بن وايل والاسود بن عبد المطلب وقال مقاتل نزلت في ابي لهب وفي
خبر مرفوع انه ابو جهل روي ان هولا كانوا يقولون ان محمدا لفي خسار
فاقسم تعالى ان الامر بالضد مما يتوهمون المسئلة الثانية الخسر الخسران
كما قيل الكفر في الكفران ومعناه النقصان وذهاب راس المال ثم فيه تفسيران
وذلك لانا ان حملنا الانسان على الجنس كان معنى الخسر هلاك نفسه وعمره
الا المومن العامل فانه ما هلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعاده ابديه
وان حملنا لفظ الانسان على الكافر كان المراد كونه في الضلاله والكفر الا من
امن من هولا فحينيذ يتخلص من ذلك الخسار الى الربح المسئلة الثالثة انما قال
لفي خسر ولم يقل لفي الخسر لان التنكير يفيد التهويل تاره والتحقير اخرى فان
حملناه على الاول كان المعنى ان الانسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله
وتقريره ان الذنب يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه وقع في مقابله النعم
العظيمه وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك
الذنب في غايه العظم وان حملناه على الثاني كان المعنى ان خسران الانسان
دون خسران الشيطان وفيه بشاره ان في خلقي من هو اعصى منك والتاويل
الصحيح هو الاول المسئلة الرابعه لقايل ان يقول قوله في خسر يفيد التوحيد
مع ان في انواع من الخسر والجواب ان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن



خدمه ربه واما البواقي وهو الحرمان عن الجنه والوقوع في النار فبالنسبه الى
الاول كالعدم وهذا لان الانسان في وجوده فوايد ثم قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اي لما كان هذا المقصود اجل المقاصد كان ساير المقاصد
بالنسبه اليه كالعدم واعلم ان الله تعالى قرن بهذه الايه قراين تدل على مبالغته
تعالى في بيان كون الانسان في خسر احدها ان قوله لفي خسر يفيد انه كالمغمور
في الخسران وانه احاط به من كل جانب وثانيها كلمه ان فانها للتاكيد وثالثها
حرف اللام في لفي خسر وهاهنا احتمالان الاول قوله تعالى في خسر اي في طريق
الخسر وهذا كقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى انما ياكلون في بطونهم نارا لما كانت عاقبته
النار الاحتمال الثاني ان الانسان لا ينفك عن خسر لان الخسر هو تضييع راس
المال وراس ماله هو عمره وهو قلما ينفك عن تضييع عمره وذلك لان كل ساعه
تمر بالانسان فان كانت مصروفه الى المعصيه فلا شك في الخسران وان كانت مشغوله
بالمباحات فالخسران ايضا حاصل لانه كما ذهب لم يبق منه اثر مع انه كان متمكنا
من ان يعمل فيه عملا يبقى اثره دايما وان كانت مشغوله بالطاعات فلا طاعه
الا ويمكن الاتيان بها او بغيرها على وجه احسن من ذلك لان مراتب الخضوع
والخشوع لله غير متناهيه فان مراتب جلال الله وقهره غير متناهيه
وكلما كان علم الانسان بها اكثر كان خوفه منه تعالى اكثر فكان تعظيمه عند الاتيان
بالطاعات اتم واكمل وترك الاعلى والاقتصار بالادنى نوع خسران فثبت ان
الانسان لا ينفك البته عن نوع خسران واعلم ان هذه الايه كالتنبيه على ان الاصل
في الانسان ان يكون في الخسار والخيبه وتقريره ان سعاده الانسان في حب
الاخره والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعيه الى الاخره خفيه والاسباب
الداعيه الى حب الدنيا ظاهره وهي الحواس الخمس والشهوه والغضب فلهذا
السبب صار اكثر الخلق مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها مكبين على الخنا
والبوار فان قيل انه تعالى قال في سوره التين لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فهناك يدل على ان الابتدا من الكمال والانتها الى
النقصان وهاهنا يدل على ان الابتدا من النقصان والانتها الى الكمال فكيف وجه

اموال صح

والاعراض صح

الجمع قلنا المذكور في سورة التين احوال البدن وها هنا احوال النفس
فلا تناقض بين القولين قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اعلم ان الايمان والاعمال الصالحة قد تقدم تفسيرهما مرارا ثم ها هنا مسايل
المسئلة الاولى احتج من قال العمل غير داخل في مسمى الايمان بان الله تعالى
عطف عمل الصالحات على الايمان ولو كان عمل الصالحات داخلا في مسمى الايمان
لكان ذلك تكريرا ولا يمكن ان يقال هذا التكرير واقع في القران كقوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله وملايكته وجبريل وميكايل لانا
نقول هناك انما حسن لان اعادته تدل على كونه اشرف انواع ذلك الكلي وعمل
الصالحات ليس اشرف انواع الامور المسماة بالايمان فبطل هذا التاويل قال
الحليمي هذا التكرير واقع لا محالة لان الايمان وان لم يشتمل على عمل الصالحات
لكن قوله وعملوا الصالحات يشتمل على الايمان فيكون قوله وعملوا الصالحات مكفيا
عن ذكر قوله الذين امنوا وايضا فقوله وعملوا الصالحات يشتمل على قوله وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر فوجب ان يكون ذلك تكريرا اجاب الاولون وقالوا
انا لا نمنع ورود التكرير لاجل التاكيد لكن الاصل عدمه وهذا القدر يكفي في الا
ستدلال المسئلة الثانية احتج القاطعون بوعيد الفساق بهذه الاية قالوا الاية
دلت على ان الانسان في الخسار مطلقا ثم استثنى الذين امنوا وعملوا الصالحات
والمعلق على الشرطين مفقود عند فقدان احدهما فعلمنا ان من لم يحصل له الايمان
والاعمال الصالحة لا بد ان يكون في الخسار في الدنيا والاخرة ولما كان المستجمع
لها بين الخصلتين في غاية القلة وكان الخسار لازما لمن لم يكن مستجمعا لهما كان الناجي
اقل من الهالك ثم لو كان الناجي اكثر كان الخوف عظيما حتى لا تكون انت من
القليل كيف والناجي اقل افلا ينبغي ان يكون الخوف اشد المسئلة الثالثة
ان هذا الاستثنا فيه امور ثلثة احدها انه تسلية للمومن من فوت عمره وشبابه
لان العمل قد اوصله الي ما هو خير من عمره وشبابه وثانيها انه نبه على
ان كل ما دعاك الي طاعة الله فهو الصلاح وكل ما شغلك عن الله بغيره فهو الفساد
وثالثها قالت المعتزلة تسمية الاعمال بالصالحات تنبيه على ان وجه حسنها ليس

ان م

الي م



هو الامر على ما يقوله الاشعرية لكن الامر انما ورد لكونها في انفسها مشتملة على
وجوه الصلاح واجابت الاشعرية بان الله تعالى وصف بكونها صالحة ولم
يبين انها صالحة بسبب وجوه عايدة اليها او بسبب الامر المسئلة الرابعة
لسايل ان يسال فيقول انه في جانب الخسر ذكر الحكم ولم يذكر السبب وفي
جانب الربح ذكر السبب وهو الايمان والعمل الصالح ولم يذكر الحكم فما الفرق
قلنا انما لم يذكر سبب الخسر لان الخسر كما يحصل بالفعل وهو الاقدام على المعصية
يحصل بالترك وهو عدم الاقدام على الطاعة اما الربح فلا يحصل الا بالفعل
فلهذا ذكر سبب الربح وهو العمل وفيه وجه اخر وهو انه تعالى في جانب الخسر
ابهم ولم يفصل وفي جانب الربح فصل وبين وهذا هو اللايق بالكرم اما قوله
تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فاعلم انه تعالى لما بين في اهل
الاستثنا انهم بايمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن ان يكونوا في خسر وصاروا
ارباب السعادة من حيث انهم تمسكوا بما يوديهم الي الفوز بالثواب والنجاة من
العقاب وصفهم بعد ذلك بانهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون
على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا ايضا بالطاعات الغير
كما ينبغي ان يكون عليه اهل الدين وعلى هذا الوجه قال تعالى يا ايها الذين امنوا
قوا انفسكم واهليكم نارا فالتواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل
والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب
وفي اجتنابهم ما يحرم اذ الاقدام على المكروه والاحجام عن المراد كلاهما
شاق شديد وها هنا مسايل المسئلة الاولى هذه الاية فيها وعيد شديد
وذلك لانه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس الا من كان اتيا بهذه الاشيا الاربعة
وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فدل ذلك على
ان النجاة معلقة بمجموع هذه الامور وانه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص
نفسه فكذلك يلزمه في غيره امور منها الدعا الي الدين والنصيحة والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وان يحب له ما يحب لنفسه ثم كرر التواصي ليتضمن
الاول الدعا الي والثاني الثبات عليه و الاول الامر بالمعروف والثاني

وصفها حواله

الصبر او الحق ظ

النهي عن المنكر ومنه قوله تعالى وانه عن المنكر واصبر وقال عمر رضي الله عنه
رحم الله من اهدى الي عيوبي المسئله الثانيه دلت الايه على ان الحق ثقيل
وان المحن تلازمه فلذلك قرن التواصي المسئله الثالثه انما قال وتواصوا
ولم يقل ويتواصون لئلا يقع امرا بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي
وذلك يفيد ترغيبهم الى الثبات عليه في المستقبل المسئله الرابعه قرا ابو عمرو بالصبر
بشم الباشمام الحرف لا يشبع قال ابو علي وهذا مما يجوز في الوقف ولا يكون في
الوصل الا على اجرا الوصل مجرى الوقف وهذا لا يكاد يكون في القراه وعلى هذا
ما يروى عن سلام بن المنذر انه قرا والعصر بكسر الصاد ولعله وقف لانقطاع
نفس او لعارض منعه من ادراج القراه وعلى هذا يحمل لا على اجرا الوصل
مجرى الوقف والله اعلم سورة الهمزه بسم الله الرحمن الرحيم
ويل لكل همزة لمزة الويل لفظه الذم والسخط وهي كلمه كل مكروب
يتولول فيدعوا بالويل واصله وي لفلان ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام
وروي جبل في جهنم ان قيل لم قال هاهنا ويل وفي موضع اخر ولكم الويل
قلنا لان ثمه قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال ولكم الويل وهاهنا نكر لانه
لا يعلم كنهه الا الله وقيل في ويل انها كلمه تقبيح وويس استصغار وويح ترحم
فنبه بهذا على قبح هذا الفعل واختلفوا في الوعيد الذي في هذه السورة
هل يتناول كل من يتمسك بهذه الطريقه في الافعال الرديه او هو مخصوص
باقوام معينين اما المحققون فقالوا انه عام لكل من يفعل هذا الفعل كاينا
من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وقال اخرون
انه مختص باناس معينين ثم قال عطا والكلبي نزلت في الاخنس بن شريق كان
يلمز الناس ويغتابهم وخاصه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل
نزلت في الوليد بن المغيره كان يغتاب النبي عليه السلام من ورايه ويطعن عليه
في وجهه وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان هذه السورة نزلت في اميه
بن خلف قال الفرا وكون اللفظ عاما لا ينافي في ان يكون المراد منه شخصا معينا
كما ان انسانا لو قال لك لا ازورك ابدا فتقول انت كل من لم يزرني لا ازوره



وانت انما تريده بهذه العامه وبالجمله هذا هو المسمى في اصول الفقه بتخصيص العام
بقرينة العرف المسئله الثانيه الهمز الكسر قال تعالى هماز مشا واللمز الطعن
والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم قال تعالى ولا تلمزوا
انفسكم وبنا فعله يدل على ان ذلك عاده منه قد ضري بها ونحوهما اللعنه والضحكه
وقرئ ويل لكل همزه لمزه بسكون الميم وهي المسخره التي تاتي بالاوابد والاضاحيك
فيضحك منه ويشتم وللمفسرين الفاظ احدها قال ابن عباس الهمزه المغتاب
الاحاجي واللمزه العياب وثانيها قال ابو زيد الهمزه باليد واللمزه باللسان
وثالثها قال ابو العاليه الهمزه بالمواجهه واللمزه بظهر الغيب ورابعها
الهمزه جهرا واللمزه سرا بالحاجب والعين وخامسها الهمزه اللمزه الذي
يلقب الناس بما يكرهون وكان الوليد بن يفعل ذلك لكنه لا يليق بمنصب الرياسه
انما ذلك من عاده السقاط ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم
ليضحكوا وقد حكى الحكم بن العاص مشيه النبي عليه السلام فنفاه عن المدينه ولعنه
وسادسها قال الحسن الهمزه الذي يهمز جليسه يكسر عليه عينه واللمزه الذي
يذكر اخاه بالسوء ويعيبه وسابعها عن ابي الجوزا قال قلت لابن عباس ويل لكل
همزه لمزه من هولا الذين يذمهم الله بالويل فقال هم المشاؤن بالنميمه المفرقون
بين الاحبه الناعتون للناس بالعيب واعلم ان جميع هذه الوجوه متقاربه
راجعه الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ثم هذا على قسمين فانه اما
ان يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد واما ان يكون بالهزل كما يكون عند
السخريه والاضحاك وكل واحد من القسمين فاما ان يكون في امر يتعلق بالدين
وهو ما يتعلق بالدين والطاعات واما ان يتعلق بالدنيا وهو ما يتعلق بالصوره
او المشي او الجلوس وانواعه كثيره وهي غير مضبوطه ثم اظهار العيب في هذه الاقسام
الاربعه قد يكون لحاضر وقد يكون لغايب وعلى التقديرات فقد يكون باللفظ وقد
يكون باشاره الراس والعين وغيرها وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر انما
البحث في ان اللفظ بحسب اللغه موضوع لماذا فما كان اللفظ موضوعا له كان
منهيا بحسب اللفظ وما لم يكن اللفظ موضوعا له كان داخلا تحت النهي بحسب

القياس الجلي ولما كان الرسول اعظم الناس منصبا في الدين كان الطعن فيه عظيما
عند الله فلا جرم قال ويل لكل همزة لمزة ثم قال تعالى الذي جمع مالا وعدده وفيه مسائل
المسئلة الاولى الذي بدل من كل او نصب على الذم وانما وصفه تعالى بهذا الوصف
لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه
ان الفضل فيه لاجل ذلك فيستنقص غيره المسئلة الثانية قرا حمزة والكسائي وابن عامر
جمع بالتشديد والباقون بالتخفيف والمعنى في جمع وجمّع واحد متقارب والفرق
ان التشديد يفيد انه جمعه من هاهنا وهاهنا لم يجمعه في يوم واحد ولا يومين
ولا شهر ولا شهرين يقال فلان يجمع الاموال اي يجمعها من هاهنا وهاهنا واما
بالتخفيف فلا يفيد ذلك واما قوله مالا فالتنكير فيه يحتمل وجهان احدهما ان يقال
المال اسم لكل ما في الدنيا كما قال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا فمال الانسان
الواحد بالنسبة الى مال كل الدنيا حقير فكيف يليق به ان يفتخر بذلك القليل
والثاني ان يكون المراد منه التعظيم اي مال بلغ في الخبث والفساد اقصى النهايات
فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر به اما وعدده ففيه وجوه احدها انه ماخوذ
من العدة وهي الذخيرة يقال اعددت الشي لكذا وعددته اذا امسكته له وجعلته
عدة وذخيرة لحوادث الدهر وثانيها عدده اي احصاه وجا التشديد لكثرة
المعدود كما يقال فلان يعدد فضايل فلان ولهذا قال السدي عدده اي احصاه
يقول هذا لي وهذا لي يلهيه ماله بالنهار فاذا جا الليل كان جيفة وثالثها
عدده اي كثره يقال في بني فلان عدد اي كثرة وهذان القولان الاخيران راجعان
الى معنى العدد والقول الثالث الى معنى العدة وقرا بعضهم وعدده بالتخفيف
وفيه وجهان احدهما ان يكون المعنى جمع المال وضبط عدده اي احصاه وثانيها
جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعُدد اذا كان له عدد
وافر من الانصار والرجال متى كان كذلك كان ادخل في التفاخر ثم وصفه تعالى
بضرب اخر من الجهل فقال يحسب ان ماله اخلده واعلم ان اخلده وخلده
بمعنى واحد ثم في التفسير وجوه احدها ان يكون المعنى طول المال امله
حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا لا يموت

مسلمان م

قوله ع

وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد يحسب هذا الانسان ان المال ضمن
له الخلود او اعطاه الامان من الموت وكانه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره على
الماضي وقال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت
وثانيها يعمل الاعمال المحكمة كتشييد البنيان بالاجر والجص عمل من يظن انه
يبقى حيا او لاجل ان يذكر بسببه بعد الموت وثالثها احب المال حبا شديدا
حتى اعتقد انه ان انتقص مالي اموت فلذلك يحفظه عن النقصان ليبقى
حيا وهذا غير بعيد من اعتقاد البخيل ورابعها ان هذا تعريض بالعمل
الصالح وانه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الاخرة
في النعيم المقيم اما قوله كلا ففيه وجهان احدهما انه ردع له عن حسبانه
اي ليس كما يظن ان المال يخلد بل العلم والصلاح ومنه قول علي رضي الله عنه
مات خزان المال وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر والقول الثاني
معناه حقا لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول
معنى القسم في كلا اما قوله لينبذن فانما ذكره بلفظ النبذ الدال على الاهانة
لان الكافر كان يعتقد انه من اهل الكرامة لينبذان اي هو وماله لينبذن
بضم الذال اي هو وانصاره واما الحطمة فقال المبرد انها النار التي تحطم
كل من وقع فيها ورجل حطمة اي شديد الاكل ياتي على زاد القوم واصل
الحطم في اللغة الكسر ويقال شر الرعا الحطمة يقال راع حطمة وحطم بغير ها
كانه يحطم الماشية اي يكسرها عند سوقها لعنفه قال المفسرون الحطمة
اسم من اسما النار وهي الدركة الثانية من دركات النار وقال مقاتل هي تحطم العظام
وتاكل اللحوم حتى تهجم على القلوب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الملك لياخذ الكافر فيكسره على صلبه كما توضع الخشبة على الركبة فتكسر ثم يرمي
به الى النار واعلم ان الفايدة في ذكر جهنم بهذا الاسم هاهنا وجوه احدها
الاتحاد في الصورة كانه تعالى يقول ان كنت همزة لمزة فوراك الحطمة والثاني
ان الهامز يكسر عرض غيره ليضع قدره فيلقيه في الحضيض فيقول تعالى وراك الحطمة وفي
الحطم كسر فالحطمة تكسرك وتلقيك في حضيض جهنم لكن الهمز ليس الا الكسر بالحاجب

وفي نسخة م

اما الحطمة فانها تكسر كسرا لا تبقي ولا تذر الثالث ان الهماز اللماز ياكل لحم الناس
والحطمة ايضا اسم للنار من حيث انها تاكل الجلد واللحم ويمكن ان يقال ذكر وصفين
الهمز واللمز ثم قابلهما باسم واحد وقال خذ واحدا مني بالاثنين منك فانه يفي ويكفي
فكان السايل يقول كيف يفي الواحد بالاثنين فقال انما تقول هذا لانك لا تعرف
هذا الواحد فلذلك قال وما ادريك ما الحطمة اما قوله نار الله فالاضافة
للتفخيم اي هي نار لا كساير النيران الموقدة التي لا تخمد ابدا او الموقدة بامره او
بقدرته ومنه قول علي عجبا ممن يعصي الله على ظهر الارض والنار تسعر من تحته وفي
الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة
حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اما قوله تعالى تطلع على الافيدة فاعلم انه
يقال طلع الجبل واطلع عليه اذا علاه ثم في تفسير الاية وجهان الاول ان النار تدخل
في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افيدتهم ولا شيء في بدن الانسان الطف
من الفواد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يماسه فكيف اذا اطلعت نار جهنم واستولت
عليه ثم ان الفواد مع استيلاء النار عليه لا يحترق اذ لو احترق لمات وهذا هو
المراد من قوله لا يموت فيها ولا يحيى ومعنى الاطلاع هو ان النار تنزل من اللحم
الى الفواد والثاني ان سبب تخصيص الافيدة بذلك هو انها مواطن الكفر والعقايد
الخبيثة والنيات الفاسدة واعلم انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل
اهلها حتى اذا اطلعت على افيدتهم انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة
اخرى اما قوله انها عليهم موصدة قال الحسن موصدة اي مطبقة اصدت
الباب واوصدته لغتان ولم يقل مطبقة لان الموصدة هي الابواب المغلقة والاطباق
لا يفيد معنى الباب فاعلم ان الاية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه احدها
ان قوله لينبذن يقتضي انه موضع له قعر عميق جدا كالبير وثانيها انه لو شاء
لجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه بالباب يذكرهم الخروج فيزيد
في حسرتهم وثالثها انه قال عليهم موصدة ولم يقل موصدة عليهم لان
قوله عليهم موصدة يفيد ان المقصود اولا كونهم بهذه الحالة وقوله
موصدة عليهم لا يفيد هذا المعنى بالقصد الاول اما قوله تعالى في عمد ممددة



ففيه مسايل المسئلة الاولى قرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين
قال الفراء عمد وعمد مثل الاديم والادم والاهاب والاهب والقضيم والقضم والقضم
وقال المبرد وابو علي العمد جمع عمود على غير واحده اما الجمع على واحده فهو العمد مثل
زبور وزبر ورسول ورسل المسئلة الثانية العمود كل مستطيل من خشب او
حديد وهو اصل للبناء يقال عمود البيت للذي يقوم به البيت المسئلة الثالثة
في تفسير الاية وجهان الاول انها عمد اغلقت بها تلك الابواب نحو ما تغلق به
الدروب وفي بمعنى الباء انها عليهم موصدة بعمد مدت عليها ولم يقل بعمد لانها
لكثرتها صارت كان الباب فيها والقول الثاني ان يكون المعنى انها عليهم
موصدة حال كونهم موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
اللهم اجرنا من عذابك يا اكرم الاكرمين

## سورة الفيل

روي ان ابرهة
ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس
واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج من بني كنانة رجل وتغوط فيها ليلا فاغضبه ذلك
وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة
فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى وقيل اثنا عشر
وقيل الف فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال
تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم
يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى ساير الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد
المطلب مايتي بعير فخرج اليهم فيها فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما
وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال سقطت من
عيني جيت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابايك فالهاك عنه ذود اخذ لك
فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى البيت فاخذ بحلقته
وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا
محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب
فامنع عنهم حماكا ثم التفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال
والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره

وحجر في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى
منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على
راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق
ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن
قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص
عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وعن عايشة قالت
رايت قايد الفيل وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان ثم في الايات
سؤالات السوال الاول لم قال الم تر مع ان هذه الواقعة وقعت
قبل المبعث بزمان طويل الجواب المراد من الروية العلم والتذكر
وهو اشارة الى ان الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا
في القوة والجلاء للروية ولهذا السبب قال لغيره على سبيل الذم اولم يروا
كم اهلكنا قبلهم من القرون لا يقال فلم قال الم تعلم ان الله على كل شي قدير
لانا نقول الفرق ان ما لا يتصور ادراكه لا يستعمل فيه الا العلم لكونه قادرا
واما الذي يتصور ادراكه كفرار الفيل فانه يجوز ان يستعمل فيه الروية
السوال الثاني لم قال الم تر كيف فعل ربك ولم يقل الم تر ما فعل
ربك الجواب لان الاشيا لها ذوات ولها كيفيات باعتبارها
تدل على مداومتها وهذه الكيفية هي التي يسميها المتكلمون وجه الدليل
واستحقاق المدح انما يحصل برؤية هذه الكيفيات لا برؤية الذوات ولهذا
قال افلم ينظروا الى السما كيف بنيناها ولا شك ان هذه الواقعة كانت دالة
على قدرة الصانع وعلمه وحكمته وكانت دالة على شرف محمد عليه السلام
وذلك لان مذهبنا انه يجوز تقدم المعجزات على زمان البعثة تاسيسا
لنبوتهم وارهاصا لها ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله وعند المعتزلة
ان ذلك لا يجوز فلا جرم زعموا انه لا بد وان يقال كان في ذلك الزمان نبي
كخالد بن سنان او قس بن ساعدة ثم قالوا ولا يجب ان يشتهر وجودهما
ويبلغ الى حد التواتر لاحتمال انه كان مبعوثا الى جمع قليلين فلا جرم

فوقهم ح



لم يشتهر خبره واعلم ان قصة الفيل واقعة على الملحدين جدا لانهم ذكروا
في الزلازل والرياح والصواعق وساير الاشيا التي عذب الله بها الامم
اعذارا ضعيفة اما هذه الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار لانه ليس
في شي من الطبايع والحيل ان يقبل طير معها حجارة فيقصد قوما دون
قوم فيقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن
بين عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعون سنة ويوم تلا
الرسول هذه السورة كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة ولو
كان النقل ضعيفا لشافهوه بالتكذيب فلما لم يكن كذلك علمنا انه لا سبيل
للطعن فيه السوال الثالث لم قال فعل ولم يقل جعل ولا خلق ولا
عمل الجواب لان خلق يستعمل لابتدا الفعل وجعل للكيفيات
قال تعالى خلق السموات والارض وجعل الظلمات وعمل بعد الطلب
وفعل عام فكان ادل لانه تعالى خلق الطيور وجعل طبع الفيل على
خلاف ما كانت عليه وسالوه ان يحفظ البيت ولعله كان فيهم من
يستحق الاجابة فلو ذكر الالفاظ الثلثة لطال الكلام فذكر لفظا يشمل
الكل السوال الرابع لم قال ربك ولم يقل الرب الجواب
من وجوه احدها كانه تعالى قال انهم شاهدوا هذا الانتقام ثم لم
يتركوا عبادة الاوثان وانت يا محمد ما شاهدته ثم اعترفت بالشكر
والطاعة فكانك انت الذي رايت ذلك الانعام فلا جرم تبرات عنهم
واخترتك من الكل فاقول ربك اي انا لك ولست لهم بل عليهم
وثانيها كانه تعالى قال انما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا
لمقدمك فانا كنت مربيا لك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك
ففيه بشارة له عليه السلام بانه سيظفر السوال الخامس قوله الم تر
كيف فعل ربك مذكور في معرض التعجب وهذه الاشيا بالنسبة الى قدرة
الله ليست عجيبة فما السبب لهذا التعجب الجواب من وجوه احدها
ان الكعبة تبع لمحمد عليه السلام وذلك لان العلم يودي بدون المسجد اما لا مسجد

الانعام ح

بدون العالم فالعالم هو الدر والمسجد هو الصدف ثم الرسول الذي هو
الدر همزه الوليد ولمزه حتى ضاق قلبه فكانه تعالى يقول ان الملك العظيم لما
طعن في المسجد هزمته وافنيته فمن طعن فيك وانت المقصود من الكل الا افنيه
واعدمه ان في هذا العجيب وثانيها الكعبه قبله ملايك وقلبك قبله معرفتك
ثم انا حفظت عملك عن الاعدا فلا تسعى في حفظ قبله دينك عن الاثام والمعاصي
السوال السادس لم قال اصحاب الفيل ولم يقل ارباب الفيل وملاك
الفيل الجواب لان الصاحب يكون من الجنس فقوله اصحاب الفيل يدل على
ان اوليك الاقوام كانوا من جنس الفيل في البهيميه وعدم الفهم والعقل بل
فيه دقيقه وهي انه اذا حصلت المصاحبه بين شخصين فيقال للادون انه
صاحب الاعلى ولا يقال للاعلى انه صاحب الادون ولذلك يقال لمن صحب
الرسول عليه السلم انهم الصحابه فقوله اصحاب الفيل يدل على ان اوليك الاقوام
كانوا اقل حالا وادون منزله من الفيل وهو المراد من قوله تعالى بل هم اضل
ومما يوكد ذلك انهم كلما وجهوا الفيل الى جانب الكعبه كان يتحول عنه ويفر
عنه كانه كان يقول لا طاعه لمخلوق في معصيه الخالق فنزى محمد ثلا انزله
وهم ما كانوا يتركون تلك العزيمه الرديه فدل ذلك على ان الفيل كان
احسن حالا منهم السوال السادس ليس ان كفار قريش كانوا
ملوا الكعبه من الاوثان من قديم الدهر ولا شك ان ذلك كان اقبح من تخريب
جدران الكعبه فلم سلط الله العذاب على من قصد التخريب ولم يسلط العذاب
على من ملاها من الاوثان والجواب لان وضع الاوثان فيها
تعدي على حق الله تعالى وتخريبها تعدي على حق الخلق فنظيره قاطع
الطريق والباغي والقاتل يقتلون مع انهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير
والاعمى وصاحب الصومعه والمراه وان كانوا كفارا لانه لا يتعدى ضررهم
الى الخلق السوال السابع كيف القول في اعراب هذه الايه الجواب
قال الزجاج كيف في موضع نصب بفعل لا بقوله الم تر لان كيف من حروف
الاستفهام واعلم ان تعالى ذكر ما فعل بهم فقال الم يجعل كيدهم في تضليل



وفيه مسايل المسئله الاولى اعلم ان الكيد هو اراده مضره بالغير على
الخفيه ان قيل فلم سماه كيدا وامره كان ظاهرا فانه كان يصرح انه كان
يهدم الكعبه قلنا نعم لكن الذي كان في قلبه شرمما اظهر لانه كان يضمر الحسد
للعرب وكان يريد صرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبه منهم ومن بلدهم
الى نفسه والى بلدته المسئله الثانيه قالت المعتزله اضافه الكيد اليهم
دليل انه تعالى لا يرضى بالقبيح اذ لو رضي لاضافه الى ذاته كقوله الصوم
لي الجواب انه ثبت في علم النحو انه يكفي في حسن الاضافه ادنى سبب
فلم لا يكفي في حسن هذه الاضافه وقوعه مطابقا لارادتهم واختيارهم
المسئله الثالثه في تضليل اي في تضيع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله
ضالا ضايعا ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل
لامري القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت
اولا ببنا القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل
كيدهم بايقاع الحريق فيه ثم كادوه ثانيا باراده هدمه فضلل بارسال
الطير عليهم ومعنى حرف الظرف كما يقال سعى فلان في ضلال اي سعيهم
كان في امر ظهر لكل عاقل انه كان ضلالا وخطا ثم قال تعالى وارسل
عليهم طيرا ابابيل وفيه سوالات السوال الاول لم قال طيرا على
التنكير الجواب اما للتحقير فانه مهما كان احقر كان صنع الله اعجب
واكبر او للتفخيم كانه يقول طيرا واي طير ترمي بحجاره صغيره فلا تخطي
المقتل السوال الثاني ما الابابيل الجواب اما اهل اللغه
فقال ابو عبيده ابابيل جماعات في تفرقه يقال جات الخيل ابابيل
من ههنا وههنا وهل لهذه اللفظه واحد ام لا فيه قولان الاول
وهو قول الاخفش والفرا انه لا واحد لها وهو مثل الشماطيط والعباديد
لا واحد لها والثاني ان له واحدا ثم على هذا القول ذكروا ثلثه اوجه
احدها زعم ابو جعفر الرواسي وكان ثقه مامونا انه سمع واحدها ابالة
وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمه الكبيره سميت الجماعه من الطير في

نظامها بالآبالة وثانيها قال الكسائي كنت اسمع النحويين يقولون ابول وابابيل كعجول وعجاجيل وثالثها قال الفرا ولو قال قايل واحد الابابيل ابيالة كان صوابا كما قال دينارا ودنانير السوال الثالث ما صفة تلك الطير الجواب روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الفيل واكف كاكف الكلاب وروى عطا عنه قال طيرا سود جات من قبل البحر فوجا فوجا ولعل السبب انها ارسلت الى قوم كان في صورتهم سواد اللون وفي سيرتهم سواد الكفر والمعصية وعن سعيد بن جبير انها بيض صغار ولعل السبب ان ظلمة الكفر انهزمت بها والبياض ضد السواد وقيل كانت خضرا ولها رووس مثل رووس السباع واقول انها لما كانت افواجا فلعل كل فوج منها كان على شكل اخر فكل احد وصف ما راى وقيل كانت بلقا كالخطاطيف ثم قال ترميهم بحجارة من سجيل وفيه مسايل المسلة الاولى قرا ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اي الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يونث على المعنى المسلة الثانية ذكروا في كيفية الرمي وجوها احدها قال مقاتل كان كل طاير يحمل ثلثة احجار واحد في منقاره واثنان في رجليه يقتل كل واحد رجلا مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ما وقع منها حجر على موضع الا خرج من الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره وثانيها روى عكرمة عن ابن عباس قال لما ارسل الله الحجارة على اصحاب الفيل لم يقع حجر على احد منهم الا نفط جلده وثار به الجدري وهو قول سعيد بن جبير وكانت تلك الاحجار اصغرها مثل العدسة واكبرها مثل الحمصة واعلم ان من الناس من انكر ذلك وقال لو جوزنا ان يكون في الحجارة الصغيرة التي تكون مثل العدسة من الثقل ما يقوى به على ان ينفذ من راس الانسان ويخرج من اسفله لجوزنا ان يكون الجبل العظيم خاليا عن الثقل وان يكون في وزن التبنة وذلك يرفع الامان عن المشاهدات فانه متى جاز ذلك فليجز ان تكون بحضرتنا شموس واقمار



ولا نراها وان يحصل الادراك في عين الضرير حتى يكون هو بالمشرق ويرى بقة في الاندلس وكل ذلك محال واعلم ان كل ذلك على مذهبنا جاير الا ان العادة جارية بانها لا تقع المسلة الثالثة ذكروا في السجيل وجوها احدها ان السجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال ومنه السجل الدلو المملو ما وانما سمي ذلك الكتاب بهذا الاسم لانه كتب فيه العذاب والعذاب موصوف بالارسال لقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله فارسلنا عليهم الطوفان فقوله من سجيل اي مما كتبه الله في ذلك الكتاب وثانيها قال ابن عباس سجيل معناه سنك وكل تعني بعضه حجر وبعضه طين وثالثها قال ابو عبيدة السجيل الشديد ورابعها السجيل اسم لسما الدنيا وخامسها السجيل حجارة من جهنم فان سجين اسم من اسما جهنم فابدلت النون باللام اما قوله فجعلهم كعصف ماكول ففيه مسايل المسلة الاولى ذكروا في تفسير العصف وجوها ذكرناه في قوله والحب ذو العصف وذكروا ههنا وجوها احدها انه ورق الزرع الذي يبقى في الارض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتاكله المواشي وثانيها قال ابو مسلم العصف التبن لقوله ذو العصف والريحان كانه مما تعصف به الريح عند الذرو فتفرقه عن الحب وهو اذا كان ماكولا فقد بطل ولا رجعة له ولا منفعة فيه وثالثها قال الفرا هو اطراف الزرع قبل ان يدرك السنبل ورابعها هو الحب الذي اكل لبه وبقي قشره المسلة الثانية ذكروا في تفسير الماكول وجوها احدها انه الذي اكل وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان احدهما ان يكون المعنى كزرع وتبن قد اكلته الدواب ثم القته روثا ثم يجف وتتفرق اجزاوه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزا الروث الا ان العادة عنه جاءت على ما عليه القران كقوله كانا ياكلان الطعام وهو قول مقاتل وقتادة وعطا عن ابن عباس والاحتمال الثاني على هذا الوجه ان يكون التشبيه واقعا بورق الزرع اذا وقع فيه الاكال وهو ان تاكله الدود

اداب ٤

الوجه الثاني في تفسير قوله ماكول هو انه جعلهم كزرع قد اكل حبه وبقي
تبنه وعلى هذا التقدير يكون المعنى كعصف ماكول الحب كما يقال فلان حسن
اي حسن الوجه فاجري ماكول على العصف من اجل انه اكل حبه لان
هذا المعنى معلوم وهذا قول الحسن الوجه الثالث في التفسير
ان يكون معنى ماكول انه مما يوكل يعني ياكله الدواب وهو قول عكرمه
والضحاك المسئله الثالثه قال بعضهم ان الحجاج خرب الكعبه ولم يحدث
شي من ذلك فدل ذلك على ان قصه الفيل ما كانت على هذا الوجه وان كانت
هكذا الا ان السبب لتلك الواقعه امر اخر سوى تعظيم الكعبه الجواب
انا بينا ان ذلك وقع ارهاصا لامر محمد عليه السلام والارهاص انما يحتاج اليه
قبل قدومه اما بعد قدومه وتاكد ثبوته بالدلايل القاطعه فلا حاجه الي
شي من ذلك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة قريش

لايلاف قريش ايلافهم اعلم ان هاهنا
مسايل المسئله الاولى اللام في قوله لايلاف يحتمل وجوها ثلثه فانها اما
ان تكون متعلقه بالسوره التي قبلها او بالايه التي بعدها او لا تكون متعلقه لا
على قبلها ولا على بعدها اما الوجه الاول وهو ان تكون متعلقه بما قبلها فقيه
احتمالات الاول وهو قول الزجاج وابي عبيده ان التقدير فجعلهم
كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش وما
قد الفوا من رحله الشتا والصيف فان قيل هذا ضعيف لانهم انما جعلوا
كعصف ماكول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك لتاليف قريش قلنا هذا السوال
ضعيف لوجوه احدها انا لا نسلم ان الله انما فعل بهم ذلك لكفرهم فان
الجزا على الكفر موخر الى القيامه قال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
وقال ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابه ولانه تعالى
لو فعل بهم ذلك لكفرهم لكان قد فعل ذلك بجميع الكفار بل انما فعل ذلك بهم
لايلاف قريش ولتعظيم منصبهم واظهار قدرهم وثانيها هب ان زجرهم
عن الكفر مقصود لكن لا ينافي كون شي اخر مقصودا حتى يكون الحكم واقعا



بمجموع الامرين وثالثها هب انهم اهلكوا لكفرهم فقط الا ان ذلك الاهلاك
لما ادى الى ايلاف قريش جاز ان يقال اهلكوا لايلاف قريش كقوله تعالى
ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه لذلك لكن لما ال الامر اليه حسن ان
يمثل عليه الالتقاط الاحتمال الثاني ان يكون التقدير الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل لايلاف كانه تعالى قال كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لايلاف قريش
فانه تعالى جعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل حتى صاروا كعصف
ماكول فكل ذلك انما كان لاجل ايلاف قريش الاحتمال الثالث
ان تكون اللام في قوله لايلاف بمعنى الى كانه قال فعلنا كل ما فعلنا في السوره
المتقدمه الى نعمه اخرى عليهم وهي ايلافهم رحله الشتا والصيف تقول
نعمه الى نعمه ونعمه لنعمه سوا في المعنى هذا قول الفرا فهذه احتمالات ثلثه
توجهت على تقدير تعليق اللام بالسوره قبل هذه وبقي من مباحث هذا
القول امران الاول ان للناس في تعليق هذه اللام بالسوره المتقدمه
قولان احدهما انهم جعلوا السورتين سوره واحده واحتجوا عليه بوجوه
احدها ان السورتين لا بد وان تكون كل واحده منهما مستقله بنفسها ومطلع
هذه السوره لما كان متعلقا بالسوره المتقدمه وجب ان لا تكون سوره
مستقله وثانيها ان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه سوره واحده
وثالثها ما روي ان عمر قرا في صلاه المغرب في الركعه الاولى والتين وفي
الثانيه الم تر ولايلاف قريش معا من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
والقول الثاني وهو المشهور المستفيض ان هذه السوره منفصله عن
سوره الفيل واما تعلق اول هذه السوره بما قبلها فليس بحجه على ما قالوه
لان القران كله كالسوره الواحده وكالايه الواحده يصدق بعضها بعضا
ويبين بعضها معنى بعض الا ترى ان الايات الداله على الوعيد مطلقه
ثم انها متعلقه بايات التوبه وبايات العفو عند من يقول به وقوله انا
انزلناه متعلق بما قبله من ذكر القران واما قوله ان ابيا رضي الله عنه لم يفصل
بينهما فهو معارض باطباق الكل على الفصل بينهما واما قراه عمر رضي الله عنه

فما الطفل حتى يفطم الام كارهو
فما خوله العصى حتى يحلم كيشه
فاكله الذوات

فانها لا تدل على انها سوره واحده لان الامام قد يقرا سورتين البحث
الثاني فيما يتعلق بهذا القول بيان انه لم صار ما فعله الله باصحاب الفيل سببا
لايلاف قريش فنقول لا شك ان مكه كانت خاليه عن الزرع والضرع على
ما قال تعالى بواد غير ذي زرع الى قوله فاجعل افيده من الناس تهوي
اليهم وارزقهم من الثمرات فكان اشراف اهل مكه يرتحلون للتجاره هاتين
الرحلتين ويانون لانفسهم ولاهل بلدهم ما يحتاجون اليه من الاطعمه و
الثياب وهم انما كانوا يربحون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون
اهل مكه ويقولون هولا جيران بيت الله وسكان حرمه وولاه الكعبه
وحتى انهم كانوا يسمون اهل مكه اهل الله فلو تم للحبشه ما عزموا عليه من
هدم الكعبه لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا في التعظيم والاحترام
ولصار سكان مكه كسكان ساير النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض
لهم في نفوسهم واموالهم فلما اهلك الله اصحاب الفيل ورد كيدهم في نحرهم
ازداد وقع اهل مكه في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت
تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال الله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل لايلاف قريش رحلة الشتا والصيف والوجه الثاني فيما يدل
على صحه هذا القول ان قوله تعالى في اخر هذه السوره فليعبدوا رب
هذا البيت الذي اشاره الى اول سوره الفيل كانه قال فليعبدوا
رب هذا البيت الذي قصده اصحاب الفيل ثم ان رب البيت دفعهم
عن مقصودهم لاجل ايلاف قريش ونفعهم لان الامر بالعباده انما يحسن مرتبا
على ايصال المنفعه فهذا يدل على تعلق اول هذه السورة بالسوره المتقدمه
القول الثاني وهو ان اللام في لايلاف متعلقه بقوله فليعبدوا وهو
قول الخليل وسيبويه والتقدير فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش
اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمه واعترافا بها فان قيل فلم دخلت
الفا في قوله فليعبدوا قلنا لما في الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم
الله عليهم لا تحصى فكانه قيل ان لم تعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحده



التي هي نعمه ظاهره القول الثالث ان تكون هذه اللام غير متعلقه
لا بما قبلها ولا بما بعدها قال الزجاج قال قوم هذه لام التعجب كان المعنى
اعجبوا لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا وانغماسا في
عباده الاوثان والله تعالى يولف شملهم ويدفع الافات عنهم وينظم اسباب
معاشهم وذلك لا شك انه في غايه التعجب من عظيم حلم الله وكرمه ونظيره في
اللغه قولك لزيد وما صنعنا به ولزيد وكرامتنا اياه وهذا اختيار الكسائي
والاخفش والفرا المسله الثانيه ذكروا في الايلاف ثلثه اوجه احدها
ان الايلاف هو الالف قال علما اللغه الفت الشي والفته الافا والافا وايلافا
بمعنى واحد اي لزمته فيكون المعنى لالف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا
وقرا ابو جعفر لالف قريش وقرا الاخرون لالاف قريش وقرا عكرمه
ليلاف قريش وثانيها ان يكون هذا من قولك لزمت موضع كذا والزمنيه
الله كما تقول الفت كذا والفنيه الله ويكون المعنى اثبات الالفه بالتدبير
الذي فيه لطف الف بنفسه الفا والفه غيره ايلافا والمعنى ان هذه الالفه انما
حصلت في قريش بتدبير الله وهو كقوله ولكن الله الف بين قلوبهم وقال
والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقد تكون المسره سببا للموانسه
والاتفاق كما وقعت عند انهزام اصحاب الفيل لقريش فيكون المصدر
هاهنا مضافا الى المفعول ويكون المعنى لاجل ان يجعل الله قريشا ملازمين
لرحلتيهم وثالثها ان يكون الايلاف التهيه والتجهيز وهو قول الفرا
وابن الاعرابي فيكون المصدر على هذا القول مضافا الى الفاعل والمعنى
لتجهيز قريش رحلتيها حتى يتصلا ولا ينقطعا وقرا ابو جعفر ليلاف
بغير همز فحذف همزه الافعال حذفا كليا وهو كمذهبه في يستهزون وقد
مر تقديره المسله الثالثه التكرير في قوله لايلاف قريش ايلافهم هو ان الملوق
الايلاف اولا ثم جعل المقيد بدلا لذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا
لعظيم المنه فيه والاقرب ان يكون قوله لايلاف قريش عاما يجمع كل
موانسه وموافقه كان بينهم فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع احوالهم

ثم ايلاف الرحلتين بالذكر لسبب انهم قوام معاشهم كما في قوله وجبريل
وميكائيل وفايده ترك واو العطف التنبيه على انه كل النعمة وتقول العرب
الف كذا اي لزمه والالزام ضربان الزام بالتكليف والامر والزام بالمودة
والمؤانسة فانه اذا احب المرء شيئا لزمه ومنه والزمهم كلمة التقوى
كما ان الالجا ضربان احدهما لدفع الضرر كالهرب من السبع والثاني
لطلب النفع العظيم كمن يجد مالا عظيما ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا شرعا
ولا حسا فانه يكون كالملجا الى الاخذ وكذا الداعي التي تكون دون الالجا
مرة تكون لدفع الضرر واخرى لجلب النفع وهو المراد في قولهم ايلافهم
المسئلة الرابعة اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة قال عليه السلام
انا بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا وذكروا في سبب هذه التسمية
وجوها احدها انه تصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا يطاق الا بالنار وعن معوية انه سال ابن عباس لم سميت
قريش قال بدابة في البحر تاكل ولا توكل تعلو ولا تعلى وانشد
وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
والتصغير للتعظيم ومعلوم ان قريشا موصوفون بهذه الصفات لانها تلي امر الامة
فان الائمة من قريش وثانيها انه ماخوذ من القرش وهو الكسب
لانهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وثالثها قال الليث
كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى
اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لان التقرش التجمع تقرش القوم اجتمعوا
ولذلك سمي قصي مجمعا قال الشاعر
ابوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر
ورابعها انهم كانوا يسدون خلة محاويج الحاج فسموا بذلك قريشا لان القرش
التفتيش قال ابن حلزة ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو وهل لذاك
بقاء قوله تعالى رحلة الشتاء والصيف فيه مسائل المسئلة
الاولى قال الليث الرحلة اسم الارتحال من القوم للمسير وفي المراد



من هذه الرحلة قولان الاول وهو المشهور قال المفسرون كانت لقريش
رحلتان رحلة بالشتا الى اليمن لان اليمن ادفا وبالصيف الى الشام وذكر عطا
عن ابن عباس ان السبب في ذلك هو ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة
خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خبا حتى يموتوا الى ان جاء هاشم
بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له اسد وكان له ترب
من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فشكا اليه الضر والمجاعة فدخل اسد على امه
يبكي فارسلت الى اولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه اياما ثم اتى ترب اسد
اليه مرة اخرى وشكا من الجوع فقام هاشم خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم
حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشرف ولد ادم والناس لكم
تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتا
الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات فما ربح الغني قسم بينه وبين الفقير
حتى كان فقيرهم كغنيهم فجا الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب
اكثر مالا ولا اعز من قريش وقال الشاعر فيهم
الخالطين فقيرهم بغنيهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي
واعلم ان وجه النعمة والمنة فيه انه لو تم لاصحاب الفيل ما ارادوا لترك اهل الاقطار
تعظيمهم وايضا لتفرقوا وصار حالهم كحال اليهود المذكور في قوله وقطعناهم
في الارض امما واجتماع القبيلة الواحدة في مكان واحد ادخل في النعمة
من ان يكون الاجتماع من قبايل شتى ونبه تعالى ان من شرط السفر المؤانسة
والالفة ومنه قوله تعالى ولا جدال في الحج والسفر احوج الى مكارم الاخلاق
من الاقامة القول الثاني ان المراد رحلة الناس الى اهل مكة فرحلة
الشتا والصيف عمرة رجب وحج ذي الحجة لانه كان احدهما شتاء والاخر
صيفا وموسم منافع مكة يكون بهما ولو كان يتم لاصحاب الفيل ما ارادوا لتعطلت
هذه المنفعة المسئلة الثانية نصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد
رحلتي الشتا والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقيل
معناه رحلة الشتا ورحلة الصيف وقرى رحلة بضم الرا وهي الجهة

قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت اعلم ان الانعام على قسمين احدهما
دفع الضرر والثاني جلب النفع والاول اهم واقدم ولذلك قالوا دفع الضرر
عن النفس واجب اما جلب النفع غير واجب فلهذا السبب بين تعالى نعمه
دفع الضرر في سورة الفيل ونعمة جلب النفع في هذه السورة ولما تقرر ان
الانعام لا بد وان يقابل بالشكر والعبودية لا جرم اتبع ذكر النعمة بطلب
العبودية فقال فليعبدوا وهاهنا مسائل المسئلة الاولى ذكرنا ان العبادة
هي التذلل والخضوع للمعبود على غاية ما يكون ثم قال بعضهم اراد فليوحدوا
لانه هو الذي حفظ البيت دون الاوثان ولان التوحيد مفتاح العبادات
ومنهم من قال المراد العبادات المتعلقة باعمال الجوارح ثم ذكر كل
احد قسما من اقسام العبادة والاولى حمله على الكل لان اللفظ متناول
للكل الا ما اخرجه الدليل وفي الاية وجه اخر وهو ان يكون معنى فليعبدوا
اي فليتركوا رحلة الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة رب هذا البيت
فانه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ولعل تخصيص لفظ الرب
تقرير لما قالوه لابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يعولوا في ذلك على الاصنام
فلزمهم لاقرارهم ان لا يعبدوا سواه كانه يقول لما عولتم في الحفظ علي
فاصرفوا العبادة والخدمة الي المسئلة الثانية الاشارة الى البيت في
هذا اللفظ تفيد التعظيم فانه سبحانه تارة اضاف العبد الى نفسه فيقول
يا عبادي وتارة يضيف نفسه الى العبد فيقول والهكم كذا في البيت
يضيف نفسه الى البيت فيقول طهر بيتي ثم قال الذي اطعمهم من جوع

وهو قوله فليعبدوا رب هذا البيت وثالثها
يضيف البيت الى نفسه صح

وفي هذا الاطعام وجوه احدها انه تعالى لما امنهم بالحرم حتى لم يتعرض
لهم في رحلتهم كان ذلك سبب اطعامهم بعدما كانوا فيه من الجوع وثانيها
قال مقاتل شق عليهم الذهاب الى اليمن والشام في الشتاء والصيف
لطلب الرزق فقذف الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا الطعام في السفن
الى مكة فحملوه وجعل اهل مكة يخرجون اليهم بالابل والحمر فيشترون
طعامهم من جدة على مسيرة ليلتين وتتابع ذلك فكفاهم الله مؤنة الرحلتين



وثالثها قال الكلبي هذه الاية معناها انهم لما كذبوا محمدا عليه السلام دعا عليهم فقال اللهم صح
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا
يا محمد ادع الله فانا مؤمنون فدعا رسول الله فاخصبت البلاد واخصب
اهل مكة بعد القحط فقوله اطعمهم من جوع في الاية سؤالات السؤال

فذلكم صح

الاول العبادة انما وجبت لانه تعالى اعطى اصول النعم والاطعام ليس
من اصول النعم فلماذا علل وجوب العبادة بالاطعام والجواب
من وجوه احدها انه تعالى لما ذكر انعامه عليهم بحبس الفيل وارسال
الطير واهلاك الحبشة وبين انه تعالى فعل ذلك لايلافهم ثم امرهم بالعبادة
فكان قائلا قال يقول لكنا نحن محتاجون الى كسب الطعام والذب
عن النفس فلو اشتغلنا بالعبادة فمن الذي يطعمنا فقال الذي اطعمهم
قبل ان يعبدوه الا يطعمهم اذا عبدوه وثانيها انه تعالى بعد ان اعطى
العبد اصول النعم انشا العبد اليه ثم انه تعالى يطعمهم مع ذلك فكانه
تعالى يقول اذا لم تستحيوا من اصول النعم الا تستحيون من احساني اليكم
بعد ما اسأتم وثالثها انما ذكر الانعام لان البهيمة تطيع من يعلفها
فكانه تعالى يقول لستم دون البهيمة السؤال الثاني اليس انه
تعالى جعل الدنيا ملكا لنا بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا فكيف يحسن
المنة علينا بان اعطانا ملكنا الجواب انظر في الاشيا التي لا بد
منها حتى يتم الطعام ويتهيأ وفي الاشيا التي لا بد منها بعد الاكل حتى يتم

قبل الاكل صح

الانتفاع بالطعام الماكول فانك تعلم انه لا بد من الافلاك والكواكب ولا بد
من العناصر الاربعة حتى يتم ذلك الطعام ولا بد من جملة الاعضاء حتى
على اختلاف اشكالها وصورها حتى يتم الانتفاع بالطعام وحينئذ
تعلم ان الاطعام يناسب الامر بالطاعة والعبادة السؤال
الثالث المنة بالاطعام لا تليق باحد فكيف بالاكرم الاكرمين الجواب
ليس الغرض منه المنة بل الارشاد الى الاصلح لانه ليس المقصود من
الاكل تقوية الشهوة المانعة عن الطاعة بل تقوية البنية على اداء الطاعات

فكان المقصود من الامر بالعبادة ذلك السؤال الرابع ما الفائدة
في قوله من جوع الجواب فيه فوائد احدها التنبيه على ان امر
الجوع شديد ومنه قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وقوله صلى الله عليه وسلم من اصبح امنا في سربه الحديث وثانيها
يذكرهم الحالة الاولى الرديئة المولمة وهي الجوع حتى يعرفوا قدر النعمة
الحاضرة وثالثها التنبيه على ان خير الطعام ما سد الجوعة لانه لم يقل
واشبعهم لان الطعام يزيل الجوع اما الاشباع فانه يورث البطنة اما
قوله تعالى وامنهم من خوف في تفسيره وجوه احدها انهم كانوا
يسافرون امنين لا يتعرض لهم احد ولا يغير عليهم احد لا في سفرهم
ولا في حضرهم وكان غيرهم لا يامنون من الغارة في السفر والحضر هذا
معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا وثانيها انه امنهم من زحمة
اصحاب الفيل وثالثها قال الضحاك والربيع وامنهم من خوف
الجذام فلا تصيبهم ببلدهم الجذام ورابعها امنهم من ان تكون الخلافة
في غيرهم وخامسها امنهم بالاسلام فقد كانوا في الكفر يتفكرون ويعلمون
ان الدين الذي هم عليه ليس بشيء الا انهم ما كانوا يعرفون الدين الذي
يجب على العاقل ان يتمسك به وسادسها اطعمهم من جوع الجهل
بطعام الوحي وامنهم من خوف الضلال ببيان الهدى كانه تعالى
يقول يا اهل مكة كنتم قبل مبعث محمد تسمون جهال العرب ومن كان
بين اظهركم كانوا يسمون اهل الكتاب ثم انزلت الوحي عليكم وعلمتكم الكتاب
حتى صرتم الان تسمون اهل العلم والقران واولئك يسمون جهال اليهود
والنصارى ثم اطعام الطعام الذي يكون غذا الجسد يوجب الشكر
فاطعام الطعام الذي هو غذا الروح اولى ان يكون موجبا للشكر وفي الاية
سؤالات السؤال الاول لم لم يقل عن جوع عن خوف قلنا
لان معنى عن انه جعل الجوع بعيدا عنهم وهذا يقتضي ان يكون ذلك التبعيد
مسبوقا بمقاساة زمانا ثم يصرفه عنه ومن لا يقتضي ذلك بل معناه انهم

الجوع

عندما يجوعون يطعمون وحين يخافون يومنون السؤال الثاني
لم قال من جوع من خوف على سبيل التنكير الجواب من التنكير التعظيم
اما الجوع فلما روينا انه اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة
واما الخوف فهو الخوف الشديد الحاصل من اصحاب الفيل ويحتمل ان يكون
المراد من التنكير التحقير ويكون ~~المراد~~ المعنى ان تعالى لما لم يجوز لغاية
كرمه ابقاهم في ذلك الجوع القليل والخوف القليل فكيف يجوز في كرمه لو
عبدوه ان يهمل امرهم ويحتمل ان يكون المراد انه اطعمهم من جوع دون جوع
وامنهم من خوف دون خوف ليكون الجوع الباقي والخوف الباقي مذكرا
ما كانوا فيه اولا من انواع الجوع والخوف حتى يكونوا شاكرين من وجه
وصابرين من وجه اخر فيستحقوا ثواب الخصلتين السؤال الثالث
انه تعالى انما اطعمهم وامنهم اجابة لدعوة ابرهيم عليه السلام اما في الاطعام فهو
قوله وارزق اهله واما الامان فهو قوله اجعل هذا البلد امنا واذا كان
كذلك كان ذلك منة على ابراهيم عليه السلام فكيف جعله منة ومن ذريتي على اوليك
الحاضرين والجواب ان الله تعالى لما قال اني جاعلك للناس اماما
قال ابرهيم ومن ذريتي فقال الله لا ينال عهدي الظالمين فتادب ابرهيم
بهذا الادب فحين قال اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات
قيده بقوله من امن بالله فقال الله لا حاجة الى هذا التقييد بل ومن
كفر فامتعه قليلا فكانه تعالى قال اما نعمة الامامة فهي دينية فلا تحصل
الا لمن كان تقيا اما نعمة الدنيا فهي تصل الى البر والفاجر والصالح
والطالح واذا كان كذلك كان اطعام الكافر من الجوع وامانه من الخوف
انعاما من الله ابتدا عليه لا بدعوة ابرهيم فزال السؤال والله اعلم

سورة ارايت بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب
بالدين فيه مسايل المسلة الاولى قرا بعضهم اريت بحذف الهمزة
قال الزجاج وهذا ليس بالاختيار لان الهمزة انما طرحت من المستقبل
نحو يرى واري وترى فاما رايت فليس يصح عن العرب فيها ريت ولكن

حذف الاستفهام لما كان في اول الكلام سهل الفا الهمزه ونظيره صاح
هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود
ارايتك بزياده حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي
المسله الثانيه قوله ارايت معناه هل عرفت الذي يكذب بالجزا من
هو فان لم تعرفه فهو الذي يدع اليتيم واعلم ان هذا اللفظ وان كان في صوره
الاستفهام لكن الغرض مثله المبالغه في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا
ارتكب ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول عليه السلم وقيل
بل خطاب لكل عاقل ارايت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور
دلايله ووضوح تبيانه ايفعل ذلك لا لغرض فكيف يليق بالعاقل
جر العقوبه الابديه الى نفسه من غير غرض ولا جل الدنيا فكيف
يليق العاقل ان يبيع الكثير بالقليل المسله الثالثه في الايه قولان احدهما
انها مختصه بشخص معين وعلى هذا القول ذكروا اشخاصا فقال ابن جريج
نزلت في ابي سفين كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم فساله لحما
فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت في العاص بن وايل السهمي وكان
من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيمه والاتيان بالافعال القبيحه وقال السدي

بين التكذيب ح

نزلت في الوليد بن المغيره وحكى الماوردي انها نزلت في ابي جهل
وروي انه كان وصيا ليتيم فجاه وهو عريان يساله شيا من مال نفسه
فدفعه ولم يعبا به فايس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك
وكان غرضهم الاستهزا ولم يعرف اليتيم ذلك فجا الى النبي عليه السلم والتمس
منه ذلك وهو عليه السلم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل

السلم

فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش فقالوا
اصبوت فقال لا والله ما صبوت لكن رايت عن يمينه وعن يساره
حربه خفت ان لم اجبه يطعنها في وروي عن ابن عباس انها نزلت
في منافق جمع بين البخل والمراياه والقول الثاني انه عام لكل من كان
مكذبا بيوم الدين وذلك لان اقدام الانسان على الطاعات واحجامه



عن المحظورات انما يكون للرغبه في الثواب والرهبه عن العقاب
فاذا كان منكرا للقيامه لم يترك شيا من المشتهيات واللذات فثبت ان
انكار القيامه كالاصل لجميع انواع الكفر والمعاصي المسله الرابعه
في تفسير الدين وجوه احدها ان يكون المراد من يكذب بنفس الدين
والاسلام اما لانه كان منكرا للصانع او لانه كان منكرا للنبوه او لانه كان منكرا
للمعاد او لشي من الشرايع فان قيل كيف يمكن حمله علي هذا الوجه ولا
بد وان يكون لكل احد دين والجواب من وجوه احدها ان
الدين المطلق في اصطلاح اهل الاسلام والقران هو الاسلام قال الله
تعالى ان الدين عند الله الاسلام اما سائر المذاهب فلا تسمى دينا الا
بضرب من التقييد كدين النصارى واليهود وثانيها ان تلك هذه
المقالات الباطله ليست بدين لان الدين هو الخضوع لله وهذه المذاهب
انما خضوع للشهوه او للشبهه وثالثها وهو قول اكثر المفسرين
ان المراد ارايت الذي يكذب بالحساب والجزا قالوا وحمله على هذا الوجه
اولى لان من ينكر الاسلام قد ياتي بالافعال الجميله ويحترز عن مقابحها
اذا كان مقرا بالقيامه والبعث اما المقدم على كل قبيح من غير مبالاه
فليس هو الا المنكر للبعث والقيامه ثم قال فذلك الذي يدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين واعلم انه تعالى ذكر في تعريف من يكذب
بالدين وصفين احدهما من باب الافعال وهو قوله فذلك الذي
يدع اليتيم والثاني من باب التروك وهو قوله ولا يحض على طعام المسكين
والفا في قوله فذلك للسببيه اي لما كان كافرا مكذبا كان كفره سببا
لدع اليتيم وانما اقتصر عليهما لا على معنى ان الصادر عمن يكذب بالدين
ليس الا ذلك لانا نعلم ان المكذب بالدين لا يقتصر على هذين بل على سبيل
التمثيل كانه تعالى ذكر من كل واحد من القسمين مثالا واحدا تنبيها
بذكره على سائر القبايح اولاجل ان هاتين الخصلتين كما انهما قبيحان
منكران بحسب الشرع فهما ايضا مستنكران بحسب المروه والانسانيه

انه

اما قوله يدع اليتيم فالمعنى لانه يدفعه بعنف وجفوه كقوله يدعون
الى نار جهنم دعا وحاصل الامر في دع اليتيم امور احدها دفعه عن
حقه وماله بالظلم والثاني ترك المواساه معه وان لم يكن المواساه
واجبه وقد يلزم المرء بترك النوافل لا سيما اذا استند الى النفاق وعدم
الدين والثالث ان يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدع اي يتركه
ولا يدعو لجمع الاجانب ويترك اليتيم مع انه عليه السلم قال ما من مايده
اعظم من مايده عليها يتيم وقرئ يدعوا اليتيم اي يدعوه ريا ثم لا يطعمه
ولا يعظمه وانما يدعوه استخداما او قهرا واستطاله واعلم ان
في قوله يدع بالتشديد فايده وهي ان يدع بالتشديد معناه انه
يعتاد ذلك فلا يتناول الوعيد من وجد عنه ذلك وندم عليه ومنه
قوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم سمي ذنب
المومن لمما لانه كالطيف والخيال يطري ولا يبقى لان المومن كما يقع
من الذنب يندم انما المكذب هو الذي يصر على الذنب اما قوله
ولا يحض على طعام المسكين ففيه وجهان احدهما انه لا يحض نفسه
على طعام المسكين واضافة الطعام الى المسكين يدل على ان ذلك الطعام
حق المسكين فكان ذلك دليلا على انه منع المسكين مما هو حقه وذلك
يدل على نهاية بخله وقساوه قلبه وخساسه طبعه والثاني لا يحض
غيره على طعام ذلك المسكين بسبب انه لا يعتقد في ذلك الفعل ثوابا
والحاصل انه تعالى جعل علم التكذيب بالقيامه الاقدام على ايذا الضعيف
ومنع المعروض يعني انه لو امن بالجزا وايقن بالوعيد لما صدر عنه
ذلك فموضع الذنب هو التكذيب بالقيامه وهاهنا سوالان السوال
الاول اليس قد لا يحض المرء في كثير من الاحوال ولا يكون اثما الجواب
لان غيره ينوب منابه او لانه لا يقبل قوله او لمفسده اخرى يتوقعها
اما هاهنا فذكر انه لا يفعل ذلك لما انه مكذب بالدين السوال
الثاني لم لم يقل ولا يطعم المسكين الجواب اذا منع عن اليتيم حقه فكيف

انه



يطعم المسكين من مال نفسه بل هو بخيل من مال غيره وهذا هو
النهايه في الخسه فلان يكون بخيلا بمال نفسه اولى وضده في مدح المومنين
وتواصوا بالمرحمه وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر قال فويل
للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون وفيه مسايل المسله الاولى
في كيفيه اتصال هذه الايه بما قبلها وجوه احدها انه لما حكى ايذا اليتيم
والمنع من الاطعام دليلا على النفاق فالصلاه لا مع الخشوع والخضوع
اولى ان يدل على النفاق لان الايذا والمنع من النفع معامله مع المخلوق
اما الصلاه فانها خدمه للخالق وثانيها كانه لما ذكر ايذا اليتيم وتركه
للحث والساير قال اليس ان الصلاه تنهى عن الفحشا والمنكر فقال
ويل له من هذه الصلاه كيف تنهاه صلاته عن هذا الفعل المنكر وهي مصنوعه
من عين الريا والسهو وثالثها كانه يقول اقدامه على ايذا اليتيم وتركه
للحث تقصير فيما يرجع الى الشفقه على خلق الله وسهوه في الصلاه
تقصير فيما يرجع الى التعظيم لامر الله فلما وقع التقصير في الامرين فقد
كملت شقاوته فلهذا قال فويل واعلم ان هذا اللفظ انما يستعمل عند الجريمه
الشديده كقوله ويل للمطففين فويل لهم مما كتبت ايديهم ويل لكل همزه
لمزه ويروى ان كل احد ينوح في النار بحسب جريمته فقايل يقول
ويلي من حب الشرف واخر يقول ويلي من الحميه الجاهليه واخر يقول
ويلي من صلوتي فلهذا استحب عند سماع مثل هذه الايه ان يقول المرء ويلي
ان لم يغفر لي المسله الثانيه الايه داله على حصول التهديد العظيم
بفعل امور ثلثه احدها السهو عن الصلاه وثانيها فعل المرايا وثالثها
منع الماعون وكل ذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم
حكم الله بمثل هذا الوعيد على فاعل هذه الافعال ولاجل هذا الاشكال ذكر المفسرون في
فيه وجوها احدها ان قوله فويل للمصلين اي فويل للمصلين
من المنافقين الذين ياتون بهذه الافعال وعلى هذا التقدير تدل الايه
على ان الكافر له مزيد عقوبه بسبب اقدامه على محظورات الشرع وتركه

لواجبات الشرع وهو يدل على صحة قول الشافعي رحمه الله ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع وهذا الجواب هو المعتمد وثانيها ما رواه عطا عن ابن عباس
انه لو قال الله في صلاتهم ساهون لكان هذا الوعيد في المومنين لكن قال عن صلوتهم
ساهون والساهي عن الصلاة هو الذي لا يتذكرها ويكون فارغا عنها وهذا
القول ضعيف لان السهو عن الصلاة لا يجوز ان يكون مفسرا بترك الصلاة
لانه تعالى اثبت لهم الصلاة بقوله فويل للمصلين وايضا فالسهو عن الصلاة
بمعنى الترك لا يكون نفاقا ولا كفرا فيعود الاشكال ويمكن ان يجاب عن
الاعتراض الاول بانه تعالى حكم عليهم بكونهم مصلين نظرا الى الصورة وبانهم
نسوا الصلاة بالكلية نظرا الى المعنى كما قال واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى يراون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ويجاب عن الاعتراض الثاني
بان النسيان عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزا الصلاة
وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذي يعتقد انه لا فايدة في الصلاة اما
المسلم الذي يعتقد فيها فايدة دينية يمتنع ان لا يتذكر امر الدين والثواب
والعقاب في شي من اجزا الصلاة بلى قد يحصل له السهو في الصلاة بمعنى
انه يصير ساهيا في بعض اجزا الصلاة فثبت ان السهو في الصلاة من افعال
المومن والسهو عن الصلاة من افعال الكافر وثالثها ان يكون معنى
ساهون اي لا يتعهدون اوقات صلواتهم ولا شرايطها ومعناه انه لا
يبالي سوا صلى او لم يصل وهو قول سعد بن ابي وقاص ومسروق والحسن
ومقاتل المسله الرابعة اختلفوا في سهو الرسول عليه السلم في صلاته
فقال كثير من العلما انه عليه السلم ما سها لكن الله تعالى اذن له في ذلك الفعل
حتى يفعل ما يفعله الساهي فيصير ذلك بيانا لذلك الشرع بالفعل والبيان
بالفعل اقوى ثم تقول بتقدير وقوع السهو منه فالسهو على اقسام احدها
سهو الرسول والصحابة وذلك منجبر تارة بسجود السهو وتارة بالسنن
والنوافل والاخر ما يكون في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار المعارف
والنيات والاخر الترك لا الى قضا والاخراج عن الوقت ومن ذلك صلاة



صلوة المنافق وهي شر من ترك الصلاة لانه يستهزي بالدين بتلك الصلاة
اما قوله تعالى الذين هم يراون فاعلم ان الفرق بين المنافق والمرائي
ان المنافق هو المظهر للايمان المبطن للكفر والمرائي المظهر في قلبه من زيادة
خشوع ليعتقد فيه من يراه انه متدين او نقول المنافق لا يصلي سرا والمرائي
تكون صلوته عند الناس احسن واعلم انه يجب اظهار الفرايض من الصلاة
والزكوة لانها شعاير الاسلام وتاركها مستحق للعن فيجب نفي التهمة اما الاخفا
في النوافل الا اذا اظهر النوافل ليقتدى به وعن بعضهم انه راى في المسجد
رجلا سجد للشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك لكن مع هذا
قالوا لا تترك النوافل حيا ولا تات بها ريا وقلما يتيسر اجتناب الريا
ولهذا قال عليه السلم الريا اخفى من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما
على المسح الاسود فان قيل ما معنى المراة قلنا هي مفاعلة من الاراة
لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثنا عليه والاعجاب به واعلم ان قوله
عن صلاتهم ساهون يفيد امرين اخراجها عن الوقت وكون الانسان
غافلا فيها وقوله الذين هم يراون يفيد المراياة فظهر ان الصلاة يجب
ان تكون خالية عن هذه الاحوال الثلثة ثم لما شرح امر الصلاة اعقبه
بذكر الزكوة فقال ويمنعون الماعون وفيه اقوال الاول
وهو قول ابي بكر وعلي وابن عباس وابن الحنفية وابن عمر والحسن
وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك هو الزكوة وفي حديث
ابي من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكوة مودبا وذلك يوهم
ان الماعون هو الزكوة ولان الله تعالى ذكره عقيب الصلاة فالظاهر
ان يكون ذلك هو المراد الزكوة والقول الثاني وهو قول اكثر
المفسرين ان الماعون اسم لما لا يمنع في العادة ويساله الفقير والغني
ويسب مانعه الى سو الخلق ولوم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو
والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل الملح والماء والنار فانه روي ثلثة
لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز في تنورك

او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم و اصحاب هذا القول قالوا الماعون
فاعول من المعن وهو الشي القليل ومنه ماله سعنه ولا معنه اي كثيره وقليله
وسميت الزكوه ماعونا لانه يوخذ من المال ربع العشر فهو قليل من كثير
ويسمي ما يستعار في العرف كالفاس و الشفره ماعونا وعلى هذا التقدير
يكون معنى الايه الزجر عن البخل بهذه الاشيا القليله فان البخل بها يكون
في نهايه الدناه و الركاكه والمنافقون كانوا كذلك لقوله تعالى الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قال العلما ومن
الفضايل ان يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك
ولا يقتصر على الواجب والقول الثالث قال الفرا سمعت بعض العرب
يقول الماعون هو الما وانشدني فيه يمج صبيره الماعون مجا
ولعله خصه بذلك لانه اعز مفقود وارخص موجود واول شي يساله
اهل النار الما كما قال ان افيضوا علينا من الما واول لذه يجدها
اهل الجنه هو الما وسقاهم ربهم القول الرابع الماعون حسن الانقياد
يقال رض بعيرك حتى يعطيك الماعون اي حتى يعطيك الطاعه واعلم
ان الاولى ان يحمل على كل طاعه يخف فعله لانه اكثر فايده ثم قال المحققون
في الملايمه بين قوله يراون وبين قوله ويمنعون الماعون كانه تعالى يقول
الصلاه لي والماعون للخلق فما يجب جعله لي يعرضونه على الخلق وما
هو حق الخلق يسترونه عنهم فكانه لا يعامل الخلق والرب الا على العكس
فان قيل لم لم يذكر الله اسم الكافر بعينه فان قلت للستر عليه قلت
فلم لم يستر على ادم بل قال وعصى ادم والجواب انه تعالى ذكر
ذله ادم لكن بعد ما تم مقرونا بالتوبه ليكون لطفا لاولاده انه اخرج
من الجنه بسبب الصغيره فكيف يطمعون الدخول مع الكبيره وايضا فان
وصف تلك الزله رفعه له فانه رجل لم يصدر عنه الا تلك الزله الواحده
ثم تاب عنها مثل هذه التوبه ولنختم تفسير هذه السوره بالدعا انها
هذه السوره في ذكر المنافقين والسوره التي بعدها في صفه محمد عليه السلام



فنحن وان لم نصل في الطاعه الى محمد عليه السلم والى اصحابه لم نصل
في الافعال القبيحه الى هولا المنافقين فاعف عنا بفضلك والله اعلم

بلغ العرض

سوره انا اعطيناك بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر
اعلم ان هذه السوره على اختصارها فيها لطايف احدها ان هذه السوره
كالمقابله للسوره المتقدمه وذلك لان في السوره المتقدمه وصف الله
المنافقين بامور اربعه اولها البخل وهو المراد من قوله يدع اليتيم ولا
يحض على طعام المسكين والثاني ترك الصلاه وهو المراد من قوله الذين
هم عن صلاتهم ساهون والثالث الريا في الصلاه وهو المراد من قوله الذين
هم يراون والرابع المنع من الزكوه وهو المراد من قوله ويمنعون الماعون
فذكر في هذه السوره في مقابله تلك الصفات الاربعه صفات اربعه
فذكر في مقابله البخل قوله انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك الكثير فاعط
الكثير وذكر في مقابله الذين هم عن صلوتهم ساهون قوله فصل اي دم
على الصلاه وذكر في مقابله الذين هم يراون قوله لربك اي ايت بالصلاه
لرضا ربك لا لمراياه الناس وذكر في مقابله ويمنعون الماعون قوله وانحر
واراد به التصدق بلحم الاضاحي فاعتبر هذه المناسبه العجيبه ثم ختم
السوره بقوله ان شانيك هو الابتر اي المنافق الذي ياتي بتلك الافعال القبيحه
المذكوره في تلك السوره سيموت ولا يبقى من دنياه اثر ولا خبر واما
انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخره الثواب الجزيل والوجه
الثاني في لطايف هذه السوره ان السالكين الى الله لهم ثلث درجات اعلاها
ان يكونوا مستغرقين بقلوبهم وارواحهم في نور جلال الله وثانيها
ان يكونوا مشتغلين بالطاعات والعبادات البدنيه وثالثها ان يكونوا
في مقام منع النفس عن الانصباب الى اللذات المحسوسه والشهوات العاجله
فقوله انا اعطيناك الكوثر اشاره الى المقام الاول وهو كون روحه
القدسيه متميزه عن ساير الارواح البشريه بالكم والكيف اما بالكم فلانها
اكثر مقدمات واما بالكيف فلانها اسرع انتقالا من تلك المقدمات الى

المنافق

الذبح

الناشيه من سائر الارواح واما قوله فصل لربك فهو اشاره الي المرتبه الثانيه
وهو الاشتغال بالعبادات البدنيه واما قوله وانحر فهو اشاره الي
المرتبه الثالثه فان منع النفس عن اللذات العاجله جار مجرى النحر والذبح
ثم قال ان شانئك هو الابتر ومعناه ان النفس التي تدعوك الي طلب هذه
المحسوسات العاجله انها داثره فانيه واما الباقيات الصالحات خير
عند ربك وهي السعادات الروحانيه والمعارف الربانيه التي هي باقيه ابديه
ولنشرع الان في التفسير فقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اعلم
ان فيه فوايد الفايده الاولى انها كالمتمم لما قبله من السور وكالاصل لما بعدها
من السور اما انها كالمتمم لما قبلها من السور فلان الله تعالى جعل سوره
الضحى في مدح محمد عليه السلم وتفصيل احواله فذكر في اول السوره ثلثه
اشيا تتعلق بنبوته اولها قوله ما ودعك ربك وما قلى وثانيها قوله
وللاخره خير لك من الاولى وثالثها قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
ثم ختم هذه السوره بذكر ثلثه احوال من احواله فيما تتعلق بالدنيا وهي
قوله الم يجدك يتيما فاوي ووجدك ضالا فهدي ووجدك عايلا فاغني
ثم ذكر في سوره الم نشرح انه شرفه بثلثه اشيا اولها الم نشرح لك صدرك
وثانيها ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وثالثها ورفعنا
لك ذكرك ثم انه تعالى شرفه في سوره التين بثلثه انواع من التشريف اولها
انه اقسم ببلده وهو قوله وهذا البلد الامين وثانيها انه اخبر عن خلاص
امته عن النار وهو قوله الا الذين امنوا وثالثها وصولهم الي الثواب وهو
قوله فلهم اجر غير ممنون ثم شرفه في سوره اقرا بثلثه انواع من التشريفات
اولها اقرا باسم ربك الذي اقرا القران على الخلق مستعينا باسم ربك وثانيها
انه قهر خصمه بقوله فليدع ناديه سندع الزبانيه وثالثها انه خصه بالقربه
التامه وهو قوله واسجد واقترب وشرفه في سوره القدر بليله القدر التي
لها ثلثه انواع من الفضيله اولها كونها خيرا من الف شهر وثانيها نزول
الملايكه والروح فيها وثالثها كونها سلاما حتى مطلع الفجر وشرفه في سوره



لم يكن بان شرف امته بثلث تشريفات اولها انهم خير البريه وثانيها ان جزاهم عند
ربهم وثالثها رضي الله عنهم ورضوا عنه وشرفه في سوره اذا زلزلت بثلث تشريفات
اولها قوله يومئذ تحدث اخبارها وذلك يقتضي ان الارض تشهد يوم القيامه لامته
بالطاعه والعبوديه والثاني قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وذلك
يدل على انه يعرض عليهم طاعاتهم فيحصل لهم الفرح والسرور وثالثها قوله
فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومعرفه الله لا شك انها اعظم من كل عظيم فلا
بد وان يصلوا الي ثوابها ثم شرفه في سوره العاديات بان اقسم بخيل الغزاه
من امته ووصف تلك الخيل بصفات ثلثه والعاديات ضبحا فالموريات
قدحا فالمغيرات صبحا ثم شرف امته في سوره القارعه بامور ثلثه اولها
فمن ثقلت موازينه وثانيها انهم في عيشه راضيه وثالثها انهم يرون اعداهم
في نار حاميه ثم شرفه في سوره الهيكم بان بين المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون
معذبين من ثلثه اوجه اولها انهم يرون الجحيم وثانيها انهم يرونه عين اليقين
وثالثها انهم يسالون عن النعيم ثم شرف امته في سوره العصر بامور ثلاثه
اولها الايمان الا الذين امنوا وثانيها عملوا الصالحات وثالثها ارشاد الخلق
الي الاعمال الصالحه وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر ثم شرفه في سوره
الهمزه بان ذكر ان من همزه ولمزه فله ثلثه انواع من العذاب اولها انه لا ينتفع
بدنياه البته وهو قوله يحسب ان ماله اخلده كلا وثانيها انه ينبذ في الحطمه
وثالثها انه تغلق عليه تلك الابواب حتى لا يبقى له رجا الخروج وهو قوله
عليهم موصده ثم شرفه في سوره الفيل بان رد كيد اعدايه في نحرهم من ثلثه
اوجه اولها جعل كيدهم في تضليل وثانيها ارسل عليهم طيرا ابابيل وثالثها
جعلهم كعصف ماكول ثم شرفه في سوره قريش بانه راعي مصلحه اسلافه
من ثلثه اوجه اولها جعلهم مؤتلفين متوافقين لايلاف قريش وثانيها
اطعمهم من جوع وثالثها انه امنهم من خوف وشرفه في سوره الماعون بان
وصف المكذبين بدينه بثلثه انواع من الصفات المذمومه اولها الدناه واللوم
وهو قوله يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين وثانيها ترك تعظيم الخالق

عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون وثالثها ترك انتفاع الخلق ويمنعون
الماعون ثم انه سبحانه لما شرح في هذه السور من هذه الوجوه العظيمة
قال بعدها انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة
في هذه السور المتقدمة التي كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
فاشتغل انت بعبادة هذا الرب وبارشاد عباده الى ما هو الاصلح لهم
اما عبادة الرب فاما بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله
وانحر واما ارشاد عباده الى ما هو الاصلح لهم في دينهم ودنياهم فهو
قوله يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فثبت ان هذه السورة كالتتمة
لما قبلها من السور واما انها كالاصل لما بعدها فهو انه تعالى يامره
بعد هذه السورة بان يكفر جميع اهل الدنيا بقوله يا ايها الكافرون لا
اعبد ما تعبدون ومعلوم ان عشق الناس على مذاهبهم واديانهم اشد
من عشقهم على ارواحهم واموالهم وذلك انهم يبذلون اموالهم وارواحهم
في نصرة اديانهم فلا جرم كان الطعن في مذاهب الناس يثير من العداوة
والغضب ما لا يثير سائر المطاعن فلما امره بان يكفر اهل الدنيا ويبطل
اديانهم لزم ان يصير جميع اهل الدنيا في غاية العداوة وذلك مما يحترز عنه كل
احد من الخلق ولا يكاد يقدم عليه وانظر الى موسى عليه السلم كيف كان
يخاف من فرعون وعسكره واما هاهنا فان محمدا لما كان مبعوثا الى جميع
الدنيا كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة اليه فدبر تعالى في ازالة هذا
هذا الخوف الشديد بتدبير لطيف وهو انه قدم على تلك السورة هذه
السورة فان قوله انا اعطيناك الكوثر يزيل عنه ذلك الخوف من وجوه
احدها ان قوله انا اعطيناك الكوثر اي الخير الكثير في الدنيا والدين فيكون
ذلك وعدا من الله اياه بالنصرة والحفظ وهو كقوله حسبك الله والله يعصمك
من الناس الا تنصروه فقد نصره الله وكان الله ضامنا لحفظه فلا يخشى احدا
وثانيها انه تعالى لما قال انا اعطيناك الكوثر وهذا اللفظ يتناول خيرات
الدنيا وخيرات الاخرة وان خيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه حين كان

جميع ح



عمله والخلف في كلام الله محال فوجب في حكمة الله تعالى ابقاؤه في دار الدنيا
الى حيث يصل اليه تلك الخيرات فكان ذلك كالبشارة له والوعد بانهم لا يقهرونه
ولا يقتلونه ولا يصل اليه مكرهم بل يصير امره كل يوم في الازدياد والقوة وثالثها
انه عليه السلم لما كفرهم وزيف اديانهم ودعاهم الى الايمان اجتمعوا عنده وقالوا
ان كنت تفعل هذا طلبا للمال فنعطيك من المال ما تصير به اغنى الناس وان كان
مطلوبك الزوجة فنزوجك اكرم نسائنا وان كان مطلوبك الرياسة فنحن
نجعلك رئيسا على انفسنا فقال الله تعالى انا اعطيناك الكوثر اي لما اعطاك
خالق السموات والارضين خيرات الدنيا والاخرة فلا تغتر بمالهم ومراعاتهم
ورابعها ان قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يفيد ان الله تعالى تكلم معه
لا بواسطة فهذا يقوم مقام قوله وكلم الله موسى تكليما بل هذا اشرف
لان المولى اذا شافه عبده بالتزام التربية والاحسان كان ذلك اعلى مما اذا
شافهه في غير هذا المعنى بل يفيد قوة في القلب ويزيل الجبن عن
النفس فثبت ان مخاطبة الله اياه بقوله انا اعطيناك الكوثر مما يزيل الخوف
عن القلب والجبن عن النفس فقدم هذه السورة على سورة قل يا ايها الكافرون
حتى يمكنه الاشتغال بذلك التكليف الشاق والاقدام على تكفير جميع
العالم واظهار البراءة عن معبودهم ودينهم ثم انه تعالى ذكر بعد سورة
قل يا ايها الكافرون سورة اذا جاء نصر الله كانه تعالى يقول وعدتك بالكوثر
اولا ثم امرتك بابطال اديانهم والبراءة عن معبودهم فلما امتثلت امري فانظر
كيف انجزت لك الوعد واعطيتك كثرة الاتباع والاشياع ان اهل الدنيا يدخلون
في دين الله افواجا ثم انه لما تم امر الدعوة واظهار الشريعة شرع في بيان ما
يتعلق باحوال القلب والباطن وذلك لان الطالب اما ان يكون طلبه مقصورا
على الدنيا او يكون طالبا للاخرة اما طالب الدنيا فليس له الا الخسار والذل
والهوان ثم يكون مصيره الى النار وهو المراد من سورة تبت واما طالب الاخرة
فاعظم احواله ان تصير نفسه كالمراة التي ينتقش فيها صور الموجودات وقد
ثبت في العلوم العقلية ان طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين منهم من قال

عرف الصانع ثم توسل بمعرفته الى معرفة مخلوقاته وهذا هو الطريق الاشرف
الاعلى ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور ثم انه سبحانه ختم كتابه الكريم بتلك الطريقة
التي هي اشرف الطريقين فبدا بذكر صفات الله وشرح جلاله وهو سورة قل
هو الله احد ثم اتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة قل اعوذ برب الفلق ثم
ختم الامر بذكر مراتب النفس الانسانية وعند ذلك ختم الكتاب وهذه الجملة
انما تتضح تفصيلها عند تفسير هذه السورة على التفصيل فسبحان من ارشد
العقول الى معرفة هذه الاسرار الشريفة المودعة في كتابه الكريم الفايده
الثانية في قوله انا اعطيناك هي ان كلمة انا تارة يراد بها الجمع وتارة يراد بها
التعظيم اما الاول فقد دل الدليل على ان الاله واحد فلا يمكن حمله
على الجمع الا اذا اريد ان هذه العطية مما سعى في تحصيلها الملائكة وجبريل
وميكائيل والانبياء المتقدمون حين سال ابرهيم ارسالك فقال ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم وقال موسى رب اجعلني من امة احمد وهو
المراد من قوله وما كنت بجانب الطور اذ قضينا الى موسى الامر وبشر بك
المسيح في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد واما الثاني
وهو ان يكون ذلك محمولا على التعظيم ففيه تنبيه على عظمة العطية لان الواهب
هو جبار السموات والارض والموهوب منه هو المشار اليه بكاف الخطاب
في قوله تعالى اعطيناك والهبة هي الشي المسمى بالكوثر وهو بناء يفيد
المبالغة في الكثرة ولما اشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب منه
والموهوب فيالها من نعمة ما اعظمها وما اجلها ويالها من تشريف
ما اعلاه الفايده الثالثة ان الهدية وان كانت قليلة لكنها بسبب كونها
واصلة من المهدي العظيم تصير عظيمة ولذلك فان الملك العظيم اذا رمى
تفاحة الى بعض عبيده على سبيل الاكرام يعد ذلك اكراما عظيما لا لان
الهدية في نفسها عظيمة بل لان صدورها من المهدي العظيم يوجب كونها
عظيمة فههنا الكوثر وان كان في نفسه في غاية الكثرة لكنها بسبب صدورها
من ملك الخلايق تزداد عظمة وكمالا الفايده الرابعة انه لما قال

لالان؟



اعطيناك قرن به قرينة دالة على انه لا يسترجعها وذلك لان من مذهب
ابي حنيفة انه يجوز للاجنبي ان يسترجع موهوبه فان اخذ عوضا او زقل
لم يجز له ذلك الرجوع فان من وهب ضيعة تساوي الف دينار انسانا ثم طلب
منه مشطا يساوي فلسا فاعطاه سقط حق الرجوع فههنا لما قال
انا اعطيناك الكوثر طلب منه الصلاة والنحر وفايدته اسقاط حق الرجوع
الفايده الخامسة انه بنى الفعل على المبتدا وذلك يفيد التاكيد والدليل عليه
انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه عرف العقل انه يخبر عنه بامر فيصير مشتاقا
الى معرفة انه بماذا يخبر عنه فاذا ذكر ذلك الخبر قبله قبول العاشق
لمعشوقه فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة ومن ههنا تعرف
الفخامة في قوله فانها لا تعمى الابصار فانه اكثر فخامة مما لو قال فان الابصار لا
تعمى ومما يحقق قولنا قول الملك العظيم لمن يعده ويضمن له انا اعطيك انا الكفيل
انا اقوم بامرك وذلك اذا كان الموعود به امرا عظيما فلما تقع المسامحة به
لعظمه تورث الشك في الوفاء به فاذا اسند الى المتكفل العظيم فحينئذ يزول
ذلك الشك وهذه الاية من هذا الباب لان الكوثر شي عظيم قلما وقع المسامحة
فلما قدم المبتدا وهو قوله تعالى انا صار ذلك الاسناد مزيلا لذلك الشك
ودافعا لتلك التهمة الفايده السادسة انه تعالى صدر الجملة بحرف
التاكيد الجاري مجرى القسم وكلام الصادق مصون عن الحلف فكيف اذا
بالغ في التاكيد الفايده السابعة قال اعطيناك ولم يقل سنعطيك لان
قوله اعطيناك يدل على ان هذا الاعطا كان حاصلا في الماضي وهذا فيه انواع
من الفوايد احدها ان من كان في الزمان الماضي ابدا عزيزا مرعي الجانب
مقضي الحاجة اشرف ممن سيصير كذلك ولهذا قال عليه السلام كنت
نبيا وادم بين الماء والطين وثانيها انه اشارة الى ان حكم الله بالاسعاد
والاشقا والاغنا والافقار ليس امرا يحدث الان بل كان حاصلا في الازل
وثالثها كانه يقول انا قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك في الوجود
فكيف نهمل امرك بعد وجودك واشتغالك بالعبودية ورابعها كانه تعالي

يقول نحن ما اخترناك وما فضلناك لاجل طاعتك والا كان يجب ان لا نعطيك الا بعد
اقدامك على الطاعة بل انما اخترناك لمجرد الفضل والاحسان منا اليك من غير
موجب وهو اشارة الى قوله عليه السلام قبل من قبل لا لعلة ورد من رد لا لعلة
الفائدة الثامنة قال اعطيناك ولم يقل اعطينا الرسول او النبي او العالم
او المطيع لانه لو قال ذلك لاشعر ان تلك العطية وقعت معللة بذلك
الوصف فلما قال اعطيناك علم ان تلك العطية غير معللة بعلة اصلا بل هي
محض الاختيار والمشية كما قال نحن قسمنا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
الفائدة التاسعة قال اولا انا اعطيناك ثم قال ثانيا فصل لربك وانحر وهذا
يدل على ان اعطاءه للتوفيق والارشاد سابق على طاعاتنا وكيف لا يكون
كذلك واعطاؤه ايانا صفته وطاعاتنا له صفتنا وصفة الخلق لا تكون موثرة
في صفة الخالق انما الموثر هو صفة الخالق في صفة الخلق ولهذا نقل عن الواسطي
انه قال لا اعبد ربا يرضيه طاعتي ويسخطه معصيتي ومعناه ان رضاه وسخطه
قديمان وطاعتي ومعصيتي محدثتان والمحدث لا اثر له في القديم بل رضاه
عن العبد هو الذي حمله على طاعته ولا يزال وكذا القول في السخط والمعصية
الفائدة العاشرة قال اعطيناك الكوثر ولم يقل اتيناك الكوثر والسبب
فيه امران الاول ان الايتا يحتمل ان يكون واجبا وان يكون
تفضلا واما الاعطا فانه بالتفضل اشبه فقوله انا اعطيناك الكوثر اي
هذه الخيرات الكثيرة وهي الاسلام والقران والنبوة والذكر الجميل
في الدنيا والاخرة محض التفضل منا اليك وليس فيه شي على سبيل الاستحقاق
والوجوب وفيه بشارة من وجهين احدهما ان الكريم اذا شرع في التربية
على سبيل التفضل فالظاهر انه لا يبطلها بل كل يوم يزيد فيها الثاني
ان ما يكون بسبب الاستحقاق فانه يتقدر بقدر الاستحقاق وفعل العبد
متناه فيكون الاستحقاق الحاصل بسببه متناهيا اما التفضل فانه نتيجة
كرم الله وكرم الله غير متناه فيكون تفضله ايضا غير متناه فلما دل قوله
اعطيناك على انه تفضل لا استحقاق اشعر ذلك بالدوام والتزايد ابدا



فان قيل اليس قال اتيناك سبعا من المثاني قلنا الجواب من وجهين
الاول ان الاعطا يوجب التمليك والملك سبب الاختصاص والدليل عليه
انه لما قال سليمان هب لي ملكا فقال هذا عطاؤنا فامنن او امسك ولهذا السبب
من حمل الكوثر على الحوض قال لان الامة يكونون اضيافا له اما الايتا فانه لا يفيد الملك
فلهذا قال في القران اتيناك فانه لا يجوز للنبي ان يكتم شيئا منه الثاني ان الشركة
في القران شركة في العلوم ولا عيب فيها اما الشركة في النهر فهي شركة في الاعيان
وهي عيب الوجه الثاني ان الاعطا الين بهذا المقام من الايتا وهو ان
الاعطا يستعمل في القليل والكثير قال الله تعالى اعطى قليلا واكدى اما الايتا
فلا يستعمل الا في الشي العظيم قال الله تعالى واتيه الله الملك ولقد اتينا
داود منا فضلا والايتا الشي المنصب اذا ثبت هذا فقوله انا اعطيناك
الكوثر يفيد تعظيم حال محمد عليه السلام من وجوه احدها يعني هذا الحوض
كالشي القليل الحقير بالنسبة الى ما هو مدخر لك من الدرجات العالية
والمراتب الشريفة فهو متضمن البشارة باشيا هي اعظم من هذا المذكور
وثانيها ان الكوثر اشارة الى الماكول فهو تعالى يقول المنافع الدنيا دون
الطعام فاذا كان نعيم الماكول كوثرا فكيف سائر النعيم وثالثها ان نعيم الماء
اعطاء ونعيم الجنة ايتا ورابعها كانه تعالى يقول هذا الذي اعطيتك
وان كان كوثرا لكنه في حقك اعطا لا ايتا لانه دون حقك وفي العادة
ان المهدي له اذا كان عظيما فالهدية وان كانت عظيمة الا انه يقال
انها حقيرة اي هي حقيرة بالنسبة الى عظمة المهدى له فكذا هاهنا
وخامسها ان يقول انما قال فيما اعطاه من الكوثر اعطيناك لانه في الدنيا
والاعطا والقران ايتا لانه دين وشاد شيها كانه يقول اجمع ما لك
مني عطية وان كانت كوثرا الا ان الاعظم من ذلك الكوثر ان يبقى مظفرا
ويصير ابترا فانا اعطيناك بالتقدمة هذا الكوثر اما الذكر الباقي والظفر
على العدو فلا يحسن اعطاوه الا بعد التقدمة الطاعة يحصل بعد فضل
وانحر اي فاعبد لي وسل الظفر بعد العبادة فاني اوجب على كرمي

ان يعطه كل فريضة دعوة مستجابة كما روي في الحديث المسند محمد
اسحق فيفسر خمسة ابن وهو الاينا فهذا ما يخطر بالبال في تفسير قوله
تعالى انا اعطيناك اما الكوثر فهو في اللغة فوعل من الكثرة وهو المفرط
الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر اب ابنك قالت اب بكوثر اي
بالعدد الكثير ويقال للرجل الكثير العطا كوثر قال الكميت
وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن الفضايل كوثرا في ويقال
للغبار اذا سطع وكثر كوثر هذا معنى الكوثر في اللغة واختلف المفسرون
على وجوه الاول وهو المشهور المستفيض عند السلف والخلف
انه نهر في الجنة روى انس عن النبي عليه السلم قال رايت نهرا في الجنة
حافتاه قباب اللولو المجوف فضربت بيدي الى مجرى الما فاذا انا
بمسك اذفر فقلت ما هذا قيل هو الكوثر الذي اعطاك الله وفي رواية
انس ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور خضر لها
اعناق كاعناق البخت من اكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الما فاز
بالرضوان ولعله انما سمي ذلك النهر كوثرا اما لانه اكثر انهار الجنة ماء وخيرا
او لان انفجر منه انهار الجنة كما روي ان ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر
نهر جاري او لكثرة الذين يشربون منها او لكثرة ما فيها من المنافع على
ما قال عليه السلم انه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير القول الثاني انه حوض
والاخبار فيه مشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الاول
ان يقال لعل النهر ينصب في الحوض او لعل الانهار انما تسيل من ذلك الحوض
فيكون ذلك الحوض كالمنبع القول الثالث الكوثر اولاده قالوا لان
هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه السلم بعدم الاولاد فالمعنى
انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم
ممتلئ منهم ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعبا به ثم انظر كم كان فيهم من
الاكابر من العلما كالباقر والصادق والكاظم والرضا والنفس الزكية
وامثالهم القول الرابع الكوثر علما امته وهو لعمري الخير الكثير لانهم



كانبيا بني اسرايل وهم يحيون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشرون اثار دينه
واعلام شرعه ووجه التشبيه ان الانبيا كانوا متفقين في اصول معرفة الله
مختلفين في الشريعة رحمة على الخلق ليصل كل احد الى ما هو صلاحه كذا علما امته
متفقون بامرهم على اصول شرعه لكنهم مختلفين في فروع الشريعة رحمة على الخلق
ثم الفضيلة من وجهين احدهما ان يروى انه يجا يوم القيامة بكل نبي وتبعه
امته فربما يجي الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجا بكل عالم من علما امته
ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول فربما يزيد عدد متبعي بعض
العلما على عدد متبعي الف من الانبيا الوجه الثاني انهم كانوا مصيبين لاتباعهم
النصوص الماخوذة من الوحي وعلما هذه الامة يكونون مصيبين مع كد الا
ستنباط والاجتهاد او على قول البعض ان كان بعضهم مخطيا لكن المخطي يكون
ايضا ماجورا القول الخامس الكوثر هو النبوة ولا شك انها الخير
الكثير لانها المنزلة التي هي ثانية الربوبية ولهذا قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وهو شطر الايمان بل هي كالنصف في معرفة الله تعالى
لان معرفة النبوة لا بد وان يتقدمها معرفة ذات الله وعلمه وقدرته
وحكمته ثم اذا حصلت معرفة النبوة فحينئذ يستفاد منها معرفة
بقية الصفات كالسمع والبصر والصفات الخبرية والواحدانية على قول
بعضهم ثم لرسولنا الحظ الاوفر من هذه المنقبة لانه المذكور قبل ساير
الانبيا والمبعوث بعدهم ثم هو مبعوث الى الثقلين وهو الذي يحشر قبل
كل الانبيا ولا يجوز ورود الشرع على نسخه وفضايله اكثر من ان تعد وتحصى
ولنذكرها هنا قليلا منها فنقول ان كتاب ادم عليه السلم كان كلمات على
ما قال تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وكتاب ابرهيم ايضا كان كلمات
قال واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وكتاب موسى كان صحيفة صحف ابرهيم وموسى
اما كتاب محمد عليه السلم فانه هو الكتاب المهيمن على الكل قال ومهيمنا عليه
وايضا فان ادم عليه السلم انما تحدى بالاسما المنثورة انبئوني باسما هؤلا ومحمد
عليه السلم انما تحدى بالمقطع قل لئن اجتمعت الانس والجن واما نوح عليه

فان الله اكرمه بان امسك شمسه على الما وفعل في محمد اعظم منه روي
ان النبي عليه السلم كان على شط الما ومعه عكرمه بن ابي جهل فقال لين كنت
صادقا فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب الاخر فليسبح ولا يغرق فاشار
الرسول اليه فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي الرسول
عليه السلم وسلم عليه وشهد له بالرساله فقال له النبي عليه السلم يكفيك هذا
فالحجر يرجع الي مكانه فامره النبي فرجع الي مكانه واكرم ابرهيم فجعل
النار عليه بردا وسلاما وفعل في حق محمد اعظم من ذلك عن محمد بن حاطب
قال كنت طفلا فانصب القدر علي من النار فاحترق جلدي كله فحملتني
امي الي الرسول عليه السلم وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جلدي ومسح يده على المحترق وقال
اذهب البايس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واكرم موسى ففلق
البحر في الارض واكرم محمدا ففلق له القمر فوق السما ثم انظر الي فوقها
بين السما والارض وفجر له الما من الحجر وفجر لمحمد اصابعه عيونا واكرم
موسى بان ظلله الغمام واكرم محمدا بذلك فكان الغمام تظلله واكرم موسى
باليد البيضا واكرم محمدا باعظم من ذلك وهو القران العظيم الذي وصل
نوره الي الشرق والغرب وقلب الله عصا موسى ثعبانا ولما اراد ابو جهل
ان يرميه بالحجر راى على كتفيه ثعابين فانصرف مرعوبا وسبحت الجبال
مع داود وسبحت الاحجار في يده وبدا صحابه وكان داود اذا مسح
الحديد لان وكان هو لما مسح الشاه الجربا درت واكرم داود بالطير
المحشوره ومحمدا بالبراق واكرم عيسى باحيا الموتى واكرمه بحنين ذلك
حين اضافه اليهود بالشاه المسمومه فلما وضع اللقمه في فمه اخبرته
وابرا الاكمه والابرص وروي ان امراه معاذ بن عفرا اتته وكانت برصا
وشكت ذلك الى الرسول فمسح عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغصن
فاذهب الله البرص وحين سقطت حدقه الرجل يوم احد فرفعها
وجا بها الي رسول الله فردها الي مكانها وكان عيسى يخبر بما يخبيه



الناس في سوتهم فالرسول عرف ما اخفاه عمه مع ام الفضل فاخبره فاسلم العباس
لذلك واما سليمان كان الله تعالى رد الشمس له مره وفعل ذلك ايضا للرسول حين
نام وراسه في حجر علي وانتبه وقد غربت الشمس فردها حتى صلى وردها
مره اخرى لعلي فصلى العصر في وقته وعلم سليمان منطق الطير وفعل ذلك
في حق محمد وروي ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه ويكلمه ويقول
ايكم فجع هذه بولدها فقال رجل انا فقال اردد ولدها وكلام الذيب معه
مشهور واكرم سليمان بمسير غدوه شهر فاكرمه بالمسير الي بيت المقدس
في ساعه وكان حماره يعفور يرسله الى من يريد فيجي به وقد شكوا اليه من
ناقه انها اغتلمت وانهم لا يقدرون عليها فذهب اليها فلما راته خضعت
له وارسل معاذا الى بعض النواحي فلما وصل الى المفازه فاذا اسد جاثم
فقال له ذلك ولم يتجرا ان يرجع ويقدم وقال اني رسول رسول الله فتبصبص
وكما انقاد الجن لسليمان كذا انقادوا لمحمد وحين جا الاعرابي بالضب
وقال لا اومن حتى يومن بك هذا الضب فتكلم الضب معترفا برسالته
وحين كفل للظبيه حتى ارسلها الاعرابي رجعت تعدو حتى اخرجته
من الكفاله وحنت الحنانه بفراقه وحين لسعت الحيه عقب الصديق
في الغار قال كنت مشتاقا اليه منذ كذا سنين فلم يحجبني عنه واطعم الخلق
الكثير من الطعام القليل ومعجزاته اكثر من ان تحصى ولهذا السبب قدمه
الله على الذين اصطفاهم فقال واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح فلما كانت رسالته كذلك جاز ان يسميها الله كوثرا فقال انا اعطيناك
الكوثر القول السادس الكوثر هو القران وفضايله لا تحصى ولو ان
ما في الارض من شجره اقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي القول
السابع الكوثر الاسلام وهو الخير الكثير ولعمري فانه يحصل خير الدنيا
والاخره ويفوت بفوته خير الدنيا وخير الاخره وكيف لا والاسلام عبارة
عن المعرفه او لا بد فيه من المعرفه قال ومن يوت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا
فهو الكوثر فان قيل لم خصه بالاسلام مع انه نعمه عمت الكل قلنا

لان الاسلام وصل منه الى غيره فكان هو عليه السلام كالاصل فيه القول
الثامن الكوثر كثرة الاتباع والاشياع ولا شك ان له من الاتباع ما لا يحصيهم
الا الله روي ان علي عليه السلام قال انا دعوة خليل الله ابرهيم وانا بشرى عيسى
وانا مقبول الشفاعة يوم القيامة فبينا اكون مع الانبيا اذ تظهر لنا
امة من الناس فنبتدرهم بابصارنا ما منا من نبي الا وهو يرجو ان تكون امته
فاذا هم غر محجلون من اثار الوضو فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون
الجنة بغير حساب ثم تظهر لنا مثلا ما ظهر اولا فنبتدرهم بابصارنا ما من
نبي الا ويرجو ان تكون امته فاذا غر محجلون من اثر الوضو فاقول
امتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يرفع لنا ثلثة امثال
ما قد رفع فنبتدرهم وذكر كما ذكر في المرة الاولى والثانية ثم قال ليدخلن
ثلث فرق من امتي قبل ان يدخلها احد من الناس ولقد قال عليه السلم
تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط فاذا كان
يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف بمثل هذا الجم الغفير فلا جرم حسن
منه تعالى ان يذكره هذه النعمة الجسيمة فقال انا اعطيناك الكوثر القول
التاسع ان الكوثر الفضايل الكثيرة التي فيه فانه باتفاق الامة افضل من جميع
الانبيا قال المفضل بن سلمة يقال رجل كوثر اذا كان سخيا كثير الخير
وفي صحاح اللغة الكوثر السيد الكثير الخير فلما رزق الله محمدا هذه الفضايل
العظيمة حسن منه تعالى ان يذكره تلك النعمة الجسيمة فيقول انا اعطيناك
الكوثر القول العاشر الكوثر رفعة الذكر وقد مر تفسيره في قوله
ورفعنا لك ذكرك القول الحادي عشر انه العلم قالوا وحمل الكوثر
على هذا اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير قال وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وامره بطلب العلم فقال وقل رب زدني
علما وسمى الحكمة كثيرا فقال ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وثانيها
انا اما ان نحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا والاول غير جايز لانه
قال اعطينا ونعم الجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على

هم م
امارح

بلغ العرض



ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة
داخلة في العلم فوجب حمل اللفظ على العلم وثالثها انه لما قال اعطيناك
الكوثر قال عقيبه فصل لربك وانحر والشي الذي يكون متقدما على العبادة
هو المعرفة ولذلك قال في سورة النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقال
في طه انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فقدم في الصورتين المعرفة على العبادة
ولان الفا التعقيب في قوله فصل تدل على ان اعطا الكوثر كالموجب لهذه
العبادة ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس الا العلم القول الثاني عشر
ان الكوثر هو الخلق الحسن قالوا الانتفاع بالخلق الحسن عام ينتفع به العالم
والجاهل والبهيمة فاما الانتفاع بالعلم فهو مختص بالعقلا فكان نفع
الخلق الحسن اعم فوجب حمل الكوثر عليه ولقد كان عليه السلم كذلك كان
للاجانب كالوالد يحل عقدهم ويكفي مهمهم وبلغ حسن خلقه الى انهم
لما كسروا سنه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون القول الثالث عشر
الكوثر هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة في الدنيا وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وقال في الاخرة شفاعتي لاهل الكباير من امتي وعن ابي هريرة
قال عليه السلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني خبات دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيامة القول الرابع عشر ان المراد من الكوثر هو هذه
السورة قال وذلك لانها مع قصرها وافية بجميع منافع الدنيا والاخرة
وذلك لانها مشتملة على المعجز من وجوه اولها انا اذا حملنا الكوثر على كثرة
الاتباع او على كثرة الاولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا اخبارا عن
الغيب وقد وقع مطابقا له فكان معجزا وثانيها انه قال فصل لربك وانحر
وهو اشارة الى زوال الفقر حتى يقدر على النحر وقد وقع فيكون هذا
ايضا اخبارا عن الغيب وثالثها قوله ان شانيك هو الابتر وكان الامر
على ما اخبر فكان معجزا ورابعها انهم عجزوا عن معارضتها مع صغرها فثبت
وجه الاعجاز بل وجه الاعجاز في حال كل القران انما تقرر به لانهم لما عجزوا
عن معارضتها مع صغرها فبان يعجزوا عن معارضة كل القران اولى ولما

فغال م

ظهر وجه الاعجاز فيها من هذه الوجوه فقد تقررت النبوة واذا تقررت
النبوة تقرر الوحي التوحيد ومعرفة الصانع وتقرر الدين والاسلام
وتقرر ان القران كلام الله واذا تقررت هذه الاشيا تقرر جميع خيرات
الدنيا والاخرة فهذه السورة جارية مجرى النكتة المحتمة القوية الوافية
باثبات جميع المقاصد فكانت صغيرة في الصورة كبيرة في المعنى ثم لها خاصية
ليست لغيرها وهي انها ثلث ايات وقد بينا ان كل واحد منها معجز فهي
بكل واحد من اياتها معجز ومجموعها معجز وهذه الخاصية لا توجد في
ساير السور يحتمل ان يكون المراد من الكوثر هو هذه السورة القول
الخامس عشر ان المراد من الكوثر جميع نعم الله على محمد وهو المنقول عن
ابن عباس لان لفظ الكوثر يتناول الكثرة فليس حمل الاية على بعض
هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل روى ان سعيد
بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون
انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه
الله اياه وقال بعض العلما ظاهر قوله انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى
قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله من
النبوة والقران والذكر العظيم والنصرة على الاعدا واما الحوض وساير
ما اعد الله له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان
ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك
وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه في حال نزول هذه
السورة بمكة ويمكن ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بضيعة له يصح
ان يقال انه اعطاه تلك الضيعة مع ان الصبي في تلك الحال لا يكون اهلا للتصرف
والله اعلم قوله تعالى فصل لربك وانحر في الاية مسايل المسلة
الاولى في قوله فصل وجوه الاول ان المراد هو الامر بالصلاة فان قيل
اللايق عند النعمة الشكر فلم قال فصل ولم يقل فاشكر الجواب من وجوه
الاول ان الشكر عبارة عن التعظيم وله ثلث اركان احدها يتعلق بالقلب

الكثرة



وهو ان يعلم ان تلك النعمة منه لا من غيره والثاني باللسان وهو ان يمدحه
والثالث بالعمل وهو ان يخدمه ويتواضع له والصلاة مشتملة على هذه المعاني
وعلى ما هو ازيد منها فالامر بالصلاة امر بالشكر وزيادة فكان الامر بالصلاة
احسن وثانيها ان لو قال فاشكر لكان ذلك يوهم انه ما كان شاكرا لكنه كان من
اول امره عارفا بربه مطيعا له شاكرا النعمة اما الصلاة فانه انما عرفها
بالوحي قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الثالث في اول ما
امره بالصلوة قال محمد عليه السلام كيف اصلي ولست على الوضو فقال الله انا
اعطيناك الكوثر ثم ضرب جبريل بجناحه على الارض فنبع ما الكوثر فتوضا
فقيل له عند ذلك فصل فاما اذا حملنا الكوثر على الرسالة فكانه قال
اعطيتك الرسالة لتامر نفسك وساير الخلق بالطاعات واشرفها الصلاة
فصل لربك القول الثاني فصل لربك اي فاشكر لربك وهو قول مجاهد
وعكرمة وعلى هذا القول ذكروا في فايدة قوله فصل وجوها احدها
التنبيه على ان شكر النعمة يجب على الفور لا على التراخي وثانيها ان المراد
من فا التعقيب ها هنا الاشارة الى ما قرره بقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ثم انه خص محمدا في هذا الباب بمزيد مبالغة وهو قوله واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين ولانه قال له فاذا فرغت فانصب اي فعليك باخرى
عقيب الاولى فكيف بعد وصول نعمتي اليك الا يجب عليك ان تشرع في الشكر
عقيب ذلك القول الثالث فصل اي فادع الله لان الصلاة هي الدعا
فايدة الفا على هذا التقدير كانه تعالى يقول قبل سوالك ودعايك ما
بخلنا عليك بالكوثر فكيف بعد سوالك لكن سل تعطه واشفع تشفع وذلك لانه
ابدا كان في هم امته واعلم ان القول الاول اولى لانه اقرب الى عرف
الشرع المسلة الثانية في قوله وانحر قولان الاول وهو قول عامة
المفسرين ان المراد هو نحر البدن والقول الثاني ان المراد بقوله وانحر
فعل يتعلق بالصلاة اما قبلها او فيها او بعدها ثم ذكروا فيه وجوها
احدها قال الفرا معناها استقبل القبلة وثانيها روي الاصبغ بن نباتة

عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبي لجبريل عليهما السلم ما هذه
النحيره التي امرني بها ربي قال ليست بنحيره ولكنه يامرك اذا تحرمت للصلاه
ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع واذا سجدت
فانه صلوتنا وصلوة الملايكه الذين في السموات السبع وان لكل شي زينه وزينه
الصلاه رفع الايدي عند كل تكبيره وثالثها روي عن علي بن ابي طالب انه فسر
هذا النحر بوضع اليدين على النحر في الصلاه وقال رفع اليدين قبل الصلاه
عاده المتنحر العابد ووضعها على النحر عاده الخاضع الخاشع ورابعها
قال عطا معناها اقعد بين السجدتين حتى يبدو نحرك وخامسها
روي عن الضحاك وسليمان التيمي انه قال انحر معناه ارفع يديك عقيب
الدعا الى نحرك قال الواحدي رحمه الله واصل هذه الاقوال كلها
من النحر الذي هو الصدر يقال لذبح البعير النحر لان منحره في صدره حيث
يبدو الحلقوم من اعلى الصدر فمعنى النحر في هذا الموضع هو اصابه النحر
كما يقال راسه وبطنه اذا اصاب ذلك منه واما قول الفرا انه عباره
عن استقبال القبله فقال ابن الاعرابي النحر انتصاب الرجل في الصلاه
بازا المحراب وهو ان ينصب نحره بازا القبله ولا يلتفت يمينا ولا شمالا
وقال الفرا منازلهم تتناحر اي تتقابل      وانشد ابا حكم هل انت عم
مجالد وسيد اهل الابطح المتناحر والثلثه المعفوه فيه كانه تعالى يقول
الكعبه بيتي وهي قبله صلوتك وقلبك قبله رحمتي ونظر عنايتي فلنكن
القبلتان المتناحرتين الا ان حمله على نحر البدن اولى لوجوه احدها
وهو ان الله تعالى كلما ذكر الصلاه في كتابه ذكر الزكوه بعدها وثانيها ان
القوم كانوا يصلون وينحرون للاوثان فقيل له فصل وانحر لربك
وثالثها ان هذه الاشيا اداب الصلاه وابعاضها فكانت داخله تحت
قوله فصل لربك فوجب ان تكون المراد من النحر غيرها لانه يبعد ان يعطف
بعض الشي على جميعه ورابعها ان قوله صل اشاره الى التعظيم لامر الله وقوله
وانحر اشاره الى الشفقه على خلق الله وجمله العبوديه لا تخرج عن هذين

قال



الملتين وخامسها ان استعمال لفظ النحر على نحر البدن اشهر من استعماله
في سائر الوجوه المذكوره فيجب حمل كلام الله عليه واذا ثبت هذا فنقول
استدلت الحنفيه على وجوب الاضحيه بان الله تعالى امره بالنحر ولا بد
وان يكون قد فعله لان ترك الواجب عليه غير جايز واذا فعله النبي
وجب علينا مثله لقوله فاتبعوه ولقوله فاتبعوني يحببكم الله واصحابنا
قالوا الامر بالمنابعه مخصوص بقوله ثلث كتب علي ولم تكتب عليكم الضحى
والاضحى والوتر المسله الثالثه اختلف من فسر قوله فصل بالصلاه
على وجهين الاول انه اراد بالصلاه جنس الصلاه لانهم كانوا يصلون
لغير الله وينحرون لغير الله فامره ان لا يصلي ولا ينحر الا لله تعالى واحتج
من جوز تاخير بيان المجمل بهذه الايه وذلك لانه تعالى امر بالصلاه مع
انه ما بين كيفيه هذه الصلاه اجاب ابو مسلم فقال اراد به الصلوات
المفروضه اعني الخمس وانما لم يذكر الكيفيه لان الكيفيه كانت معلومه من قبل
القول الثاني اراد صلوه العيد والاضحيه لانهم كانوا يقدمون الاضحيه
على الصلاه فنزلت هذه الايه قال المحققون هذا القول ضعيف لان
عطف الشي على غيره بالواو لا يوجب الترتيب القول الثالث
عن سعيد بن جبير صلي الفجر بالمزدلفه وانحر بمنا والاقرب
القول الاول لانه لا يجب اذا قرن ذكر النحر بالصلاه ان يحمل الصلاه على
ما يقع يوم النحر المسله الرابعه اللام في قوله لربك فيها فوايد الفايده
الاولى هذه اللام للصلاه كالروح للبدن فكما ان البدن من القرن الى القدم
انما يكون حسنا ممدوحا اذا كان فيه روح اما اذا كان ميتا فيكون مرميا
كذا الصلاه والركوع والسجود وان حسنت في الصلاه الصوره وطالت لكن
لو لم تكن فيها لام لربك كانت ميته مرميه وهو المراد من قوله تعالى
لموسى اقم الصلاه لذكري وقيل انه كانت صلوتهم ونحرهم للصنم
فقيل له لتكن صلاتك ونحرك لله الفايده الثانيه كانه تعالى يقول
ذكرت في السوره المتقدمه انهم كانوا يصلون للمراياه فصل انت لا

وجوه

للريا لكن على سبيل الاخلاص المسله الخامسه الفا في قوله فصل
تفيد سببية امرين احدهما سببيه العباده كانه قيل تكثير الانعام عليك
يوجب عليك الاشتغال بالعبوديه والثاني سببيه ترك المبالاه كانهم لما
قالوا له انك ابتر فقيل له انما انعمنا عليك بهذه النعم الكثيره فاشتغل انت
بطاعتك ولا تبال بقولهم وهذيانهم واعلم انه لما كانت النعم الكثيره محبوبه
ولازم المحبوب ~~والفا في قوله~~ والفا في قوله فصل اقتضت كون الصلاه من لوازم
تلك النعم لا جرم صارت الصلوات احب الاشيا للنبي عليه السلم فقال
وجعلت قره عيني في الصلاه ولقد صلى حتى تورمت قدماه فقيل له
اوليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا فقوله افلا اكون عبدا شكورا اشاره الى انه يجب على الاشتغال
بالطاعه بمقتضى الفا في قوله فصل المسله السادسه كان الاليق
في الظاهر ان يقول انا اعطيناك الكوثر فصل لنا وانحر لكنه ترك ذلك الى
قوله فصل لربك لفوايد احدها ان وروده على طريق الالتفات
من امهات ابواب الفصاحه وثانيها ان صرف الكلام من المضمر الى
المظهر يوجب نوع عظمه ومهابه ومنه قول الخلفا لمن تحت طاعتهم يامرك
امير المومنين وينهاك امير المومنين وثالثها ان قوله انا اعطيناك ليس
في صريح لفظه ان هذا القايل هو الله او غيره وايضا كلمه انا تحتمل الجمع
كما تحتمل الواحد المعظم فلو قال صل لنا لبقي ذلك الاحتمال وهو انه ما
كان يعرف ان هذه الصلاه وانها لله فقط ام لله ولغيره على سبيل التشريك
فلهذا ترك ذلك اللفظ وقال فصل لربك ليكون ذلك ازاله لذلك الاحتمال
وتصريحا بالوحده في الطاعه والحمد لله تعالى المسله السابعه

السادسه

قوله فصل لربك ابلغ من قوله صل لله لان لفظ الرب يفيد التربيه المتقدمه
المشار اليها بقوله انا اعطيناك الكوثر ويفيد الوعد الجميل في المستقبل
انه يربيه ولا يتركه المسله الثامنه في الايه سوالان احدهما ان المذكور
عقيب الصلاه هو الزكوه فلم كان المذكور هاهنا هو النحر والثاني لم لم يقل

الثامنه م



ضح حتى يشمل جميع انواع الضحايا والجواب عن الاول اما على قول
من قال المراد من الصلاه صلاه العيد فالامر ظاهر فيه واما على قول من
حمله على مطلق الصلاه فلوجوه احدها ان المشركين كانت صلواتهم
وقرابينهم للاوثان فقيل له اجعلهما لله وثانيها ان من الناس من قال
انه عليه السلم ما كان يدخل في ملكه شي من الدنيا بل كان يملك بقدر الحاجه فلا
جرم لم تجب الزكوه عليه اما النحر فقد كان واجبا عليه لقوله ثلث كتبت
علي ولم تكتب على امتي الضحى والاضحى والوتر وثالثها ان اعز الاموال عند
العرب هو الابل فامره بنحرها وصرفها الى طاعه الله تنبيها على قطع العلايق
النفسانيه عن لذات الدنيا وطيباتها روي انه عليه السلم اهدى مايه بدنه
فيها جمل لابي جهل في انفه بره من ذهب فنحر هو عليه السلم حتى اعيا
ثم امر عليا بذلك وكانت النوق يزدحمن على رسول الله فلما اخذ على
السكين تباعدت هذه والجواب عن الثاني ان الصلاه اعظم العبادات

دلم

البدنيه فقرن بها اعظم انواع الضحايا وايضا فيه اشاره بانك بعد فقرك
تصير بحيث تنحر المايه من الابل المسله التاسعه دلت الايه على وجوب تقديم
الصلاه على النحر لا لان الواو توجب الترتيب بل لقوله عليه السلم ابدا بما بدا الله به
~~السوره التاسعه~~ السوره مكيه في اصح الاقوال فكان الامر بالنحر جاريا
مجرى البشاره بحصول الدوله وزوال الفقر والخوف قوله

التاسعه م

المسله العاشره م

ان شانيك هو الابتر وفي الايه مسايل المسله الاولى ذكروا في سبب
النزول وجوها احدها انه عليه السلم كان يخرج من المسجد والعاص
بن وايل السهمي يدخل فالتقيا فتحدثا وصناديد قريش في المسجد فلما
دخل قالوا من الذي كنت تحدث معه فقال ذلك الابتر واقول
ان ذلك من اسرار بعضهم مع بعض مع ان الله تعالى اظهره فحينئذ يكون ذلك
معجزا وروي ايضا ان العاص بن وايل كان يقول ان محمدا ابتر لا ابن له
يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحنا منه وكان قد مات
ابنه عبد الله من خديجه وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي

وعامة اهل التفسير القول الثاني روي عن ابن عباس لما قدم
كعب بن الاشرف مكة اتاه جماعة قريش فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة
وانت سيد المدينة فنحن خير ام هذا الابتر من قومه يزعم انه خير منا
فقال بل انتم خير منه فنزل ان شانئك هو الابتر ونزل ايضا الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت القول
الثالث قال عكرمة وشهر بن حوشب لما اوحى الله الى رسوله ودعا
قريشا الى الاسلام قالوا بتر محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر تعالى انهم هم
المبتورون القول الرابع نزلت في ابي جهل فانه لما مات ابن رسول الله
قال ابو جهل اني ابغضه لانه ابتر وهذا منه حماقة حيث ابغضه بامر
لم يكن باختياره فان موت الابن لم يكن من مراده القول الخامس
نزلت في عمه ابي لهب فانه لما شافهه بقوله تبا لك كان يقول في غيبته انه
ابتر والقول السادس انما نزلت في عقبة بن ابي معيط وانه هو الذي
كان يقول ذلك واعلم انه لا يبعد في كل اولئك الكفرة ان يقولوا مثل ذلك
فانهم كانوا يقولون ما هو اسوأ من ذلك ولعل العاص بن وائل كان اكثرهم
مواظبة على هذا القول فلذلك اشتهرت الروايات بان الاية نزلت فيه
المسئلة الثانية الشانئ هو المبغض والشاني هو المبغض واما البتر فهو
في اللغة استيصال القطع يقال بترته ابتره بترا وبترا اي صار ابتر وهو
مقطوع الذنب ويقال للذي لا عقب له ابتر ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب
له وكذلك لمن انقطع عنه الخير ثم ان الكفار لما وصفوه بذلك بين تعالى
ان الموصوف بهذه الصفة هو ذلك المبغض على سبيل الحصر فانك اذا
قلت زيد هو العالم ان يفيد لا عالم غيره اذا عرفت هذا فقول الكفار
فيه عليه السلم انه ابتر لا شك انهم لعنهم الله ارادوا به انه انقطع الخير عنه
ثم ذلك اما ان يحمل على خير معين او على جميع الخيرات اما الاول
فيحتمل وجوها احدها قال السدي كانت قريش يقولون لمن مات
الذكور من اولاده بتر فلما مات ابنه القسم وعبد الله بمكة وابرهيم بالمدينة



قالوا انبتر فليس له من يقوم مقامه ثم انه تعالى بين ان عدوه هو الموصوف بهذه
الصفة فانا نرى ان نسل اولئك الكفرة قد انقطع ونسله عليه السلم كل يوم يزداد
وينمو وهكذا يكون الى قيام القيمة وثانيها قال الحسن عنوا بكونه ابتر انه ينقطع
عن المقصود قبل بلوغه والله تعالى بين ان خصمه هو الذي يكون كذلك فانهم
صاروا مدبرين مغلوبين مقهورين وصارت ايام الاسلام عالية واهل الشرق
والغرب لها متواضعة وثالثها زعموا انه ابتر لانه ليس له ناصر ومعين وقد
كذبوا لان الله تعالى هو مولىه وجبريل وصالح المومنين واما الكفرة فلم يبق لهم
ناصر ولا حبيب ورابعها الابتر هو الحقير الذليل روي ان ابا جهل اتخذ ضيافة
لقوم ثم انه وصف رسول الله عليه السلم بهذا الوصف ثم قال قوموا حتى نذهب
الى محمد واصارعه واجعله ذليلا حقيرا فلما وصلوا الى دار خديجة وتوافقوا
على ذلك اخرجت خديجة بساطا فلما تصارعا جعل ابو جهل يجتهد في ان يصرعه
وبقي النبي عليه السلم واقفا كالجبل ثم بعد ذلك رماه الرسول على اقبح الوجوه
فلما رجع اخذه باليد اليسرى لان اليسرى للاستنجا فكان نجسا فصرعه على الارض
مرة اخرى ووضع قدمه على صدره وذكر بعض القصاص ان المراد من قوله
ان شانئك هو الابتر هذه الواقعة وخامسها ان الكفرة لما وصفوه بهذا
الوصف قيل ان شانئك هو الابتر اي الذي قالوه فيك كلام فاسد يضمحل
ويفنى واما المدح الذي ذكرناه فيك فانه باق على وجه الدهر وسادسها
ان رجلا قام الى الحسن بن علي وقال سودت وجوه المومنين بان تركت
الامامة لمعوية فقال لا تؤذني رحمك الله فان رسول الله اري بني امية
في المنام يصعدون منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك فانزل الله تعالى انا اعطيناك
الكوثر وانا انزلناه فكان ملك بني امية كذلك ثم انقطعوا وصاروا مبتورين المسئلة
الثالثة الكفار لما شتموه فهو تعالى اجاب عنه من غير واسطة فقال
ان شانئك هو الابتر وهكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يشتم
حبيبه تولى بنفسه جوابه فهاهنا تولى الحق سبحانه جوابهم وذكر مثل ذلك
في مواضع حين قالوا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد

افترى على الله كذبا ام به جنة فقال هو سبحانه بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد وحين قالوا هو مجنون اقسم
ثلاثا ثم قال ما انت بنعمة ربك بمجنون ولما قالوا لست مرسلا اجاب
فقال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين وحين قالوا اينا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون رد عليهم وقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين
فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه وقال انكم لذائقوا العذاب الاليم وحين
قال اخاكيا ام يقولون شاعر قال وما علمناه الشعر ولما حكى عنهم
قولهم ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم اخرون سماهم كاذبين
بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا ولما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق اجابهم فقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فما اجل هذه الكرامة
المسئلة الرابعة اعلم انه تعالى لما بشره بالنعم العظيمة وعلم تعالى
ان النعمة لا تهنأ الا اذا صار العدو مقهورا لا جرم وعده بقهر العدو
فقال ان شانئك هو الابتر وفيه لطايف احدها كانه تعالى يقول
لا اقتله لكي يرى بعض اسباب دولتك وبعض اسباب محنة نفسه فيقتله
الغيظ وثانيها وصفه بكونه شانئا كانه تعالى يقول هذا الذي يبغضك
لا يقدر على شيء اخر سوى انه يبغضك والمبغض اذا عجز عن الايذاء فحينئذ
يحترق قلبه غيظا وحسدا فتصير تلك العداوة من اعظم اسباب حصول
المحنة لذلك العدو وثالثها ان هذا الترتيب يدل على انه انما صار ابتر
لانه كان شانئا له ومبغضا والامر بالحقيقة كذلك فان من عادى محمدا
فقد عادى الله لا سيما من تكفل الله باعلاء شانه وتعظيم مرتبته ورابعها
ان العدو وصف محمدا عليه السلام بالقلة والذلة ونفسه بالكثرة والدولة
فقلب الله الامر عليه وقال العزيز من اعزه الله والذليل من اذله
الله فالكثرة والكوثر لمحمد والابترية والدناءة والذلة للعدو فحصل بين
اول السورة واخرها نوع من المطابقة لطيفة المسئلة الخامسة



اعلم ان من تامل في مطالع هذه السورة ومقاطعها عرف ان الفوائد التي
ذكرناها بالنسبة الى ما اشتملت عليه من فوائد هذه السورة كالقطرة
في البحر روي عن مسيلمة انه عارضها فقال انا اعطيناك الجماهر
فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل كافر ولم يعرف المخذول انه محروم
عن المطلوب لوجوه احدها ان الالفاظ والترتيب ماخوذان عن هذه
السورة وهذا لا يكون معارضة وثانيها انا ذكرنا ان هذه كالمتمم لما قبلها
وكالاصل لما بعدها فذكر هذه الكلمات وحدها يكون اهمالا لاكثر لطايف
هذه السورة وثالثها التفاوت العظيم الذي يقر به من له ذوق سليم بين
قوله ان شانئك هو الابتر وبين قوله ان مبغضك رجل كافر ومن لطايف
هذه السورة ان كل احد من الكفار وصفوا رسول الله بوصف اخر
فوصفه بانه لا ولد له واخر بانه لا معين له ولا ناصر له واخر بانه لا يبقى
منه ذكر فالله سبحانه مدحه مدحا ادخل فيه كل الفضايل وهو قوله
انا اعطيناك الكوثر لانه لما لم يتقيد الكوثر بشيء دون شيء لا جرم تناول
جميع خيرات الدنيا والاخرة ثم امره حال حيوته بمجموع الطاعات
لان الطاعة اما ان تكون طاعة البدن او طاعة القلب اما طاعة البدن
فافضله شيان لان طاعة البدن هي الصلاة وطاعة المال هي الزكوة
واما طاعة القلب فهو ان لا ياتي بشيء الا لاجل الله واللام في قوله لربك
تدل على هذه الحالة ثم كانه نبه على ان طاعة القلب لا تحصل الا بعد حصول
طاعة البدن فقدم طاعة البدن في الذكر وهو قوله فصل واخر اللام
الدالة على طاعة القلب تنبيها على فساد مذهب اهل الاباحة في ان العبد
قد يستغني بطاعة قلبه عن طاعة جوارحه فهذه اللام تدل على بطلان
مذهب الاباحة وعلى انه لا بد من الاخلاص ثم نبه بلفظ الرب على
علو حاله في المعاد كانه يقول كنت ربيتك قبل وجودك افاترك تربيتك
بعد مواظبتك على هذه الطاعات ثم كما تكفل اولا بافاضة النعم عليه تكفل
في اخر هذه السورة بالذب عنه وابطال قول اعدائه وفيه اشارة الى انه

سبحانه هو الاول باضافة النعم والاخر بتكميل النعم في الدنيا والاخرة والله اعلم

سورة قل يا ايها الكافرون     وهذه السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة وروي من قراها فكانما قرا ربع القران والوجه فيه ان القران مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحرمات وكل واحد منها ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب والى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فتكون ربعا للقران

سورة قل يا ايها الكافرون     بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون اعلم ان قوله تعالى قل فيه فوايد احدها انه عليه السلم كان مامورا بالرفق واللين في جميع الامور كما قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فبما رحمة من الله لنت لهم بالمومنين روف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم كان مامورا بان يدعوا الى الله بالوجه الاحسن وجادلهم بالتي هي احسن ولما كان الامر كذلك ثم انه خاطبهم بيا ايها الكافرون فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب باني مامور بهذا الكلام لا اني ذكرته من عند نفسي فكان المراد من قوله قل تقرير هذا المعنى وثانيها انه لما قيل له وانذر عشيرتك الاقربين وهو كان يحب اقرباه لقوله لا اسلكم عليه اجرا الا المودة في القربى فكانت القرابة ووحدة النسب كالمانع من اظهار الخشونة فامر بالتصريح بتلك الخشونة والتغليظ فقيل له قل وثالثها انه لما قيل له يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته فامر بتبليغ كل ما انزل عليه فلما قال الله تعالى له قل يا ايها الكافرون نقل هو عليه السلم هذا الكلام بجملته كانه قال الله تعالى امرني بتبليغ كل ما انزل الله علي والذي انزل عليه هو مجموع قوله قل يا ايها الكافرون فانا ايضا ابلغه الى الخلق هكذا ورابعها ان الكفار كانوا مقرين بوجود الصانع وانه هو الذي خلقهم ورزقهم على ما قال تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والعبد يتحمل من مولاه ما لا يتحمله



من غيره فلو انه عليه السلم قال ابتدا يا ايها الكافرون لجوزوا ان يكون هذا كلام محمد فلعلهم ما كانوا يتحملونه منه وكانوا يوذونه اما لما سمعوا قوله قل علموا انه ينقل هذا التغليظ عن خالق السموات والارض فكانوا يتحملونه ولا تعظم باذيتهم وخامسها ان قوله قل يوجب كونه رسولا من عند الله فكلما قيل له قل كان ذلك كالمنشور الجديد في ثبوت رسالته وذلك يقتضي المبالغة في تعظيم الرسول فان الملك اذا فوض مملكته الى بعض عبيده فاذا كان يكتب له كل شهر وسنة منشورا جديدا دل ذلك على غاية اعتنايه بشانه وانه على عزم ان يزيده كل يوم تعظيما وتشريفا وسادسها ان الكفار لما قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهنا سنة فكانه عليه السلم قال استامرت الهي فيه فقال قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وسابعها الكفار قالوا فيه السو فهو تعالى زجرهم عن ذلك واجابهم وقال ان شانيك هو الابتر فكانه تعالى قال حين ذكروك بسوء فانا كنت المجيب بنفسي فحين ذكروني بالسوء واثبتوا الي الشركا فكن انت المجيب قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وثامنها انهم سموك الابتر فان شيت ان تستوفي منهم القصاص فاذكرهم بوصف ذم بحيث تكون صادقا فيه قل يا ايها الكافرون لكن الفرق انهم عابوك بما ليس من فعلك وانت تعيبهم بما هو فعلهم وتاسعها ان تقديره ان تقول يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فالكفار يقولون هذا كلام ربك ام كلامك فان كان كلام ربك فربك يقول انا لا اعبد هذه الاصنام ونحن لا نطلب هذه العبادة من ربك انما نطلبها منك وان كان هذا كلامك فانت ~~مامور من عند الله تعالى~~ قلت من عند نفسك اني لا اعبد هذه الاصنام فلم قلت ان ربك هو الذي امرك بذلك اما لما قال قل سقط هذا الاعتراض لان قوله قل يدل على انه مامور من عند الله تعالى بان لا يعبدها ويتبرا منها وعاشرها انه لو انزل قوله يا ايها الكافرون لكان يقراها عليهم لا محالة لانه لا يجوز ان يخون في الوحي الا انه لما قال قل كان ذلك كالتاكيد في ايجاب تبليغ هذا الوحي اليهم والتاكيد يدل على ان ذلك الامر

مردن

الكلمة

امر عظيم فهذا الطريق تدل هذه الجمع على ان الذي قالوه وطلبوه من الرسول
امر منكر في غاية القبح ونهاية الفحش الحادي عشر كانه تعالى يقول كانت
التقيه جائزه عند الخوف اما الان لما قوينا فلك يقولنا انا اعطيناك الكوثر وقولنا
ان شانئك هو الابتر فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون الحادي عشر ان خطاب الله مع العبد من غير واسطه توجب
التعظيم الاثني انه تعالى ذكر من اقسام اهانه الكفار انه تعالى لا يكلمهم
فلو قال يا ايها الكافرون لكان ذلك من حيث خطاب مشافهه يوجب التعظيم
ومن حيث انه وصفهم بالكفر يوجب الاذلال فينجبر الايذا بالاكرام اما
لما قال قل يا ايها الكافرون فحينئذ يرجع تشريف المخاطبه الى محمد عليه السلم
وترجع الاهانه الحاصله لهم بسبب وصفهم بالكفر الى الكفار فيحصل فيه تعظيم
الاوليا واهانه الاعدا وذلك هو النهايه في الحسن الثاني عشر ان محمدا عليه
السلم كان منهم وكان في غاية الشفقه عليهم والرافه بهم وكانوا يعلمون منه انه
شديد الاحتراز عن الكذب والاب الذي يكون في غاية الشفقه بولده ويكون
في نهاية الصدق والبعد عن الكذب ثم انه يصف ولده بعيب عظيم فالولد
ان كان عاقلا يعلم انه ما وصفه بذلك مع غاية شفقته عليه الا لصدقه في
ذلك ولانه بلغ مبلغا لا يقدر لانه تعالى اخفا به فقال تعالى قل يا محمد لهم
يا ايها الكافرون ليعلموا انك لما وصفتهم بذلك مع غاية شفقتك عليهم
وغاية احترازك عن الكذب فهم موصوفون بهذه الصفه القبيحه فربما
يصير ذلك داعيا لهم الى البراه من هذه الصفه والاحتراز عنها الثالث عشر
ان الايذا والايحاش من ذوي القربى اشد واصعب من الغير فانت من
قبيلتهم ونشات فيما بين اظهرهم فقل لهم يا ايها الكافرون فلعله يصعب
ذلك الكلام عليهم فيصير ذلك داعيا لهم الى البحث والنظر والبراه عن الكفر
الرابع عشر كانه تعالى يقول السنا بينا في سوره والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وفي
سوره الكوثر لما اعطيناك الكوثر اثبت بالايمان والاعمال الصالحه بمقتضى



قولنا فصل لربك وانحر بقي عليك التواصي بالحق والتواصي بالصبر وذلك هو ان
تمنعهم بلسانك وبرهانك عن عباده غير الله فقل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون الخامس عشر كانه تعالى يقول يا محمد انسيت انني لما اخرت
الوحي عنك مده قليله قال الكافرون ان ودعه ربه وقلاه فشق عليك
ذلك غاية المشقه حتى انزلت عليك السوره واقسمت بالضحى والليل اذا
سجى انه ما ودعك ربك وما قلى فلما استحرن ان تذكر شهرا ولم تطب قلبك
حتى نادت في العالم بانه ما ودعك ربك وما قلى افتستحيي ان تتركني شهرا
وتشتغل بعباده الهتهم فكما نادت بنفي تلك التهمه فناد انت ايضا في العالم
بنفي هذه التهمه وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السادس عشر
لما سالوا منه ان تعبد الهتهم سنه وتعبدوا الهه سنه فهو عليه السلم سكت ولم
يقل شيا لا لانه جوز في قلبه ان يكون الذي قالوه حقا فانه كان قاطعا
بفساد ما قالوه لكنه عليه السلم توقف في انه ماذا يجيبهم ابان يقيم الدلايل
العقليه على امتناع ذلك او بان يزجرهم بالسيف او بان ينزل الله عليهم
عذابا فاغتنم الكفار ذلك السكوت وقالوا ان محمدا مال الى ديننا فكانه
تعالى قال يا محمد ان توقفك عن الجواب في نفس الامر حق ولكنه اوهم
باطلا فتدارك ازاله ذلك الباطل وصرح بما هو الحق وقل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون السابع عشر انه عليه السلم لما قال له ربه ليله المعراج
اثن علي استولى عليه هيبه الحضره الالهيه فقال لا احصي فوقع ذلك
السكوت منه في غاية الحسن فكانه قيل له ان سكت عن الثنا رعايه لهيبه
الحضره فاطلق لسانك في مذمه الاعدا وقل يا ايها الكافرون حتى يكون
سكوتك لله وكلامك لله وفيه تقريب اخر وهو ان هيبه الحضره سلبت
عنك قدره القول فقل هاهنا حتى ان هيبه قولك تسلب قدره القول
عن هولا الكفار الثامن عشر لو قال له لا تعبد ما تعبدون لم يلزم منه ان
يقول بلسانه لا اعبد ما تعبدون اما لما امره بان يقول بلسانه لا اعبد
ما تعبدون يلزمه ان لا يعبد ما يعبدون اذ لو فعل ذلك لصار كلامه كذبا

وقت انه لما قال له قل لا اعبد ما تعبدون يلزمه ان يكون منكرا لذلك
بقلبه ولسانه وجوارحه ولو قال له لا تعبد ما يعبدون يلزمه تركه اما لا
يلزمه اظهار انكاره باللسان ومن المعلوم ان غاية الانكار انما تحصل اذا تركه
في نفسه وانكره بلسانه فقوله قل اقتضى المبالغة في الانكار فلهذا قال قل
لا اعبد ما تعبدون التاسع عشر ذكر التوحيد ونفي الانداد جنة للعارفين
ونار للمشركين فاجعل لفظك جنة للموحدين ونارا على المشركين وقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون العشرون ان الكفار لما قالوا والله نعبد الهك
سنة وتعبد الهنا سنة سكت محمد فقال لو شا فتنهم بالرد فاذا حصلت
النفرة عن الاسلام في قلوبهم فكانه تعالى قال له يا محمد لم سكت عن
الرد اما الطمع فيما يعدونك من قبول دينك فلا حاجة بك في هذا المعنى اليهم
فانا اعطيناك الكوثر واما الخوف عنهم فقد ازلنا عنك هذا الخوف
بقولنا ان شانيك هو الابتر فلا تلتفت اليهم ولا تبال بكلامهم وقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون الحادي والعشرون انسيت يا محمد
اني قدمت حقك على حق نفسي وقلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين فقدمت اهل الكتاب في الكفر على المشركين لان طعن اهل
الكتاب فيك ولعن المشركين في فقدمت حقك على حق نفسي وقدمت
اهل الكتاب في الذم على المشركين وانت ايضا هكذا كنت تفعل فانهم
لما كسروا اسنانك قلت اللهم اهد قومي ولما شغلوك يوم الخندق
عن الصلاة قلت اللهم املا قلوبهم نارا فهاهنا ايضا قدم حقي على
حق نفسك وسوا كنت خايفا منهم او لست خايفا منهم فاظهر
انكار قولهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثاني والعشرون
كانه تعالى يقول قصة امراة زيد واقعة حقيرة بالنسبة الى هذه الو
اقعة ثم انك هناك ما رضيت منك ان تضمر في قلبك شيا ولا تظهره بلسانك
بل قلت لك على سبيل العتاب وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه فاذا كنت لم ارض منك في تلك الواقعة الحقيرة



الا بالاظهار وترك المبالاة باقوال الناس فكيف ارضى منك في هذه المسئلة هي
اعظم المسايل خطرا بالسكوت قل بصريح لسانك الكافرون لا اعبد ما تعبدون
الثالث والعشرون يا محمد الست قلت لك ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا
ثم اني مع هذه القدرة راعيت جانبك وطيبت قلبك وناديت في العالمين
باني لا اجعل الرسالة مشتركة بينه وبين غيره بل الرسالة لك الفرد حيث
قلت ولكن رسول الله وخاتم النبيين فانت مع علمك بانه يستحيل عقلا ان يشار
عندي في المعبودية اولى ان تنادي في العالمين بنفي هذه الشركة فقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون الرابع والعشرون كانه تعالى يقول القوم
جاوك والمعول في منا بعتهم لك ومتابعتك لدينك فسكت عن الانكار والرد
الست انا جعلت البيعة معك بيعة معي حيث قلت ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وجعلت متابعتك متابعة لي حيث قلت ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ثم اني ناديت في العالمين وقلت ان الله بري من
المشركين ورسوله فصرح انت ايضا بذلك وقل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون الخامس والعشرون كانه تعالى يقول الست ارافا بكم من
الوالد بولده ثم العري والجوع مع الوالد احسن من الشبع مع الاجانب
كيف والجوع لهم لان اصنامهم جايعة عن الحيوة عارية عن الصفات وهم
جايعون عن العلم عارون عن التقوى فقد جربتني الم اجدك يتيما عايلا
وضالا الم نشرح لك الم اعطك بالصديق خزينة وبالفاروق هيبة وبعثمان
معونة وبعلي علما الم اكف اصحاب الفيل حين حاولوا تخريب بلدتك الم
اكف اسلافك رحلة الشتاء والصيف الم اعطك الكوثر الم اضمن ان
خصمك ابتر الم اقل جدك في هذه الاصنام بعد تخريبها لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا فصرح بالبراة عنها وقل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون السادس والعشرون كانه تعالى يقول يا محمد الست
فدا نزلت عليك اذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا ثم ان واحدا
لو نسبك الى والدين لغضبت ولاظهرت الانكار ولبالغت فيه حتى قلت

با ابهام

لفہ

كنى

ولدت من نكاح ولم او لد من سفاح فاذا لم تسكت عند التشريك فكيف
سكت عند التشريك في العباده بل اظهر الانكار و بالغ في التصريح به
وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السابع والعشرون كانه تعالى
يقول يا محمد الست قد انزلت عليك افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون
فحكمت بان من سوى بين الاله والخالق وبين الوثن الجماد في العبوديه
لا يكون عاقلا بل يكون مجنونا ثم اني اقسمت وقلت نون والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون والكفار يقولون انك مجنون فصرح برد مقالتهم
فانها تفيد براتي عن عيب التشريك وبراتك عن عيب الجنون فقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثامن والعشرون ان هولا الكفار
سموا هذه الاوثان الهه والمشاركه في الاسم لا توجب المشاركه في المعنى
الا ترى ان الرجل والمراه يشتركون في الانسانيه حقيقه ثم القيمه
كلها حظ الزوج لانه اعلم واقدر ثم من كان اعلم واقدر كان له كل الحق
في القيمه فمن لا قدره له ولا علم البته كيف يكون له في العبوديه حق بل
ههنا شي اخر وهو ان امراه ادعاها رجلان فاصطلحا عليها لا يجوز
ولو اقام كل واحد منهما بينه على انها زوجته لم يقض لواحد منهما والجاريه
بين اثنين لا يحل لواحد منهما فاذا لم يجز حصول زوجه لزوجين
ولا امه بين مولين في حل الوطي فكيف يعقل عابد واحد بين معبودين
بل من جوز ان يصطلح الزوجان على ان تحل الزوجه لاحدهما شهرا
ثم للثاني شهرا اخر كان كافرا فمن جوز الصلح بين الاله والصنم الا
يكون كافرا ~~فمن جوز الصلح بين~~ فكانه تعالى يقول لرسوله ان هذه
المقاله في غايه القبح فصرح بالانكار وقل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون التاسع والعشرون كانه تعالى يقول انسيت انك لما خيرت
نسوتك حين انزلت عليك قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوه الدنيا
وزينتها الى قوله اجرا عظيما ثم خشيت من عايشه ان تختار الدنيا
فقلت لها لا تقولي شيا حتى تستامري ابو بكر فقالت افي هذا استامر



ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخره فناقصه العقل ما توقفت فيما
يخالف رضاك فتتوقف فيما يخالف رضاي وامري مع اني جبار السموات والارض
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثلثون كانه تعالى يقول يا محمد الست
انت الذي قلت من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم
وحتى ان بعض المشايخ قال لمريده الذي يريد ان يفارقه لا تخالط السلطان
قال ولم قال لانه يوقع الناس في احد الخطاين اما ان يعتقدوا ان السلطان
متدين لانه يخالطه العالم الزاهد او يعتقدوا انك فاسق مثله وكلاهما
خطا فاذا ثبت انه يجب البراه عن مواقف التهم فسكوتك يا محمد عند هذا
الكلام يجر اليك تهمه الرضا بذلك لا سيما وقد سبق ان الشيطان القى فيما
بين قراتك تلك الغرانيق العلى منها الشفاعه ترتجى فازل عن نفسك هذه
التهمه وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الحادي والثلثون
الحقوق في الشاهد نوعان حق من انت تحت يده وهو مولاك وحق
من هو تحت يدك وهو الولد ثم اجمعنا على ان خدمه المولى مقدمه على
تربيه الولد ثم روي ان عليا رضي الله عنه استاذن الرسول في التزوج بابنة
ابي جهل فضجر وقال لا اذن لا اذن لا اذن ان فاطمه بضعه مني يوذيني
ما يوذيها ويسرني ما يسرها والله لا يجمع بين بنت عدو الله وبنت
حبيب الله فكانه تعالى يقول صرحت هناك بالرد وكررته على سبيل المبالغه
رعايه لحق الولد فههنا اولى ان تصرح بالرد وتكرره رعايه لحق المولى
فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا اجمع في القلب بين طاعه
الحبيب وطاعه العدو الثاني والثلثون يا محمد الست قلت لعمر
رايت قصرا في الجنه فقلت لمن فقيل لفتى من قريش فقلت من هو
فقالوا عمر فخشيت غيرتك فلم ادخلها حتى قال عمر او اغار فكانه تعالى
قال خشيت غيره عمر فما دخلت قصره افما تخشى غيرتي في ان تدخل
قلبك طاعه غيري ثم هناك اظهرت الامتناع فههنا ايضا اظهر الامتناع
وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثالث والثلثون الا ترى ان

ن

فاذا كان حق المولى مقدما فكان يكون حق المولى الحقيقي مقدما اولى

عليكم

نعمتي عليك دون نعمة الوالدة الم اربك الم احلقك الم ارزقك الم اعطك الجود
والقدرة والعقل والتوفيق والهداية ثم حين كنت طفلا عديم العقل وعرفت
تربية الام فلو اخذتك امراة اجمل واحسن واكرم من امك لاظهرت النفرة
ولبكيت ولو اعطيتك الذي شددت غمك تقول لا اريد غير الام لانها
اول منعم علي فها هنا اولى ان تظهر النفرة فتقول لا اعبد سوى ربي لانه
اول منعم علي فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الرابع والثلثون
نعمة الاطعام دون نعمة العقل والنبوة ثم عرفت ان الشاة والكلب لا ينسيان
نعم الاطعام ولا يميلان الى غير من اطعمهما فكيف يليق بالعاقل ان ينسى
نعمة الايجاد والاحسان فكيف في حق افضل قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون الخامس والثلثون مذهب الشافعي رحمه الله انه يثبت حق
الفرقة بواسطة الاعسار بالنفقة فاذا لم تجد من الاصنام تربية حصلت
لك حق الفرقة لو كنت متصلا بها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيا فبتقدير ان كنت متصلا بها كان يجب ان تنفصل عنها وتتركها
فكيف وما كنت متصلا بها ايليق بك ان تقرب الاتصال بها قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون السادس والثلثون هولاء الكفار لفرط حماقتهم ظنوا
ان الكثرة في الالهة كالكثرة في المال تزيد به الغنى وليس الامر كذلك بل
هو كالكثرة في العيال تزداد به الحاجة فقل يا محمد لي اله واحد اقوم له
في الليل واصوم له في النهار ثم بعد لم انفرغ من قضا حقوقه من ذرات
نعمه فكيف التزم عبادة الهة كثيرة قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
السابع والثلثون ان مريم عليها السلام لما تمثل لها جبريل عليه السلام قالت اني
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فاستعاذت ان تميل الى جبريل دون الله
افلا تستحي مع كمال رجوليتك ان تميل الى الاصنام قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون الثامن والثلثون مذهب ابي حنيفة انه لا يثبت حق
الفرقة بالعجز عن النفقة ولا بالعنة الطارية تقول كان فيما فلا يحسن
الاعراض عنه مع انه تعيب فالحق سبحانه يقول كنت فيما ولم اتعيب



فكيف يجوز الاعراض عني قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون التاسع
والثلثون هولاء الكفار كانوا معترفين بان الله خالقهم ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقال في موضع اخر اروني ماذا خلقوا فكانه
تعالى يقول هذه الشركة اما ان تكون في الخلق وذلك باطل لان الخلق مني
والتربية والسقي مني والحفظ مني فاي شي للصنم او شركة الوجوه وذلك ايضا
باطل الا ترى ان الصنم اكثر شهرة وظهورا مني او شركة الابدان وذلك
ايضا باطل لان ذلك يستدعي الجنسية او شركة العنان وذلك ايضا باطل
لانه لا بد فيه من نصاب فما نصاب الاصنام او تقول ليس هذا من باب
الشركة لكن الصنم ياخذ بالتغلب نصيبا من الملك فكان الرب يقول ما
اشد جهلكم ان هذا الصنم اكثر عجزا من الذبابة ان الذين يدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا فانا اخلق البذر في قعر الارض فالتربية والسقي
والحفظ مني ثم ان من هو اعجز من الذبابة ياخذ بالقهر والتغلب نصيبا مني
ما هذا القول يليق بالعقلا قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الاربعون
انه لا ذرة في عالم المحدثات الا وهي تدعوا العقول الى معرفة الذات
والصفات واما الدعاة الى معرفة احكام الله فهم الانبيا عليهم السلام
ولما كان كل نبي وبعوضة داعيا الى معرفة الذات والصفات قال ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وذلك لان هذه البعوضة
بحسب حدوث ذاتها وصفاتها تدعوا الى قدرة الله وبحسب تركيبها
العجيب تدعوا الى علم الله وبحسب تخصص ذاتها وصفاتها بقدر معين تدعوا
الى ارادة الله فكانه تعالى يقول مثل هذا الشي كيف يستحيي منه روي ان عمر
رضي الله عنه كان في ايام خلافته دخل السوق واشترى كرشا وحمله بنفسه
فراه علي من بعيد فتنكب عن الطريق فاستقبله عمر وقال لم تنكبت الطريق
قال علي حتى لا تستحيي فقال لقد استحيي من حمل ما هو غذاي فكانه تعالى
يقول اذا كان عمر لا يستحيي عن الكرش الذي هو غذاوه في الدنيا فكيف استحيي
عن ذكر البعوض الذي يعطيك غذا دينك ثم كانه تعالى يقول يا محمد ان نمرود

لما ادعى الربوبية صاح عليه البعوض بالانكار فهولاء الكفار لما ادعوا الى الشرك
افلا تصيح عليهم افلا تصرح بالرد عليهم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما
تعبدون وان فرعون لما ادعى الالهية فجبريل ملا فاه من الطين فان كنت
ضعيفا فلست اضعف من بعوضة نمرود وان كنت قويا فلست اقوى
من جبريل فاظهر الانكار عليهم وقل يا ايها الكافرون الحادي والاربعون
كانه تعالى يقول يا محمد قل بلسانك لا اعبد ما تعبدون واترك فرضا علي
فاني افضيك هذا الفرض على احسن الوجوه الاثنى ان النصراني اذا
قال اشهد ان محمدا رسول الله فاقول انا لا اكتفي بهذا ما لم تصرح بالبراة
عن النصرانية فلما اوجبت على مكلف ان يبرا ويصرح لسانه عن كل دين يخالف
دينك فانت ايضا اوجب على نفسك ان تصرح برد كل معبود غيري فقل
يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثاني والاربعون ان موسى عليه السلام
كان في طبعه الخشونة فلما ارسل الى فرعون قيل له فقولا له قولا لينا واما
محمد عليه السلام فلما ارسل الى الخلق امر باظهار الخشونة تنبيها على انه في غاية
الرحمة فقيل له قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون اما قوله تعالى
يا ايها الكافرون ففيه مسائل المسئلة الاولى يا ايها قد تقدم القول فيها
في مواضع والذي نزيده هاهنا انه روي عن علي رضي الله عنه انه قال يا نداء
النفس واي نداء القلب وها نداء الروح وقيل يا نداء للغائب واي للحاضر
وها للتنبيه كانه يقول ادعوك ثلثا ولا تجيبني مرة ما هذا الا الجهل
الخفي ومنهم من قال انه تعالى جمع بين يا الذي هو للبعيد واي الذي هو
للقريب كانه تعالى يقول معاملتك معي وفرارك عني توجب البعد البعيد
لكن احساني اليك ووصول نعمتي اليك توجب القرب القريب ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وانما قدم يا الذي توجب البعد على اي الذي توجب
القرب كانه يقول التقصير منك والتوفيق مني ثم ذكرها بعد ذلك لان
يا توجب البعد الذي هو كالموت واي توجب القرب الذي هو كالحيوة
فلما حصلا حصلت حالة متوسطة بين الحيوة والموت وتلك الحالة



هي النوم والنائم لا بد وان ينبه وها كلمة تنبيه فلهذا السبب ختمت حروف
الندا بهذا الحرف المسئلة الثانية روي في سبب نزول هذه السورة
ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية
بن خلف قالوا لرسول الله تعال حتى نعبد الهك مرة وتعبد الهنا
مرة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فان كان امرك
رشيدا اخذنا منه حظا وان كان امرنا رشيدا اخذت منه حظا فنزلت
هذه السورة ونزل ايضا قوله تعالى قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون فتارة وصفهم بالجهل وتارة بالكفر واعلم ان
الجهل كالشجرة والكفر كالثمرة فلما نزلت السورة وقراها على رؤسهم شتموه
وايسوا منه وهاهنا سوالات السوال الاول لم ذكرهم في هذه
السورة بالكافرين وفي الاخرى بالجاهلين الجواب لان هذه
السورة بتمامها نازلة فيهم فلا بد وان تكون المبالغة هاهنا اشد وليس في
الدنيا لفظ اشنع ولا ابشع من لفظ الكافر وذلك لانه صفة ذم عند جميع
الخلق سوا كان مطلقا او مقيدا اما لفظ الجهل فانه عند التقييد قد
لا يذم كقوله عليه السلام ان من العلم جهلا علم لا ينفع وجهل لا يضر السوال
الثاني قال تعالى في سورة لم تحرم يا ايها الذين كفروا ولم يذكر قل
وهاهنا ذكر قل وذكره باسم الفاعل والجواب الاية المذكورة
في سورة لم تحرم انما تقال يوم القيمة وثمة لا يكون الرسول رسولا
اليهم فازال الواسطة وفي ذلك الوقت يكونون مطيعين لا كافرين
فلذلك ذكره بلفظ الماضي واما هاهنا فهم كانوا موصوفين بالكفر
وكان الرسول رسولا اليهم فلا جرم قال قل يا ايها الكافرون السوال
الثالث قوله هاهنا قل يا ايها الكافرون خطاب مع الكل او مع البعض
الجواب لا يجوز ان يكون قوله لا اعبد ما تعبدون خطابا مع الكل
لان في الكفار من يعبد الله كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقول
لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد

خطابا مع الكل لان في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله فاذا وجب ان
يقال ان قوله يا ايها الكافرون خطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين
قالوا له نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة والحاصل انا لو حملنا الخطاب
على العموم دخل التخصيص ولو حملناه على انه خطاب مشافهة لم يلزمنا ذلك
فكان حمل الاية على هذا المحمل اولى اما قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون
ففيه مسائل المسئلة الاولى في هذه الاية قولان احدهما انه لا تكرار فيها
والثاني ان فيها تكرارا اما الاول فتقريره من وجوه احدها ان الاول
للمستقبل والثاني للحال والدليل على ان الاول للمستقبل ان لا لا تدخل
الا على مضارع في معنى الاستقبال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال
الخليل في لن اصله لا ان اذا ثبت هذا فقوله لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون في المستقبل
ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في
الحال بعابد معبودكم ولا انتم في الحال بعابدين لمعبودي الوجه
الثاني ان تقلب الامر فتجعل الاول للحال والثاني للاستقبال والدليل
على ان قوله ولا انا عابد ما عبدتم للاستقبال انه رفع لمفهوم
قولنا انا عابد ما عبدتم ولا شك ان هذا للاستقبال بدليل انه لو قال
انا قاتل زيدا فهم منه الاستقبال الوجه الثالث قال بعضهم
كل واحد منهما يصلح للحال وللاستقبال ولكنا نخص احدهما بالحال
والثاني بالاستقبال دفعا للتكرار فان قلنا انه اخبر عن الحال ثم عن
الاستقبال فهو الترتيب وان قلنا اخبر اولا عن الاستقبال فلانه
هو الذي دعوه اليه فهو الاهم فبدا به فان قيل ما فائدة الاخبار عن
الحال وكان معلوما انه ما كان يعبد الصنم واما الكفار فكانوا يعبدون
الله في بعض الاحوال قلنا اما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل
انه يعبدها سرا خوفا منها او طمعا اليها واما نفيه عبادتهم فلان فعل
الكافر ليس بعبادة اصلا الوجه الرابع وهو اختيار ابي مسلم ان المقصود



من الاولين المعبود وما بمعنى الذي فكانه قال لا اعبد الاصنام ولا تعبدون
الله واما في الاخيرين فما مع الفعل في تاويل المصدر اي لا اعبد عبادتكم
المبنية على الشرك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين
فان زعمتم انكم تعبدون الهي كان ذلك باطلا لان العبادة فعل مامور به
وما تفعلونه انتم فهو منهي عنه وغير مامور به الوجه الخامس
ان تحمل الاولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه والثانية على النفي العام
المتناول لجميع الجهات فكانه اولا لا اعبد ما تعبدون رجاء ان تعبدوا
الله ولا انتم تعبدون الله رجاء ثم قال ولا انا عابد صنمكم لغرض من الاغراض
ومقصود من المقاصد البتة بوجه من الوجوه ولا انتم عابدون ما اعبد
بوجه من الوجوه واعتبار من الاعتبارات ومثاله من يدعو غيره الى
الظلم لغرض التنعم فيقول لا اظلم لغرض التنعم بل لا اظلم اصلا لا لهذا
الغرض ولا لسائر الاغراض القول الثاني وهو ان يسلم حصول التكرار
وعلى هذا القول العذر عنه من وجهين الاول ان التكرير يفيد التوكيد
وكلما كانت الحاجة الى التاكيد اشد كان التكرير احسن ولا موضع احوج
الى التاكيد من هذا الموضع لان اولئك الكفار رجعوا الى رسول الله عليه السلام
في هذا المعنى مرارا وسكت رسول الله عن الجواب فوقع في قلوبهم انه عليه
السلام قد مال الى دينهم بعض الميل فلا جرم دعت الحاجة الى التاكيد
والتكرير في هذا النفي والابطال الوجه الثاني ان كان القران ينزل شيئا
بعد شيء واية بعد اية جوابا عما يسالون فالمشركون قالوا استلم
بعض الهتنا حتى نؤمن بالهك فانزل الله ولا انا عابد ما عبدتم ولا
انتم عابدون ما اعبد ثم قالوا بعد مدة تعبد الهتنا شهرا ونعبد الهك
شهرا فانزل الله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد
ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملا لم يكن التكرار على هذا الوجه مضرا البتة
الوجه الثالث ان الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد الهتنا شهرا
ونعبد الهك شهرا وتعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فاتى الجواب

على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فان من كرر الكلمة الواحدة
لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافا المسئلة
الثانية في الاية سؤال وهو ان كلمة ما لا تتناول من يعلم فهب ان معبودهم
كان كذلك فصح التعبير عنه بلفظ لكن معبود محمد عليه السلام هو اعلم العالمين
فكيف قال ولا انتم عابدون ما اعبد اجابوا عنه من وجوه احدها
ان المراد منه الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وثانيها
ان ما مصدرية في الجملتين كانه قال لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي
في المستقبل ثم قال ثانيا لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال
وثالثها ان يكون ما بمعنى الذي وحينئذ يصح الكلام ورابعها انه لما
قال اولا لا اعبد ما تعبدون حمل الثاني عليه ليتسق الكلام كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها المسئلة الثالثة احتج اهل الجبر بانه تعالى اخبر عنهم
مرتين بقوله ولا انتم عابدون ما اعبد والخبر الصدق عن عدم الشيء
يضاده وجود ذلك الشيء فالتكليف بتحصيل العبادة مع وجود الخبر
الصدق بعدم العبادة تكليف بالجمع بين الضدين واعلم انه بقي في
الاية سؤالات السؤال الاول ان السورة ذكر الوجه الذي لاجله
تقبح عبادة غير الله كان اولى من هذا التكرير الجواب بل قد يكون
التاكيد والتكرير اولى من ذكر الحجة اما لان المخاطب بليد فينتفع بالمبالغة
والتكرير ولا ينتفع بذكر الحجة او لاجل ان محل النزاع يكون في غاية الظهور
فالمناظرة في مسئلة الجبر والقدر حسنة اما القائل بالصنم فهو اما مجنون
يجب شده او عاقل معاند يجب قتله فان لم يقدر على قتله فيجب شتمه
والمبالغة في الانكار عليه كما في هذه الاية السؤال الثاني ان اول
السورة اشتمل على التشديد وهو النداء بالكفر والتكرير واخرها على
اللطف وهو قوله لكم دينكم ولي دين فكيف وجه الجمع بين الامرين الجواب
كانه يقول اني قد بالغت في تحذيركم عن هذا الامر القبيح وما قصرت
فيه فان لم تقبلوا قولي فاتركوني سواء بسواء السؤال الثالث لما كان



التكرير لاجل التاكيد والمبالغة فكان ينبغي ان يقول لن اعبد ما تعبدون
لان هذا ابلغ الا ترى ان اصحاب الكهف لما بالغوا قالوا لن ندعوا
من دونه الها والجواب المبالغة انما يحتاج اليها في موضع التهمة
وقد علم كل احد من محمد عليه السلام انه ما كان يعبد الصنم قبل الشرع
فكيف تعبده بعد ظهور الشرع بخلاف اصحاب الكهف فانه وجد ذلك
منهم فيما قبل قوله تعالى لكم دينكم ولي دين فيه مسائل قال ابن
عباس لكم كفركم بالله ولي التوحيد والاخلاص له فان قيل فهل يقال
انه اذن لهم في الكفر قلنا كلا فانه عليه السلام ما بعث الا للمنع من الكفر
فكيف ياذن فيه ولكن المقصود منه امور احدها ان المقصود منه التهديد
كقوله اعملوا ما شئتم وثانيها كانه يقول اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم
الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني الى
الشرك وثالثها لكم دينكم فكونوا عليها ان كان الهلاك خيرا لكم ولي ديني
لاني لا ارفضه القول الثاني في تفسير الاية ان الدين هو الحساب
اي لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر
البتة القول الثالث ان يكون على تقدير المضاف لكم جزاء دينكم ولي
جزاء ديني وحسبهم جزاء دينهم وبالا وعقابا كما حسبك جزاء دينك
تعظيما وثوابا القول الرابع الدين العقوبة ولا تاخذكم بهما رافة في
دين الله يعني الحد فلكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من اصنامكم لكن
اصنامكم جمادات فانا لا اخشى عقوبة الاصنام واما انتم فيحق لكم
عقلا ان تخافوا عقوبة جبار السموات والارضين القول
الخامس الدين الدعاء ادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم دعاؤكم وما
دعاء الكافرين الا في ضلال وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ثم ليتها تبقى على هذه الحالة فلا يضرونكم بل يوم القيامة
يجدون لسانا فيكفرون بشرككم واما ربي فيقول ويستجيب الذين امنوا
ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداع القول السادس الدين العادة

قال الشاعر يقول لها وقد دارت وصيتي اهذا دينه ابدا ودبني
يقول لكم عادتكم الماخوذه من اسلافكم ومن الشياطين ولي عادتي الماخوذه
من الملائكه ومن الوحي ثم يبقى كل واحد منا على عادته حتى يلقون الشياطين
والنار والقى الملائكه والجنه المسله الثانيه قوله لكم دينكم يفيد الحصر
ومعناه لكم دينكم لا لغيركم ولي ديني لا لغيري وهو اشاره الى قوله
وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازره وزر اخرى اي انا ماموز
بالوحي والتبليغ وانتم ماموزون بالامتثال والقبول فانا لما فعلت
ما كلفت به خرجت عن عهدة التكليف واما اصراركم على كفركم فذلك
مما لا يرجع الي منه ضرر المسله الثالثه جرت عاده الناس بان
يتمثلوا بهذه الايه عند المتاركه وذلك غير جائز لانه تعالى ما انزل القران
ليتمثل به بل ليتدبر فيه ثم يعمل بموجبه والله تعالى اعلم ه

سورة النوبة بسم الله الرحمن الرحيم اذا جا نصر الله
في الايه لطايف احدها انه تعالى لما وعد محمدا بالتربيه العظيمه بقوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى وقوله انا اعطيناك الكوثر لا جرم يزداد
كل يوم امره كانه تعالى قال يا محمد لم يضيق قلبك الست حين لم تكن
مبعوثا لم اضيعك بل نصرتك بالطير الابابيل وفي اول الرساله
زدت فجعلت الطير ملائكه اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف
من الملائكه ثم الان ازيد فاقول اني اكون ناصرا لك بذاتي اذا جا
نصر الله فقال الهي انما تتم النعمه اذا فتحت لي مولدي ومسكني فقال
والفتح فقال الهي لكن القوم اذا خرجوا فاي لذه في ذلك فقال
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ثم كانه قال هل تعلم يا
محمد باي سبب وجدت هذه التشريفات الثلثه انما وجدتها لانك
قلت في السوره المتقدمه يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وهذا
يشتمل على امور ثلثه اولها نصرتني بلسانك فكان جزاؤه اذا جا
نصر الله وثانيها فتحت مكه قلبك بعسكر التوحيد فاعطيناك فتح مكه

بلغ العرض

منزلين



وهو المراد من قوله والفتح والثالث ادخلت رعيتك جوارحك واعضائك في
طاعتي وعبوديتي فانا ايضا ادخلت عبادي في طاعتك وهو المراد من قوله
يدخلون في دين الله افواجا ثم انك بعد ان وجدت هذه الخلع الثلثه
فابعث الي حضرتي بثلثه انواع من العبوديه ليتهادوا وتحابوا ان نصرتك
فسبح وان فتحت مكه فاحمد وان اسلموا فاستغفر وانما وضع في مقابله
نصر الله التسبيح لان التسبيح هو تنزيه الله عن مشابهة المحدثات يعني
شاهد ان نصرك فاياك ان تظن انما نصرك لانك تستحق منه ذلك النصر
بل اعتقد كونه منزها عن ان يستحق عليه احد من الخلق شيئا ثم جعل
في مقابله فتح مكه الحمد لان النعمه لا يمكن ان تقابل الا بالحمد ثم جعل
في مقابله دخول الناس في الدين الاستغفار وهو المراد من قوله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات اي كثرة الاتباع مما يشغل القلب بلذه
الجاه والقبول فاستغفر لهذا القدر من ذنبك واستغفر لذنبهم
فانهم كلما كانوا اكثر كانت ذنوبهم اكثر فكان احتياجهم الى استغفارك
اكثر الوجه الثاني انه عليه السلم لما تبرا عن الكفر وواجههم بالسو
في قوله يا ايها الكافرون كانه خاف بعض القول فقلق من تلك
الخشونه فقال لكم دينكم ولي دين فقيل يا محمد لا تخف فاني لا اذهب
بك الى النصر بل اجي بالنصر اليك اذا جا نصر الله نظيره زويت لي الارض
يعني لا تذهب الى الارض بل تجي بالارض اليك فان سمعت المقام
واردت الرحله فمثلك لا يرتحل الا الى قاب قوسين سبحان الذي
اسرى بعبده بل ازيد على هذا فافضل فقرا امتك على اغنيائهم
ثم امر الاغنيا بالضحايا ليتخذوها مطايا فاذا بقي الفقير من غير
مطيه اسوق الجنه اليه وازلفت الجنه للمتقين الوجه الثالث
كانه سبحانه قال يا محمد ان الدنيا لا يصفو اكدارها ولا تدوم محنها ولا
نعمها فرحت بالكوثر فتحمل مشقه سفاهه السفها حيث قالوا
اعبد الهنا حتى نعبد الهك فلما تبرا عنهم وضاق قلبه من جهتهم قال

ابشر فقد جاء نصر الله فلما استبشر قال الرحيل الرحيل اما علمت انه لابد
بعد الكمال من الزوال فاستغفره ايها الانسان لا تحزن بسبب من
جوع الربيع وعقبه غنى الخريف ولا تفرح بغنى الخريف فعقبه وحشة
الشتا فلا تامن ثم اقباله لا تبقى له الا البقر ومنه اذا تم امر دنا نقصه توقع
زوالا اذا قيل تم ثم الهي لم فعلت كذلك قال حتى لا تضع قلبك على الدنيا
بل يكون ابدا على جناح الارتحال والتشف والوجه الرابع لما قال
في اخر السوره المتقدمه لكم دينكم ولي دين فكانه قال الهي وما جزاي
فقال الله نصر الله فيقول فما جزا عمي حين دعاني الى عباده الاصنام
فقال تبت يدا ابي لهب فان قيل فلم بدا بالوعد قبل الوعيد
قلنا لوجوه احدها لان رحمته سبقت غضبه والثاني ليكون
الجنس متصلا بالجنس فانه قال ولي دين وهو النصر كقوله يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم وثالثها الوفا
بالوعد اهم في الكرم من الوفا بالانتقام فتامل في هذه المجانسات
الحاصله بين هذه السور مع ان هذه السوره من اواخر ما نزل بالمدينه
وتلك السور من اوايل ما نزل بمكه ليعلم ان ترتيب هذه السور من الله
وبامره الوجه الخامس ان في السوره المتقدمه لم يذكر شيا من
اسما الله بل قال ما اعبد بلفظ ما كانه قال لا اذكر اسم الله حتى لا
يستخفوا فيزداد عقوبتهم وفي هذه السوره ذكر اعظم اسمايه لانها
منزله على الاحباب ليكون ثوابهم بقراته اعظم فكانه سبحانه قال
لا تذكر اسمي مع الكافرين حتى لا تهينوه واذكره مع الاوليا حتى يكرموه
الوجه السادس قال النحويون اذا منصوب بسبح والتقدير
فسبح بحمد ربك اذا جا نصر الله كانه سبحانه يقول جعلت الوقت
ظرفا لما تريده وهو النصر والفتح والظفر وملات ذلك الظرف من هذه
الاشيا وبعثته اليك فلا ترده علي فارغا بل املاه من العبوديه ليتحقق
معنى تهادوا تحابوا فكان محمدا عليه السلم قال باي شي املا ظرف هديتك



وانا فقير فيقول الله في المعنى انه لم تجد شيا اخر فلا اقل من تحريك اللسان
بالتسبيح والحمد والاستغفار فلما فعل محمد عليه السلم ذلك حصل معنى
تهادوا تحابوا لا جرم حصلت المحبه فلهذا كان محمد حبيب الله عليه السلم
الوجه السابع كانه تعالى يقول اذا جاك النصر والفتح ودخول الناس
في دينك فاشتغل انت بالتسبيح والحمد والاستغفار فاني قلت لين
شكرتم لازيدنكم فيصير اشتغالك بهذه الطاعات سببا لمزيد درجاتك
في الدنيا والاخره ولا تزال تكون في الترقي حتى يصير الوعد بقوله انا
اعطيناك هذا الوجه الثامن ان الايمان انما يتم بامرين بالنفي والاثبات
وبالبرا والولا فالنفي والبرا قوله لا اعبد ما تعبدون والاثبات
والولا قوله اذا جا نصر الله نقدا فهذه هي الوجوه الكليه المتعلقه
بهذه السوره قوله تعالى اذا جا نصر الله اعلم ان في الايه اسرارا وانما
عكن بيانها في معرض السوال والجواب السوال الاول
ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف الفتح على النصر الجواب
من وجوه احدها النصر هو الاعانه على تحصيل المطلوب والفتح هو
تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا وظاهر ان النصر كالسبب للفتح
فلهذا بدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه وثانيها يحتمل ان يقال
النصر كمال الدين والفتح الاقبال الدنياوي الذي هو تمام النعمه ونظير
هذه الايه قوله اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وثالثها النصر
هو الظفر في الدنيا على المنى والفتح بالجنه كما قال وفتحت ابوابها
والظهر الاقوال في النصر انه الغلبه على قريش او على جميع العرب السوال
الثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابدا منصورا بالدلايل
والمعجزات فما المعنى من تخصيص لفظ النصر بفتح مكه والجواب
من وجهين احدهما المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطبع
وانما جعل لفظ النصر المطلق دالا على هذا النصر المخصوص لان هذا
النصر لعظم موقعه من قلوب اهل الدنيا جعل ما قبله كالمعدوم كما ان

المثاب عند دخول الجنة يتصور كانه لم يذق نعمة قط والى هذا المعنى
الاشارة بقوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى
نصر الله وثانيهما لعل المراد نصر الله في امور الدنيا الذي حكم به لا ثباته
كقوله ان اجل الله اذا جا لا يوخر السوال الثالث النصر لا يكون الا من
الله قال تعالى وما النصر الا من عند الله فما الفايدة في هذا التقييد وهو قوله
نصر الله والجواب معناه نصر لا يليق الا بالله ولا يليق ان يفعله
الا الله او لا يليق الا بحكمته ويقال هذا صنعة زيد اذا كان زيد مشهورا
باحكام الصنعة والمراد منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا هاهنا او
نصر الله لانه اجابة لدعائهم متى نصر الله فنقول هذا هو الذي سالتموه
السوال الرابع وصف النصر بالمجي مجاز وحقيقته اذا وقع نصر
الله فما الفايدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز الجواب فيه اشارات
احداها ان الامور مربوطة باوقاتها وانه سبحانه قدر لحدوث كل
حادث اسبابا معينة واوقاتا مقدره يستحيل فيها التقدم والتاخر
والتغير والتبدل فاذا حضر ذلك الوقت وجا ذلك الزمان حضر معه
ذلك الاثر واليه الاشارة بقوله وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله
الا بقدر معلوم وثانيها ان اللفظ دل على ان النصر كان كالمشتاق
الى محمد عليه السلم وذلك لان ذلك النصر كان مستحقا له بحكم الوعد فالمقتضي
كان موجودا الا ان تخلف الاثر كان لفقدان الشرط فكان كالثقيل
المعلق فان ثقله يوجب الهوي الا ان العلاقة مانعة فالثقل
يكون كالمشتاق الى الهوي فكذا هاهنا النصر كان كالمشتاق الى محمد
عليه السلم وثالثها ان عالم التقدم عالم ينبوع الجود والرحمة وهو لا نهاية
له وهو عالم الظلمات الا انه في قعرها ينبوع جود الله وايجاده ثم
انشقت بحار الوجود والانوار واخذت في السيلان وسيلانها
يقتضي في كل حين وصولها الى موضع ومكان معين فبحر رحمة الله ونصرته
كانت اخذة في السيلان من الازل فكانه قيل يا محمد قرب وصولها اليك



ومجيها اليك فاذا جاتك امواج هذا البحر فاشتغل بالتسبيح والتحميد
والاستغفار فهذه الثلثة هي السفينة التي لا يمكن الخلاص من بحار الربوبية
الا بها ولهذا السبب لما ركب نوح بحر القهر والكبريا استعان بقوله بسم
الله مجريها ومرسيها السوال الخامس لا شك ان الذين اعانوا رسول
الله عليه السلم على فتح مكة هم الصحابة من المهاجرين والانصار ثم انهم سمى
نصرتهم لرسول الله نصر الله فما السبب في ان صار الفعل الصادر منهم
مضافا الى الله الجواب هذا حرف تحير منه بحر سر القضا والقدر
وذلك لان فعلهم فعل الله وتقريره ان افعالهم مستندة الى ما في قلوبهم
من الدواعي والصوارف وتلك الدواعي والصوارف امور حادثة فلا
بد لها من محدث وليس هو العبد والا لزم التسلسل فلا بد وان يكون
هو الله تعالى فيكون المبدا الاول والموثر الابعد هو الله تعالى ويكون
المبدا الاقرب هو العبد فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة
بعينها مضافة الى الله تعالى فان قيل فعلى هذا التقدير الذي ذكرتم
يكون فعل العبد مفرعا على فعل الله وهذا يخالف النص لانه قال
ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصرنا له مقدما على نصره لنا والجواب
انه لا امتناع في ان يصدر عن الحق فعل فيصير ذلك سببا لصدور فعل
عنا ثم الفعل عنا ينساق الى فعل اخر يصدر عن الرب فان اسباب
الحوادث ومسبباتها متسلسلة على ترتيب عجيب يعجز عن ادراك كيفيته
الا العقول البشرية السوال السادس كلمة اذا للمستقبل فههنا
لما ذكر وعدا مستقبلا بالنصر قال اذا جا نصر الله فذكره بلفظ اسم
الله ولما ذكر النصر الماضي حين قال ولين جا نصر من ربك ليقولن
فذكره بلفظ الرب فما السبب في ذلك الجواب لانه تعالى بعد
وجود الفعل صار ربا وقبله ما كان ربا لكن كان الها السوال
السابع انه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم وان محمدا عليه السلم نصر الله
حين قال يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فكان واجبا بحكم هذا الوعد

ان ينصره الله فلا جرم قال اذا جا نصر الله فهل يقول بان هذا النصر كان واجبا
عليه الجواب انما يبشر بواجب فلا يبشر واجبا بالوعد ولهذا قال
وعد الكريم الزم من دين الغريم كيف ويجب على الوالد نصر ولده وعلى المولى
نصر عبده ويجب النصر على الاجنبي اذا تعين بان كان واحدا اتفاقا وان كان
مشغولا بصلوة نفسه ثم اجتمعت هذه الاسباب في حقه تعالى فوعد
مع الكريم وهو ارأف بعبيده من الوالد بولده والمولى بعبده وهو ولي بحسب
الملك ومولى بحسب السلطنة وقيوم للتدبير وواحد فرد لا ثاني له فوجب
عليه وجوب الكرم نصر عبيده فلهذا قال اذا جا نصر الله اما
قوله تعالى والفتح ففيه مسائل المسئلة الاولى نقل عن ابن عباس ان
الفتح هو فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح روي انه لما كان
صلح الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اغار بعض من كان
في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهد النبي صلى الله عليه فجا سفير ذلك
القوم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه ثم قال
اما ان هذا العارض ليخبرني ان الظفر يجي من الله ثم قال لاصحابه انظروا
فان ابا سفيان يجي ويلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة اتى الرجل
ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول ولا اكابر الصحابة والتجا الى فاطمة فلم ينفعه
ذلك ورجع الى مكة ايسا وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير الى
مكة ثم يروى ان سارة مولاة بعض بني هاشم اتت المدينة فقال عليه السلام
لها جيت مسلمة قالت لا لكن كنتم الموالي وبي حاجة فحث عليها رسول
الله بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بعشرة
دنانير واستحملها كتابا الى مكة نسخته اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله عليا
وعمارا في جماعة وامرهم ان ياخذوا الكتاب والا فاضربوا عنقها فلما
فلما ادركوها جحدت وحلفت فسل علي سيفه وقال والله ما كذبنا فاخرجته
من عقيصة شعرها واستحضر النبي حاطبا وقال ما حملك عليه فقال



والله ما كفرت منذ اسلمت ولا احببتهم منذ فارقتهم لكن كنت غريبا في قريش
وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم فخشيت على
اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق
فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر ثم خرج رسول الله الى ان نزل بمر الظهران وقدم
العباس وابو سفيان اليه فاستاذنا فاذن لعمه خاصة فقال ابو سفيان
اما ان تاذن لي والا اذهب بولدي الى المفازة فيموت جوعا وعطشا
فرق قلبه فاذن له وقال له الم يان ان تسلم وتوحد فقال اظن انه واحد
ولو كان هاهنا غير الله لنصرنا فقال الم يان ان تعرف اني رسوله فقال
ان لي شكا في ذلك فقال العباس اسلم قبل ان يقتلك فقال وماذا اصنع
بالعزى فقال عمر لولا انك بين يدي رسول الله لضربت عنقك فقال
يا محمد اليس الاولى ان تترك هولا الاوباش وتصالح قومك وعشيرتك
فسكان مكة عشيرتك واقاربك وتعرضهم للشين والغارة فقال عليه
السلام هولا نصروني واعانوني وذبوا عن حرمي واهل مكة اخرجوني
وظلموني فان هم اسروا فلسوء صنيعهم وامر العباس بان يذهب به ويوقفه
على المرصاد ليطالع العسكر فكانت الكتيبة تمر عليه فيقول من هذا فيقول
العباس هو فلان من امرا الجند الى ان جات الكتيبة الخضرا التي لا يرى
منها الا الحدق فسال عنهم فقال العباس هذا رسول الله فقال لقد
اوتي ابن اخيك ملكا عظيما فقال العباس هو ~~رسول الله~~ النبوة
فقال هيهات النبوة ثم تقدم ودخل مكة وقال ان محمدا جا بعسكر لا
يطيقه احد فصاحت هند وقالت اقتلوا هذا المبشر واخذت
بلحيته فصاح الرجل ودفعها عن نفسه ولما سمع ابو سفيان اذان
القوم للفجر وكانوا عشرة الاف فزع لذلك شديدا وسال العباس
فاخبره بامر الصلاة ودخل رسول الله مكة على راحلته ولحيته
على قربوس سرجه كالساجد تواضعا وشكرا ثم التمس ابو سفيان الامان

عمر

فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن قال ومن تبع داري فقال
ومن دخل المسجد فهو امن فقال ومن تبع المسجد فقال من القى سلاحه
فهو امن ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب المسجد وقال
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ومن ذلك كان
علي يقول لمعوية انى يستوي المولى والمعتق يعني اعتقناكم حين مكننا الله
من رقابكم ولم يقل اذهبوا فانتم معتقون بل قال الطلقاء لان المعتق
لا يجوز ان يرد الى الرق والمطلقة يجوز ان تعاد الى رق النكاح وكانوا
بعد على الكفر فكان يجوز ان يخونوا فيستباح رقهم مرة اخرى ولان الطلاق
يخص النسوان وقد القوا السلاح واخذوا المساكن كالنسوان ولان
المعتق يخلي سبيله يذهب حيث شاء والمطلقة تجلس في البيت للعدة وهم
امروا بالجلوس بمكة كالنسوان ثم ان القوم بايعوا رسول الله على الاسلام
فصاروا يدخلون في دين الله افواجا وروي انه عليه السلام صلى ثمان ركعات
اربعا صلاة الضحى واربعا اخرى شكرا لله نافلة له فهذا هو قصة فتح
مكة والمشهور عند المفسرين ان المراد من الفتح في هذه السورة هو فتح
مكة ومما يدل على ان المراد بالفتح فتح مكة انه تعالى ذكره مقرونا بالنصر
وقد كان يجد النصر دون الفتح كبدر والفتح دون النصر كاجلاء بني النضير
فانه فتح البلد لكن لم ياخذ القوم اما يوم فتح مكة اجتمع الامران الفتح
النصر والفتح وصار الخلق له كالارقاء حتى اعتقهم القول الثاني
المراد فتح خيبر وكان ذلك على يد علي بن ابي طالب والقصة مشهورة وروي
انه استصحب خالد بن الوليد وكان يساميه في الشجاعة فلما نصب السلم
قال لخالد اتقدم قال لا فلما تقدم علي سالته كم صعدت فقال لا ادري
لشدة الخوف وروي انه قال لعلي الانصار عني فقال الست صرعتك
فقال نعم لكن ذلك قبل اسلامي ولعل عليا انما امتنع عن مصارعته



لنفع صيت في الاسلام ان رجلا منع عنه علي او كان علي يقول صرعتك حين
كنت كافرا اما الان وانت فلا يحسن ان اصرعك القول الثالث انه فتح
الطائف وقصته طويلة والقول الرابع المراد النصر على الكفار وفتح بلاد
الشرك على الاطلاق وهو قول ابي مسلم والقول الخامس اراد بالفتح
ما فتح الله عليه من العلوم ومنه قوله وقل رب زدني علما لكن حصول العلم
لا بد وان يكون مسبوقا بانشراح الصدر وصفا القلب وذلك هو المراد
بنصر الله من قوله اذا جاء نصر الله ويمكن ان يكون المراد بنصر الله اعانته على
الطاعات والخيرات والفتح هو انفتاح عالم المعقولات والروحانيات
المسئلة الثانية اذا حملنا الفتح على فتح مكة فللناس في وقت نزول هذه
السورة قولان احدهما ان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة
سنة عشر وروي انه عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك
سميت سورة التوديع والقول الثاني ان هذه السورة قبل فتح مكة وهو
وعد لرسول الله ان ينصره على اهل مكة وان يفتحها عليه ونظيره قوله
تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وقوله اذا جاء نصر
الله والفتح يقتضي الاستقبال اذ لا يقال فيما وقع اذا جاء واذا وقع
واذا صح هذا القول صارت هذه الاية من جملة المعجزات من حيث
انه خبر وجد مخبره بعد حين مطابقا له والاخبار عن الغيب معجز
فان قيل لم ذكر النصر مضافا الى الله وذكر الفتح بالالف واللام الجواب
الالف واللام للمعهود السابق فينصرف الى فتح مكة قوله تعالى
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فيه مسائل المسئلة
الاولى رايت يحتمل ان يكون معناه ابصرت وان يكون معناه
علمت فان كان معناه ابصرت كان يدخلون في محل النصب على الحال
والتقدير ورايت الناس حال دخولهم في دين الله افواجا وان كان
معناه علمت كان يدخلون في دين الله مفعولا ثانيا لعلمت والتقدير
علمت الناس داخلين في دين الله المسئلة الثانية ظاهر لفظ الناس

للعموم فيقتضي ان يكون كل الناس كانوا قد دخلوا في الوجود مع ان الامر
ما كان كذلك الجواب من وجهين الاول ان المقصود من الانسانية
والعقل انما هو الدين والطاعة على ما قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فمن اعرض عن الدين الحق وبقي على الكفر فكانه ليس بانسان
وهذا المعنى هو المراد من قوله اولئك كالانعام بل هم اضل وقال
امنوا كما امن الناس وسئل الحسن بن علي من الناس فقال نحن الناس
واشياعنا اشباه الناس واعداؤنا النسناس فقبله علي بين عينيه وقال
الله اعلم حيث يجعل رسالاته فان قيل انهم انما دخلوا في الاسلام
بعد مدة طويلة وتقصير كثير فكيف استحقوا هذا المدح العظيم قلنا
هذا فيه اشارة الى سعة رحمة الله فان العبد بعد ان اتى بالكفر والمعصية
طول عمره فاذا اتى بالايمان في اخر عمره يقبل ايمانه ويمدحه هذا المدح
العظيم ويروى ان الملائكة يقولون لمثل هذا الانسان اتيت وان كنت
قد ابيت ويروى انه عليه السلام قال لله افرح بتوبة احدكم من الضال
الواجد والظمان الوارد والمعنى كان الرب تعالى يقول ربيته
سبعين سنة فان مات على كفره فلا بد ان ابعثه الى النار فحينئذ
يضيع احساني اليه في سبعين سنة فكلما كانت مدة الكفر والعصيان
اكثر كانت التوبة عنها اشد قبولا الوجه الثاني في الجواب
روي ان المراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت هذه
السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح
وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة
يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن المسئلة الثالثة قال
جمهور الفقهاء وكثير من المتكلمين ان ايمان المقلد صحيح واحتجوا
بهذه الاية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج وجعله
من اعظم المنن على محمد ولو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا
المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل

ولا اثبات كونه تعالى منزها عن الجسمية والمكان والحيز ولا اثبات كونه تعالى
عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ولا اثبات قيام المعجز التام على يد محمد
ولا اثبات ان قيام المعجز كيف يدل على الصدق والعلم بان اولئك الاعراب
ما كانوا عالمين بهذه الدقائق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح لا يقال
انهم كانوا عالمين باصول دلائل هذه المسائل لان اصول هذه الدلائل ظاهرة
بل كانوا جاهلين بالتفاصيل الا انه ليس من شرط كون الانسان مستدلا كونه
عالما بهذه التفاصيل لانا نقول ان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان
فان الدليل اذا كان مثلا مركبا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان
في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة مقلدا لا محالة لان فرع التقليد اولى ان يكون
تقليدا وان كان عالما بمجموع تلك المقدمات العشرة استحال كون غيره
اعرف منه بذلك الدليل لان تلك الزيادة ان كانت جزءا معتبرا في دلالة
هذا الدليل لم تكن المقدمات العشرة اولا تمام الدليل فانه لا بد معها
من هذه المقدمة الزائدة وقد كنا فرضنا تلك العشرة كافية وان لم
تكن تلك الزيادة معتبرة في دلالة ذلك الدليل كانت تلك امرا منفصلا
عن ذلك الدليل غير معتبر في كونه دليلا على ذلك المدلول فثبت
العلم بكون الدليل دليلا لا يقبل الزيادة والنقصان فاما ان يقال ان اولئك
الاعراب كانوا عالمين بجميع مقدمات دلائل هذه المسائل بحيث ما
شذ عنهم من تلك المقدمات واحدة وذلك مكابرة او ما كانوا كذلك
فحينئذ ثبت انهم كانوا مقلدين ومما يؤكد ما ذكرناه ما روي عن الحسن
انه قال لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا
اذا ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب
الفيل وعن كل من ارادهم بسوء فاخذوا يدخلون في الاسلام افواجا
من غير قتال هذا ما رواه الحسن ومعلوم ان الاستدلال بانه لما
ظفر باهل مكة وجب ان يكون على الحق ليس بجيد فعلمنا انهم ما كانوا مستدلين
بل مقلدين المسئلة الرابعة دين الله هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين

عند الله الاسلام ولقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وللدين
اسما اخرى منها الايمان قال تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنها الصراط فوله صراط الله الذى
له ما في السموات والارض ومنها كلمة الله ومنها النور ليطفئوا نور الله ومنها
هدى لقوله هدى الله يهدى به من يشاء ومنها العروة فمن استمسك بالعروة الوثقى
ومنها الحبل واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة الله وفطرة الله وانما قال
في دين الله ولم يقل في دين الرب ولا سائر الاسما لوجهين الاول ان هذا
الاسم اعظم الاسما لدلالته على الذات والصفات فكانه يقول هذا
الدين ان لم يكن له حصلة سوى انه دين الله فانه يكون واجب القبول
والثاني لو قال دين الرب لكان يشعر ذلك بان هذا الدين انما يجب
قبوله لانه رباك واحسن اليك وحينئذ يكون طاعتك له معللة بطلب
النفع فلا يكون الاخلاص حاصلا فكانه يقول اخلص الخدمة لمجرد
انى الله لا للنفع يعود اليك / المسئلة الخامسة الفوج الجماعة الكثيرة
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا
واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في
دين الله افواجا وسيخرجون منه / افواجا قوله تعالى فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا فيه مسائل المسئلة الاولى انه تعالى
امر بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار ولهذا الترتيب فوائد الفائدة
الاولى اعلم ان تاخير النصر سنين مع ان محمدا كان على الحق مما يثقل
على القلب ويقع في القلب انى اذا كنت على الحق فلم لا تنصرني ولم سلطت
هولا الكفرة على فلاجل الاعتذار عن هذا الخاطر امر بالتسبيح اما
على قولنا فالمراد من هذا التنزيه انك منزه عن ان يستحق عليك احد
شيا بل كل ما تفعله فانما تفعله بحكم المشية الالهية فلك ان تفعل ما
تشا كما تشا ففائدة التسبيح تنزيه الله عن ان يستحق عليه احد شيا

ومنها

الكثيرة



التاخير

واما على قول المعتزلة ففائدة التنزيه هو ان يعلم العبد ان ذلك كان
بسبب الحكمة والمصلحة لا بسبب البخل وترجيح الباطل على الحق ثم اذا
فرغ العبد عن تنزيه الله عما لا ينبغي من حيث يشتغل بحمده على ما اعطى
من الاحسان والبر ثم حينئذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه الوجه
الثاني ان للسائرين طريقين فمنهم من قال ما رايت شيا الا ورايت الله
بعده ومنهم من قال ما رايت شيا الا ورايت الله قبله ولا شك ان هذا
الطريق اكمل اما بحسب المعالم الحكمية فان النزول من الموثر الى الاثر
اجل مرتبة من الصعود من الاثر الى الموثر واما بحسب افكار ارباب
الرياضات فلان ينبوع النور هو واجب الوجود ~~فالاستغراق فيه~~
وينبوع الظلمة ممكن الوجود فالاستغراق في الاول يكون اشرف ولان
الاستدلال بالاصل على التبع يكون اقوى من الاستدلال بالتبع على
الاصل واذا ثبت هذا فنقول الايراد الى على هذه الطريقة التي هي اشرف
الطريقين وذلك لانه قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالنفس
فذكر اولا من الخالق امرين احدهما التسبيح والثاني التحميد ثم ذكر
في المرتبة الثالثة الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق
والى الخلق واعلم ان صفات الحق محصورة في السلب والايجاب
والنفي والاثبات والسلوب مقدمة على الايجابات والتسبيح اشارة
الى التعرض للصفات السلبية التي لواجب الوجود وهي صفات الجلال
والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له وهي صفات الاكرام ولذلك
فان القران يدل على تقدم الجلال على الاكرام ولما اشار الى هذين النوعين
من الاشتغال بمعرفة واجب الوجود نزل منه الى الاستغفار لان
الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وفيه رؤية جود الحق وفيه طلب
لما هو الاصلح والاكمل للنفس ومن المعلوم ان بقدر اشتغال العبد
بمطالعة غير الله ينقص حرمانا عن مطالعة حضرة جلال الله فلهذه الدقيقة

اخر ذكر الاستغفار عن التسبيح والتحميد الوجه الثالث ان ارشاد
للبشر الى التشبه بالملائكة وذلك لان اعلى كل نوع اسفل متصل باسفل
النوع الاعلى ولهذا قيل اخر مراتب الانسانية اول مراتب الملكية ثم الملائكة
ذكروا في انفسهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقوله هاهنا فسبح
بحمد ربك اشارة الى التشبه بالملائكة في قولهم ونحن نسبح بحمدك وقوله هاهنا
واستغفره اشارة الى قوله تعالى ونقدس لك لانهم فسروا قوله ونقدس
لك اي انا نجعل انفسنا مقدسة لاجل رضاك والاستغفار يرجع معناه
ايضا الى تقديس النفس ويحتمل ان يكون المراد انهم دعوا لانفسهم انهم سبحوا
بحمدك وزادوا تكبر انفسهم واما انت فسبح بحمدك واستغفر ان ترى
تلك الطاعة من نفسك بل يجب ان تراها من توفيقي واحساني ويحتمل
ان يقال الملائكة كما قالوا في حق انفسهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال الله في حقهم ويستغفرون للذين امنوا وانت يا محمد استغفر
للذين جاءوا فوجا كالملائكة يستغفرون للذين امنوا ويقولون ربنا
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الوجه الرابع التسبيح هو التطهير
فيحتمل ان يكون المراد طهر الكعبة من الاصنام وكسرها ثم قال بحمد ربك
اي ينبغي ان يكون اقدامك على ذلك التطهير بواسطة الاستعانة
بحمد ربك واعانته وتقويته ثم اذا فعلت ذلك فلا ينبغي ان ترى نفسك
اتيا بالطاعة اللائقة به بل يجب ان ترى نفسك في هذه الحالة مقصرة
فاطلب الاستغفار عن تقصيرك في طاعته الوجه الخامس كانه تعالى
يقول يا محمد اما ان تكون معصوما او لم تكن معصوما فان كنت معصوما
فاشتغل بالتسبيح والحمد وان لم تكن معصوما فاشتغل بالاستغفار
فتكون الاية كالتنبيه على انه لا فراغ عن التكليف في العبودية كما قال واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين / المسألة الثانية في المراد من التسبيح وجهان
الاول انه ذكر الله بالتنزيه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال



ابعاد الله من كل سوء واصله من سبح فان السابح يرسب في الماء كالطير في
الهواء ويضبط نفسه من ان يرسب فيهلك او يتلوث من قعر الماء ومجراه
والتشديد للتبعيد لانك تسبحه اي تبعده عما لا يجوز عليه وانما حسن
استعماله في تنزيه الله عما لا يجوز عليه في صفات الذات والفعل نفيا واثباتا
لان السمكة كما انها لا تقبل النجاسة فكذا الحق سبحانه لا يقبل ما لا ينبغي الا به
فاللفظ يفيد التنزيه في الذات والصفات والافعال والقول الثاني
ان المراد بالتسبيح الصلاة لان هذا اللفظ وارد في القران بمعنى الصلاة
قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس والذي يؤكده ان هذه السورة من اخر ما نزل وكان
عليه السلام في اخر مرضه يقول الصلاة وما ملكت ايمانكم جعل يلجلجها في
صدره وما يفيض بها لسانه ثم قال بعضهم عني به صلاة الشكر صلاها يوم
الفتح ثمان ركعات وقال اخرون وهو صلاة الضحى وقال اخرون
صلى ثمان ركعات اربعة للشكر واربعة للضحى وتسمية الصلاة بالتسبيح
لما انها لا تنفك عنها وفيه تنبيه انه يجب تنزيه صلوتك عن انواع النقائص
في الاقوال والافعال واحتج اصحاب القول الاول بالاخبار الكثيرة
الواردة في ذلك روت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
واتوب اليك وقالت ايضا كان رسول الله يقول كثيرا في ركوعه
سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي ربها وعنها ايضا كان نبي الله
في اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله
وبحمده فقلت يا رسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده
قال اني امرت بها وقرا اذا جاء نصر الله وعن ابن مسعود لما نزلت
هذه السورة كان عليه السلام يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
اللهم اغفر لي انك انت التواب الغفور وروي انه قال اني لاستغفر
الله كل يوم مائة مرة المسألة الثالثة الاية تدل على فضل التسبيح والتحميد

حيث جعل كافيا اذا ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح ولما لا يكون
كذلك وقوله الصوم لي من اعظم الفضايل للصوم فانه اضافه الى ذاته ثم انه
جعل صدق الصلاة مساويا للصوم في هذا التشريف وان المساجد لله فهذا
يدل على ان الصلاة افضل من الصوم بكيد ثم الصلاة صدق للاذكار ولذلك
قال ولذكر الله اكبر وكيف لا يكون كذلك والثناء عليه بما هو اهله معلوم عقلا
وشرعا اما كيفية الصلاة فلا سبيل اليها الا بالشرع ولذلك جعلت الصلاة
كالمرقعة من التسبيح والتكبير فان قيل عدم وجوب التسبيحات يقتضي
انها اقل درجة من ساير اعمال الصلاة قلنا الجواب عنه من وجوه
احدها ان ساير افعال الصلاة مما لا يميل القلب اليه فاحتيج فيها الى
الايجاب اما التسبيح والتهليل فالعقل داع اليه والروح عاشق عليه فاكتفى
بالحب الطبيعي ولذلك قال والذين امنوا اشد حبا لله وثانيها
ان قوله فسبح امر والامر المطلق للوجوب عند الفقهاء ومن قال الامر
المطلق للندب قال انه ههنا للوجوب بقرينة انه عطف عليه الاستغفار
والاستغفار واجب ومن حق العطف التشريك بين المعطوف
والمعطوف عليه وثالثها انها لو وجبت لكان العقاب الحاصل بتركها
اعظم اظهارا لمزية تعظيمها فترك الايجاب خوفا من هذا المحذور المسئلة
الرابعة اما الحمد فقد تقدم تفسيره واما تفسير قوله فسبح بحمد ربك
فذكروا فيه وجوها اولها صاحب الكشاف اي قل سبحان الله والحمد لله
تعجبا مما اراك من عجيب انعامه اي اجمع بينهما تقول شربت الماء باللبن اذا
جمعت بينهما خلطا وشربا وثانيها انك اذا حمدت الله فقد سبحته لان التسبيح
داخل في الحمد لان الثناء عليه والشكر له لا بد وان يتضمن تنزيهه عن النقائص
لانه لا يكون مستحقا للثناء الا اذا كان منزها عن النقص ولذلك جعل
مفتاح القران بالحمد لله وعند فتح مكة قال الحمد لله الذي نصر عبده ولم يفتتح
كلامه بالتسبيح وقوله فسبح بحمد ربك معناه سبحه بواسطة ان تحمده اي
سبحه بهذا الطريق وثالثها ان يكون حالا ومعناه سبح حامدا كقولك

اخرج بسلاحك اي متسلحا ورابعها يجوز ان يكون معناه سبح مقدرا ان
تحمد بعد التسبيح كانه يقول لا يتاتى لك الجمع لفظا فاجمعهما نية كما انه يوم النحر
سوى الصلاة مقدرا ان ينحر بعده فيجتمع لك الثوابان في تلك الساعة كذا ههنا
وخامسها ان تكون هذه الباء هي التي في قولك فعلت هذا بفضل الله اي
سبحه بحمد الله وارشاده وانعامه لا بحمد غيره ونظيره في حديث الافك قول
عايشة بحمد الله لا بحمدك والمعنى فسبحه بحمده فانه الذي هداك دون
غيره ولذلك روي انه عليه السلام كان يقول الحمد لله على الحمد لله وسادسها
روى السدي بحمد ربك اي بامر ربك وسابعها ان تكون الباء صلة زايدة
ويكون التقدير سبح حمد ربك ثم فيه احتمالان احدهما اختر له اطهر المحامد
وازكاها والثاني طهر محامد ربك عن الريا والسمعة والتوسل بذكرها الى
الاعراض الدنيوية الفانية والثالث طهر محامد ربك عن ان تقول اتيت
بها كما يليق به واليه الاشارة بقوله وما قدروا الله حق قدره وثامنها اي
ائت بالتسبيح بدلا عن الحمد الواجب عليك وذلك لان الحمد انما يجب في
مقابلة النعم ونعم الله غير متناهية فحمدها لا يكون في وسع البشر فكانه تعالى
يقول انت عاجز عن الحمد فأت بالتسبيح والتنزيه بدلا عن الحمد وتاسعها
فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد امران لا يجوز تاخير احدهما عن الثاني
ولا يتصور ايضا ان يؤتى بهما معا فنظيره من ثبت له الشفعة وحق الرد
بالعيب وجب ان يقول اخترت الشفعة بردي ذلك المبيع كذا قال فسبح بحمد
ربك ليقعا معا فيصير حامدا مسبحا في وقت واحد معا وعاشرها ان يكون
المراد سبح قلبك اي طهر قلبك بواسطة مطالعة حمد ربك فانك اذا رايت
ان الكل من الله فقد طهرت ~~قلبك بواسطة مطالعة حمد ربك فانك اذا رايت~~
ان الكل عن الالتفات الى نفسك وسعيك وجهدك فقوله فسبح اشارة
الى نفي ما سوى الله وقوله بحمد ربك اشارة الى رؤية كل الاشياء من الله تعالى
المسئلة الخامسة في قوله واستغفره وجوه احدها لعله عليه السلام كان يتمنى
ان ينتقم ممن اذاه ويسال الله ان ينصره فلما سمع اذا جاء نصر الله استبشر

لكن لو قرن بهذه البشاره شرطا ان لايتبع لتنغص عليه تلك البشاره فذكر لفظ التائب
وانهم يدخلون في دين الله وامره بان يستغفر للداخلين لكن من المعلوم ان الاستغفار
لمن لا ذنب له لا يحسن فعلم النبي عليه السلم بهذا الطريق ان تعالى ندبه الى العفو
وترك الانتقام لانه لما امره بان يطلب لهم المغفره فكيف يحسن منه ان يشتغل
بالانتقام عنهم ثم ختم بلفظ التواب كانه يقول ان قبول التوبه حرفته فكل من
طلب منه التوبه اعطاه كما ان البياع حرفته بيع الامتعه التي عنده فكل
من طلب منه شيا من تلك الامتعه باعه منه سوا كان المشتري عدوا او وليا
فكذا الرب سبحانه يقبل التوبه سوا كان التايب مكيا او مدنيا ثم انه عليه السلم
امتثل امر الرب تعالى حين قالوا لداخ كريم وابن اخ كريم قال لهم لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم اي امرني ان استغفر لكم فلا يجوز ان تردني وثانيها
ان قوله واستغفره اما ان يكون المراد واستغفر الله لنفسك او لامتك فان
كان المراد هو الاول فهو يتفرع على انه هل صدرت عنه معصيه ام لا فمن قال
صدرت المعصيه عنه ذكر في فايده الاستغفار وجوها احدها انه لا يمتنع
ان يكون لزم الاستغفار منه يوثر في جعل ذنبه صغيره وثانيها لزمه الاستغفار
ليحو عن ذنب الاصرار وثالثها لزمه الاستغفار ليصير الاستغفار جابرا
للذنب الصغير ولا ينقص من ثوابه شي اصلا واما من قال ما صدرت المعصيه
عنه ذكر في هذا الاستغفار وجوها احدها ان استغفار النبي جار
مجرى التسبيح وذلك لانه وصف الله بانه غفار وثانيها تعبده الله بذلك
ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل مكلف عن تقصير يقع منه في عبادته وفيه تنبيه
ان مع شده اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه
وثالثها ان الاستغفار كان عن ترك الافضل ورابعها ان الاستغفار
كان بسبب ان كل طاعه اتي بها العبد فاذا قابلها باحسان الرب وجدها قاصره
عن الوفا باداء شكر تلك النعم فليستغفر الله لاجل ذلك وخامسها الاستغفار
بسبب التقصير الواقع في السلوك لان السائر الى الله اذا وصل
الي مقام في العبودية ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا



فيستغفر الله عنه ولما كانت مراتب السير الى الله غير متناهيه لا جرم كانت
مراتب هذا الاستغفار غير متناهيه اما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد
واستغفر لذنب امتك فهو ايضا ظاهر لانه تعالى امره بالاستغفار لذنب
امته في قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فههنا لما كثرت الامه
صار ذلك الاستغفار اوجب واهم وهكذا اذا قلنا المراد ههنا ان يستغفر
لنفسه ولامته المسله السادسه في الايه اشكال وهو ان التوبه مقدمه
على جميع الطاعات ثم الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد يكون بسبب الانعام
والانعام كما يصدر عن المنه فقد يصدر عن غيره فكان ينبغي ان يقع الابتدا
بالاستغفار ثم بعده يذكر الحمد ثم بعده يذكر التسبيح فما السبب في ان صار
مذكورا على العكس من هذا الترتيب وجوابه من وجوه اولها لعله ابتدا
بالاشرف فالاشرف نازلا الى الاحسن فالاحسن تنبيها على ان النزول من
الخالق الى الخلق اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق وثانيها فيه
تنبيه على ان التسبيح والحمد الصادر عن العبد اذا صار مقابلا لجلال الله وعزته
صار عين الذنب فوجب الاستغفار منه وثالثها التسبيح والحمد اشاره
الى التعظيم لامر الله والاستغفار اشاره الى الشفقه على خلق الله والاول
كالصلاه والثاني كالزكوه وكما ان الصلاه مقدمه على الزكوه فكذا ههنا
المسله السابعه الايه تدل على انه عليه السلم كان يجب عليه الاعلان بالتسبيح
والاستغفار وذلك من وجوه احدها انه عليه السلم كان مامورا بابلاغ
السوره الى كل الامه حتى يبقى نقل القران متواترا وحتى يعلم ان حسن
القيام بتبليغ الوحي فيجب عليه الاتيان بالتسبيح والاستغفار على وجه
الاظهار ليحصل هذا الغرض وثانيها انه من جمله المقاصد ان يصير الرسول
قدوه للامه حتى يفعلوا عند النعمه والمحنه ما فعله الرسول من تجديد الشكر
والحمد عند تجديد النعمه وثالثها ان الاغلب في الشاهد انه يوتي بالحمد في
ابتدا الامر فامر الله رسوله بالحمد والاستغفار دايما وفي كل حين واوان
ليقع الفرق بينه وبين غيره ثم قال واستغفره حين بعثت نفسه اليه ليفعل

الامه عند اقتراب اجالهم مثل ذلك المسئله الثامنه في الايه سوالات احدها وهو انه قال انه كان توابا على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل وثانيها هلا قال غفارا كما قال في سوره نوح وثالثها انه قال نصر الله وقال في دين الله فلم لم يقل بحمد الله بل قال بحمد ربك والجواب عن الاول من وجوه احدها ان هذا ابلغ كانه يقول الست اثنيت عليكم بانكم خير امه اخرجت للناس ثم من كان دونكم كنت اقبل توبتهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمه وفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبائح فلما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا للتوبه ممن دونكم افلا اقبلها منكم وثانيها منذ كذا كنت شرعت في قبول توبه العصاه والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن وثالثها كنت توابا قبل ان امركم بالاستغفار افلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار ورابعها كانه اشاره الى تخفيف جناياتهم اي لستم باول من جنى وتاب بل هو حرفتي والجنايه مصيبه للجاني والمصيبه اذا عمت خفت وخامسها كانه نظير ما يقال لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي والجواب عن السوال الثاني من وجوه احدها العله خص هذه الامه بزياده شرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال تواب اذا كان اتيا بالتوبه فيقول تعالى كنت لي سميا من اول الامر انت مومن وانا مومن وان كان المعنى مختلفا فتب حتى تصير سميا لي في اخر الامر فانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله هو انه تعالى يقبل التوبه كثيرا فنبه انه يجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبه كثيرا وثانيها انما قيل توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب ومنه قوله المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ ان قيل فقد يقول اتوب وليس تائبا قلنا فاذن يكون كاذبا لان التوبه اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فصار تقدير الكلام واستغفره بالتوبه وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبه والاستغفار وكذا خواتيم الاعمار وروي انه لم يجلس في مجلسنا الاختمه بالاستغفار



والجواب عن السوال الثالث انه تعالى راعي العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التواب ولما كانت التربيه تحصل اولا والتوبه اخرا لاجرم ذكر اسم الرب اولا واسم التواب اخرا المسئله التاسعه الصحابه اتفقوا على ان هذه السوره دلت على انه نعي لرسول الله روي ان العباس عرف ذلك وبكى فقال النبي عليه السلم ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال الامر كما تقول وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا روي ان عمر كان يعظم ابن عباس ويقربه ياذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال لانه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله اذا جاء نصر الله وكانه ما سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف علمه بعدما ترون وروي لما نزلت السوره خطب وقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين الاخره فاختار لقاء الله فقال السائل وكيف دلت هذه السوره على هذا المعنى الجواب من وجوه احدها قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روينا ان الرسول خطب عقيب السوره وذكر التخيير وثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على حصول الكمال والتمام وذلك يستعقب الزوال كما قيل

اذا تم شي دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم

وثالثها انه امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله به يمنعه عن الاشتغال بامر الامه فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يوجب الموت لانه لو بقي بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرساله وانه غير جائز ورابعها قوله واستغفره تنبيه على قرب الاجل كانه يقول قرب الوقت ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبه به على ان سبيل العاقل اذا قرب اجله ان يستكثر من التوبه وخامسها كانه قيل

لذ كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته وهو النصر والفتح دل
شيئا ا والله تعالى وعدك بقوله وللاخرة خير لك من الاولى فلما حدث
اقصى مداركك في الدنيا فانتقل الى الاخرة لتفوز بتلك السعادات العالية
المسئلة العاشرة ذكروا ان الاصح هو ان السورة نزلت قبل فتح مكة واما
الذين قالوا انها نزلت بعد فتح مكة فذكر الماوردي انه عليه السلم لم يلبث
بعد نزول هذه السورة الا ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وقال
مقاتل عاش بعد السورة حولا ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده ثمانين
يوما ثم نزل اية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول
من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فعاش بعدها احد عشر يوما وفي رواية اخرى عاش بعدها
سبعة ايام والله اعلم كيف كان ذلك

سورة الحطب مكية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه تعالى قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ثم بين في سورة قل يا ايها الكافرون ان محمدا عليه السلم اطاع
ربه وصرح بنفي عبادة الشركاء والاضداد وان الكافر عصى ربه واشتغل
بعبادة الاضداد والانداد فكانه قيل الهنا ما ثواب المطيع وما
عقاب العاصي فقال ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستعلاء
في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى كما دل عليه سورة اذا جاء نصر الله واما
عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى كما دلت
عليه سورة تبت ونظيره قوله تعالى في اخر سورة الانعام وهو الذي جعلكم
خلايف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات فكانه قيل الهنا
انت الجواد المنزه عن البخل والغني المنزه عن العجز فما السبب في هذا
التفاوت فقال ليبلوكم فيما اتيكم فكانه قيل الهنا الهنا فان كان مذنبا عاصيا
فكيف حاله فقال في الجواب ان ربك سريع العقاب وان كان مطيعا
منقادا كان جزاؤه ان الرب تعالى يكون غفورا للسيئات في الدنيا رحيما
كريما في الاخرة وذكروا في سبب نزول السورة وجوها احدها قال

ابن عباس كان رسول الله بمكة امره في اول المبعث ويصلي في شعاب
مكة ثلث سنين الى ان نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فصعد
الصفا ونادي يا ال غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال ابو لهب
هذه غالب قد اتتك فما عندك ثم قال يا ال مرة فرجع من لم يكن من مرة
فقال ابو لهب هذه مرة قد اتتك فما عندك فقال ان الله امرني ان انذر
عشيرتي الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من
الاخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم عند ربكم فقال
ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت السورة وثانيها روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ذات يوم وقال يا صباحاه
فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك قال ارايتم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم
او ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال عند ذلك ابو لهب ما قال فنزلت السورة وثالثها جمع
اعمامه وقدم اليهم طعاما في صحفة فاستحقروه وقالوا ان احدنا ياكل
كل الشاة فقال كلوا فاكلوا حتى شبعوا ولم ينتقص من الطعام الا
اليسير ثم قالوا فما عندك فدعاهم الى الاسلام فقال ابو لهب ما قال
وروي انه قال ابو لهب فما لي ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا
افضل عليهم قال النبي عليه السلم وبماذا تفضل فقال تبا لهذا الدين
يستوي فيه انا وغيري ورابعها كان اذا وفد على النبي وفد سالوا
عمه عنه وقالوا انت اعلم به فيقول لهم انه ساحر فيرجعون عنه ولا
يلقونه فاتاه وفد فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه فقال
انا لم نزل نعالجه من الجنون فتبا له وتعسا فاخبر النبي عليه السلم بذلك
فحزن ونزلت السورة قوله تعالى تبت يدا ابي لهب
اعلم ان قوله تبت فيه اقاويل احدها التباب الهلاك ومنه قولهم
شابة ام تابة اي هالكة ونظيره قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب
اي في هلاك والذي يقرر ذلك ان الاعرابي لما واقع اهله في نهار رمضان

قال هلكت واهلكت ثم النبي عليه السلم ما انكر ذلك فدل على انه كان صادقا
في ذلك ولا شك ان العمل اما ان لا يكون داخلا في الايمان او ان كان داخلا
لكنه ضعيف الاجزاء فاذا كان بترك العمل حصل الهلاك ففي حق ابي لهب
حصل ترك الاعتقاد والقول والعمل وحصل وجود الاعتقاد الباطل
والقول الباطل والعمل الباطل فكيف يعقل ان لا يحصل معنى الهلاك
فلهذا قال تبت وثانيها تبت خسرت والتباب هو الخسران المفضي
الى الهلاك ومنه قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي تخسير بدليل
انه قال في موضع اخر غير تخسير وثالثها تبت خابت قال ابن عباس
لانه كان يدفع القوم عنه بقوله انه ساحر فينصرفون عنه قبل لقايه
لانه كان شيخ القبيلة وكان له كالاب فكان لا يتهم فلما نزلت السوره
وسمع بها غضب واظهر العداوه الشديده فصار متهما فلم يقبل قوله
في الرسول بعد ذلك فكانه خاب سعيه وبطل غرضه ولعله انما ذكر
اليد لانه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه فيقول انصرف راشدا
فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف انسانا عن موضع وضع يده
على كتفه ودفعه عن ذلك الموضع ورابعها عن عطا تبت اي غلبت
لانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ويغلب
عليه وخامسها عن ابن وثاب صفرت يداه عن كل خير فان قيل
ما فايده ذكر اليدين قلنا فيه وجوه احدها ما روي انه اخذ حجرا
ليرمي به رسول الله عن طارق المحاربي انه قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في السوق يقول ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل
خلفه يرميه بالحجاره وقد ادمى عقبيه وقال لا تطيعوه فانه كذاب
فقلت من هذا فقالوا محمد وعمه ابو لهب وثانيها المراد من اليدين
الجملة كقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وقولهم يداك اوكتا وقوله
تعالى مما عملت ايدينا وهذا التاويل هنا كذلك بقوله وتب وثالثها تبت
يداه اي دينه ودنياه اولاه وعقباه اولان باحدى اليدين يجر المنفعه



وبالاخرى يدفع المضره اولان اليمين سلاح والاخرى جنه ورابعها
روي انه عليه السلم لما دعاه نهارا فابى فلما جن الليل ذهب الى داره مستنا
بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل عليه قال له جيتني معتذرا
فجلس النبي عليه السلم امامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال
ان كان يمنعك العار فاجبني في هذا الوقت واسكت فقال لا اومن بك
او يومن هذا الجدي فقال عليه السلم للجدي من انا فقال رسول الله
واطلق لسانه يثني عليه فاستولى الحسد على ابي لهب واخذ يدي
الجدي ومزقه وقال تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدي بل تبا لك
فنزلت السوره على وفق ذلك تبت يدا ابي لهب لتمزيقه يدي الجدي
وخامسها قال محمد بن اسحق روي ان ابا لهب كان يقول يعدني
محمد اشيا لا اري انها كاين يزعم انها بعد الموت فلم يضع في يدي من
ذلك شيا ثم نفخ في يديه ويقول تبا لكما ما اري فيكما شيا فنزلت السوره
اما قوله تعالى وتب ففيه وجوه احدها انه اخرج الاول
مخرج الدعا عليه كقوله قتل الانسان ما اكفره والثاني مخرج الخبر اي
كان ذلك وحصل ويويده قراه ابن مسعود وقد تب وثانيها كل واحد
منهما اخبار ولكن اراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه ووجهه
ان المرء انما يسعى لمصلحه نفسه فاخبر الله تعالى انه محروم عن الامرين وثالثها
تبت يدا ابي لهب يعني ماله ومنه يقال ذات اليد وتب هو بنفسه
كما يقال خسروا انفسهم واهليهم وهو قول ابي مسلم ورابعها
تبت يدا ابي لهب يعني نفسه وتب يعني ولده عتبه على ما روي ان عتبه
ابن ابي لهب خرج الى الشام مع ناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا
قال لهم عتبه بلغوا محمدا اني كفرت بالنجم اذا هوى وروي انه قال
ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل في وجهه وكان
مبالغا في عداوته فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فوقع الرعب
في قلب عتبه وكان يحترز فسار ليله من الليالي فلما كان قريبا من الصبح

وعمله صح

فقال له اصحابه هلكت فمار الوابه حتى نزل وهو مرعوب واناخ الابل
حوله كالسرادق فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد
يتخلل حتى افترسه فان قيل نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعة
وقوله تبت اخبار عن الماضي فكيف يحمل عليه قلنا لانه كان في معلومه تعالى
انه يحصل ذلك وخامسها تبت يدا ابي لهب حيث لم يعرف حق ربه وتبت حيث
لم يعرف رسوله وفي الايه سوالات الاول لماذا كناه مع انه كالكذب
اذ لم يكن له ولد اسمه لهب وايضا فالتكنيه من باب التعظيم والجواب
عن الاول ان الكنية قد تكون اسما ويويده قراة من قرا تبت يدا ابو لهب
كما يقال علي بن ابو طالب ومعويه بن ابو سفين فان هولا اسماهم كناهم واما
معنى التعظيم فاجيب عنه من وجوه احدها انه لما كان اسما خرج عن
افادة التعظيم والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث
انه لما كان من اهل النار وماله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان
جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير
للخير الرابع كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك
تهكما به وافتخارا به السوال الثاني ان محمدا كان نبي الرحمة والخلق
العظيم فكيف يليق به ان يشافه عمه بهذا التغليظ الشديد وكان نوح مع
انه في نهاية التغليظ على الكفار قال في ابنه الكافر ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق وكان ابراهيم عليه السلم يخاطب اباه بالشفقة فقوله يا ابت
يا ابت وابوه كان يخاطبه بالتغليظ الشديد ولما قال له لارجمنك واهجرني
مليا قال سلام عليك ساستغفر لك ربي واما موسى عليه السلم فلما بعثه
الى فرعون قال له ولهرون فقولا له قولا لينا مع ان جرم فرعون كان اغلظ
من جرم ابي لهب كيف ومن شرع محمد عليه السلم ان الاب لا يقتل بابنه قصاصا
ولا يقيم الزوج عليه وان خاصمه ابوه وهو كافر في الحرب فلا يقتله بل يدفعه
عن نفسه حتى يقتله غيره والجواب من وجوه احدها انه كان
يصرف الناس عن محمد عليه السلم فيقول انه مجنون والناس ما كانوا

بذكر صوابه



يتهمونه لانه كان كالاب له فصار ذلك كالمانع من اداء الرسالة الى الخلق فشافهه
الرسول بذلك حتى عظم غضبه واظهر العداوة الشديدة فصار بسبب
تلك العداوة متهما في القدح في محمد عليه السلم فلم يقبل قوله فيه بعد ذلك
وثانيها ان الحكمة في ذلك ان محمدا لو كان يداهن احدا في الدين ويسامحه
لكان ذلك المداهن والمسامحة مع عمه الذي هو قائم مقام ابيه فلما لم يحصل
هذه المداهنة معه انقطعت الاطماع وعلم كل احد انه لا يسامح احدا في شي
يتعلق بالدين اصلا وثالثها ان الوجه الذي ذكرتم كالمتعارض فان كونه
عما يوجب ان يكون له الشفقة العظيمة عليه فلما انقلب الامر وحصلت العداوة
العظيمة لا جرم استحق التغليظ العظيم السوال الثالث ما السبب في انه
لم يقل قل تبت يدا ابي لهب وقال في سورة الكافرين قل يا ايها الكافرون
الجواب من وجوه الاول لان قرابة العمومة تقتضي رعاية الحرمة
فلهذا السبب لم يقل له قل ذلك لئلا يكون مشافها لعمه بالشتم بخلاف السورة
الاخرى فان اولئك الكفار ما كانوا اعمامه الثاني ان الكفار في تلك السورة
طعنوا في الله فقال الله تعالى يا محمد اجب عنهم قل يا ايها الكافرون وفي
هذه السورة طعنوا في محمد فقال الله تعالى اسكت انت فاني اشتمهم تبت
يدا ابي لهب الثالث لما شتموك فاسكت حتى يندرج تحت هذه الاية واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما واذا سكت انت فانا اكون المجيب عنك
روي ان ابا بكر كان يوذيه واحد فبقي ساكتا فجعل الرسول يدفع ذلك
الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر في الجواب سكت الرسول فقال
ابو بكر ما السبب في ذلك قال لانك حين كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك
فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجا الشيطان واعلم ان هذا
تنبيه من الله تعالى على ان من لا يشافه السفيه كان الله ذابا عنه وناصرا
له ومعينا السوال الرابع ما الوجه في قراة عبد الله بن كثير المكي
حيث كان يقرا ابي لهْب ساكنة الهاء الجواب قال ابو علي يشبه
ان يكون لهَب ولهْب لغتين كالشمْع والشمَع والنهْر والنهَر واجمعوا في قوله

سيصلى نارا ذات لهب على فتح الهاء وكذا قوله ولا يغني من اللهب وذلك
يدل على ان الفتح اوجه من الاسكان وقال غيره انما اتفقوا على الفتح في الثانية
مراعاة لوفاق الفواصل قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب
في الاية مسايل المسلة الاولى ما في قوله وما اغنى عنه يحتمل ان يكون استفهاما
بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا وعلى التقدير الاول يكون المعنى اي تاثير
كان لماله وكسبه في دفع البلاء عنه فانه لا احد اكثر مالا من قارون فهل دفع
عنه الموت ولا اعظم ملكا من سليمن فهل دفع الموت عنه وعلى التقدير
الثاني يكون ذلك اخبارا بان المال والكسب لا ينفع في ذلك المسلة الثانية
ما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى مكسوبه او وكسبه يروى
انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي
واولادي فانزل الله تعالى هذه الاية ثم ذكروا في المعنى وجوها احدها
لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني راس المال والارباح وثانيها
المال هو الماشية وما كسب من نسلها ومنافعها فانه كان صاحب النعم
والنتاج وثالثها ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه ورابعها
قال ابن عباس ما كسب ولده والدليل عليه ان اطيب ما اكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه وقال عليه السلم انت ومالك لابيك وروي
ان بني لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع
فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث وخامسها قال الضحاك
ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله وسادسها
قال قتادة وما كسب اي عمله الذي ظن انه منه على شي كقوله وقدمنا
الى ما عملوا من عمل وفي الاية سوالات السوال الاول قال هاهنا
ما اغنى عنه ماله وما كسب وقال في سورة الليل اذا يغشى وما يغني عنه
ماله اذا تردى فما الفرق الجواب التعبير بلفظ الماضي يكون اكد
كقوله ما اغنى عني ماليه وقوله اتى امر الله السوال الثاني ما اغنى
ماله وكسبه فما ذا الجواب قال بعضهم في عداوة الرسول فلم يغلب

قوله عليه السلم صح
ابي صح

عليه وقال بعضهم بل لم يغنيا عنه في دفع النار ولذلك قال سيصلى قوله تعالى
سيصلى نارا ذات لهب وفيه مسايل المسلة الاولى لما اخبر تعالى عن
حال ابي لهب في الماضي بالتباب وبانه ما اغنى عنه ماله اخبر عن حاله في المستقبل
بانه سيصلى نارا المسلة الثانية سيصلى قري بفتح اليا وبضمها مخففا ومشددا
المسلة الثالثة هذه الايات تضمنت الاخبار عن الغيب من ثلثة اوجه احدها
الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم
الانتفاع بماله وولده وقد كان كذلك روى ابو رافع مولى رسول الله صلى الله
عليه قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم
العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان
ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم
الا بعث مكانه رجلا اخر فلما جا الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا في انفسنا
قوة وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فكنت جالسا
هناك وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جانا من الخبر اذ اقبل ابو
لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهري الى ظهره فبينا هو جالس
اذ قال الناس هذا ابو سفين بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابو لهب
كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا
وايم الله مع ذلك ما ملت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما
والارض قال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملايكة
فاخذني وضربني على الارض ثم برك علي فضربني وكنت رجلا ضعيفا
فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على راسه وشجته وقالت تستضعفه
ان غاب سيده والله نحن مومنون منذ كنا وقد صدق فيما قال فانصرف
ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ولقد
تركه ابناه ليلتين او ثلثا ما يدفنانه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي
العدسة وعدواها كما يتقي الناس الطاعون وقالوا نخشى هذه القرحة ثم
دفنوه وتركوه فهذا معنى قوله ما اغنى عنه ماله وما كسب وثالثها الاخبار

بانه من اهل النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر المسئلة الرابعة
احتج اهل السنة على وقوع تكليف ما لا يطاق بان الله تعالى كلف ابا لهب
بالايمان ومن جملة الايمان تصديق الله في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه
انه لا يؤمن وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن
وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال واجاب الكعبي وابو الحسين
البصري بانه لو آمن ابو لهب لكان هذا الخبر خبرا بانه آمن لا بانه ما آمن
واجاب القاضي عنه فقال من قيل لو فعل الله ما اخبر انه لا يفعله
فكيف كان يكون فجوابنا انه لا يصح الجواب عن ذلك بلا او نعم واعلم
ان هذين الجوابين في غاية السقوط اما الاول فلان هذه الاية دالة
على ان خبر الله عن عدم ايمانه واقع والخبر الصدق عن عدم الايمان
يناقضه وجود الايمان منافاة ذاتية ممتنعة الزوال فاذا كلفه
ان ياتي بالايمان مع وجود هذا الخبر فقد كلفه بالجمع بين المتنافيين
واما الجواب الثاني فاركّ من الاول لانا لسنا نطلب ان يذكروا
بلسانهم لا او نعم بل صريح العقل شاهد بان يكون الخبر عن عدم الايمان
صدقا وبين وجود الايمان منافاة ذاتية كان التكليف بتحصيل احد
المتنافيين حال حصول الاخر تكليفا بالجمع بين الضدين وهذا الاشكال
قائم سواء ذكر الخصم بلسانه شيئا او بقي ساكتا اما قوله تعالى
وامراته حمالة الحطب ففيه مسايل المسئلة الاولى قرى ومريته
بالتصغير وقرى حمالة الحطب بالنصب على الشتم قال صاحب الكشاف
وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله بجميل من احب
شتم ام جميل وقرى حمالةُ الحطب بالتنوين والرفع والنصب المسئلة الثانية
ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معوية وكانت في
غاية العداوة لرسول الله وذكروا في تفسير كونها حمالة الحطب
وجوها احدها انها كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل انها كانت



من بيت العز فكيف يقال انها حمالة الحطب قلنا لعلها كانت مع كثرة مالها
خسيسة او كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لاجل
ان تلقيه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانيها انها كانت
تمشي بالنميمة يقال للمشاء بالنمايم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي
يوقد بينهم النايرة ويقال للمكثار هو كحاطب الليل وثالثها قول قتادة
انها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه بالفقر فعيرت بانها كانت
تحتطب والرابع قول ابي مسلم وسعيد بن جبير ان المراد ما حملت
من الاثام في عداوة الرسول لانه كالحطب في مصيرها الى النار ونظيره
انه تعالى شبه فاعل الاثم بمن يمشي وعلى ظهره حمل قال تعالى فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا وقال تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال
تعالى وحملها الانسان المسئلة الثالثة امراته ان رفعت ففيه وجهان
احدهما العطف على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامراته وفي
جيدها في موضع الحال والثاني الرفع على الابتدا وفي جيدها الخبر
المسئلة الرابعة عن اسما لما نزلت تبت جات ام جميل ولها ولولة
وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله جالس ومعه ابو بكر
وهي تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا فقال ابو بكر يا رسول
الله قد اقبلت اليك فانا اخاف ان تراك فقال عليه السلم انها
لا تراني وقرا واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا وقالت لابي بكر قد ذكر لي ان صاحبك هجاني
فقال ابو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهي تقول
قد علمت قريش اني بنت سيدها وفي هذه الحكاية ابحاث الاول
كيف جاز في ام جميل ان لا ترى الرسول وترى ابا بكر والمكان
واحد والجواب اما على قول اصحابنا فالسوال زايل
لان عند حصول الشرايط يكون الادراك جايزا لا واجبا فان خلق
الله الادراك راى والا فلا اما المعتزلة فذكروا فيه وجوها احدها

لعله عليه السلام اعرض وجهه عنها ولا فاطهره ثم انها كانت لغايته غضبها
لم تفتش او لان الله القى في قلبها خوفا فصار ذلك صارفا لها عن النظر
وثانيها لعل الله تعالى القى شبه انسان اخر على الرسول عليه السلام
كما فعل ذلك بعيسى عليه السلام وثالثها لعل الله تعالى حول شعاع
بصرها عن ذلك السمت حتى انها ما رأته واعلم ان الاشكال على الوجوه
الثلثة لازم لان بهذه الوجوه عرفنا انه يمكن ان يكون الشيء حاضرا
ولا نراه واذا جوزنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون عندنا فيلات وبوقات
ولا نراها ولا نسمعها البحث الثاني ان ابا بكر حلف انه ما هجاك وهذا
من باب المعاريض لان القران لا يسمى هجوا ولانه كلام الله لا كلام الرسول
فدلت هذه الاية على جواز المعاريض بقي من مباحث هذه الاية سؤالان
الاول لم لم يكتف بقوله وامراته بل وصفها بانها حمالة الحطب الجواب
قيل كان له امراتان سواها فاراد الله تعالى ان لا يظن ظان انه
اراد كل من كانت امراة له بل ليس المراد الا هذه الواحدة السؤال
الثاني ان ذكر النساء لا يليق باهل الكرم والمروة فكيف يليق ذكرها
بكلام الله ولا سيما امراة العم الجواب لما لم نستبعد ذلك في
امراة نوح ولوط بسبب كفر تينك المراتين فلان لا نستبعد في امراة
كافرة زوجها كافر اولى قوله تعالى في جيدها حبل من مسد
قال الواحدي رحمه الله المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد
الحبل يمسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول
الخلق والمسد ما مسد اي فتل من اي شيء كان فقال لما فتل من
جلود الابل ومن الليف والخوص مسد ولما فتل من الحديد ايضا
مسد اذا عرفت هذا فنقول ذكر المفسرون وجوها احدها
في جيدها حبل مما مسد من الحبال لانها كانت تحمل تلك الحزمة من
الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون والمقصود بيان خستها
تشبيها لها بالحطابات ايذاء لها ولزوجها وثانيها ان يكون المعنى

رحل م



ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين
كانت تحمل الحزمة من الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار
من شجر الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار فان قيل الحبل المتخذ من
المسد كيف يبقى ابدا في النار قلنا كما يبقى الجلد واللحم والعظم ابدا في النار
ومنهم من قال ذلك المسد يكون من الحديد وظن من ظن ان المسد لا يكون
من الحديد خطأ لان المسد هو المفتول سواء كان من الحديد او من
غيره والله اعلم سورة الاخلاص بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد قبل الخوض في التفسير لا بد من تقديم فصول
الفصل الاول روى ابي قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرا
سورة قل هو الله احد فكانما قرا ثلث القران واعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من اشرك بالله وامن بالله وقال عليه السلام من قرا
قل هو الله احد مرة واحدة اعطي من الاجر كمن امن بالله وملئكته
وكتبه ورسله واعطي من الاجر مثل مائة شهيد وروي انه كان جبريل
عليه السلام مع رسول الله اذ اقبل ابو ذر الغفاري فقال جبريل هذا
ابو ذر قد اقبل فقال عليه السلام او تعرفونه قال هو اشهر عندنا منه
عندكم فقال عليه السلام ~~فقال عليه السلام~~ بما ذا نال هذه الفضيلة قال
لصغره في نفسه وكثرة قراءة قل هو الله احد وروى انس قال كنا في
تبوك فطلعت الشمس ما لها شعاع وضياء ما رايناها على تلك الحالة
قط قبل ذلك فعجب كلنا فنزل جبريل وقال ان الله امر ان ينزل من
الملائكة سبعون الف ملك فيصلوا على معوية بن معوية فهل لك ان
تصلي عليه ثم ضرب بجناحه الارض فازال الجبال وصار الرسول عليه
السلام كانه مشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه ثم قال بم بلغ ما بلغ فقال
جبريل كان يحب سورة الاخلاص وروى انه دخل المسجد فسمع رجلا
يدعو ويقول اسالك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال غفر لك غفر لك ثلث مرات وعن سهل بن سعد

جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك
فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرا قل هو الله
احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه رزقا حتى افاض على
جيرانه وعن انس ان رجلا كان يقرا في جميع صلاته قل هو الله احد
فساله الرسول عن ذلك فقال يا رسول الله اني احبها فقال حبك
اياها يدخلك الجنة وقيل من قرا في المنام اعطى التوحيد وقلة العيال
وكثرة الذكر لله وكان مستجاب الدعوة الفصل الثاني في سبب نزولها
وفيه وجوه الاول انها نزلت بسبب سوال المشركين قال الضحاك
ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا شققت
عصانا وسببت الهتنا وخالفت دين ابائك فان كنت فقيرا اغنيناك
وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امراة زوجناكها فقال عليه السلام
لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امراة انا رسول الله ادعوكم من عبادة
الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا قل له بين جنس معبودك
امن ذهب او فضة فانزل الله هذه السورة فقالوا له ثلثماية وستون
صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات
ان الهكم لواحد فارسلوه اخرى بين لنا افعاله فنزل ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض الثاني انها نزلت بسبب سوال
اليهود روى عكرمة عن ابن عباس ان اليهود جاوا الى رسول الله
ومعهم كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق
الله فغضب نبي الله فنزل جبريل فسكنه وقال اخفض جناحك يا محمد
فنزل قل هو الله احد فلما تلاه عليهم قالوا صف لنا ربك كيف عضده
وكيف ذراعه فغضب اشد من غضبه الاول فاتاه جبريل بقوله وما
قدروا الله حق قدره الثالث انها نزلت بسبب سوال النصارى
روى عطا عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك
امن زبرجد او ياقوت او ذهب او فضة فقال ان ربي ليس من شي



لانه خالق الاشيا فنزلت هو الله احد قالوا هو واحد وانت واحد فقال
ليس كمثله شي قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد فقال
الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد كما ولدت مريم
ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد يريد نظيرا من خلقه الفصل
الثالث في اساميها اعلم ان كثرة الالقاب تدل على مزيد الفضيلة والعرف
يشهد لما ذكرناه فاحدها سورة التفريد وثانيها سورة التجريد
وثالثها سورة التوحيد ورابعها سورة الاخلاص لانه لم يذكر في
هذه السورة سوى صفات السلبية التي هي صفات الجلال ولان من
اعتقده كان مخلصا في دين الله ولان من مات عليه كان خلاصه من
النار ولان ما قبله خاص في ذم ابي لهب فكان جزا من قراه ان لا
يجمع بينه وبين ابي لهب وخامسها سورة النجاة لانه ينجيك عن
التشبيه والكفر في الدنيا وعن النار في الاخرة وسادسها سورة الولاية
لان من قراها صار من اوليا الله ولان من عرف الله على هذا الوجه
فقد والاه فبعد محنته رحمة كما بعد محنة نعمة وسابعها سورة النسبة
لما روينا انه ورد جوابا لسوال من قال انسب لنا ربك ولانه عليه السلام
قال لرجل من بني سليم يا اخا بني سليم استوص بنسبة الله خيرا
وهو من لطيف المعاني لانه لما قالوا انسب لنا ربك فقال نسبة
الله هذا والمحافظة على الانساب من شان العرب وكانوا يتشددون
على من يزيد في بعض الانساب او ينقص فنسبة الله في هذه السورة
اولى بالمحافظة عليها وثامنها سورة المعرفة لان معرفة الله لا تتم
الا بمعرفة هذه السورة روى جابر رضي الله عنه ان رجلا صلى فقرا
قل هو الله احد فقال النبي عليه السلام ان هذا عبد عرف ربه فسميت
سورة المعرفة لذلك وتاسعها سورة الجمال قال عليه السلام ان
الله جميل يحب الجمال فسالوه عن ذلك فقال احد صمد لم يلد ولم
يولد ولانه اذا لم يكن واحدا عديم النظير جاز ان ينوب ذلك

المتلمنابه وعاشرها سوره المقشقشه تقال يقشقش المريض غايته فمن
عرف هذا حصل له البرء من الشرك والنفاق لان النفاق مرض كما
قال في قلوبهم مرض الحادي عشر المعوذه روي انه عليه السلم دخل
على عثمان بن مظعون فعوذه بها وباللتين بعدها ثم قال تعوذ بهن
فما تعوذت بخير منها والثاني عشر سوره الصمد لانه مختص بذكره هو
والثالث عشر سوره الاساس قال عليه السلم اسست السموات
والارضون السبع على قل هو الله احد ومما يدل عليه ان القول
بالتثليث سبب لخراب السموات والارض بدليل قوله تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال فوجب ان يكون
التوحيد سببا لعماره هذه الاشيا وقيل السبب فيه معنى قوله
تعالى لو كان فيهما الهه الا الله لفسدتا الرابع عشر سوره المانعه
روى ابن عباس انه تعالى قال لنبيه حين عرج به اعطيتك سوره
الاخلاص وهي من ذخاير كنوز عرشي وهي المانعه تمنع فتاني القبر
ونفحات النيران والخامس عشر سوره المحضر لان الملايكه تحضر لاستماعها
اذا قريت والسادس عشر المنفره لان الشيطان ينفر عند قراتها
والسابع عشر البراة لانه روي انه عليه السلم راى رجلا يقرا هذه
السوره فقال اما هذا فقد بري من الشرك وقال عليه السلم من قرا
سوره قل هو الله احد مايه مره في صلاه او غيرها كتبت له براه من
النار الثامن عشر سوره المذكره لانها تذكر العبد خالص التوحيد
فقراه السوره كالتميمه تذكرك ما تتغافل عنه مما انت محتاج اليه
التاسع عشر سوره النور قال الله تعالى الله نور السموات والارض
فهو المنور للسموات والارض والسوره تنور قلبك وقال عليه السلم
ان لكل شي نورا ونور القران قل هو الله احد ونظيره ان نور الانسان
في اصغر اعضايه وهو الحدقه فصارت السوره للقران كالحدقه للانسان
العشرون سوره الامان قال عليه السلم اذا قال العبد لا اله الا الله دخل



حصني ومن دخل حصني امن من عذابي الفصل الرابع في فضايل هذه
السوره وهي من وجوه الاول اشتهر في الاحاديث ان قراه
هذه السوره تعدل قراه ثلث القران ولعل الغرض منه ان المقصود
الاشرف من جميع الشرايع والعبادات معرفه ذات الله ومعرفه
صفاته ومعرفه افعاله وهذه السوره مشتمله على معرفه الذات
فكانت هذه السوره معادله لثلث القران واما سوره قل يا ايها
الكافرون فهي معادله لربع القران لان المقصود من القران اما
الفعل او الترك وكل واحد منهما فهو اما في افعال القلوب
او في افعال الجوارح فالاقسام اربعه وسوره قل يا ايها الكافرون
لبيان ما ينبغي تركه من افعال القلوب فكانت في الحقيقه مشتمله على
ربع القران ومن هذا السبب اشتركت السورتان اعني قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد في بعض الاسامي فهما المقشقشتان
والبراتان من حيث ان كل واحده منهما يفيد براه القلب عما سوى
الله الا ان قل يا ايها الكافرون يفيد بلفظه البراه عما سوى الله وبلازمه
الاشتغال بالله وقل هو الله احد تفيد بلفظه الاشتغال بالله
وبلازمه الاعراض عن غير الله او من حيث ان قل يا ايها الكافرون
يفيد براه القلب عن ساير المعبودين وقل هو الله احد يفيد براه
المعبود عن كل ما لا يليق به الوجه الثاني وهو ان ليله القدر لكونها
صدفا للقران ان كانت خيرا من الف شهر فالقران كله صدف
والدر هو قوله قل هو الله احد فلا جرم حصلت لها هذه الفضيله
الوجه الثالث وهو ان الدليل العقلي دل على ان اعظم درجات
العبد ان يكون قلبه مستنيرا بنور جلال الله وكبريايه وذلك لا يحصل
الا من هذه السوره فكانت هذه السوره اعظم السور فان قيل
فصفات الله ايضا مذكوره في ساير السور قلنا لكن هذه السوره
لها خاصيه وهي انها لصغرها في الصوره تبقى محفوظه في القلوب

معلومة للعقول فيكون ذكر جلال الله حاضرا ابدا بهذا السبب فلا جرم
امتازت عن ساير السور بهذه الفضايل ولنرجع الان الى التفسير
**قوله تعالى قل هو الله احد** فيه مسايل المسئلة الاولى
اعلم ان معرفة الله تعالى جنة حاضرة اذ الجنة ان تنال ما يوافق عقلك
وشهوتك ولذلك لم تكن الجنة جنة لادم لما نازع عقله هواه ولا كان
القبر سجنا على المومن لانه حصل له هناك ما يلايم عقله وهواه ثم ان
معرفة الله تعالى مما يريدها الهوى والعقل فصارت جنة مطلقة
وبيانه مما قلناه ان العقل يريدا ميلا يودع عنده الحسنات والشهوة
تريد غنيا يطلب عنه المستلذات بل العقل كالانسان الذي له همة عالية
فلا ينقاد الا لمولاه والهوى كالمنتجع الذي اذا سمع غنيا فانه ينشط
للانتجاع منه بل العقل يطلب معرفة المولى ليشكر له النعم الماضية
والهوى يطلبها ليطمع منه النعم المتربصة فلما عرفناه كما اراداه علما
وغنيا تعلقا بذيله فقال العقل لا اشكر احدا سواك وقالت الشهوة
لا اسال احدا الا اياك ثم جاءت الشبهة فقالت يا عقل كيف افردته
بالشكر ولعل له مثلا ويا شهوة كيف اقتصرت عليه ولعل ها هنا
بابا اخر فبقي العقل متحيرا وتنغصت عليه تلك الراحة فاراد ان
يسافر في عالم الاستدلال ليفوز بجوهرة اليقين فكان الحق
سبحانه قال كيف انغص على عبدي لذة الاشتغال بخدمتي
وشكري فبعث الله رسوله وقال لا تقله من عند نفسك بل قل
هذا الذي عرفته صادقا يقول لي قل هو الله احد فعرفت الوحدانية
بالسمع وكفاك مؤنة النظر والاستدلال بالعقل وتحقيق ان المطالب
على ثلثة اقسام قسم منها لا يمكن الوصول اليه بالسمع وهو كل ما يتوقف
صحة السمع على صحته كالعلم بذات الله تعالى وعلمه وقدرته وصحة
المعجزات وقسم منها لا يمكن الوصول اليه الا بالسمع وهو وقوع كل
ما علم بالعقل جواز وقوعه وقسم ثالث يمكن الوصول اليه بالعقل

والسمع معا وهو كالعلم بانه واحد وبانه مريد الى غير هما وقد استقصينا في
تقرير دلايل الوحدانية في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
المسئلة الثانية اعلم انهم اجمعوا على انه لا بد في سورة قل يا ايها الكافرون
من قل واجمعوا على انه لا يجوز لفظ قل في سورة تبت واما في هذه السورة
فقد اختلفوا فالقراءة المشهورة قل هو الله احد وقرا ابي وابن مسعود
بغير قل هو الله احد وقرا النبي عليه السلام بدون قل هو الله
احد الله الصمد فمن اثبت قل قال السبب فيه بيان ان النظم ليس في مقدوره
بل يحكي كل ما يقال له ومن حذفه قال ذلك ليلا يتوهم ان ذلك ما كان
معلوما للنبي عليه السلم المسئلة الثالثة اعلم ان في اعراب هذه الاية وجوه
احدها ان هو كناية عن اسم الله فيكون قوله الله مرتفعا بانه خبر مبتدا
ويجوز في قولك احد ما يجوز في قولك زيد اخوك قايم والثاني ان هو
كناية عن الشان وعلى هذا التقدير يكون الله مرتفعا بالابتدا واحد خبره
والجملة تكون خبرا عن هو والتقدير الشان والحديث هو ان الله احد
ونظيره قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الا ان هي جاءت
على التانيث لان في التفسير اسما مونثا وعلى هذا جاء فانها لا تعمى
الابصار اما اذا لم يكن في التفسير مونث لم يونث ضمير القصة كقوله
انه من يات ربه مجرما والثالث قال الزجاج تقدير هذه الاية ان هذا
الذي سالتم عنه هو الله احد المسئلة الرابعة في احد وجهان
احدهما انه بمعنى واحد قال الخليل يجوز ان يقال احد اثنان وامل
احد وحد الا انه قلبت الواو همزة للتخفيف واكثر ما يفعلون هذا
في الواو المضمومة والمكسورة كقولهم وجوه واجوه ووسادة
واسادة والقول الثاني ان الواحد والاحد ليسا اسمين مترادفين
قال الازهري لا يوصف شي بالاحدية غير الله تعالى لا يقال رجل احد
ولا درهم احد كما يقال رجل وحد اي فرد بل احد صفة من صفات
الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها شي ثم ذكر وا في الفرق بين الواحد

ادام

والاحد وجوها احدها ان الواحد يدخل في الاحد والاحد لا يدخل
فيه وثانيها انك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقال لكنه يقاومه
اثنان بخلاف الاحد فانك لو قلت فلان لا يقاومه احد لا يجوز ان يقال
لكنه يقاومه اثنان وثالثها ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في
النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وتقول في النفي ما رايت احدا
فيفيد العموم المسئلة الخامسة اختلف القراء في قوله احد الله الصمد
فقراءة العامة التنوين وتحريكه بالكسر هكذا احدنِ الله وهو القياس
الذي لا اشكال فيه وذلك لان التنوين من احدٌ ساكن ولام المعرفة
من الله ساكن ولما التقى ساكنان حرك الاول منهما بالكسر وعن ابي عمرو
احدُ الله بغير تنوين وذلك ان النون شابهت حروف اللين في انها
تزاد كما يزدن فلما شابهتها اجريت مجراها في ان حذفت ساكنة لالتقا
الساكنين كما حذفت الالف والواو والياء لذلك نحو رمى القوم ويغزو
القوم ويرمي القوم ولهذا حذفت النون الساكنة في الفعل نحو لم يك ولا تك
في مرية فكذا هاهنا حذف في احد الله لالتقا الساكنين كما حذفت هذه
الحروف وقد ذكرنا هذا مستقصى عند قوله عزير بن الله وروى عن
ابي عمرو ايضا احدْ الله وقال ادركت القراء يقرونها كذلك وصلا
على السكون قال ابو علي قد تجري الفواصل في الادراج مجراها في الوقف
وعلى هذا قال من قال فاضلونا السبيلا ربنا وما ادريك ماهيه نار
وكذلك احدْ الله لما كان اكثر القراء فيها حكاه ابو عمرو على الوقف
اجراه في الوصل مجراه في الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته
في السنتهم وقرا الاعمش قل هو الله الواحد فان قيل لماذا قيل
احد على النكرة قال الماوردي فيه وجهان احدهما حذف لام التعريف
على نية اضمارها والتقدير قل هو الله الاحد والثاني ان المراد هو التنكير
على سبيل التعظيم المسئلة السادسة اعلم ان قوله هو الله احد الفاظ
ثلثة وكل واحد منها اشارة الي مقام من مقامات الطالبين فالمقام



الاول مقام المقربين وهو اعلى مقامات السايرين الى الله وهولاء هم الذين
نظروا الى ماهيات الاشيا وحقايقها من حيث هي هي فلا جرم ما راوا
موجودا سوى الله لان الحق هو الذي لذاته يجب وجوده واما ما عداه فممكن
لذاته والممكن لذاته اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهولاء لم يروا
موجودا سوى الحق سبحانه وقوله هو اشارة مطلقة والاشارة وان كانت
مطلقة الا ان المشار اليه لما كان متعينا انصرف ذلك المطلق الى ذلك المعين
فلا جرم كان قولنا هو اشارة من هولاء المقربين الى الحق سبحانه ولم يفتقروا
في تلك الاشارة الى مميز لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث حصل هناك
موجودان وقد بينا ان هولاء ما شاهدوا بعيون عقولهم الا الواحد فقط
فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهولاء والمقام
الثاني وهو اصحاب اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لان هولاء
شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت
كثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن هو كافيا في الاشارة الى الحق بل لا بد
هناك من مميز به يتميز الحق عن الخلق فهولاء احتاجوا الى ان
يقرنوا لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان الله هو الموجود
الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه والمقام الثالث
وهو مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وادونها وهم الذين
يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد وان يكون الاله اكثر
من واحد فقرن لفظ الاحد بما تقدم ردا على هولاء وابطالا لمقالهم فقيل
قل هو الله احد وهاهنا بحث اخر اشرف واعلى مما ذكرناه وهو ان صفات
الله تعالى اما ان تكون اضافية واما ان تكون سلبية اما الاضافية فكقولنا
عالم قادر مريد خلاق واما السلبية فكقولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا
بعرض والمخلوقات تدل اولا على النوع الاول من الصفات وثانيا
على النوع الثاني منها وقولنا الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وقولنا
احد يدل على مجامع الصفات السلبية فكان قولنا الله احد تاما في افادة

العرفان الذي يليق بالعقول البشرية وانما قلنا ان لفظ الله يدل على مجامع
الصفات الاضافية وذلك لان الله هو الذي يستحق العبادة واستحقاق
العبادة ليس الا لمن يكون مستبدا بالايجاد والابداع والاستبداد بالايجاد
لا يحصل الا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم
المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وهذه مجامع الصفات
الاضافية واما مجامع الصفات السلبية فهي الاحدية وذلك لان المراد من
الاحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن انحاء التراكيب وذلك
لان كل ماهية مركبة فهي مفتقرة الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من
اجزائه غيره فكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن
لذاته فكل مركب فهو ممكن لذاته فالاله الذي هو مبدا لجميع الممكنات ممتنع
ان يكون ممكنا فهو في نفسه فرد احد واذا ثبتت الاحدية وجب ان لا يكون
متحيزا لان كل متحيز فان يمينه مغاير ليساره وكل ما كان كذلك فهو منقسم
فالاحد يستحيل ان يكون متحيزا واذا لم يكن متحيزا لم يكن في شيء من الاحياز
والجهات ويجب ان لا يكون حالا في شيء لانه مع محله لا يكون احدا ولا
يكون محلا لشيء لانه مع حاله لا يكون احدا واذا لم يكن حالا ولا محلا لم يكن
متغيرا البتة لان التغير لا بد وان يكون من صفة الى صفة وايضا اذا كان
احدا وجب ان يكون واحدا اذ لو فرض موجودين واجبي الوجود
لاشتركا في الوجوب ولتمايزا في التعين وما به المشاركة غير ما به المباينة
فكل واحد منهما مركب فثبت ان كونه احدا يستلزم كونه واحدا فان
قيل كيف يعقل كون الشيء احدا فان كل حقيقة توصف بالاحدية
فهناك تلك الحقيقة وتلك الاحدية ومجموعهما فذاك ثالث ثلاثة لا احد
الجواب ان الاحدية لازمة لتلك الحقيقة فالمحكوم عليه
بالاحدية هو تلك الحقيقة لا المجموع الحاصل منها ومن تلك الاحدية
فقد لاح بما ذكرنا ان قولنا الله احد كلام متضمن لجميع صفات الله تعالى
من الاضافيات والسلوب وتمام الكلام في هذا الباب مذكور في تفسير قوله



والهكم اله واحد قوله تعالى الله الصمد فيه مسائل المسألة الاولى
ذكروا في الصمد وجهين الاول انه فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده
وهو السيد المصمود اليه في الحوائج قال الشاعر الا بكر الناعي بخير بني اسد
بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال ايضا علوته بحسام ثم قلت له
خذها حذيف فانت السيد الصمد والدليل على صحة هذا التفسير ما روي
ان ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالوا ما الصمد قال عليه السلام هو السيد الذي
يصمد اليه في الحوائج وقال الليث صمدت صمد هذا الامر اي قصدت قصده
والقول الثاني ان الصمد هو الذي لا جوف له ومنه يقال لسداد القارورة
الصماد وشيء مصمد اي صلب اي ليس فيه رخاوة وقال ابن قتيبة وعلى هذا
التفسير الدال فيه مبدلة من التاء وهو المصمت وقال بعض المتاخرين
من اهل اللغة الصمد هو الاملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا يداخله شيء
ولا يخرج منه شيء واعلم انه قد استدل قوم من جهال المشبهة بهذه الاية
في انه تعالى جسم وهذا باطل لانا بينا ان كونه احدا ينافي كونه جسما فمقدمة
هذه الاية دالة على انه لا يمكن ان يكون المراد من الصمد هذا المعنى ولان
الصمد بهذا التفسير صفة الاجسام المتضاغطة وتعالى عن ذلك فاذن
يجب ان يحمل ذلك على مجازه وذلك لان الجسم الذي يكون كذلك يكون عديم
الانفعال والتاثر عن الغير وذلك اشارة الى كونه سبحانه واجبا لذاته
ممتنع التغير في وجوده وبقائه وجميع صفاته فهذا ما يتعلق بالبحث اللغوي
في هذه الاية اما المفسرون فقد نقل عنهم وجوه بعضها يليق بالوجه الاول
وهو كونه تعالى سيدا مرجوعا اليه في دفع الحاجات وهو اشارة الى
الصفات الاضافية وبعضها بالوجه الثاني وهو كونه تعالى واجب الوجود
في ذاته وفي صفاته ممتنع التغير فيها وهو اشارة الى الصفات السلبية وتارة
يفسرون الصمد بما يكون جامعا للوجهين اما النوع الاول فذكروا وجوها
الاول الصمد هو العالم بجميع المعلومات لان كونه سيدا مرجوعا اليه
في قضاء الحاجات لا يتم الا بذلك الثاني الصمد هو الحليم لان كونه سيدا يقتضي

الحلم والكرم الثالث وهو قول ابن مسعود والضحاك الصمد هو السيد
الذي قد انتهى سودده الرابع قال الاصم الصمد هو الخالق للاشيا وذلك لان
كونه سيدا يقتضي ذلك الخامس قال السدي الصمد هو المقصود في الرغايب
المستغاث به عند المصايب السادس قال الحسين بن الفضل البجلي الصمد
هو الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضايه السابع
انه السيد المعظم الثامن انه الفرد الماجد لا يقضى في امر دونه واما النوع
الثاني وهو الاشاره الى الصفات السلبيه فذكروا وجوها الاول الصمد هو
هو الغني على ما قال وهو الغني الحميد الثاني الصمد الذي ليس فوقه احد لقا
فوق عباده وغنيه لا يخاف من فوقه ولا يرجوا من دونه ترفع الحوايج اليه
الثالث قال قتاده لا ياكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم الرابع قال
قتاده الباقي بعد فنا خلقه كل من عليها فان الخامس قال الحسن الصمد
الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال كان ولا مكان ولا اين ولا اوان
ولا عرش ولا كرسي ولا جني ولا انسي وهو الان كما كان السادس قال ابي
بن كعب الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات والارض السابع
قال يمان وابو مالك الذي لا ينام ولا يسهو الثامن قال ابن كيسان هو
الذي لا يوصف بصفه احد التاسع قال مقاتل بن حيان هو الذي لا عيب فيه
العاشر قال الربيع بن انس هو الذي لا تعتريه الافات الحادي عشر
قال سعيد بن جبير انه الكامل في جميع صفاته وفي جميع افعاله الثاني عشر
قال جعفر الصادق انه الذي يغلب ولا يغلب الثالث عشر قاله ابو
هريره انه المستغني عن كل احد الرابع عشر قال ابو بكر الوراق انه الذي
ايس الخلايق من الاطلاع على كيفيته الخامس عشر هو الذي لا يدركه الابصار
السادس عشر ابو العاليه ومحمد القرظي هو الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس
شي يلد الا سيورث ولا شي يولد الا وسيموت السابع عشر قال ابن عباس
انه الكبير الذي ليس فوقه احد الثامن عشر انه المنزه عن قبول النقصانات
والزيادات وعن ان يكون موردا للتغيرات والتبدلات وعن احاطه



الازمنه والامكنه والانات والجهات واما الوجه الثالث وهو ان يحمل لفظ
الصمد على الكل وهو ايضا محتمل لانه بحسب دلالته على الوجوب الذاتي يدل
على جميع السلوب وبحسب دلالته على كونه مبدا للكل يدل على جميع نعوت
الالهيه المسله الثانيه قوله الله الصمد يقتضي ان لا يكون في الوجود
صمد سوى الله واذا كان الصمد مفسرا بالمصمود اليه في الحوايج او بما لا
يقبل التغير في ذاته لزم ان لا يكون في الوجود موجود هكذا سوى الله تعالى
فهذه الايه تدل على انه لا اله سوى الواحد فقوله الله احد اشاره الى كونه
واحدا بمعنى انه ليس في ذاته تركيب ولا تاليف بوجه من الوجوه وقوله
الله الصمد اشاره الى كونه تعالى واحدا بمعنى نفي الشركا والانداد والاضداد
وبقي في الايه سوالات السوال الاول لم جا احد منكرا وجا الصمد
معرفا والجواب الغالب على اوهام اكثر الخلق ان كل موجود محسوس
وثبت ان كل محسوس فهو منقسم فاذن ما لا يكون منقسما لا يكون خاطرا
ببال اكثر الخلق واما الصمد فهو الذي يكون مصمودا اليه في الحوايج وهذا
كان معلوما للعرب بل لاكثر الخلق على ما قال ولين سالتهم من خلقهم ليقولن
الله واذا كانت الاحديه مجهوله مستنكره عند اكثر الخلق وكانت
الصمديه معلومه الثبوت عند جمهور الخلق لا جرم جا لفظ احد على سبيل
التنكير ولفظ الصمد على سبيل التعريف السوال الثاني ما الفايده
في تكرير لفظه الله في قوله الله احد الله الصمد الجواب لو لم تتكرر هذه
اللفظه لوجب في لفظ احد وصمد ان يردا اما نكرتين او معرفتين وقد بينا
ان ذلك غير جايز فلا جرم كررت هذه اللفظه حتى تذكر لفظ احد منكرا
ولفظ الصمد معرفا قوله تعالى لم يلد ولم يولد وفيه سوالات السوال
الاول لم قدم قوله لم يلد على قوله لم يولد مع ان في الشاهد يكون اولا
مولودا ثم يكون والدا الجواب انما وقعت البدايه بانه لم يلد لانهم
ادعوا ان له ولدا وذلك لان مشركي العرب قالوا الملايكه بنات الله وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يدع احد ان له

والد فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال لم يلد ثم أشار إلى الحجة فقال ولم يولد
كأنه قيل الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على أنه ما كان ولداً لغيره
السؤال الثاني لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال لم يلد ولم يولد ولم يقل
لم يلد ولن يلد الجواب إنما اقتصر على ذلك لأنه ورد جواباً عن قولهم
ولد الله والدليل عليه قوله تعالى ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله فلما كان
المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم إنما قالوا ذلك في الماضي لا جرم
وردت الآية على وفق قولهم السؤال الثالث لم قال هاهنا لم يلد وقال
في سورة بني إسرائيل لم يتخذ ولداً الجواب أن الولد يكون على وجهين
أحدهما أن يتولد منه مثله وهذا هو الولد الحقيقي والثاني أن لا يكون
متولداً منه ولكنه يتخذه ولداً ويسميه بهذا الاسم وإن لم يكن ولداً في الحقيقة
والنصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال إن
الله اتخذه ولداً تشريفاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً تشريفاً له فقوله لم يلد إشارة
إلى نفي الولد في الحقيقة وقوله لم يتخذ ولداً إشارة إلى نفي القسم الثاني
ولهذا قال لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك لأن الإنسان قد يتخذ
ولداً ليكون ناصراً له ومعيناً على الأمر المطلوب ولذلك قال في سورة أخرى
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه هو الغني وهو إشارة إلى ما ذكرنا أن
اتخاذ الولد إنما يكون عند الحاجة السؤال الرابع نفي كونه تعالى
والداً ومولوداً هل يمكن أن يعلم بالسمع أم لا يمكن ذلك فما الفائدة في ذكره
هاهنا الجواب نفي كونه تعالى والداً مستفاد من العلم بأنه تعالى قديم
والعلم بكل واحد من هذين الأصلين متقدم على العلم بصحة النبوة والقرآن
فلا يمكن أن يكونا مستفادين من الدلائل السمعية بقي أن يقال فلما لم يمكن
استفادتهما من السمع فما الفائدة في ذكرهما في هذه السورة قلنا قد بينا
أن المراد من كونه أحداً كونه سبحانه في ذاته وماهيته منزهاً عن جميع أنحاء
التراكيب وكونه تعالى صمداً معناه كونه واجباً لذاته ممتنع التغير في ذاته وجميع
صفاته وإذا كان كذلك فالأحدية والصمدية توجبان نفي الوالدية والمولودية

من



فلما ذكر السبب الموجب لانتفاء الوالدية والمولودية لا جرم ذكر هذين الحكمين
فالمقصود من ذكرهما تنبيه الله تعالى على الدلالة العقلية القاطعة على انتفائهما
السؤال الخامس هل في قوله تعالى لم يلد ولم يولد فائدة أزيد من نفي الوالدية
ونفي المولودية قلنا فيه فوائد كثيرة وذلك لأن قوله الله أحد إشارة إلى
كونه تعالى في ذاته وماهيته منزهاً عن التركيب وقوله الله الصمد إشارة
إلى نفي الأضداد والأنداد والشركاء والأمثال وهذان المقامان الشريفان
مما حصل الاتفاق فيهما بين أرباب الملل والأديان وبين الفلاسفة
إلا أن من بعد هذا الموضع حصل الاختلاف بين أرباب الملل
وبين الفلاسفة فإن الفلاسفة قالوا إنه يتولد عن واجب الوجود عقل
وعن العقل عقل آخر ونفس وفلك وهكذا على هذا الترتيب حتى ينتهي
إلى العقل الذي هو مدبر ما تحت كرة القمر فعلى هذا القول يكون واجب
الوجود قد ولد العقل الأول الذي هو تحته ويكون العقل الذي هو
مدبر لعالمنا هذا كالمولود من العقول التي فوقه فالحق سبحانه وتعالى
نفى الوالدية أولاً فكأنه قيل إنه لم يلد العقول والنفوس ثم قال والشيء
الذي هو مدبر أجسادكم وأرواحكم وعالمكم هذا ليس مولوداً من شيء
فلا والد ولا مولود ولا مؤثر إلا الواحد الذي هو الحق سبحانه
قوله سبحانه ولم يكن له كفواً أحد وفيه سؤالات السؤال
الأول الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر
ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله ورد مقدماً في أفصح كلام
والجواب هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الله واللفظ
الدال على هذا المعنى هو هذا الظرف وتقديم الأهم أولى فلهذا السبب
كان هذا الظرف مستحقاً للتقديم السؤال الثاني كيف القراءة في
هذه الآية الجواب قرئ كفواً بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها
مع سكون الفاء والأصل هو الضم مخففاً مثل طنب وطنب وعنق وعنق
وقال أبو عبيدة يقال كفو وكفي وكفاء كله بمعنى واحد وهو المثل وللمفسرين

فيه اقاويل احدها قال كعب وعطا لم يكن له مثل ولا عديل ومنه المكافاة في الجزاء لانه يعطيه ما يساوي ما اعطاه وثانيها قال مجاهد لم يكن له صاحبة كانه سبحانه وتعالى قال لم يكن احد كفوا له فيصاهره ردا على من حكى الله عنه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فتصير هذه الاية كالتاكيد لقوله تعالى لم يلد وثالثها وهو التحقيق انه تعالى لما بين انه هو المصمود اليه في قضاء الحوائج ونفي الوسائط من البين بقوله لم يلد ولم يولد على ما شاء محمد يد ختم السورة بان شيا من الموجود انه يمتنع ان يكون مساويا له في شي من صفات الجلال والعظمة اما الوجود فلا مساواه لانه وجوده من مقتضيات حقيقته فان حقيقته غير قابلة للعدم من حيث هي هي واما سائر الحقائق فانها قابلة للعدم واما العلم فلا مساواه فيه لان علمه ليس بضروري ولا باستدلالي ولا مستفاد من الحس ولا من الروية ولا يكون في معرض الغلط والزلل وعلوم المحدثات كذلك واما القدرة فلا مساواه وكذا الرحمة والجود والعدل والفضل والاحسان واعلم ان هذه السورة اربع ايات وفي ترتيبها انواع من الفوائد الفايدة الاولى ان اول السورة يدل على انه سبحانه واحد والصمد على انه كريم رحيم لانه لا يصمد اليه حتى يكون محسنا ولم يلد ولم يولد على انه غني على الاطلاق منزه عن التغير فلا يبخل بشي اصلا ولا يكون جوده لاجل جر نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان وقوله ولم يكن له كفوا احد اشارة الى نفي ما لا يجوز عليه من الصفات الفايدة الثانية نفى الله عن ذاته انواع الكثرة بقوله احد ونفى النقص والمغلوبية بلفظ الصمد ونفى المعلولية والعلية بلم يلد ولم يولد ونفى الاضداد والانداد بقوله ولم يكن له كفوا احد الفايدة الثالثة قوله احد يبطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة والنصارى في التثليث والصابئين في الافلاك والنجوم والاية الثانية تبطل مذهب من اثبت خالقا سوى الله لانه لو وجد خالق اخر لما كان الحق مصمودا اليه في طلب جميع الحاجات



الاية

والثالثة تبطل مذهب اليهود في عزير والنصارى في المسيح والمشركين في ان الملائكة بنات الله والاية الرابعة تبطل مذهب المشركين حين جعلوا الاصنام اكفاء له وشركاء الفايدة الرابعة ان هذه السورة في حق الله مثل سورة الكوثر في حق الرسول لكن الطعن في حق الرسول كان بسبب انهم قالوا انه ابتر لا ولد له وهاهنا الطعن كان بسبب انهم اثبتوا لله ولدا وذلك لان عدم الولد في حق الانسان عيب الا ان وجود الولد عيب في حق الله تعالى فلهذا السبب قال هاهنا قل حتى تكون ذابا عني وفي سورة انا اعطيناك انا اقول ذلك الكلام حتى اكون انا ذابا عنك

سورة الفلق

قبل الخوض في التفسير لا بد من تقديم فصلين الفصل الاول سمعت بعض العارفين فسر هاتين السورتين على وجه عجيب فقال انه سبحانه لما شرح امر الالهية في سورة الاخلاص ذكر هذه السورة عقيبها في شرح مراتب مخلوقات الله فقال اولا قل اعوذ برب الفلق وذلك لان ظلمات العدم غير متناهية والحق سبحانه هو الذي فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد والابداع فلهذا قال قل اعوذ برب الفلق ثم قال من شر ما خلق والوجه فيه ان عالم الممكنات على قسمين عالم الامر وعالم الخلق على ما قال الا له الخلق والامر وعالم الامر كله خيرات محضة بريئة عن الشرور والافات اما عالم الخلق وهو عالم الاجسام والجسمانيات فالشر لا يحصل الا فيه وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم فلما كان الامر كذلك لا جرم قال اعوذ بالرب الذي فلق ظلمات بحر العدم بنور الايجاد والابداع من الشرور الواقعة في عالم الخلق وهو عالم الاجسام والجسمانيات ثم من الظاهر ان الاجسام اما اثيرية واما عنصرية والاجسام الاثيرية خيرات لانها بريئة عن الاختلال والفطور على ما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور واما العنصريات فهي اما جماد

او نبات او حيوان اما الجمادات فهي خاليه عن جميع القوي النفسانيه
فالظلمه فيها خالصه والانوار عنها بالكليه زايله وهي المراد من قوله ومن
شر غاسق اذا وقب واما النبات فالقوه الغاذيه النباتيه هي التي تزيد
في الطول والعرض والعمق فهذه القوه النباتيه كانها نفثت في العقد
الثلثه واما الحيوان فالقوي الحيوانيه هي الحواس الظاهره والحواس
الباطنه والشهوه والغضب وكلها تمنع الروح الانسانيه عن الانصباب
الي عالم الغيب والاشتغال بتقديس جلال الله وهو المراد من قوله
ومن شر حاسد اذا حسد ثم انه لم يبق من السفليات بعد هذه
المرتبه سوى النفس الانسانيه وهي المستفيده فلا تكون مستفادا
منها فلا جرم قطع هذه السوره وذكر بعدها في سوره الناس
مراتب درجات النفس الانسانيه في الترقي وذلك لانها باصل فطرتها
مستعده لان تنتقش بمعرفه الله تعالى ومحبته الا انها تكون في اول
الامر خاليه عن هذه المعارف بالكليه ثم انه في المرتبه الثانيه يحصل فيها
علوم اوليه بديهيه يمكن التوصل بها الى استعلام المجهولات الفكريه
ثم في اخر الامر تستخرج تلك المجهولات الفكريه من القوه الى الفعل فقوله
تعالى قل اعوذ برب الناس اشاره الى المرتبه الاولى من مراتب النفس
الانسانيه وهي حال كونها خاليه عن جميع العلوم البديهيه والكسبيه وذلك
لان النفس في تلك المرتبه تحتاج الى مربي يربيها ويزينها بتلك المعارف
البديهيه ثم في المرتبه الثانيه وهي عند حصول هذه العلوم البديهيه
يحصل لها ملكه منها الى استعلام العلوم الفكريه وهو المراد من قوله
ملك الناس ثم في المرتبه الثالثه وهي عند خروج تلك العلوم الفكريه
من القوه الى الفعل يحصل الكمال التام للنفس وهو المراد من قوله
اله الناس فكان الحق سبحانه سمى نفسه بحسب كل مرتبه من مراتب
النفس الانسانيه بما يليق بتلك المرتبه ثم قال من شر الوسواس الخناس
والمراد منه القوه الوهميه والسبب في اطلاق اسم الخناس على الوهم

٥

الانتقال





ان العقل والوهم قد يتساعدان على تسليم بعض المقدمات ثم اذا آل الامر الى
النتيجه فالعقل يساعد على النتيجه والوهم ينخنس ويرجع ويمتنع عن تسليم
النتيجه فلهذا السبب سمي الوهم بالخناس ثم بين سبحانه ان ضرر هذا الخناس
عظيم على العقل وانه قلما ينفك احد منه فكانه سبحانه بين في هذه السوره
مراتب الارواح البشريه ونبه على عدوها ونبه على ما به يقع الامتياز بين
العقل وبين الوهم وهناك اخر درجات مراتب الانسانيه فلا جرم وقع
ختم الكتاب الكريم والفرقان العظيم عليه الفصل الثاني ذكروا في
سبب نزول السوره وجوها احدها روي ان جبريل اتاه وقال ان
عفريتا من الجن يكيدك فقال اذا اويت الى فراشك قل اعوذ برب
السورتين وثانيها ان الله تعالى انزلهما عليه ليكونا رقيه من العين
وعن سعيد بن المسيب ان قريشا قالوا تعالوا نتجوع فنعين محمدا ففعلوا
ثم اتوه وقالوا ما اشد عضدك واقوى ظهرك وانضر وجهك فانزل
الله المعوذتين وثالثها وهو قول جمهور المفسرين ان لبيد بن اعصم
اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشره عقده وتر ودسه
في بير يقال لها ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه واشتد عليه ذلك
ثلث ليال فنزلت المعوذتان لذلك واخبره جبريل بموضع السحر فارسل
عليا وطلبه وجاء به وقال جبريل للنبي عليه السلام حل عقده واقرا ايه
ففعل وكان كلما قرا ايه انحلت عقده فكان يجد بعض الخفه والراحه
واعلم ان المعتزله انكروا ذلك باسرهم قال القاضي هذه الروايه باطله
وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس
وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوه
ولانه لو صح ذلك لكان من الواجب ان يصلوا الضرر الى جميع الانبيا
والصالحين ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لانفسهم وكل ذلك باطل
ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعه لكان
الكفار صادقين في تلك الدعوي ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب

٤

ومعلوم ان ذلك غير جايز قال الاصحاب هذه القصه قد صحت عند جمهور
اهل النقل والوجوه المذكوره قد سبق الكلام عليها في سوره البقره اما
قوله الكفار كانوا يعيبون الرسول عليه السلم بانه مسحور فلو وقع ذلك
لكان الكفار صادقين في ذلك القول فجوابه ان الكفار كانوا يريدون
بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بواسطه السحر فلذلك تركوا دينهم
فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد بالجمله
فان الله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يوذيه
في دينه وشرعه ونبوته فاما في الاضرار ببدنه فلا يبعد وتمام الكلام في
هذه المسئله تقدم في سوره البقره ولنرجع الى التفسير قوله
تعالى قل اعوذ برب الفلق وفيه مسايل المسئله الاولى في قوله قل
فوايد احدها انه سبحانه لما امر بقراه سوره الاخلاص تنزيها لله عما
لا يليق به في ذاته وصفاته وكان ذلك من اعظم الطاعات فكان العبد
قال الهنا هذه الطاعه عظيمه جدا لا اثق بنفسي في الوفا بها واجابه
بان قال قل اعوذ برب الفلق اي استعذ بالله والتجي اليه حتى يوفقك
لهذه الطاعه على اكمل الوجوه وثانيها ان الكفار لما سالوا الرسول
عن نسب الله وصفته وكان الرسول عليه السلم قال كيف اتجوى هولا
الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك فقال الله قل اعوذ
برب الفلق اي استعذ بي حتى اصونك عن شرهم وثالثها كانه تعالى
يقول اني شرفتك وجعلت بيتك ما هنا فعلت ومن دخله كان امنا
فالتجي انت ايضا الي حتى اجعلك امنا فقل اعوذ برب الفلق المسئله
الثانيه اختلفوا في انه هل يجوز الاستعانه بالرقى والعوذ ام لا فمنهم
من قال انه يجوز واحتجوا بوجوه احدها ما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل عليه السلم فقال بسم الله ارقيك
من كل شي يوذيك والله يشفيك وثانيها قال ابن عباس كان رسول الله
يعلمنا من الاوجاع كلها والحمى هذا الدعا بسم الله اللهم اعوذ بالله العظيم



من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار وثالثها قال عليه السلم من دخل
على مريض لم يحضره اجله فقال اسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك
سبع مرات شفي ورابعها عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه اذا دخل على مريض قال اذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي
لا شافي الا انت وخامسها عن ابن عباس قال كان رسول الله يعوذ
الحسن والحسين يقول اعيذكما بكلمات الله التامه من كل شيطان
وهامه ومن كل عين لامه ويقول هكذا كان ابي ابرهيم يعوذ ابنيه
اسمعيل واسحق وسادسها قال عثمان بن ابي العاص الثقفي قدمت
على رسول الله وبي وجع قد كاد يبطلني فقال رسول الله صلى الله عليه
اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ بعزه الله وقدرته من شر
ما اجد سبع مرات ففعلت ذلك فشفاني الله وسابعها روي انه عليه السلم
اذا سافر فنزل منزلا يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ من شرك وشر
ما فيك وشر ما يخرج منك وشر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود
وحيه وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد وثامنها قالت عايشه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى شيا من جسده قرا قل هو
الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي ومن الناس
من منع من الرقى لما روي عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه عن الرقى
وقال عليه السلم ان لله عبادا لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون
وقال عليه السلم لم يتوكل على الله من اكتوى واسترقى واجيب عنه بانه
يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهوله التي لا تعرف حقايقها فاما ما
كان له اصل موثوق فلا نهي عنه واختلفوا في التعليق فروي انه عليه السلم
قال من علق شيا وكل اليه وعن ابن مسعود انه راي على ام ولده تميمه
مربوطه بعضدها فجذبها جذبا عنيفا فقطعها ومنهم من جوزه سيل
الباقر رضي الله عنه عن التعويذ تعلق على الصبيان فرخص فيه واختلفوا
في النفث ايضا فروي عن عايشه انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينفث على نفسه اذا اشتكى بالمعوذات ويمسح بيده فلما اشتكى رسول الله وجعه
الذي توفي فيه طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه
وعنه عليه السلام انه كان اذا اخذ مضجعه نفث في يديه وقرا فيهما بالمعوذات
ثم مسح بهما جسده ومنهم من انكر النفث قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث
ولا يمسح ولا يعقد وعن ابرهيم قالوا كانوا يكرهون النفث في الرقي
وقال بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا
محمد قال بلى ولكن لا ~~ينبغي للراقي~~ ان تنفث فعوذته بالمعوذتين قال الحليمي
رحمه الله الذي روي عن عكرمة انه لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح
ولا يعقد فكانه ذهب فيه الى ان الله تعالى جعل النفث في العقد مما
يستعاذ منه فوجب ان يكون منهيا عنه الا ان هذا ضعيف لان النفث في
العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان فاذا كان
هذا النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون حراما المسئلة
الثالثة انه تعالى قال في مفتاح القراه فاستعذ بالله وقال هاهنا اعوذ
برب الفلق وفي موضع اخر وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
وجا في الاحاديث اعوذ بكلمات الله التامات فلا شك ان افضل
اسما الله هو الله واما الرب فانه قد يطلق على غيره قال الله ارباب متفرقون
فما السبب انه تعالى عند الامر بالتعوذ لم يقل اعوذ بالله بل قال برب
الفلق واجابوا عنه من وجوه احدها انه في قوله فاذا قرات
القران فاستعذ بالله انما امره بالاستعاذه هناك لاجل قراه القران
وانما امره بالاستعاذه هاهنا في هذه السوره لاجل حفظ النفس
والبدن عن السحر والمهم الاول اعظم فلا جرم ذكر هناك الاسم الاعظم
وثانيها ان الشيطان يبالغ في منعك من العباده اشد من مبالغته
في ايصال الضرر الى بدنك وروحك فلا جرم ذكر الاسم الاعظم هناك دون
هاهنا وثالثها ان اسم الرب يشعر الى التربية فكانه جعل تربية الله له فيما
تقدم وسيلة الى تربيته له في الزمان الاتي او كان العبد يقول التربية والاحسان



حرفتك فلا تهملني ولا تخيب رجائي ورابعها ان بالتربية صار شارعا في الاحسان
والشروع ملزم وخامسها ان هذه السوره اخر سور القران فذكر لفظ
الرب تنبيها على انه سبحانه لا يقطع عنك تربيته واحسانه فان قيل انه ختم
القران على اسم الاله حيث قال ملك الناس اله الناس قلنا فيه لطيفة
وهي كونه تعالى قال قل اعوذ من هواي ولكنه اله قاهر لوسوسة الخناس
فهو كالاب المشفق الذي يقول ارجع عند مهماتك الى ابيك المشفق
عليك الذي هو كالسيف القاطع والنار المحرقة لاعدائك فليكن هذا من
اعظم انواع الوعد بالاحسان والتربية وسادسها كان الحق قال لمحمد
عليه السلام قلبك لي فلا تدخل فيه حب غيري ولسانك لي فلا تذكر به احدا
غيري وبدنك لي فلا تشغله بخدمة غيري وان اردت شيا فلا تطلبه الا
مني فان اردت العلم فقل رب زدني علما وان اردت الدنيا فسالوا الله
من فضله وان خفت ضررا فقل اعوذ برب الفلق فاني انا الذي وصفت
نفسي باني فالق الاصباح وباني فالق الحب والنوى وما فعلت هذه الاشيا
الا لاجلك فاذا كنت افعل كل هذه الامور لاجلك افلا اصونك عن الافات
والمخافات المسئله الرابعة ذكروا في الفلق وجوها احدها انه
الصبح وهو قول الاكثرين قال الزجاج لان الليل يفلق عنه الصبح
ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال هو ابين من فلق الصبح ومن فرق
الصبح وتخصيصه في التعوذ لوجوه الاول ان القادر على ازاله هذه
الظلمات الشديده عن كل هذا العالم يقدر ايضا ان يدفع عن العايذ
كل ما يخافه ويخشاه الثاني ان طلوع الصبح كالمثال لمجي الفرج فكما ان الانسان
في الليل يكون منتظرا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبا لطلوع
صباح النجاح الثالث ان الصبح كالمبشر فان الانسان في الظلام يكون
كالمعدوم فاذا ظهر الصبح فكانه صاح بالامان وبشر بالفرج ولهذا السبب
يجد كل مريض ومهموم خفة في وقت السحر فالحق سبحانه يقول قل اعوذ
برب يعطي انعام فلق الصبح قبل السوال فكيف بعد السوال الرابع

قال بعضهم ان يوسف عليه السلم لما القي في الجب وجعت ركبته وجعا
شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلم
باذن الله يسليه ويامره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت واومن
فدعا جبريل وامن يوسف فكشف الله ما كان به من الضر فلما طاب
وقت يوسف قال يا جبريل وانا ادعوا ايضا وتومن انت فسال
يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلا في ذلك الوقت فلا جرم
ما من مريض الا ويجد نوع خفة في اخر الليل وروي ان دعاه في الجب
يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف
كربتي ويا مجيب دعوتي ويا الهي ويا اله ابائي ابرهيم واسحق ويعقوب
ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام
الخامس لعل تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعا المضطرين
واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج
فيه عن كل مهموم ومغموم السادس يحتمل انه خص الصبح بالذكر لانه شبه
من يوم القيامه لان الخلق كالاموات والدور كالقبور ثم منهم من يخرج
عن داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس
ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه
كذا في يوم القيمه بعضهم مفلس عن الثواب عاري عن لباس التقوى
يجر الى الملك الجبار ومن عبد كان مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا
مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق السابع يحتمل انه تعالى خص
الصبح بالذكر لانه وقت الصلاة الجامعة لاحوال القيامه فالقيام
في الصلاة يذكر القيام يوم القيمه كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين
والقراة في الصلاة تذكر قراة الكتب والركوع في الصلاة يذكر من القيامه
قوله ناكسوا روسهم والسجود في الصلاة يذكر قوله ويدعون الى السجود
فلا يستطيعون والقعود يذكر قوله وترى كل امة جاثية فكان العبد يقول
الهي كما خلصتني من ظلمة الليل فخلصني من هذه الاهوال وانما خص وقت



صلوة الصبح لان لها مزيد شرف على ما قال ان قران الفجر كان مشهودا
اي يحضرها ملايكة الليل والنهار الثامن انه وقت الاستغفار والتضرع على
ما قال والمستغفرين بالاسحار القول الثاني في الفلق انه عبارة عن
كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات ان الله فالق الحب والنوى والجبال
عن العيون وان منها لما يتفجر منه الانهار والسحاب عن الامطار والارحام
عن الاولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف واذا تاملت
الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق بل العدم كانه ظلمة والنور كان وجود
وثبت انه كان الله في الازل ولم يكن معه شي البتة فكانه سبحانه هو الذي
فلق بحار ظلمات العدم بانوار الايجاد والتكوين والابداع فهذا هو
المراد من الفلق وهذا التاويل اقرب من وجوه احدها وهو ان الموجود
اما الخالق واما المخلوق فاذا فسرنا الفلق بهذا التفسير صار كانه قال
قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون كل المحدثات والمبدعات فيكون
التعظيم فيه اعظم ويكون الصبح احد الامور الداخلة في هذا المعنى وثانيها
ان كل موجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته والممكن لذاته يكون موجودا
بغيره معدوما في حد ذاته فاذن كل ممكن فلا بد له من موثر يوثر في حال
حدوثه وبقيه حال بقايه فان الممكن حال بقايه يفتقر الى الموثر والترتيب
اشاره لا الى حال الحدوث بل الى حال البقا فكانه يقول انك لست
محتاجا الي في حال الحدوث فقط بل في حال الحدوث وحال البقا
معا في الذات وفي جميع الصفات فقوله برب الفلق يدل على احتياج
كل ما عداه اليه حالتي الحدوث والبقا في الماهيه والوجود بحسب
الذوات والصفات وسر التوحيد لا يصفوا عن شوايب الشرك
الا عند مشاهدة هذه المعاني وثالثها ان التصوير والتكوين في الظلمة
اصعب منه في النور فكانه يقول انا الذي افعل ما افعل قبل طلوع الانوار
وظهور الاضوا ومثل ذلك مما لا يتاتى الا بالعلم التام والحكمة البالغة
والى الاشاره بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله الا هو

العزيز الحكيم القول الثالث انه واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما
اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام
فرا دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش فقال لا ابالي اليس
من ورايهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل
النار من شدة حره وانما خصه بالذكر ها هنا لانه هو القادر على مثل هذا
التعذيب العظيم الخارج عن حد اوهام الخلق ثم قد ثبت ان رحمته اعظم
واكمل واتم من عذابه فكانه يقول يا صاحب العذاب الشديد اعوذ برحمتك
التي هي اعظم واكمل واتم واسبق واقدم من عذابك قوله تعالى
من شر ما خلق وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في تفسير هذه الاية وجوه احدها
قال عطا عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى لم يخلق خلقا هو
شر منه ولان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس
وباعوانه وجنوده وثانيها يريد جهنم كانه يقول قل اعوذ برب جهنم
ومن شدايد ما خلق فيها وثالثها من شر ما خلق يريد من شر اصناف
الحيوانات الموذيات كالسباع والهوام ويجوز ان يدخل فيه من يوذي
من الجن والانس ايضا ووصف افعالها بانها شر وانما جاز ادخال الجن
والانس تحت لفظة ما لان الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلا حسن
استعمال لفظة ما فيه لان العبرة بالاغلب وايضا يدخل فيه شرور
الاطعمة الممرضة وشرور الما والنار فان قيل الالام الحاصلة عقيب
الما والنار ولدغ الحية والعقرب حاصلة بخلق الله تعالى ابتدا على
ما هو قول اكثر المتكلمين او متولدة من قوى خلقها الله تعالى في هذه
الاجرام على ما هو قول جمهور الحكما وبعض المتكلمين وعلى التقديرين فيصير
حاصل الاية انه تعالى امر الرسول بان يستعيذ بالله من الله فما معناه قلنا
واي باس بذلك ولقد صرح عليه السلم بذلك فقال واعوذ بك منك ورابعها
اراد به ما خلق من الامراض والاسقام والقحط وانواع المحن والافات
وزعم الجبائي والقاضي ان هذا التفسير باطل لان فعل الله تعالى لا يجوز ان



يوصف بانه شر قالوا ويدل عليه وجوه احدها انه يلزم على هذا التقدير
ان الذي امر بالتعوذ منه هو الذي يتعوذ به وذلك متناقض والثاني ان افعال
الله كلها حكمة وصواب وذلك لا يجوز ان يقال انها شر والثالث ان فعل
الله لو كان شرا لوصف فاعله بانه شرير وتعالى الله عن ذلك والجواب
عن الاول انا بينا انه لا امتناع في قوله اعوذ بك منك وعن الثاني ان الانسان
لما تالم به فانه يعد شرا فورد اللفظ على وفق قوله كما في وجزا سيئة سيئة
مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن الثالث
ان اسما الله توقيفية لا اصطلاحية ثم الذي يدل على جواز تسمية الامراض
والاسقام بانها شرور قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا وقوله
واذا مسه الشر فذو دعا عريض وكان عليه السلم يقول واعوذ بك من
شر طوارق الليل والنهار المسئلة الثانية طعن بعض الملحدة في قوله قل
اعوذ برب الفلق من شر ما خلق من وجوه احدها ان المستعاذ منه
اهو واقع بقضا الله وقدره او لا بقضا الله ولا بقدره فان كان الاول
فكيف امر بان يستعيذ بالله منه وذلك لان ما قضى الله به وقدره فهو
واقع فكانه تعالى يقول استعذ بي من الشي الذي قضيت بوقوعه وهو لا بد واقع
فاستعذ بي منه حتى لا اوقعه وان لم يكن بقضايه وقدره فذلك يقدح
في ملك الله وملكوته وثانيها ان المستعاذ منه ان كان معلوم الوقوع فلا
دافع له فلا فايدة في الاستعاذة وان كان معلوم اللاوقوع فلا حاجة الى
الاستعاذة وثالثها ان المستعاذ منه ان كان مصلحة فكيف رغب المكلف
في طلب دفعه ومنعه وان كان مفسدة فكيف خلقه وقدره واعلم ان الجواب
عن امثال هذه الشبهات انه لا يسال عما يفعل وقد تكرر هذا الكلام في هذا
الكتاب قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب ذكروا في الغاسق
وجوها احدها الغاسق هو الليل اذا عظم ظلامه من قوله الى غسق
الليل ومنه غسقت العين اذا امتلات دمعا وغسقت الجراحة اذا
امتلات دما وهذا قول الفرا وابي عبيدة وانشد لابن الرقيات

ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا وقال الزجاج الغاسق
في اللغة هو البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار وعنه قوله انه
الزمهرير وثالثها قال قوم الغاسق والغساق هو السائل من قولهم غسقت
العين تغسق غسقا اذا سالت بالماء وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه
على الارض اما الوقوب فهو الدخول في شيء اخر بحيث يغيب عن العين
يقال وقب يقب وقوبا اذا دخل والوقبة النقرة لانه يدخل فيها والايقاب
ادخال الشيء في الوقبة هذا ما يتعلق باللغة وللمفسرين في الاية اقوال
احدها ان الغاسق اذا وقب هو الليل اذا دخل وانما امر ان يتعوذ من
شر الليل لان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من مكانها ويهيج
السارق والمكابر ويقع الحريق ويقل فيه الغوث ولذلك لو شهر سلاحا على
انسان ليلا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه
يوجد فيه الغوث وقال قوم ان في الليل تنتشر الارواح المؤذية المسماة
بالجن والشياطين وذلك لان قوة شعاع الشمس كانها تقهرهم اما في الليل
فيحصل لهم نوع استيلاء وثانيها ان الغاسق اذا وقب هو القمر قال
ابن قتيبة الغاسق القمر سمي به لانه يكسف فيغسق اي يذهب ضوءه ويسود
ووقوبه دخوله في ذلك الاسوداد روى ابو سلمة عن عائشة رضي الله عنها
انه اخذ بيدها واشار الى القمر وقال لها استعيذي بالله من شر
هذا فانه الغاسق اذا وقب قال ابن قتيبة ومعنى قوله تعوذي بالله من
شره اذا وقب اذا دخل في الكسوف اقول وعندي فيه وجه اخر
وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد
من كونه غاسقا واما وقوبه فهو انمحاء ضوئه في اخر الشهر والمنجمون
يقولون انه في اخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لا يزال ينقص
نوره فبسبب ذلك يزداد نحوسته ولذلك فان السحرة انما يشتغلون
بالسحر المورث للتمريض في هذا الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة
فانها انما نزلت لاجل انهم سحروا النبي عليه السلام لاجل التمريض وثالثها قال

نوره صح



ابن زيد الغاسق اذا وقب يعني الثريا اذا سقطت قال وكانت الاسقام
تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها وعلى هذا سمي الثريا غاسقا لانصبابه
عند وقوعه في المغرب ووقوبه دخوله تحت الارض وغيبوبته عن الاعين
ورابعها قال صاحب الكشاف يجوز ان يراد بالغاسق الاسود من
الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب والنقب واحد واعلم ان هذا التاويل
اضعف الوجوه المذكورة وخامسها الغاسق اذا وقب هو الشمس اذا
غابت وانما سميت غاسقا لانها في الفلك كانها تسبح فسمي حركتها وجريانها
بالغسق ووقوبها غيبتها ودخولها تحت الارض قوله تعالى ومن شر
النفاثات في العقد فيه مسائل المسئلة الاولى في الاية قولان الاول ان
النفث النفخ مع ريق قاله صاحب الكشاف ومنهم من قال انه النفخ فقط ومنه
قوله عليه السلام ان جبريل نفث في روعي والعقد جمع عقدة والسبب فيه ان
الساحر اذا اخذ في قراءة الرقية اخذ خيطا ولا يزال يعقد عليه عقدا
بعد عقد وينفث في تلك العقد وانما انث النفاثات لوجوه احدها
ان هذه الصناعة انما تعرف بالنساء لانهن يعقدن وينفثن وذلك لان الاصل
الاعظم فيه ربط القلب بذلك الامر واحكام الهمة والوهم فيه وذلك انما يتاتى
من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل منهن اقوى
قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن النبي
عليه السلام وثانيها ان المراد من النفاثات النفوس وثالثها المراد منها
الجماعات وذلك لانه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد اكثر كان
التاثير اشد القول الثاني وهو اختيار ابي مسلم من شر النفاثات
اي النساء في العقد اي في عزائم الرجال وارائهم وهو مستعار من عقد
الحبال والنفث وهو تليين العقدة من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير
حله سهلا فمعنى الاية ان النساء لاجل كثرة حبهن في قلوب الرجال يتصرفن
في الرجال يحولنهم من راي الى راي ومن عزيمة الى عزيمة فامر الله رسوله
بالتعوذ من شرهن كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم

فلذلك عظم الله كيدهن فقال ان كيدكن عظيم واعلم ان هذا القول قول
حسن لولا انه على خلاف قول اكثر المفسرين المسئلة الثانية انكرت المعتزلة
تاثير السحر وقد تقدمت هذه المسئلة ثم قالوا سبب الاستعاذة من
شرهن لثلثة اوجه احدها ان يستعاذ من اثم عملهن في السحر والثاني
يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن والثالث ان يستعاذ من اطعامهن
الاطعمة الردية المورثة للجنون والموت قوله تعالى ومن شر حاسد
اذا حسد من المعلوم ان الحاسد هو الذي تشتد محبته لازالة نعمة الغير
اليه ولا يكاد يكون كذلك الا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل فلذلك امر
الله تعالى بالتعوذ منه ولو دخل في هذه السورة كل شر يتوقى ويحترز
منه دينا ودنيا فلذلك لما نزل فرح رسول الله بها لكونها مع ما يليها جامعة
في التعوذ لكل امر ويجوز ان يراد شر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت
حسده واظهار اثره بقي ههنا سوالات السوال الاول قوله من شر
ما خلق عام في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق
والنفاثات والحاسد الجواب تنبيها على ان هذه الشرور اعظم
انواع الشر السوال الثاني لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه
الجواب عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لانه ليس كل
عاسق شريرا وايضا ليس كل حاسد شريرا بل رب حسد يكون محمودا وهو
الحسد في الخيرات

## سورة الخناس بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس فيه مسائل المسئلة الاولى قرئ قل اعوذ بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونظيره فخذ اربعة وايضا اجمع القرا على
ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في موضع
الخفض المسئلة الثانية انه تعالى رب جميع المحدثات ولكنه ههنا ذكر انه
رب الناس على التخصيص وذلك لوجوه احدها ان الاستعاذة وقعت
من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس
الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض
الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم وثانيها ان اشرف
المخلوقات في هذا العالم هم الناس وثالثها ان المامور بالاستعاذة هو الانسان
فاذا قرا الانسان هذه السورة صار كانه يقول يا رب يا ملكي ويا الهي المسئلة
الثالثة قوله تعالى ملك الناس اله الناس هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص
عمر الفاروق فوصف اولا بانه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون
كما يقال رب الدار ورب المتاع قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فلا جرم بينه بقوله ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد
لا يكون فلا جرم بينه بقوله اله الناس لان الاله خاص به وهو سبحانه
لا يشركه فيه غيره وايضا بدا بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه
وهو من اوائل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل
انه عبد مملوك وهو ملكه فثنى بذكر الملك ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة
عليه وعرف ان معبوده مستحق لتلك العبادة عرف انه الله فلهذا ختم
به وايضا اول ما يعرف العبد من ربه كونه معطيا لما عنده من النعم الظاهرة
والباطنة وهذا هو الرب ثم لا يزال ينتقل من معرفة هذه الصفات الى
معرفة جلالته واستغنائه عن الخلق فحينئذ يحصل العلم بكونه ملكا لان الملك
هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون هو غنيا عن غيره ثم اذا عرفه العبد
كذلك عرف انه في الجلالة والكبرياء فوق وصف الواصفين وانه هو الذي
ولهت العقول في عزته وعظمته فحينئذ يعرفه الها المسئلة الرابعة السبب
في تكرير لفظ الناس انه انما تكررت هذه الصفات لان عطف البيان يحتاج
الى مزيد الاظهار ولان هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس لانه سبحانه كانه
عرف ذاته بكونه ربا للناس ملكا للناس الها للناس ولولا ان الناس اشرف
مخلوقاته والا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربا وملكا والها لهم المسئلة الخامسة
لا يجوز ههنا مالك الناس ويجوز مالك يوم الدين في سورة الفاتحة
والفرق ان قوله رب الناس افاد كونه مالكا لهم فلا بد وان يكون المذكور
عقيبه هو الملك ليفيد انه مالك ومع كونه مالكا فهو ملك فان قيل اليس

قال في سوره الفاتحه رب العالمين ثم قال مالك يوم الدين فيلزم وقوع
التكرار هناك قلنا اللفظ دل على انه رب العالمين وهي الاشيا الموجوده
في الحال وعلى انه مالك ليوم الدين اى قادر عليه فهناك الرب مضاف الي
شي والمالك الى شي اخر فلم يلزم التكرير واما هاهنا لو ذكر المالك لكان الرب
والمالك مضافين الى شي واحد فيلزم منه التكرير فظهر الفرق وايضا فجواز
القرات سبع النزول لا القياس وقد قرى ايضا مالك لكن في الشواذ قوله
تعالى من شر الوسواس الخناس الوسواس اسم بمعنى الوسوسه كالزلزال
بمعنى الزلزله واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان
سمي بالمصدر كانه وسوسه في نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عليه
نظيره قوله عمل غير صالح واريد ذو الوسواس وتحقيق الكلام في الوسوسه
قد تقدم في قوله فوسوس لهما الشيطان واما الخناس فهو الذي عادته
ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات عن سعيد
بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس
اليه قوله تعالى الذى يوسوس في صدور الناس اعلم ان قوله الذي
يوسوس يجوز في محله الحركات الثلث فالجر على الصفه والرفع والنصب
على الشتم ويحسن ان يقف القارى على الخناس ويبتدي الذى يوسوس
على احد هذين الوجهين اما قوله من الجنه والناس ففيه وجوه
احدها كانه يقول الوسواس الخناس قد يكون من الجنه وقد يكون من
الناس كما قال شياطين الانس والجن وكما ان شيطان الجن قد يوسوس
تاره ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يري نفسه
كالناصح المشفق فان زجره السامع انخنس وترك الوسوسه
وان قبل السامع كلامه بالغ فيه وثانيها قال قوم قوله من الجنه والناس قسمان
مندرجان تحت قوله في صدور الناس كان القدر المشترك بين الانس والجن
يسمى انسانا والانسان ايضا يسمى انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على
الجنس والنوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه الجن